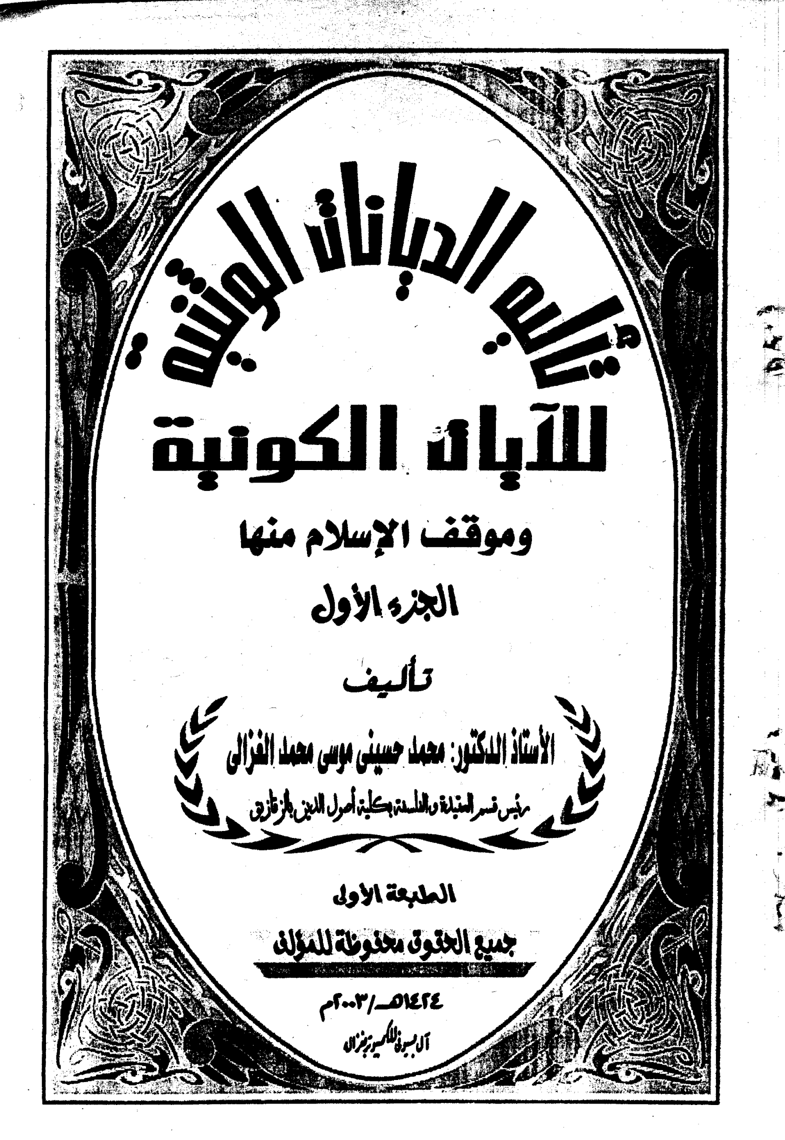


تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية

وموقف الإسلام منها

الجزء الأول

تأليف

الأستاذ الدكتور: محمد حسينى موسى محمد الغزالى

رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالزقازيق

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

آل بسيونى للكمبيوتر بزفتى


استفتاح
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن
يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾
صدق الله العظيم
سورة الحج - الآية ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الأحد، الفرد الباقى الصمد، المنزه عن الشبيه، والشريك[١]، والصاحبة[٢]،والولد[٣]، قال تعالى: والله عز وجل يقول وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]. أى خالقها على غير مثال سابق، يا للعجب كيف يكون لله ولد، ولم تكن له زوجة، إذ التوالد يكون بين ذكر وأنثى لحاجة إليه، لحفظ النوع، وكثرة النسل لعمارة الأرض، بل ولعبادة الرب، فأى معنى لاتخاذ ولد له إذ لو كان لله ولد لعلمه، وكيف لا وهو بكل شيء عليم[٥].

فهو مبدع السماوات والأرض، وكل شيء فكيف يكون له ولد ولم يكن له زوج ينشأ الولد من ازدواجه بها، ولا معنى للولد إلاّ ما كان كذلك، وإنما صدور جميع الكائنات السماوية والأرضية عنه صدور إيجاد إبداعى للأصول الأولى، وإيجاد سببى كالتوالد بينها، بحسب سننه فى التوالى، ولذلك قال وخلق كل شيء خلقاً ولم يلده ولادة، وعلمه بكل شيء ذاتى له. ولا يعلم كل شيء إلاّ الخالق لكل شيء[٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله، تفرد بالوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله[٧]، وأمر الأنبياء

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ سورة الإسراء الآية ١١١ .

(٢) قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾ سورة الجن الآية ٣ .

(٣) وقد جاءت هذه الصفات الإلهية فى سورة الإخلاص. قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ سورة الإخلاص بتمامها .

(٤) سورة الأنعام – الآية ١٠١ .

(٥) العلامة أبو بكر جابر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير م٢ ص٩٩ – مكتبة العلوم والحكم ١٤١٥هـ/١٩٩٤م – المدينة المنورة – الطبعة الأولى.

(٦) الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٧ ص٥٣٨/٥٤٢.

(٧) وقد بينت آيات القرآن الكريم أن كل نبى كان يعلن قومه بتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله، فيقول: "مالكم من إله غيره" وقد تكرر ذلك فى القرآن الكريم مع الأنبياء والمرسلين كثيرا.

والمرسلين بإعلانها[١]، وبين أنه وحده الحقيق بالاعتقاد الصحيح والعبادة السليمة، والسير فى الاتجاهات المستقيمة. قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[٢].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، جعله الله رحمة للعالمين، ختم به النبوات[٣]، وجعل رسالته خاتمة لكل الرسالات[٤]، فمن اتبعه نجا، ومن خالفه هلك وغوى. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٥].

---

(١) قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[سورة آل عمران – الآية ١٨] يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : « شهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل على ذلك، وشهادة الملائكة تحقيقهم ذلك فيما بينهم ، وتبليغ بعضهم ذلك إلى الرسل، وشهادة أولى العلم تحقيقهم ذلك بالحجج والأدلة، وشبه إقامة الأدلة على وحدانيته تعالى من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية بشهادة الشاهد بتصديق الدعوى فى البيان والكشف على طريق الاستعارة التبعية، وبين ذلك الملائكة بما نزلوا به من الوحى على الرسل، وما نطقوا به من محامد، وبين ذلك أولو العلم بما أقاموا من الحجج على الملاحدة، ولك أن تجعل شهادة الله بمعنى الدلالة، ونصب الأدلة، وشهادة الملائكة وأولى العلم بمعنى آخر، وهو الإقرار أو بمعنيين؛ إقرار الملائكة واحتجاج أولى العلم ». [الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – م٣ ج٣ ص١٨٦]

(٢) سورة طه – الآية ١٤ .

(٣) ففي الحديث الشريف قال النبى ﷺ :« فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍ: أعطيتُ جوامعَ الكلِمِ، ونصرتُ بالرُّعبِ وأحلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأرسلتُ إلى الخلقِ كافَّةً، وخُتمَ بي النَّبيُّونَ ».[الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيرى النيسابورى (٢٠٦-٢٦١هـ) – صحيح مسلم ج١ ص٣٧٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج١ ص٣٧١ – الحديث رقم:٥٢٣ (طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى– بدون)] .

(٤) ففي الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله « أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني » [مسند أحمد ج٣ ص٣٨٧ – الحديث: ١٥١٩٥، وأخرجه ابن أبى شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج٥ ص٣١٢ – ١٧١ من كره النظر في كتب أهل الكتاب – الحديث:٢٦٤٢١، والهيثمى – مجمع الزوائد ج٨ ص٢٦٢ – باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم على من أدركه]

(٥) سورة الأحزاب – الآية ٤٠ . ويقول صاحبا الجلالين : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم فليس أبا زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينت ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين فلا يكون له من ابن رجل بعده يكون نبيا – وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا – وكان الله بكل شيء عليما منه بأن لا نبي بعده » [تفسير الجلالين ج١ ص٥٥٦]

وقال أيضا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(1)].

يقول العلامة ابن كثير[(2)]: « هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد][(3)].

ولهذا قال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب، وقال الحسن البصري[(4)] وغيره من السلف زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وعن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني][(5)]. ويغفر لكم

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٣١ .

(٢) ابن كثير : وهو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي من أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية . توفى سنة ٧٧٤هـ . (الطبقات للداودى ج١/١١١) .

(٣) الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المولود فى ٢٠٦هـ والمتوفى فى ٢٦١هـ) – صحيح مسلم – ج: ٣ ص: ١٣٤٣ – باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور – الحديث: ١٧١٨ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ورواه البخارى – ج٢ ص٦٥٣، ج٦ ص٢٦٧٥.

(٤) هو « الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل مولى جميل بن صفحة خالية قطبة وقيل غير ذلك وأبوه يسار من سبي ميسان أعتقته الربيع بنت النضر ولد الحسن زمن عمر وسمع عثمان وشهد الدار بن أربع عشرة سنة وروى عن عمران بن حصين وأبي موسى وابن عباس وجندب وعنه بن عون ويونس وأمم كان كبير الشأن رفيع الذكر رأسا في العلم والعمل مات في رجب سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين » [راجع العلامة حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣هـ، المتوفى ٧٤٨هـ – الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة – ج١ ص٣٢٢ رقم:١٠٢٢– دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م – الطبعة الأولى – تحقيق محمد عوامة].

(٥) العلامة البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج١٠ ص٢٣٣ – رقم: ٢٠٨٥٨ بلفظ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أي عرى الإسلام أوثق قال قلت الله ورسول الله أعلم قال الولاية في الله، الحب في الله والبغض في الله » ، وقال الشافعي رحمه الله ولو خص امرؤ قومه بالمحبة ما لم يحمل على غيرهم ما ليس يحل له فهذه صلة ليست بعصبية فكل امرؤ إلا وفيه محبوب ومكروه، والحديث أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص١٧٠ – رقم: ٣٠٤٢٠ ، ج٧ ص٨٠ قم: ٣٤٣٣٨.

ذنوبكم والله غفور رحيم أي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته »[١].

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، النبى الهادى البشير، الذى جعله الله بالمؤمنين رءوفا رحيما، وشاهدا ومبشراً ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٢].

وعن عرباض بن سارية[٣] رضي الله عنه قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته له نورا أضاء لها قصور الشام ثم تلا يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا »[٤].

وارض اللهم عن آل بيته الطاهرين، اللاتى أنزل الله فيهن قرآنا يتلى إلى يوم الدين[٥]، وأصحابه النجوم الزواهر، الغر الميامين، الذين كانوا أنجما تضيء جنبات الطريق، وتكشف

---

(١) العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء المتوفى ٧٧٤هـ - تفسير القرآن العظيم - ج:١ ص:٣٥٩ - دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٤٥ .

(٣) العرباض بن سارية السلمي يكنى أبا نجيح، والعرباض أبو الحارث، من البكائين ومن أهل الصفة سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين وقيل بل مات في فتنة ابن الزبير روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام، وهو ممن نزل فيه "ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم" الآية. [راجع الإصابة ج: ٣ ص: ١٢٣٨ رقم:٢٠٢٦ ، والكاشف ج٢ ص١٧ رقم:٣٧٦٦ ، والثقات ج٣ ص٣٢١ رقم:١٠٤٦، ومشاهير علماء الأمصار ج١ ص٥١ رقم:٣٣١].

(٤) العلامة أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٥٣ - الحديث: ٣٥٦٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٥) من ذلك قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [سورة الأحزاب - الآية ٦] وقوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا • وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب - الآيتان ٣٠/٣١]

المجاهل للسائرين، حتى كانوا الغرة الزهراء في الجبين[1]، وأتباعه من جند الله المخلصين، ومن تبعهم مقتديا بكتاب ربنا وسنة نبينا إلى يوم الدين، وأكرم الله والدينا وأهلينا وذرارينا، وأهل الفضل فينا، واحشرنا على أعتاب شفاعة النبي الهاشمي سيدنا محمد ﷺ يا أرحم الراحمين.

أما بعد،،،

فإن التوحيد لله رب العالمين، هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهو الدين القيم، الذي لا يرضى عن سواه رب العالمين. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

۞ **يقول الحافظ ابن كثير:** « فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة

---

(١) ففي الحديث الشريف يقول ﷺ : « أصحابي كالنجوم فبأيهم إقتديتم إهتديتم ». [العلامة: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت:١١٦٢هـ) – كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – كشف الخفاء ج: ١ ص: ١٤٧ – رقم: ٣٨١ – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة – تحقيق: أحمد القلاش.] وقال ﷺ أيضا: « (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومِ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أمتي ما يوعدون) ».[صحيح مسلم باب بيان أن بقاء النبيّ صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة. في الحديث رقم (٢٥٣١).] وقوله ﷺ : «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »، [العلامة الإمام: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩هـ/٢٧٩هـ) – الجامع الصحيح سنن الترمذي – ج: ٥ ص: ٦٩٦ الحديث رقم: ٣٨٦٢ (راويه عبدالله بن مغفل)– طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت – تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون] وعن عمر بن الخطاب بالجابية قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا مثل مقامي فيكم فقال احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد، ويحلف وما يستحلف »،[الإمام : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (٢٠٧هـ/٢٧٥هـ) – سنن ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ٧٩١ – الحديث: ٢٣٦٣ –دار الفكر–بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي] وعن سالم عن أبيه: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظني في أصحابي ورد علي حوضي، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرني يوم القيامة إلا من بعيد ».[العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠هـ/٣٦٠هـ) – المعجم الكبير – ج:١٢ ص: ٢٨٣ – الحديث: ١٣١٢٥ – مكتبة العلوم والحكم– الموصل١٤٠٤هـ–١٩٨٣م – ط الثانية – تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي]

(٢) سورة الروم – الآية ٣٠ .

التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره »[١]، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم[٢].

ثم إن هذا التوحيد هو حق الله على عباده، وقد كان المرسلون يمارسون ذلك، ويعلمونه أقوامهم، فالقرآن الكريم قص أن الخليل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، وأخبر على لسان سيد الخلق، حبيب الحق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

فالإنسان بالتوحيد الخالص « يصير عبدا لله خاصة، حرا من العبودية لكل ما سواه، فكان له من الحق ما للحر على الحر، لا يُملىٰ في الحق ولا ضيع، ولا سافل ولا رفيع، ولا تفاوت بين الناس، إلا بتفاوت أعمالهم »[٥]، فالله عز وجل لا ينظر للمخلوقين في أشكالهم وملابسهم وصورهم، وإنما ينظر إلى ما في قلوبهم من التوحيد الخالص والسريرة والنقية، والتسليم

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٤٣٣ .

(٢) وعن عياض بن حمار المجاشعي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي (أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي يكسر) فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش » [الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢١٩٧ – [١٦] باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار – الحديث: ٢٨٦٥]

(٣) سورة الأنعام – الآية ٧٩ .

(٤) سورة الأنعام – الآية ١٦٢ .

(٥) الأستاذ الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص١٥٦ تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا ط السابعة عشر – دار المنار بمصر ١٣٨٦هـ.

لله رب العالمين. ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة[١] قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٢].

كما أن التوحيد الخالص لله رب العالمين يضفي على العبد المؤمن بالله تعالى أماناً قلبياً، وأمناً اجتماعياً، ومنعة أخلاقية، حيث يأخذ به إلى رضوان الله تعالى، حتى يكون مستعداً لتلقي الفيوضات الإلهية والإلهامات الربانية، ففي الحديث القدسي: « عبدي أطعني تكن عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون »[٣].

ومتى أمكن للعبد أن يخلص نفسه من شوائب الشيطان ودبيب الشرك إلى قلبه وعقله أو وجدانه، فإن الله تعالى يعينه ويهيئ له من أمره رشداً، حتى يكون قادراً على انتزاع نفسه من هواها، وتخليصها من لذائذها والغرائز، وحينئذ لا يكون للشيطان عليه من سلطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٤].

---

(١) هو أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب الدوسي. وعن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن وكنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي أبو هريرة. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً. قال البخاري روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره. وقد عاش أبو هريرة ثمانياً وسبعين سنة، وكانت وفاته بقصره بالعقيق سنة ٥٧هـ فحمل إلى المدينة. [راجع الإصابة لابن حجر القسم الأول [من ذُكِرَ له صحبة، وبيان ذلك].. رقم: ١٠٦٧٤ – ص٤٤٤/٤٢٦ .

(٢) الإمام مسلم صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٨٧ – باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله – الحديث: ٢٥٦٤ – الحديث: ٢٥٦٤.

(٣) الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية – باب العين .

(٤) سورة الحجر – الآية ٤٢ . ويقول العلامة الطبري : « قول تعالى ذكره إن عبادي ليس لك عليهم حجة إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك فعن يزيد بن قسيط قال: كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قراهم فإذا أراد النبي أن يستنبيء ربه عن شيء خرج إلى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأل ما بدا له فبينما نبي في مسجده إذا جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فردد ذلك ثلاث مرات، فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى ذكره يقول إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد. قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ذكره وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم وإني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك. فقال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى » [الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر المولود ٢٢٤هـ والمتوفى ٣١٠هـ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٤ ص٣٥/٣٤ – دار الفكر – بيروت ١٤٠٥هـ]

إذن التوحيد لله رب العالمين هو الأساس الذى قام عليه أمر الكون، ونطقت به الكائنات العلوية، كما أسرعت إلى إعلانه كافة المخلوقات، من خلال إعلانها التسليم التام، والخضوع المطلق لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1].

والكائنات العلوية والسفلية مما نعرفه وما لا نعرفه، كلها تنطق بتوحيد الله حسب لسان الحال، وربما بلسان المقال، الذى لا يقع لنا إدراك به قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2].

❁ **يقول العلامة الخازن**: « ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، يعنى الملائكة والإنس والجن. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن عباس، وإن من شيء حي إلاَّ يسبح بحمده، وقيل: كل الأشياء تسبح لله حيوانات كانت أم نباتاً أم جماداً، وتسبيحها سبحان الله وبحمده »[3].

ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود ﷺ عنه قال: « كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء). فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل »[4].

اجل وحيد الله تعلى والقرار به والاعتقاد فيه، هو الأصل الذى قام عليه الوجود كله، والتسليم له وحده جل علاه هو الفاصل بين التوحيد الحقيقى لله، والتوحيد الشكلى الذى ينهض

---

(١) سورة فصلت – الآية ١١ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ٤٤ .

(٣) الإمام الخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل – م٣ ج٤ ص١٦٢ – دار الفكر بيروت .

(٤) صحيح البخاري – باب: علامات النبوة في الإسلام – الحديث رقم: ٣٣٨٦ – والمراد بـ: [(الآيات) المعجزات وهي الأمور الخارقة للعادة. (بركة) فضلا وتكرما من الله تعالى، والبركة النماء والزيادة. (سفر) قيل في الحديبية، وقيل في خيبر. (تخويفا) لأجل التخويف. (اطلبوا..) ابحثوا عن شيء من ماء بقي لدى واحد منكم. (حي على الطهور) تعالوا وتطهروا بالماء. (المبارك) الذي نما وزاد بفضل الله تعالى، ففيه خير ونور.].

على غير ما أمر الله تعالى[١]. وقد عبرت عنه الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى: : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٢].

۞ **يقول العلامة الطبرى:** « ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يَقْدُمُون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام وإلا ارتدوا على أعقابهم، فقال الله ومن الناس من يعبد الله على شك فإن أصابه خير اطمأن به، وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالإسلام وثبت عليه، وإن أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه، يقول ارتد فانقلب على وجهه، الذي كان عليه من الكفر بالله[٣]، قبل أن يدخل الإسلام الذى خرج منه؛ لأنه دخل فيه من باب الفتنة والعبادة على حرف، وهو المنافع التى كان يهدف إليها، والغايات التى يقف عندها

وعن ابن عباس[٤] قال: الفتنة البلاء كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال ما

---

(١) وذلك بالنظر لوجود التوحيد القلبى الاعتقادى المقبول عند الله، والتوحيد الشكلى أو اللغوى أو الاسمى أو الدراسى، فإنها جميعا غير التوحيد القلبى. [راجع كتابنا: المدخل التام لعلم الكلام ص٢٥]

(٢) سورة الحج — الآية ١١. .

(٣) وعن قتادة من يعبد الله على حرف قال شك، فإن أصابه خير يقول أكثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن قال لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير وإن أصابته فتنة يقول وإن ذهب ماله وذهبت ماشيته انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة. [تفسير الطبرى ج١٣ ص١٢٢]

(٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو العباس مات النبي صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن عباس قد استوفى ثلاث عشرة ودخل في أربع عشرة وكان يصفر لحيته وكان يكنى أبا العباس، وكان قد قرأ المحكم علي عهده صلى الله عليه وسلم دعا له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالفقه في دين الله وعلم تأويل كتابه وكان بحرا لا ينزف. مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن معاذ ، وعن عمر وميمونة وأم الفضل بنت الحارث وأبي هريرة والصعب بن جثامة وزيد بن أرقم في الحج وأم عبدالله بن الزبير أسماء ....، وروى عنه أبو جمرة وأبو زميل وسعيد بن جبير وأبو رجاء وأبو العالية الرياحي رفيع ومجاهد وعطاء بن رباح وأبو عثمان النهدي وأبو المتوكل الناجي وطاوس وسليمان بن يسار وكريب وأبو الشعثاء جابر بن زيد وابنه علي ومحمد بن عمرو بن عطاء... [راجع العلامة أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر المولود ٣٤٧هـ والمتوفى٤٢٨هـ – رجال صحيح مسلم ج١ ص٣٣٩ – رقم: ٧٣١ – دار المعرفة – بيروت]

أصبت منذ كنت علي ديني هذا إلا خيرا وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا وذلك الفتنة »[1].

وهو فى ذات الوقت حال المنافق، الذى إن صلحت له دنياه، أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه، وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر »[2].

وبالتوحيد الخالص لله جل علاه، وإفراده بالاعتقاد الصحيح، والعبادة السليمة، جاءت الأنبياء وبعث المرسلون، وسار أهل الهدى، ونطق العارفون. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3]،

غير أن بعض أصحاب العقول قد انفصلوا عن الأصول الإلهية، ودخلت عليهم الأفكار الشيطانية، والأهواء الإنسانية الضعيفة، التى تمتلئ بالأنانية والأثرة، وتسعى لإشباع الغرائز المندفعة من خلال توجهات فكرية، تحولت مع الأيام إلى اعتقادات قلبية، تحوطها ممارسات وثنية[4]، كالتقديس للأصنام، والسجود لها، والذبح باسمها، مع تقديم القرابين طبقا لأوامرها التى تخيلتها هذه العقول المريضة.

فإذا انطفأت فى هؤلاء شعلة الإيمان، التى حملها الأنبياء داخل أممهم، والمرسلون فى الأقوام، الذين بعثوا إليهم، اشتعلت بدلا منها نيران الاعتقادات الوثنية، التى تتعلق بعبادة غير الله تعالى، على أساس الرغبة فى إشباع الداخل المتوهج، ومحاولة إقناع الفطرة بأمور زائفة.

❁ **يقول الأستاذ عبدالرحمن عزام**: « والناس من أقدم العصور حيارى يجدون فى أنفسهم إلهاماً بالفطرة إلى التسليم بقوة قاهرة، يستلهمونها ويستمدون منها العون، ويستقبلون منها الخير والشر، فيدعونها خوفا وطمعا، ويتملقونها بالقرابين والعبادات، ويجدون فى الإيمان بهذه

---

(١) العلامة الطبرى – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٧ ص١٢٢ .

(٢) العلامة ابن جرير الطبرى – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج: ١٧ ص ١٢٣ .

(٣) سورة آل عمران – الآيتان ١٩/١٨ .

(٤) تحول العبادة الإلهية إلى عادة إنسانية أمر يفقدها حقيقتها،كما يحرمها قدسيتها، التى تجرى فى أفهام أهل الإيمان الحقيقى والمعرفة الكاملة بالله رب العالمين، وبالتالى يكون ذلك التحول جناية على الإنسان نفسه؛ لأنه يتحول من الإيمان إلى الكفر، من الاعتقاد الصحيح إلى الاعتقادات الفاسدة كلها.

القوة التى اختلفوا فى تكييفها سندا وملاذا من رهبة القوى المادية فى الكون، وسلوى وعزاء عن ما هم فيه من قسوة الحياة وآلامها، إنه شعور فطرى قوى فى نفوس البشر، يدفعهم إلى عبادة القوة[١].

وحين كنت أتابع القراءة فى تاريخ الأديان، هالنى ما طالعته عند كثرة الآلهة الوثنية، التى صنعتها خيالات أصحابها، بعضها مذكرة وبعضها مؤنثة[٢]،وبعضها قد وقع بينها اتفاق على الزواج، وبعضها تم بينها الزواج بالفعل، ونشأ عنه بعض البنين والحفدة، وكلها تنسب إلى العائلة الإلهية، وكنت كالمشدوه، الذى تقع له الدهشة، فيستعجم لسانه وينعقد تفكيره من كثرة هذه الآلهة الوثنية، التى اعتقل هؤلاء الناس أنفسهم لها من دون الله، رغم اعترافهم بأنها مصنوعة، وأنها لا تبصر ولا تسمع كما لا تضر أو تنفع[٣].

◈ **ربما يقال:** إن مؤرخى الفرق والأديان كالإمام أبو الحسن الأشعرى[٤] والإمام

---

(١) الأستاذ عبدالرحمن عزام – الرسالة الخالدة ص١٨ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة التعريف بالإسلام – الكتاب السادس عشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٢) يقول جفرى بارندر: انتشرت عبادة الآلهة الأنثى فى مناطق واسعة من الشرق الأدنى؛ لأنها تمثل قوة الخصوبة فى الطبيعة، وفى ذلك إسقاط للنموذج الأنثوى الأصلى عليها، وقد أطلقوا عليها أسماء متنوعة فهى الأم، والأم العظيمة، كما أطلق عليها فيما بعد أم الآلهة. [المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٦١]

(٣) وكانت محاجة خليل الرحمن لقومه فى عبادتهم الأصنام، ما حكاه القرآن الكريم فى قوله : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ • قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء – الآيات ٧٧/٦٩]

(٤) هو الإمام أبو الحسن الأشعري : على بن إسماعيل الأشعري المتوفى فى ٣٣٠هـ، ويقال: إنه قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج، وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي وقد كان الأشعري معتزليا، وتتلمذ على يد شيخهم أبو على الجبائى، وأقام على الاعتزال حتى سن الأربعين، فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم، وذلك بالأدلة والبراهين، مدافعا عن عقائد السنة، فانتشر المذهب الأشعرى فى العراق ثم فى مصر وسوريا وبلاد المغرب العربى، وأخيرا اعتنقه العثمانيون، فانتشر فى أسيا الوسطى، وللإمام الأشعرى من الكتب الموجز وغيره وحكى عن ابن حزم أنه قال للأشعري خمسة وخمسون تصنيفا، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، ومات في سنة بضع وثلاثين وثلثمائة. [الأستاذان: عبد الأمير على مهنى وعلى خريس – جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٢٠/٢٣ (بتصرف) – المركز الثقافى العربى – بيروت سنة ١٩٩٢م].

الشهرستاني[1] وابن حزم[2] والبغدادى[3] وغيرهم، قد جاءت كلها فى الحديث عن الديانات الوثنية، وتصرفات معتقديها، فلماذا وقعت لك الإهالة هذه المرة؟

والجواب: أن ما حكام الإمام الشهرستانى وغيره، قدم كل منهم له بالأصول والقواعد والفرائد والفرق الإيمانية، ثم عرض بعد ذلك الفرق التى كانت لها علاقات بدين كتابى وأخيرا وصلت سفينته إلى القسم الأخير منها، وهو أصحاب الوثنيات، وكانت هذه الإشارات فى المصادر

(١) الإمام الشهرستانى : هو أبو الفتح محمد بن أبى القاسم الشهرستانى، ولد ١٠٨٦هـ، وتوفى ١١٥٣هـ، وهو عالم فارسى محقق فى اللغة العربية والفقه والأديان والملل والنحل، ولد وتوفى بشهرستان بين نيسابور وخوارزم، تفقه على أحمد بن محمد الخوافى - الفقيه الشافعى والمناظر الجدلى، الذى كان تلميذاً لأبى المعالى الجوينى وعلى أبى نصر القشيرى، وقرأ علم الكلام على أبى القاسم الأنصارى، وسمع الحديث من على بن أحمد المدينى بنيسابور، كان حسن المحاورة والوعظ، وكانت معارفة فى علم الكلام والفرق الكلامية والدينية والفلسفية من الشمول، بحيث تعد مصنفاته فيها من المصادر التى لا يستغنى عنها من تلك المعارف، ومن مصنفاته: نهاية الأقدام فى علم الكلام، والملل والنحل، والمناهج، والبيان. [راجع الموسوعة العربية الميسرة ج٢ ص١٠٩٨]

(٢) ابن حزم الظاهرى : هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي (ينسب إليه المذهب الظاهري) اصل جده من فارس أسلم وخلف المذكور وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم وكانت بلدهم قرطبة فولد ابن حزم هذا بها في سلخ رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة وكان أديبا طبيبا شاعرا فصيحا له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري وكان مناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها . [راجع البداية والنهاية لابن كثير ٤٢٤/٧- ابن حزم الظاهري - طبعة دار الغد العربى، وراجع أيضا أعلام الحضارة - سمير شيخانى - ج٣ ص٢٣٥ طبعة مؤسسة عز الدين - بيروت - لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م]

(٣) هو العلامة البارع المتقن الأستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمى البغدادي نزيل خراسان وصاحب التصانيف البديعة وأحد أعلام الشافعية، حدث عن إسماعيل بن نجيد وأبي عمرو محمد بن جعفر بن مطر وبشر بن أحمد وطبقتهم، حدث عنه أبو بكر البيهقي وأبو القاسم القشيري وعبد الغفار بن محمد الشيرويي وخلق، وكان أكبر تلامذة إبي إسحاق الإسفراييني وكان يدرس في سبعة عشر فنا ويضرب به المثل وكان رئيسا محتشما مثريا له كتاب التكملة في الحساب، مات بإسفرايين في سنة تسع وعشرين وأربع مائة وله تصانيف في النظر والعقليات. [سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٥٧٢ رقم:٣٧٧]

التى سبقت عن عبدة الآلهة المتعددة، تأتى معبراً عنها بلغة فيها الحكاية[1]، لكن بعد ذلك ظهرت الاتجاهات الفكرية على سبيل الاعتقاد فيها، لا على سبيل الحكاية لها، والفرق بينهما كبير جداً، وهو الذى سبب لى الإطالة والقلق أيضاً.

كما ساعد ذلك فى الوقوف على عبدة السماء تارة، ثم عبدة الأرض أخرى[2]، ثم أصحاب الاعتقادات فى الشمس والقمر تارة أخرى أو الليل والنهار، وقد حاولت الوقوف على بعض البواعث التى ساقتهم إلى هذه الأفكار الفاسدة، والاعتقادات الوثنية الباطلة، غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد من ذكر وثنية الاعتقادات وفسادها، وإنما تجاوزها إلى بحث تعدد الآلهة فى المكان الواحد، وربما داخل الأسرة الواحدة، فظهرت الاعتقادات فى ألوهية الليل[3]، وألوهية النهار، وألوهية الشمس، وألوهية القمر والنجوم والكواكب كممثل لهذه الوثنيات أو صورة معبرة عنها.

من ثم فإن الاعتقادات الوثنية قد انتقل الأمر معها إلى تأليه المخلوقات على كل ناحية مشاهدها والغائب، وكان لذلك كله من الآثار السلبية على حياة الناس الكثير، لأن من يعبد حجرا لا يضر ولا ينفع، أو يعبد شمسا تبزغ ثم تغيب، أو يعبد أرضا تقع عليها الزلازل، إنما ينكر عقيدة البعث، كما أنكر عقيدة الألوهية الحقة فى الله رب العالمين، والنبوات والرسالات، ومثله ينطلق فى الناس انطلاق السبع الضارى فى الحملان الوديعة، حيث لا تكون له من غاية، إلا تحقيق مطامعه الذاتية، وطموحاته الشخصية، فيتحول المجتمع الإنسانى إلى صورة مصغرة من

---

(١) على أساس أنها قد انقضى أمرها، ولم يعد لها شيء من الوجود الفعلى فى الوقت الحاضر بشكل بارز.

(٢) كالحال مع اليونان والسومريين والكلدانيين وغيرهم.

(٣) وقد عبر القرآن الكريم عن صورة من تلك الصور فى حجاج خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لقومه، حتى يأخذ بأيديهم إلى الله الخالق القوى القهار، الذى لا يأفل أو يغيب. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ • فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ • وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ • وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام – الآيات ٨٢/٧٥]

حياة الغابة بين وحوشها والحيوانات، يأكل قويهم الضعيف، ويدمر غنيهم الفقير، وذلك مخالف للتعاليم الإلهية، وبعيد عن رحمة رب البرية.

كما أن الناس، حين يؤلهون غير الله تعالى، إنما يفتقدون الأمان الحقيقي، والأمن الطبيعي، حتى إنهم ربما تحولوا إلى مرضى صراعات نفسية، يجرى فيها القلق والخوف، كما تجرى فيها الأمراض الاجتماعية، مما يجعل شكل الحياة مخالفا لأمر الله تعالى في إعمار الكون، المستخلف فيه بنو الإنسان، وحينئذ يحق عليهم التبديل لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[1].

ولما كانت هذه التأليهات الوثنية متعددة، فقد استخرت الله تعالى في أن يكون عنوان هذا الكتاب هو: "**تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية وموقف الإسلام منها**". أما لماذا؟

فلأن عملية التأليه لغير الله تعالى التي سارت فيها الديانات الوثنية اتخذت في اعتقاداتها أشكالا متعددة، فتارة تجيء مع صنم أو وثن[2]، وأخرى تجيء مع ظواهر جوية[3]، وتارة تكون في تأليه الغيبيات، كالجن والملائكة[4]، وقد تجيء في تأليه قوى الطبيعة التي يقع في بعضها الترغيب والمنافع، كالمطر بالنسبة لساكني الصحراء[5]، والترهيب والمهالك كالرعد

---

(١) سورة إبراهيم – الآيتان ١٩/١٨ . وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام – الآية ١٣٣]، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [سورة فاطر – الآيتان ١٧/١٦]

(٢) كالحال مع عبدة الأصنام والأوثان في البلدان المختلفة، من أمثال فارس وبابل والجزيرة العربية قديما، مع التمييز بين الصنم والوثن.

(٣) كالحال مع عبدة الرياح والهواء والسحاب والبرق والعواصف.

(٤) قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة سبأ – الآية ٤١] يقول العلامة الطبري : « عندما يحشر الله تعالى الكفار جميعا، يخاطب الملائكة قائلا: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة "قالوا سبحانك ربنا" تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا نتخذ وليا دونك بل كانوا يعبدون الجن، وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » [تفسير الطبري ج٢٢ ص١٠٢]

(٥) مع أن الرياح التي تسوق المطر كلها من عند الله وآياته. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الروم – الآية ٤٦]

والبرق[١]، والعواصف والصواعق والزلازل، ومن الصعب تناول هذه الاعتقادات الفاسدة كلها فى كتاب واحد، وإنما لابد من تناولها فى عدة مؤلفات، بحيث يقوم بهذا العمل جمع من أهل العرفان.

ربما يقال: إن مؤرخى الفرق والأديان والمذاهب قد قاموا بهذا العمل من قديم، فما الجديد الذى تهدف إليه من دراستها الآن[٢]؟

والجواب: أن العلماء القدماء من أهل الإسلام – رحمهم الله تعالى – قد كتبوا فى حدود ما أمكنهم الوقوف عليه، طبقا لظروف العصور التى وجدوا فيها، ولذا فقد كانت الفكرة تعرض فى بعض الأحيان بشكل فيه نوع من التوسع والإضفاء، حتى تقع الإفادة القائمة بالمذهب أو الاعتقادات التى تسود، وقد يلمح إليها فقط على سبيل الإشارة التى تفتح الباب للدارس، بحيث يبحث عنها ويعمل على استخلاص ما يرجوه حولها[٣].

من ناحية ثانية، فإن التقدم العلمى الآن، قد سمح للإنسان أن يقرأ الكثير فى الوقت القليل، وساعد فى الوقوف على الأفكار المتكاثرة فى بلدان العالم المختلفة خلال فترة وجيزة، وهذه المسألة لم تكن لدى الأقدمين من أهل الإسلام، حيث صار العالم اليوم أقرب شبهاً بالقرية أو المدينة الصغيرة، بناء على نظام العولمة، بل صار من اليسير على دارس استخدام شبكة المعلومات فى الحصول على آية معرفة من أى نوع فى العالم كله خلال فترة زمانية لا تتعدى جلسته التى اختارها.

كذلك فإن استحداث أدوات الطباعة فى صورها الراهنة، وانتشار الدراسات العديدة فى مجال الأديان، قد سهل للدارسين الوقوف على أصول هذه الاعتقادات، وغيرها من خلال مصادر بحثية، تتكامل فيما بينها، بحيث تغطى أغلب الجوانب المعرفية والأخرى المتعلقة بالقضايا الاعتقادية على وجه الخصوص.

وربما يقال: إننا فى القرن الحادى والعشرين، الذى يصعب فيه على العقل التصديق بالخرافات، والإيمان بالخزعبلات والاعتقاد فى آلهة باطلة، حيث إن الواقع شاهد بعدم

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الروم – الآية ٢٤]

(٢) هذا استشعار وارد، لأن البعض قد يسأله ويقولون ما هو بالمانع من ذلك التساؤل؟ وبخاصة أن الجواب المذموم قد اتسع نطاقه .

(٣) كالحال مع الإمام الفخر الرازى فى كتابه "اعتقادات فرق المسلمين المشركين"، حيث جعل الحديث عن أصحاب تأليه قوى الطبيعة قصيرا، وكذلك فعل الإمام الشهرستانى.

وجود شيء من هذه الاعتقادات في الوقت الحاضر، وإذا كان لها من وجود في الماضي، فما أحرانا تناسيه في الوقت الحاضر، وماذا نستفيد من عرض هذه الأفكار في المحيط الإسلامي. أليس في إثارتها من جديد تحريك لفتنة نائمة، وإبراز لعقائد فاسدة، أما كان الأولى التمسك بالعقيدة الإلهية، التي جاء بها النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ وعرضها في أثواب معرفة، أو طرائق علمية جديدة، بناء على الرغبة في تجديد الخطاب الديني[1]؟

والجواب: أن العصر الذى نعيشه – القرن الحادى والعشرون – اختلطت فيه الأمور، حتى صارت وسائل الإعلام المتعددة وقنوات المعلومات المختلفة بجانب المنظومة المعلوماتية، كل ذلك يبث على المجتمع الإنساني ثقافته واعتقاداته، حتى صارت القنوات الفضائية تتسابق في عرض تلك الثقافات والاعتقادات، من باب التباهي بالغزو الفكرى والثقافي، بل والعقدى بعد الاقتصادى والعسكرى وغيرها، ومن ثم فمن الواجب التعرض لهذه الاعتقادات الفاسدة. حتى يحذر أبناء الإسلام من الاستجابة لها، أو الإنصات لما تبثه، وبخاصة أن بعضها صار مولعاً بتجسيد هذه الاعتقادات في أعمال فنية، يتم عرضها من خلال الشاشة الصغيرة، فيقع الغزو للبيوت الآمنة على كل ناحية.

كما أن هذه الاعتقادات الفاسدة لم تنقطع حتى الآن، بدليل أن عبدة البقر في الهند ما تزال أعدادهم كثيرة[2]، وإذا كان السيخ يمثلون صورة من ذات الاعتقادات، فإن الهندوسية ما تزال قائمة في أفرادها الذين لم تنفتح قلوبهم للإيمان،وكأنها قد طبع الله عليها، وكذلك الحال في الصين وغيرها.

بل هناك العديد من الاعتقادات التي قامت في أصولها على الأسطورة[3]، التي كانت تمثل في الماضي نوعا من التسلية أو الحكاية، ثم تطورت إلى أن صارت اعتقادات لابد من القيام بها، وقد ظهرت فيها مجتمعات الآلهة المكونة من الإله الملك، والآلهة الملكة، ثم الإلهة الكاتبة.

---

(١) ذلك التساؤل قد يرد بخاصة إذا كان صاحبه ممن يفضل إنفاق الوقت في حكاية المأثورات من القصص والحكايات، ولكنه بالنسبة لمن يسعى في خدمة دين الإسلام على النواحي المختلفة لا يكون له مكان.

(٢) وتقودهم بعض الدراسات بالملايين، وبخاصة متى حاول باحث الوقوف على النسب المئوية لاعتقادات سكان الهند أو الصين مثلا.

(٣) أُسْطُورَةٌ بالضم، ويقال سَطَّرَ فلانٌ علينا يُسَطِّرُ إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل يقال هو يُسَطِّرُ ما لا أصل له أي يؤلف، وتجمع أساطير، والأساطيرُ: أباطيلُ أحاديثُ لا نظام لها. [لسان العرب ج٤ ص٣٦٣] وهي الباطل الذى لا يقبل الوجود الفعلي، والحديث العجيب الذى يختلقه صاحبه. [المعلم بطرس البستاني – قطر المحيط – باب السين]

* **يقول أدرمان**: « كان للإله تحوت فى مصر القديمة زميلة تقاسمه وظيفته ككاتبة له. وعالم بأمور شئونه، وهى الإلهة سشات، وكان من مهامها القيام بدور رئيسة المكتبات، وقيام سشات بهذا الدور، إنما كان على سبيل الاستبدال، حيث كان يقوم بهذا الدور الآلهة نفتيس، ثم استبدلت فقامت سشات بهذا الدور، الذى يضاف إليه تسجيل أعمال الملوك، ونقش أسمائهم على شجرة فى معبد هليو بوليس، ويقوم تحوت بتسجيل سنى كل ملك على غصن طويل[1]، والله سبحانه وتعالى قد كشف عن المستوى العقلى لأولئك المتعبدين لغيره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالانس لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

كما بين المولى عز شأنه أن هذه المعبودات التى قد ارتضاها أولئك لو نظروا فيها أو تأملوا أحوالها، فإنهم قد يصلون إلى نتيجة عقلية تسوقهم إلى الانصراف عنها، لأنها مخلوقة، فكيف تعبد على أنها خالقة، بل كيف تقع لها المشاركة فى الاعتقاد مع الله تعالى. قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُون • وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ • وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ • إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ • إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[3].

---

(١) أدرمان – ديانة مصر القديمة ص٦٨ – ترجمة عبدالمنعم أبو بكر.

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٧٩ . يقول الطبرى : « عن ابن عباس: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم. وأما قوله لهم قلوب لا يفقهون بها، فإن معناه لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله، فيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم، فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر، وكذلك قوله ولهم أعين لا يبصرون بها معناه ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته فيتأملوها، ويتفكروا فيها فيعلموا بصحة ما تدعوهم إليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله، بتركهم إعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها، وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له » [الإمام الطبري- جامع البيان ج٩ ص١٣١/١٣٢]

(٣) سورة الأعراف – الآيات ١٩١/١٩٦ .

ثم إن هذه الاعتقادات الفاسدة تحمل التعدد في الآلهة بجانب التجسد لها، أو هما معاً، وذلك من شأنه الإنزال بقضية الألوهية من المقام العالى الرفيع، إلى تصورات ساذجة، مما قد يترتب عليه الشك فى الله تعالى، أو محاولة البحث فى ذاته جل شأنه، بحيث تقع النهاية الأليمة على أصحاب تلك العقول ومن تبعهم أو أصغى إليهم[1].

أجل إن العقيدة الإلهية الصحيحة تستلزم معرفة الله عز وجل ذاتا وصفات وأفعالاً، وهو ما يمكن الوقوف عليه من خلال التأمل فى صفحات كتاب الكون المرئية، أو من النقل المنزل — القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة[2] — تارة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

---

(١) لأن عملية البحث فى الله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا تنتهى بأصحابها إلى الإلحاد، وهم غير غائبين عن الله تعالى. قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت – الآية ٤٠]

(٢) فعن أبى هريرة عن رسول الله : « إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ».[الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج١ ص١٧٢ – الحديث: ٣١٩] . وقوله ﷺ : « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروهم فان لم يقروهم فلهم ان يعقبوهم بمثل قراهم ». [الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٤ ص١٣٠ – الحديث: ١٧٢١٣ عن المقداد بن معد يكرب الكندى، وقال صاحب عون المعبود : « أوتيت الكتاب أي القرآن وما يعدله أي الوحي الباطن غير المتلو أو تأويل الوحي الظاهر وبيانه بتعميم وتخصيص وزيادة ونقص أو أحكاما ومواعظ وأمثالا تماثل القرآن في وجوب العمل أو في المقدار، قال البيهقي هذا الحديث يحتمل وجهين أحدهما أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أوتي من الظاهر المتلو والثاني أن معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى وأوتي مثله من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن ألا يوشك قال الخطابي يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض من الفرق الضالة فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا انتهى رجل شبعان هو كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشيء عن الشبع أو عن الحماقة اللازمة للتنعم والغرور بالمال والجاه على أريكته أي سريره المزين بالحلل والأثواب وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه فأحلوه أي اعتقدوه حلالا فحرموه أي اعتقدوه حراما واجتنبوه ألا لا يحل لكم بيان للقسم الذي ثبت بالسنة وليس له ذكر في القرآن » [عون المعبود ج١٢ ص٢٣١/٢٣٢].



فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، وكذلك بالفطرة النقية والعقول الصحيحة، والأدلة العلمية، والنتائج المعملية[٢]، وما ذلك إلا لأن البحث فى ذات الله تعـالى أمر فوق طاقات كل العقول، ولذا فقد أمر الله بالتفكر فى مخلوقاته، وصولاً إلى معرفة الخـالق العظيم جل علاه، وفى نفس الوقت نهى عن محاولـة التـأمل فـى ذات الله تعـالى[٣]، لأنـه ليـس كمثلـه شـيء، ففـى الحديـث الشـريف: قـال رسـول الله ﷺ: « تفكـروا في آلآء الله ولاتتفكـروا في الله »[٤]. وعن عبدالله بن سلام ﷺ[٥] « قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس مـن أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله، فقال رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم فيـم تتفكـرون؟ قـالوا:

---

(١) سورة الحشر – الآية ٧ .

(٢) وقد تعرضت لهذه الأدلة على سبيل الإجمال العام فى كتابنـا: خبـو الوليـد فـى علـم التوحيـد، ويمكـن الرجوع لكتاب دلائل التوحيد للعلامة الشيخ محمد بـن علـى السـنديونى – ط الـدار اليمنيـة ١٣٣٥هـ، وكذلك دلائل التوحيد للشيخ القاسمى.

(٣) لا يقال: إن هذا الأمر بالنهى يمثل نوعا من الحجر على العقول. أما لماذا؟ فلأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يحجب الله تعالى عن عقولنا، ما لا تقوى على استقباله، وفى نفس الوقت فلم يكلفنا بحث مـا لا طاقـة لنا به، وبالتالى فالنهى عن البحث فى ذات الله تعالى راجع إلى عـدم قـدرة عقولنـا علـى ممارسـة ذلـك أو استيعابه.

(٤) الإمام الطبرانى – المعجم الأوسط ج:٦ ص٢٥٠ – رقم: ٦٣١٩ عن سالم عن ابن عمر ، وأخرجه الهيثمـى – مجمع الزوائد ج:١ ص٨١ – باب في التفكر في الله تعالى والكلام.

(٥) هو « عبد الله بن سلام ابن الحارث الإمام الحبر المشـهود لـه بالجنـة أبـو الحـارث الإسـرائيلي حليـف الأنصار من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بـن معقل...، وآخرون، وهو ممن شهد فتح بيت المقدس ، ومن إسلامه يقول أنس إن عبـد الله بـن سـلام أتـى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول ما يأكل أهل الجنة ومن أين يشبه الولد أباه وأمه، فقال: أخبرني بهن جـبريل آنفـا قـال ذاك عدو اليهود من الملائكة قال إما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشـرق فتحشـر النـاس إلى المغـرب وأما أول ما يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشبه فإذا سبق ماء الرجل نزع إليـه الولـد وإذا سـبق ماء المرأة نزع إليها قال أشهد أنك رسول الله . وقال يا رسول الله إن اليهود قـوم بـهت وإنـهم إن يعلمـوا بإسلامي بهتوني فأرسل إليهم فسلهم عني. فأرسل إليهم فقال: أي رجل ابـن سـلام فيكـم قـالوا حبرنـا وابن حبرنا وعالمنا وابن عالمنا قال أرأيتم إن أسلم تسلمون قالوا أعاذه الله من ذلك قال فخرج عبـد الله فقـال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنـا فقـال يـا رسـول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت، وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم يقـول إنه عاشر عشرة في الجنة، ومات ابن سلام ﷺ في سنة ثلاث وأربعين بالمدينة » [راجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٤١٣/٤٢٦ – رقم: ٨٤]

نتفكر في الله، قال: لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله فإن ربنا خلق ملكا قدماه في الأرض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا ما بين قدميه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام والخالق أعظم من المخلوق »[١].

من ثم فإن الضرورة الشرعية تستلزم بحث هذه الاعتقادات فى الديانات الوثنية القائمة فى تأليه بعض الآيات الكونية، ثم ببيان موقف الإسلام منها، وذلك دور يقوم به أهل الإسلام كل فى حدود ما يسر الله تعالى له، بل إن بحث هذه القضايا وتعريتها فى الوقت الراهن تعبر — من وجهة نظرى — ضرورة يجب القيام بها، بل هى من الواجب الكفائى[٢]، لأن بتعريتها تتكرر الحصانة للأصول الثابتة، وإن كان ذلك بلغة متجددة أو حوارات ذات توجهات تعين على الانتقال بين الماضى و الحاضر، ومن الأصول إلى الفروع فى صدق دائم وثبات، لا يقبل شيئا من الاهتزاز، مما يجعل الجيل المعاصر والأجيال اللاحقة له تجد فيها طلبتها، ومن الأدلة الجديدة بعض غايتها.

وقد يظن أن تأليه الآيات الكونية لم يقصد لذات الآيات، وإنما قصد به الإلماح إلى أن الأرض مثلا لها إله يقال عليه إله الأرض، وكذلك الحال فى السماء والنهار والشمس والقمر وغير

---

(١) العلامة أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء ج:٦ ص:٦٧ .وأخرج العجلونى عن عبدالله بن سلام ﷺ أيضا « أنه صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم تتفكرون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن لهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله لم يعصوا طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم مال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم هم قال لا يدرون خلق آدم أم لا ».[العجلونى – كشف الخفاء ج:١ ص:٣٧١ – رقم ١٠٠٤] وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته فقال تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره ».[العلامة العجلونى كشف الخفاء ج: ١ ص: ٣٧١ – رقم ١٠٠٥]

(٢) الواجب في اللغة عبارة عن السقوط قال الله تعالى فإذا وجبت جنوبها أي سقطت وهو في عرف الفقهاء عبارة عما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهة العدم كخبر الواحد وهو ما يثاب بفعله ويستحق بتركه عقوبة لولا العذر حتى يضلل جاحده ولا يكفر به في العمل اسم لما لزم علينا بدليل فيه شبهة كخبر الواحد والقياس والعام المخصوص والآية المؤولة كصدقة الفطر والأضحية. والواجب لذاته هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعا ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته فإن كان وجوب الوجود لذاته سمي واجبا لذاته وإن كان لغيره سمي واجبا لغيره ، وواجب الوجود هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلا. [التعريفات ج١ ص٣٢٢ رقم: باب الواو – رقم:١٥٩٦، وراجع التعاريف للمناوى ج١ ص٧١٥ – باب الواو فصل الألف]

ذلك من الآيات الكونية، فيكون المراد هو انفصال كل آية منها عن غيرها في الخلق والإيجاد، مع أنها جميعا تعتمد في كل شيء على الله تعالى.

ولكن هذا الظن ليس صوابا لما يلي:-

❀ **أولاً**: أن تأليه غير الله تعالى سواء أجاء ذكره صريحا أم تلميحا، فهو الكفر بعينه، لأن فيه التوجه لغير الله، وفي الحديث الشريف عن عبد الله قال: « سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟ قال وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك »[1].

فمثلا الإله التمساح الذى ظهرت عبادته فى أرض البحيرة من الفيوم فى مصر القديمة كان مقصودا لذاته[2]، وهو كفر بالله تعالى، كما أن الإلهة سبيل إلهة الأرض، أو الآلهة الأم لدى اليونان والرومان، وفى أسيا قديما كانت تعبد لذاتها[3]، وقد كانت هذه الاعتقادات متكاثرة، يؤمن بها أصحابها على ما هى عليه، من غير نظر إليها على أنها صورة للإله، وإنما اعتقدوا فيها على أنها الإله نفسه.

ولاشك أن الوثنية والشرك يشغلان الذهن بالمحسوسات، ويحصرانه فى نطاق الأباطيل الصادرة عن دعوات السحرة والكهنة، وطوائف القائمين على الآلهة المجسمة ، أو على الإلهة المقسمة الموزعة السلطات، والمتنافسة عليها، فتطبع فى أذهان الناس صورا مما هم فيه، أو ما يهبطون إليه من الخرافات، بينما يفعل التوحيد والتنزيه عكس ذلك تماما[4].

---

(١) الحديث أخرجه البخارى - صحيح البخاري ج٤ ص١٦٢٦ - ٥ باب قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون - رقم:٤٢٠٧، ج٤ ص١٧٨٤- ٢٥٤ باب قوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر - الحديث:٤٤٨٣ ، ج٥ ص٢٢٣٦ - ٢٠ باب قتل الولد خشية أن يأكل معه- الحديث:٦٥٥، ج٦ ص٢٥١٧ - ٩١ كتاب الديات وقول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم - الحديث:٦٤٦٨ ، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج١ ص٩٠ - ٣٧ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده - الحديث رقم:٨٦

(٢) أ.ب هايدى ثورك - الديانات القديمة ص٤٧ - ترجمة لطفى السيد فخرى ط أولى ١٩٩٥م.

(٣) الدكتور عز الدين محمد ثروت - الأساطير وأثرها فى الديانات الوثنية ص١٩٥ طبعة دار حكمت ١٩٤٣م ، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب هامش ص٣٨٩ .

(٤) الأستاذ عبدالرحمن عزام - الرسالة الخالدة ص٢٨ .

✻ **ثانيا**: إن هذه الآيات الكونية وقعت الاعتقادات الفاسدة فيها من باب أنها تجلب الخير، أو تدفع الشر[1]، وبالتالي فقد نمت هذه المفاهيم في عقول أصحابها نموا مضطرداً، وما ذلك إلا لأن القائلين بها قاموا على رعايتها، واستمرار الدافع بها إلى أفئدة الذين آمنوا بها وصدقوها، مع استمرار الدعم الدعائي المتواصل، بحيث لم يعد القول بسطحية هذه الأفكار أو أنها غير مقصودة يجوز شيئا من القبول.

✻ **ثالثا**: أن التأكيد على تأليه هذه الاعتقادات الفاسدة لم ينقطع حتى الآن، وإنما يقع له الدعم المتواصل من كل ناحية، واللغة التعبيرية المباشرة، وهو ما يؤكد أن دعاة الفكر الوثني لم ينقطعوا عنه، وإنما يسعون باحثين عن روافد جديدة يمكن ان تزيد في مجراه، وتوسع الطريق أمامه، حتى يبلغ في الناس غاية، وما هو ببالغها، إلا إذا أراد الله إنهاء أمر هذا العالم الذي نعيش فيه، بحيث لا يبقى بين الناس مؤمن واحد، ففي الحديث الشريف عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: « قال لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »[2].

وعن أبي أمامة الباهلي[3] رضي الله عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزداد الأمر إلا شدة ولا المال إلا إفاضة، ولا تقوم الساعة إلا على شرار من خلقه»[4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص[5] قال: « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم، فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله

---

(١) والفريق الأول هم عبدة المنافع، ويمكن أن ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الحج – الآية ١١] وكذلك ينطبق على الفريق الثاني عبدة المخلوف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[سورة الروم – الآية ٣٣]

(٢) الإمام مسلم صحيح مسلم ج٤ ص٢٢٦٨ – ٢٧ باب قرب الساعة– رقم: ٢٩٤٩ ، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج١٥ ص٢٦٤ – ذكر الإخبار عن وصف من يكون قيام الساعة عليهم _ رقم: ٦٨٥٠.

(٣) أبو أمامة الباهلي صحابي مشهور سكن الشام، روى عنه محمد بن زياد ومكحول ولقمان بن عامر، ومات بها سنة ست وثمانين [راجع تقريب التهذيب ج١ ص٢٧٦ رقم:٢٩٢٣، والكاشف ج١ ص٥٠٢ رقم:٢٣٩٠]

(٤) الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٤٨٦ – رقم: ٨٣٥٩ .

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . روى عن النبي ﷺ كثيرا وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وابن عوف وعن والده عمرو قال أبو نعيم حدث عنه من الصحابة بن عمر وأبو أمامة والمسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل وعدد وآخرون . وقال ابن سعد أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي وجزم بن يونس بأن بينهما عشرين سنة.وفي البخاري والبغوي من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب . قال الواقدي مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين. الإصابة في تمييز الصحابة – (العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رقم: ٤٨٥٠ ص١٩٣/١٩٧ .

صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، فقال عبد الله: أجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة »[1].

ومن ثم فسأحاول تحديد المفاهيم بالنسبة لكل من الاعتقادات الوثنية والآيات الكونية، بحيث يكون القارئ الكريم قد وضح له منهجي في تناول هذه الجزئيات، التي أخصها بالبحث في هذا الجزء إن شاء الله تعالى، ثم أتناول مسألة تأليه السماء والأرض، وتأليه الليل والنهار والشمس والقمر، على أساس أنها جميعا من آيات الله الكونية[2]، وأن الذين اعتقدوا في كونها آلهة أو تمثل مظهراً إلهيا، لا يمكن الحكم عليهم بأنهم أصحاب دين، وإنما يطلق عليهم لفظ أتباع ديانة وثنية.

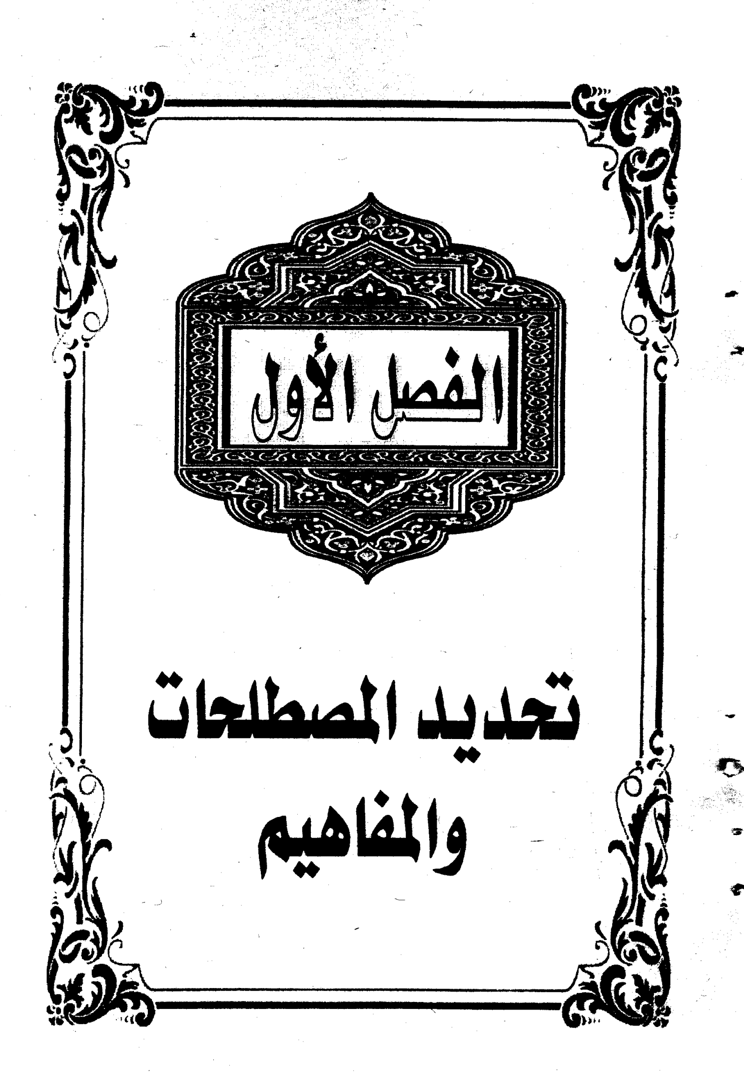
وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما يرضيه، ويسدد على الخير خطواتي، ويقيلني من عثراتي، ويعينني على النهوض من كبواتي، وأن يجعل أجر ذلك مدخرا عنده يوم التلاقي. إنه نعم المولى ونعم النصير. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[3]، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا أقل منها، وما ذلك على الله بعزيز.

دكتور
محمد حسيني موسى محمد الغزالي
غزالة الخيس مركز الزقازيق شرقية
ليلة عاشوراء من عام ١٤٢٤
ت: ٠٥٥/٢٣٠١٠٧٥ الزقازيق
٠٥٥/٢٣٧٤٣٨ غزالة

(١) صحيح مسلم ج٣ ص١٥٢٤ – الحديث رقم: ١٩٢٤، صحيح ابن حبان ج١٥ ص٢٥٠ – ذكر الإخبار عن وصف الطائفة المنصورة التي تكون على الحق إلى أن تأتي الساعة – الحديث: ٦٨٣٦.

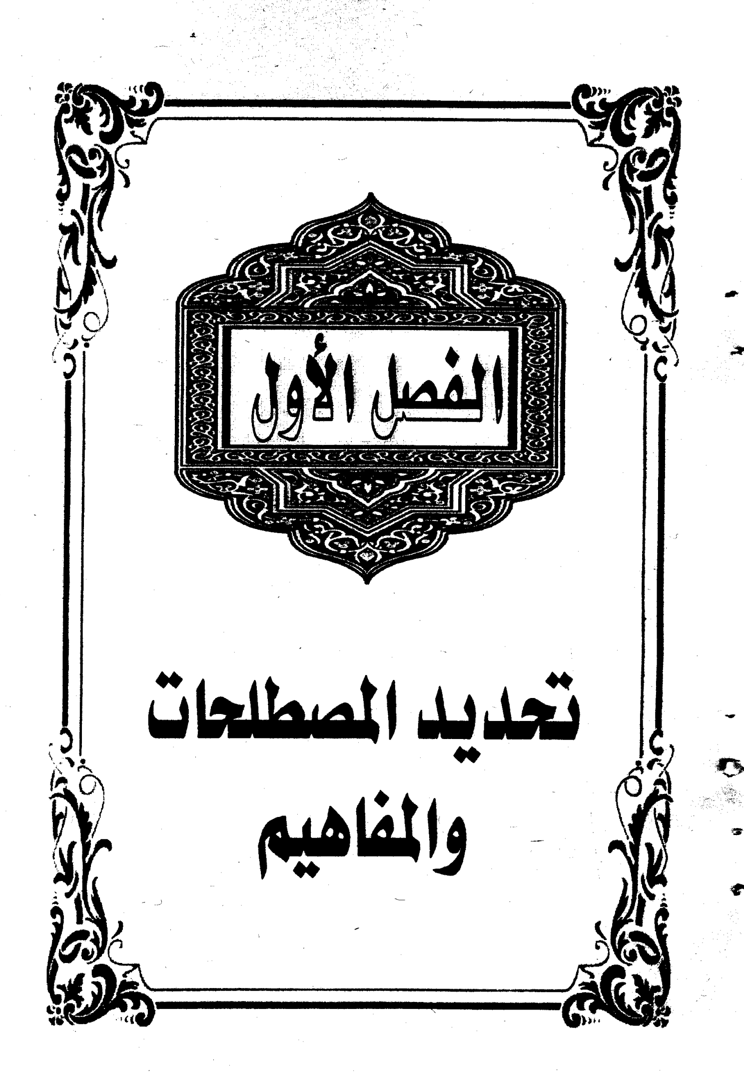
(٢) لا يظن ظان، أني في هذا الكتاب، أقدم حصرا للاعتقادات الوثنية في تأليه الآيات الكونية، وإنما أقدم ما أستطيع التقاطه والوقوف عليه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، آملاً أن يجد زملائي الأعزاء فسحة من الوقت، حتى تقوم دراسات متكاملة حول كل واحدة من هذه الآيات على ناحية الآراء المعروفة في المسألة الواقع على دوافعها التأليه تم مناقشة هذه الاعتقادات الفاسدة، وبيان الموقف الإسلامي منها، على أساس أنه متى صحت العقيدة، فقد صح للمرء أمره كله دنياه وأخراه.

(٣) سورة الكهف – الآية ١٠.



الفصل الأول

تحديد المصطلحات والمفاهيم



الفصل الأول

تحديد المصطلحات والمفاهيم

ما من شك فى أن العلوم تتمايز فيما بينها بأسمائها، كما تتمايز بموضوعاتها ومسـائلها، وكذلك يقع ذات الامتياز بالمناهج والغايات، غير أن هناك نقطة مهمة فى الأبحاث العلمية، وهى امتياز كل علم أو مجموعة من العلوم، بنوع من المصطلحات، تكون بمثابة القواعد الخاصة، التى ينطلق منها الدارس فى أى مبحث علمى على الناحية الفنية، وإلا اختلطت المفـاهيم وتشـابكت، وحينئذ تفتقد العلوم أهم منطقة من مناطقها الخاصة، ألا وهى المصطلحات الفنيـة، التـى ينـهض من خلالها البحث فى ذلك الفن، ومن ثم فلابد من توضيح المفاهيم الآتية :

الأول : الاصطلاح

يعتبر تحديد الاصطلاح أحد المشكلات التى ألهبت ظهور البعض من أهل الإسـلام، فـى ظل الظروف التى كان فيها الحكم هو الخصم والقاضى، أو القاضى والجلاد، ولذا فإن الاصطـلاح يتنوع إلى :-

١- الاصطلاح العام

وهو عبارة عن اسـتعمال لفـظ أو رمـز بعينـه فـى العلـوم والفنـون المختلفـة، لأداء مدلـول محدد[1]، لكنه ليس خاصا بعلم معين، إنه أقرب إلى الألفـاظ التـى تجـيء فيـها العمـوم والشـمول على سبيل الغلبة، فإذا استعملت طائفة من الطوائف هذا اللفظ أو الرمز، فلا مانع من التعامل بـه على ما هو عليه لدى طائفـة أخـرى؛ لأن العبرة فـى كـون اللفـظ يصلـح للعمـوم والشـمول كلفـظ الشمس، فإنه يطلق بإزاء المخلوق الكونى، الذى ينير فى النهار، ويرسل أشـعة ضوئيـة حراريـة، ولكنه يختفى ليلاً.

٢- الاصطلاح الخاص

يعرف بأنه اتفاق طائفة معينة على شيء مخصوص، أو اتفاق فى العلوم والفنون على لفظ أو رمز معين، لأداء مدلول خاص، لذا يقال لكل قوم اصطلاحاتهم الخاصة بهم[2]، ذلك أن اتفـاق النحاة مثلا على استعمال لفظ الفاعل فى من فعل الفعل، أو قـام بـه، أو اتصـف بـالفعل، يغـاير

---

(١) الدكتور إبراهيم محمد أبو طويلة – المنطق وقضية المفاهيم ص٧٣ ط أولى – دار العاصمة ١٩٥٧م.

(٢) وهذا التعريف يؤكد عليه المناطقة وعلماء البلاغة أيضا، حيث قد يعرف بأنه عبارة عن اتفـاق قـوم علـى تسـمية الشـيء باسم مـا ينقـل عـن موضوعـه الأول. [الشيخ محمـد السـيد الشروى- البلاغـة العربيـة وتطوراتها ص٣٧ ط الشيخ محمد ريحان ١٣٣٤هـ]

اتفاق القانونيين، على أن الفاعل هو من يتأت منه الفعل والترك بحرية تامة، وقصد إليه، سواء وضع فى حسبانه النتائج المترتبة عليه أم لا[1]، ومثل ذلك يجيء فى كل العلوم أو الفنون.

٣. الاصطلاح الاتفاقى

هو عبارة عن اتفاق قوم مخصوصين، أو طائفة بعينها على وضع اللفظ بإزاء المعنى، بحيث يقع هذا الاصطلاح المتفق عليه محل الأسس الثابتة، والقواعد العامة بالنسبة لهؤلاء المتفقين عليه وحدهم[2]، لأنه وقع بالاتفاق الخاص أو العام، لكن لا مانع من استعماله عند غيرهم، على أن يكون اصطلاحا منقولا، وليس اصطلاحا متفقا عليه، والفرق بين الاصطلاح الخاص والاصطلاح الاتفاقى، لا يكاد يكون له من وجود إلا متى روعى فى الفرق بينهما ضرورة الاستعمال فى الاصطلاح الخاص، وإمكانيته فى الاتفاقى.

٤. الاصطلاح اللغوى

وهو إخراج لفظ لغوى من معنى لغوى قائم، إلى آخر لغوى أيضا مستحدث[3]، لوجود مناسبة بينهما، وهو فى كل حالاته يأتى على ناحية اللغة، فإذا تم التعامل معه، فقد وجب أن يكون مجيئه على ذات الناحية، ولا يجوز استخدامه فى غيرها على ذات المعنى[4].

وذلك كاستعمال لفظ البدعة فى اللغة، فإنها لا تكون المراده فى لسان الشرع بذات المعنى اللغوى. أما لماذا؟ فلأن اللغة تمثل اتجاها لغويا لا يجوز الخروج عليه.

أما المعنى الشرعى فيمثل اتجاها متعلقا بتطبيق حكم شرعى، ومن ثم عرفوا البدعة فى اللغة بأنها الأمر الذى لم يكن ثم كان[5]، أما فى الشرع، فقد اختلفوا فى تعريفها طبقا لاختلافات الاتجاهات العامة للفقهاء، فمن عرفها بأنها ما يجيء مخالفا للكتاب والسنة[6]، ومنهم من عرفها بأنها ما يقع على مخالفة لسان الشرع[1]، ومنهم من ذهب إلى أنها ما يكون

(١) الدكتور المرسى المحمدى الطنطاوى – القانون العام ونظرية الولاية ص٤٥ ط أولى ١٩٥٧م.

(٢) العلامة عبدالوارث محمود الشيمى – الأسس الأصولية لدى الأقدمين ص٤١ ط الدار اليمنية ١٣١٩هـ.

(٣) فالانتقال هنا من معيار لغوى إلى معيار آخر، لكنه أيضا لغوى، بناء على وجود علاقة بينهما على سبيل الاضطراد والاستثناء. [راجع للعلامة الشيخ محمد الدينورى – من أسرار اللغة ص٧٧ ط دار فؤاد ١٩١٨م]

(٤) لكن إذا تم وقوع التوافق بين اللغتين، فلا ممانعة، على أساس أن كلا منهما يعبر عن جانب بعينه، ويخضع لقاعدة اللغة التى هو قائم فيها، وتوافق اللغات فى بعض المفردات أو المصطلحات أمر مقرر فى الأفهام، ثابت فى المصادر، التى تحمل أصول هذه وقواعد تلك.

(٥) الشيخ نصر الدين محمد خليل – أنواع البدع ص١٣ ط الدار العربية ١٣١٥هـ.

(٦) الشيخ محمد عبدالعظيم توفيق – مصادر التشريع الإسلامى ص٤٥ ط دار مراد ١٩٦٥م.

بأنها ما يقع على مخالفة لسان الشرع[١] ،ومنهم من ذهب إلى أنـها مـا يكـون محرمـا حـلالا أو محلا حراما[٢].

٥- الاصطلاح المجازى

وهو استعمال اللفظ فى معنى من المعانى، لبيان المراد من الأول، لا علـى طريـق الحقيقـة اللغوية، وإنما على طريق الاستعمال المجازى[٣]، باعتبـار أن الحقيقـة هـى اسـتعمال اللفـظ فيمـا وضع له حقيقة، أما المجاز فهو استعمال اللفظ فى غير ما وضـع لـه حقيقـة، والفرق بينـهما أن الحقيقة هى الأصل فى الكلام، أما المجاز فعارض له يمكن أن يبقى أو أن يزول.

من ثم فإن تحديد المراد مـن لفظ لغـوى، على ناحيـة اصطلاحيـة، يكـون فـى العلـوم النظرية، بمثابة القرار الكاشف فى الأحكام الإدارية، بحيث يمكـن التعـرف علـى مـا إذا كـانت الاعتقادات الفاسـدة قـد تنـاولت المخلوقـات العلويـة أو السـفلية، علـى سـبيل الاحتكـام إليـها، والخضوع والاعتقاد فيها، أم وقع ذلك كله من ناحية أنها غير مراده، إلا على ناحية اللغة مثلا، لا على ناحية الاعتقاد.

أجل هناك الكثير من الاصطلاحات، التى يتم التعامل بها فـى العلـوم المختلفـة، وتمثـل بالنسبة لأصحاب تلك العلوم القواعد الأساسية، التى لا يمكن القفز فوقها أو تنحيتها، فضلا عـن محاولة الالتفات حولها، وذلك مما يؤكد الحاجـة إلى ضـرورة التعـرف علـى المفـاهيم، وتحديدهـا على ناحية فنية، بحيث يحقق استعمالها نتائج إيجابية، وهو ما استقر فـى أعـراف علمـاء أهـل الإسلام فى الماضى والحاضر، وبناء عليه فلابد من التعرف على لفظ المصطلح ومفهومه، الذى يتـم التعامل به.

الثانى: المصطلح

إذا كان الاصطلاح هو المصدر الذى يتم التعامل معه، على ناحيـة اسميـة، فـإن المصطلـح هو الموضوع الذى يقع عليه الاتفاق أو الاختلاف فى الاستعمال، ولذا يعرف بأنه لفظ أو رمز يتفـق عليه فى العلوم أو الفنون، للدلالة على معنى بعينه[٤]، فهو غير الاصطلاح باعتبار أن المصطلح هو اللفظ أو الرمز ذاته، أما الاصطلاح فهو اسـتخدام ذات اللفـظ أو الرمـز، وليـس الحـروف المنطـوق بها، والحاملة له، باعتبار أن الألفاظ المستعملة هى ألفاظ المعانى المراده.

---

(١) الشيخ بدوى توفيق سلامة- قواعد الشريعة الإسلامية ص١١ ط أولى ١٣٩٣هـ .

(٢) الشيخ محمد عبدالعظيم توفيق – مصادر التشريع الإسلامى ص٤٧ .

(٣) الشيخ محمد السيد الثروى – البلاغة العربية وتطوراتها ص٤٣ .

(٤) الشيخ إبراهيم محمد أبو طويلة – المنطق وقضية المفاهيم ص٦١ .

فمثلا حرف الباء فى اللغة العربية، يمثل جزء من مادة الفعل أو الاسم، وهو فى صورته الحرفية يكتب مستقلا ومنفردا هكذا ـب ـ، فإذا ضم إلى غيره من الحروف، أو انضم إليه غيره، تحول من دلالته الحرفية إلى دلالة أخرى، مما يتعلق بالفعل أو الاسم[1]، ففى الفعل مثلا يمكن انضمام حرف، هكذا ترب أو ربت، أو بتر، وكلها صيغ للدلالة على فعل من الأفعال وقع فى زمن من الأزمان، وفى الاسم — تِرْب — ويجمع أتراب، فتحول حرف الباء فى الكلمة إلى جزء منها، بل ويتعاون مع غيره فى تكوين معناها، الذى يصير مصطلحا يتم التعامل عليه.

فإذا تم الانتقال بحرف الباء، من علم النحو العربى إلى علم الجبر أو الهندسة مثلا، فإنه يتحول إلى مجرد رمز رياضى فيظل محتفظا بنوعيته الحرفية، ولكن دلالته تختلف من حيث المعنى؛ لأنه فى الجبر يصير كميه وقيمة جبرية، على غير ما كان له من استعمال فى اللغة.

وحينئذ لا يمكن استعمال فى النحو بنفس معنى استعماله فى الجبر؛ لأنه فى النحو يستخدم على حرفيته التى تمثل وحدة مكتوبة أو منطوقة من الكلمة، اما فى علم الجبر: فإنه يمثل قيمة أو كمية حسابية، والفرق بينهما كبير، ولا يمكن استعمال حرف الدال فى النحو بنفس المفهوم فى الجبر، ولا العكس، "وإلا اضطربت المسائل واختلطت، وصار من الصعب الوقوف على اصول العلوم ومسائلها، التى تمايز بعضها عن بعض[2]، تمايزا ذاتيا أو عرضيا.

وبناء عليه، فإن المصطلح هو المفهوم من اللفظ الذى يقع التفاهم به، أو التعامل عليه فى فن من الفنون أو علم من العلوم، فإذا خرج المفهوم بعيدا عن محتوى اللفظ المصطلح عليه، أو المتفق فيه، فلا يكون محل قبول بالنسبة لأصحاب العلوم أو الفنون الأخرى، التى قد يقع لها استعمال هذا اللفظ على أنه مصطلح عندهم، ولكن بمعنى مخالف لما هو قائم عند غيرهم.

مثال: ذلك لفظ الوتد:

فإن العرب فى الصحراء يستخدمونه عند إطلاقه على معنى يتناسب مع أفهامهم من أنه ما به تثبت الخيمة أو الأشياء القابلة للحركة، فيأتى الوتد إليها ليثبتها[3]، والله تعالى قال فى قرآنه الكريم: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4].

وعلى هذا فقد جاء لفظ الوتد فى أوزان الشعر العربية، حيث عرف بأنه ما تكون من ثلاثة أحرف، فإن كان الساكن بعد المتحركين فهو الوتد المجموع، وإن كان الساكن بين المتحركين فهو

---

(١) الشيخ نصر الدين السيد المنيلاوى — الدلالة اللغوية وأثرها فى علم اللغة ص٢٣ ط الدار الجديدة ١٣٣٥هـ

(٢) المعروف أن العلوم تتمايز بموضوعاتها ومسائلها والغايات الداعية إليها، والبواعث القائمة عليها وهو مما يجب التأكيد عليه.

(٣) الأستاذ عبدالباسط محمد القرنفيلى — دلالات الألفاظ العربية ص٩٢ .

(٤) سورة النبأ — الآية ٧ .

الوتد المفروق[1]، ولا يمكن اعتبار الوتد لفظا يجرى فى عرف ساكنى الصحراء جريانه فى مصطلح علماء العروض والقافية على ما سلف بيانه.

إذن الوتد العروضى غير الوتد الخيمى، وهو كذلك غير الوتد الذى هو مربط البعير، وعناه الأعرابى قديما حين قال:

لا يقيم على ضيم يراد به ∴ إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ∴ وذاك يشج فلا يرثى له أحد[2]

كما أن الوتد كلفظ له معناه لدى الصوفية، غير ما عند العروضين والأدباء، إذ يرون الوتد عبارة عن رجل يؤدى حراسة منزل من العالم الذى تقع منازله فى أربعة أركان، وكل ركن منها عليه وتد يحفظه.

۞ **يقول ابن عربى**: «الأوتاد عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على أربعة منازل أركان من العالم شرق وغرب، وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، فهو يتحرك نحو تقوى الله تعالى باستمرار»[3].

فإذا أردت تطبيق المعنى فى لفظ الوتد الذى فهمه العروضى، على المعنى الوارد فى اصطلاحات الصوفية مثلا جاءت النتائج متخالفة تماما لاختلاف المناهج والموضوعات، والمسائل والغايات، وقس على ذلك باقى المصطلحات.

فمن اصطلاحات الصوفية، أنهم يعبرون بالحس عما يدركه البصر من الأجسام الكثيفة، وبالمعنى عما يدزك بالبصيرة من المعانى اللطيفة القائمة بالأجسام، وهى أسرار الذات، ومعانى الصفات[4]، وربما كان ذلك مما جعل البعض يزعم أن الصوفية يرمزون ويشطحون[5]، مع أنهم من المؤفقين براء.

---

(١) الأستاذ محمود مصطفى – أهدى سبيل إلى علمى الخليل – العروض والقافية ص١٨ تقديم الدكتور عبدالمنعم خفاجى ط صبيح ١٩٨١م.

(٢) البيتان من الشواهد العربية المشهورة فى البلاغة، كما أنهما قد يردان فى الأدب، حين يراد التعبير عن أنواع الشعر باعتبار الأغراض.

(٣) رسالة فى اصطلاحات الصوفية ملحقة بالتعريفات ص٢٣٥ طبعة الحلبى.

(٤) العلامة أحمد بن عجيبة الحسنى – الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ص٢٧٩ طبعة عالم الفكر– تحقيق عبدالرحمن حسن محمود.

(٥) الأستاذ صبحى محمد الحكيم – المصطلحات الصوفية ص٣٥ – طبعة أولى ١٣٣٥هـ.

وقد حاول البعض اتهام الصوفية بأنهم أصحاب ألغاز متناسيا أنهم أصحاب اصطلاحات، ويجب قبل الاتهام التعرف على القواعد والأحكام، التى هم عليها مصطلحون، فإن انتهى القول معهم إلى إبطال الاصطلاح من جانبه، فما عليه إلاّ إهمال ما به يتمسكون، وإن كان موافقا له، فماذا عليه إلاّ أعماله.

الثالث: الاعتقادات[1]

كلمة العقيدة فى لغة العرب تجيء على معنى انعقاد القلب والنية والضمير على شيء ما فعلا، أو تركا[2]، كما تجيء على معنى ما يدين به الإنسان صوابا أو خطأ، وتجيء كذلك على معنى الالتزام القائم على التصديق[3]، وتطلق على المعاهدة التى يلتزم بها المتعاهدون فى الخير أو الشر[4]، بحيث لا ينفكون عن الذى تم التعاهد عليه إلا بصعوبة بالغة.

أما فى الاصطلاح فقد عرفت بعدة تعريفات، منها:

- أنها الجانب النظرى الذى يطلب من المرء التصديق أو الإيمان به أولا، وقبل كل شيء، إيمانا لا يرقى إليه شيء من شك، ولا تؤثر فيه شبهة من الشبهات[5].
- كما تعرف بأنها مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثنى عليها صدره، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون[6]، وإن كانت تلك العقيدة قائمة على معرفة الله تعالى، وتوحيده جل شأنه، والتسليم له، فهى العقيدة الصحيحة، أما إذا كانت قائمة على اعتقادات تألية المخلوقات، أو إشراك شيء مع الله تعالى، فإنها تكون عقيدة فاسدة باطلة معا.

---

(١) ورد مادة " ع ق د " فى القرآن الكريم ست مرات تقريبا.[راجع للأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " مادة عقد " ص٤٦٨ – مكتبة الغزالى – دمشق]

(٢) العلامة الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الدال فصل القاف ، والمعجم الوجيز باب العين ص٢٦ ط مجمع اللغة العربية، وقطر المحيط باب العين ص٢٥١ .

(٣) العلامة أحمد محمد المقريزى – المصباح المنير ص٥٠١ – الطبعة الثانية ١٩٠٦ .

(٤) الإمام الزمخشرى – أساس البلاغة – باب العين ص٤٢٩ ط دار الفكر ، وتهذيب اللغة للأزهرى ط١ ص١٩٦ ط الأولى

(٥) الإمام الأكبر شيخ الإسلام / محمود شلتوت – الإسلام عقيدة وشريعة ص٩ – دار الشروق – الطبعة السادسة عشر ١٩٩٠م.

(٦) الشيخ أبو بكر الجزائرى – عقيدة المؤمن ص٢٠ – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

- وربما عرفت بأنها « ما يؤمن به الإنسان ويعرفه، مهما بعدت به تلك المعرفة، أو ذاك الإيمان، عن الحقيقة والواقع »[1]. إنه يكون منقاداً إليها من داخله، لا عن قناعة بها، وصحة بما جاء فيها، وإنما لعدم قدرته على الانفصال عنها، والتفكير في أخطائها، كالحال مع عبدة الآيات الكونية، وأصحاب الاعتقادات في الآلهة المتعددة أو المستجدة، والآلهة الذين يقع بينهم التزاوج والبنين والحفدة، وأصحاب الاعتقادات في ولادة الآلهة وقوتها ونتاج زيادتها، فإنها وأمثالها اعتقادات فاسدة.

- ويذهب أحد الباحثين إلى تعريفها بأنها: « أمر ذاتي يعبر عنه كل معتقد من خلال تمكنها في صدره، وثبوتها في قلبه، طبقا لما هو مستقر في فؤاده، منطو في عقله وضميره »[2]، فالتعبير عنها إنما هو نوع من الترجمة لما هو كائن في الصدر، أو منعطف داخل القلب.

وهي عقيدة لأنه عقد طرفيها بين يديه، فصار متمكنا منها، كما يعقل المرء بعيره، فيصير معتقل الحركة، بحيث لا يتمكن من الخروج عنه، إلا بإذن صاحبه، وتصريح خاص منه، فالعقيدة تجمع في المرء قلبه وحواسه معا، فإذا حاول قلبه الخروج عنها، لم تسعفه حواسه،

---

(١) الدكتور / محمد عبدالرحمن بيصار – العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص١٤ – ط الثالثة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م

(٢) الأستاذ السيد عبدالبديع وافي – عقيدة اليهود في تجسيد الإله وموقف الإسلام منها ص٢٢ (رسالة ماجستير) بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ويمكن تعريفها بأنها « هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة، فهي بمعنى الإيمان، يقال : أعتقد في كذا أي أؤمن به وأصدقه، سواء أكان حقا أو باطلاً »(الشيخ / سيد سابق – العقائد الإسلامية ص١٠ – الطبعة الثالثة – دار التراث العربي – الناشر دار الكتب الحديثة) . وتعرف أيضا بأنها: « رباط معنوى يربط المسلم بربه، وهو رباط لا تحله أزمة مادية، ولا اضطهاد بشرى »(الشيخ / محمد الغزالى – عقيدة المسلم ص٥ – دار الدعوة – الطبعة الثالثة ١٤١١هـ) . أو « هي هذا المبدأ الذى يتمسك به صاحبه ويؤمن بصوابه دون الاستناد إلى دليل »(الدكتور / على عبدالحليم محمود – مع العقيدة والحركة والمنهج، في خير أمة أخرجت للناس ص٢٠ – دار الوفاء –ط الأولى ١٩٩٢م) . وكذلك عرف بأنها « هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له من التوحيد والطاعة »(الدكتور / ناصر عبدالكريم العقل – مجمل أصول أهل السنة في العقيدة ص٥/ ١٩٩٢م)، أو هي « الإيمان بحقيقة معينة إيماناً قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل، أو هي ما يؤمن به الإنسان ويراه عن اقتناع قلبي أكبر . والعقيدة الدينية هي ما يؤمن به معتقده من أفكار وآراء وتصورات معينة تتصل بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما تتصل بالحياة الدنيا والآخرة »(الدكتور / عبدالغني عبود – العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة ص١٢ – الطبعة الثانية) .

وإذا حاولت حواسه الانطلاق فإن القلب لا يعينها، ولابد لكل عقيدة من عقل يستوعبها، وجوارح تمارسها.

۞ **وفى تقديرى:** أن تعريف العقيدة بوجه عام ضرورة علمية، وكذلك الحال فى تعريفها على ناحية العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة؛ لأن التمايز بينها يسمح بالوقوف على الفوارق، ويحقق نتائج إيجابية بالنسبة للبحث العلمى. **وسأبذل ذلك على النحو التالى:**

﴿ أ- العقيدة بالمعنى العام ﴾

هى ما يتمكن من قلب المرء وعقله، ويسيطر على جوانحه وجوارحه، مقتديا فى ذلك بغيره ممن أفهمه إياها، أو متنقلا بين جزئياتها، حتى يقف عليها، ويندفع إليها متمسكا بها، بحيث يرفض التنازل عنها، من غير ممارسة ضغوط عليه[1]، باعتبار أن عقلية الاعتقاد هذه تنعقد عليها أمور المسك بها فى دنياه وأخراه، فى مطعمه ومشربه، إنها الضابط لسلوكياته العملية، كما هى ضابطة لنوازعه النفسية، واتجاهاته القلبية وانطلاقاته الفكرية.

﴿ ب- العقيدة الصحيحة ﴾

هى التى تقوم على ما شرع الله تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله، الصادق المعصوم، من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، بحيث يكون ذلك كله قائما فى يقين المرء لا ينفصل عنه، مع تنزيه الله تعالى عن كل المخلوقات، والتسليم له جل وعلا فى كل الأحوال، وهى العقيدة التى جاء بها الأنبياء، وبعث الله بها المرسلين من لدن آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد الخاتم ﷺ، وقد تقرر في الأذهان، واستقر فى الأفهام أن الأنبياء جيمعا فى هذا الأمر سواء. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا • وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[2].

---

(١) فإذا تم إجبار المرء العاقل على الانحناء نحو عقيدة بعينها، فإنه يكون مكرها على إعلان تقبله لعقيدة ما نطقا بها، أو ممارسة لما تلزم به، لكنه غير مصدق لها على الناحية القلبية، فلا تكون عقيدة بقدر ما يمكن الحكم عليها بأنها إحدى عمليات التقليد للآخرين إرضاء لهم أو تفاديا للعنت الذى يقع منهم.

(٢) سورة النساء – الآيتان ١٦٤/١٦٣ . ويقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « قال ابن عباس، قال سكن وعدي بن زيد: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله في ذلك من قوله تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾. ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب والإفتراء، كما ذكر تعالى أنه أوحي إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلي غيره من الأنبياء المتقدمين. [راجع العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ١/ص٥٨٦] وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل « عن أبي ذر قال، قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا"، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير"، قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: "آدم"، قلت: يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: "نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبيلا ».[صحيح ابن حبان ج:٢ ص:٧٦ – ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها – الحديث: ٣٦١ – وراجع حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – العلامة أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت: ٤٣٠هـ – ج١ ص١٦٧ دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة]

وقوله ﷺ : « الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل، بين ممصرتين فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الآمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم، بعضا فيمكث ما شاء الله ان يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه »[1].

وعن أبي موسى الأشعرى[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٢ ص٤٣٧ – الحديث: ٩٦٣٠ ورواه عن عبد الله عن يحيى عن بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة .

(٢) أبو موسى الأشعري : هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو قد سكن الرملة، وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الأربعة ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار، وروى عنه أولاده موسى وإبراهيم وأبو بردة وأبو بكر وامرأته أم عبدالله ومن الصحابة أبو سعيد وأنس وطارق بن شهاب ومن كبار التابعين فيمن بعدهم زيد بن وهب وأبو عبدالرحمن السلمي وعبيد بن عمير وقيس بن أبي حازم وأبو الأسود وسعيد بن المسيب وزر بن حبيش وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وأبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود وربعي بن حراش وحطان الرقاشي وأبو وائل وصفوان بن محرز وآخرون قال مجاهد عن الشعبي كتب عمر في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الصحيح المرفوع لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود. عاش ثلاثا وستين واختلفوا هل مات بالكوفة أو بمكة. [راجع الإصابة لابن حجر – باب ذكر من اسمه عبدالله واسم أبيه عمرو بفتح أوله وسكون الميم رقم: ٤٩٠١ ص:٢١٢/٢١٣]

الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[1].

والعقيدة الصحيحة هى العقيدة الإلهية، التى تقوم على أجزاء تضمنتها آيات القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف الصحيح، وهذه الأجزاء ستة ، ولا تصح العقيدة إلا بها جميعا، بمعنى أن الكفر أو الإنكار لواحدة منها، أو الشك فيها ينتهى إلى الحكم على منكرها أو المكذب لها بالكفر، لأنه أمن ببعض الكتاب وكفر بالبعض. والأجزاء هى:

١ـ **الإيمان بالله رب العالمين**، الخالق العظيم المنزه عن الشبيه، والشريك الصاحبة والولد، ولا يعرف حقيقته إلا هو سبحانه وتعالى. يقول الإمام الغزالى[2] : « لا يعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفته إلا الله تعالى »[3]، لكن أن يعرف جل شأنه بآثاره وآياته المنبثة فى الكون، مما جرت به سننه تعالى فى خلقه، فهذا مما يأتى من طريق الفطرة الإنسانية والعقول البشرية، مادامت صحيحة سليمة وعن الوثنيات نقية.

---

(١)الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٤٢ – ٢٠ باب فضل من علم وعلم – الحديث: ٧٩ ، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص١٧٨٧ – ٥ باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم – الحديث: ٢٢٨٢

(٢) هو الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي النيسابورى الفقيه الصوفى الأشعرى ولد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد امتد عمره حتى عام ٥٠٥هـ وله من الألقاب الكثير منها [حجة الإسلام، زين الدين، الغزالى، الفقيه الشافعى، وحيد عصره، شيخ الإسلام، شيخ العارفين، عالم العلماء، وارث الأنبياء، حسنة الدهور والأعوام، تاج المجتهدين، سراج المتهجدين، سيد المحققين، مقتدى الأئمة، مبين الحل والحرمة، زين الملة والدين] وكنيته الإمام أبو حامد الغزالى، وهناك العديد من الكنى التى لم تشتهر اشتهار الأولى وهى : [ابو عكاز، أبو مغزل] وفى مسقط رأسه روايات منها : [الأولى : أنه ولد فى مدينة طوس إحدى أعمال خراسان، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ولهذا نسبه – والثانية : أنه ولد فى قرية غزالة التابعة لمدينة طوس ولهذا نسبه وكنيته] (راجع كشف الظنون لحاجى خليفة جـ١ ص٢٣، ٢٦، معجم البلدان جـ٦/٧١) .

(٣) الإمام أبو حامد الغزالى – إلجام العوام عن علم الكلام ص٩٤ طبعة رياض مصطفى – منشورات دار الحكمة – بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ولأن العقول قاصرة عن إدراك حقيقته جل علاه، فقد يسر الله تعالى لتلك العقول طرائق معرفته، والاستدلال عليه. فعن سهل بن عبدالله[1] أنه سئل عن ذات الله[2]، فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، والقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار في الآخرة[3]، ومن غير إحاطة ولا إدراك نهاية[4]، لأن الله تعالى لا تحده الحدود، ولا تحيط به الإحاطات، إنه سبحانه وتعالى فوق ما تتصوره العقول، وتجرى به الأفهام أو يغلب على خيالات الأوهام.

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري يكنى أبا محمد رضي الله عنه وما أثر عنه أنه قال: آلة الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره، وعنه أيضا قوله: ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب وأما أعمال البر فيعلمها البر والفاجر، وذكر عنه أنه قال: من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الاخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة ....، و أسند سهل من خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين رضي الله عنه ومن المصطفين من اهل شيراز. [صفوة الصفوة ج٤ ص٦٤ /٦٦رقم:٦٤٥]

(٢) فكان السائل طلب معرفة الحقيقة الإلهية، ولم يطلب طرائق الاستدلال عليه جل علاه، إذ لو طلب الاستدلال عليه جل شأنه، لكانت نفسه التي بين جنبيه أقرب الدلائل التي يطلبها لقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات – الآية٢١].

(٣) لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[سورة القيامة – الآيتان ٢٣/٢٢] وقوله عز وجل : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.[سورة يونس – الآية ٢٦] فعن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال: « الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم ».[حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٥ ص٢٠٤] ومن صهيب قال: « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر يعني إليه ولا أقر لأعينهم » [العلامة أبو حاتم ابن حبان – صحيح ابن حبان ج١٦ ص٤٧١ – ذكر البيان بأن رؤية المؤمنين ربهم في المعاد من الزيادة التي وعد الله جل وعلا عباده على الحسنى التي يعطيهم إياها – الحديث: ٧٤٤١، وأخرجه ابن ماجة – سنن ابن ماجه ج١ ص٦٧ – الحديث: ١٨٧] وأخرج مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ».[صحيح مسلم ج١ ص١٦٣ – ٨٠ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى – رقم:١٨١]

(٤) الإمام الفخر الرازى – عجائب القرآن ص١٤٤ – تحقيق عبدالقادر أحمد عطا – دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

وعن جرير قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال إسماعيل افعلوا لا تفوتنكم »[1].

وعن أبي هريرة : « أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع »[2].

والإيمان بالله الخالق العظيم هو أول أجزاء العقيدة الصحيحة، ولذا كان كل نبي يعلنها لقومه مباشرة، يا قوم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وكان كذل قاسما مشتركا بين كل الأنبياء وكافة المرسلين، فالعقيدة الإلهية عنوانها التوحيد الله تعالى بعد التصديق بوجوده جل شأنه، ثم تفرده وحده بالخلق والإيجاد، وتصرفه وحده في الكائنات كلها، علويها وسفليها، ظاهرها وباطنها، باديها وخافيها، غائبها ومشاهدها. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٢٠٣- ١٥ باب فضل صلاة العصر – الحديث: ٥٢٩ ، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج١ ص٤٣٩ – ٣٧ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما – الحديث: ٦٣٣ .

(٢) صحيح البخاري ج١ ص٢٧٧ – ٤٥ باب فضل السجود – رقم: ٧٧٣ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ١٠٢ . يقول العلامة الطبري : « يقول تعالى ذكره الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان والجاعلون له الجن شركاء وآلهتكم التي لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تفعل خيرا ولا شرا، لا إله إلا هو وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله يقول جل ثناؤه لهم أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة إلا الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السماوات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة فاعبدوه يقول فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة واخضعوا له بذلك، وهو على كل شيء وكيل يقول والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته » [العلامة الطبري – جامع البيان ج٧ ص٢٩٩]

٢- الأيمان بالملائكة:

ذلك أن الله تعالى خلق العوالم التي نعرفها والتي لا نعرفها المشاهدة والغائبة، كما خلق عالم الغيب والشهادة. قال تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾(١). ومن العوالم الغيبية الجن والملائكة واللوح والعرش والكرسي والقلم، وغير ذلك مما جاءت به الإشارات في النقل المنزل على سبيل التصريح أو التلميح، والمؤمن بالله رب العالمين يقر بهذه الأمور. كما جاء بها النقل المنزل من غير ان يضيف إليها أو ينقص منها.

فالملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة(٢)، بأقدار الله تعالى لها، فليست هذه الأقدارات من طبيعتها الذاتية، وإنما هي أمر فطرها الله تعالى عليه؛ لأنهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لا يَسبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

- **يقول العلامة الزمخشري**: « أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم عباد، والعبودية تنافي الولادة، إلاّ أنهم مكرمون مقربون من الله تعالى بالطاعة مفضلون علَى سائر العباد، لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علواً كبيراً. ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ أي أنهم يتبعون قوله، ولا يقولون شيئا حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله. ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ أي لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله، وهو مجازيهم عليه، فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم، ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم، ومن تحفظهم أنهم لا يجرءون أن يشفعوا إلاّ لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم »(٤). وقوله تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا

---

(١) سورة الرعد – الآية ٩. يقول العلامة القرطبي : « هذه الآية تمدح الله ﷻ بأنه عالم الغيب والشهادة، وهو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شاهدوه، فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى عن الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد، والكبير الذي كل شيء دونه، والمتعال عما يقول المشركون المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره، والله ﷻ يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر، كما يعلم ما جهر به من خير وشر ».[العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣٦٢٤/٣٦٢٥ – طبعة الغد العربي ١٩٩٨م]

(٢) العلامة المرعشي الشهير بسجاقلي زاده – نشر الطوالع ص١٩٠ ط أولى – مكتبة العلوم العصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

(٣) سورة الأنبياء – الآيتان ٢٦/٢٧ .

(٤) العلامة الزمخشري – الكشاف ج٣ ص٩ .

أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أى لا يعصون أمر الله بحال من الأحوال، وينفذون الأوامر بـدون إهمال ولا تأخير[1].

❁ **يقول العلامة الماوردى**[2] : « والملائكة أفضل الحيوان، وأعقل الخلـق، ألا إنـهم لا يـأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، وهم رسل الله لا يعصونه فـى صغيرة ولا كبيرة ولهـم أجسام لطيفة لا يرون إلا إذا قوى الله أبصارنا على رؤيتهم »[3].

ثم إن الملائكة لما كانوا من هذه الطبيعة النورانية التـى خلقـهم الله عليـها فإنـهم أجسـاد لطيفة نورانية، قادرة على التشكل فى صور مختلفة[4]، وهـى فـى ذات الوقت موجـودات عاملـة فاعلة بالقدرة والإرادة كأصناف البشر، ولكنهم مطيعون لربهم عز وجل على الدوام[5]، لأنـه تعـالى خلقهم فى الطاعة وجبلهم عليها، فالإيمان بوجودهم طبقا لما جاء به النقل المنزل أصل من أصـول الإيمان يلى الأصل الأول وهو الإيمان بالله تعالى.

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير ج١٨ ص١٥٧٤ – مكتبة الغزالى – دمشق .

(٢) الماوردى : هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، من كـبراء فقـهاء الشـافعية، توفي سنة ٤٥٠هـ، وعمره ست وثمانون سنة . وهو صاحب الحاوي الكبير، وصاحب التصـانيف الكثـيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية وأدب الدنيا والديـن قـال بسطت الفقـه في أربعـة آلاف ورقة يعني الإقناع، وصاحب أعلام النبوة، وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة وكان حليمـا وقـورا أديبـا لم يـر أصحابه ذراعه يوما من الدهر من شدة تحرزه وأدبه وقد استقصيت ترجمتـه في الطبقـات تـوفي عـن سـت وثمانين سنة ودفن بباب حرب . [راجع البداية والنهاية لابن كثير – الجـزء الثـانى العشـر ص٥١٧ – طبعة دار الغد العربية، وراجع أبجد العلوم للعلامة الفتوحى (٢/ ٤٩٣)]

(٣) العلامة الماوردى – النكت والعيون ج١ ص٨٩، وللشيخ محمد زكـى الديـن محمـد ابـو القاسـم – جـامع البيان لما تفق عليه الشيخان ج٣ ص٧ ط دار الصفوة بالغردقة.

(٤) أحيانا تكون الصورة مريحة يقع بها الأمن، فتحقق الطمأنينة ، كالحال مع رسول الله ﷺ والصحابة فى غزوة بدر الكبرى، التى كانت الملائكة على هيئات تثبت الأمن فـى قلـوب المؤمنـين، وتبـث الرعـب فـى قلوب المشركين، وقد تكون الصورة غير مريحة، وإنما تكون مرعبة مخيفة، كالحـال مـع سـيدنا جـبريل عندما رآه أبو جهل فى صورة بعير يريد إلتقامه، أو فى صورة سبع جائع يحاول التقاطه. [راجع للإمام القرطبى الأعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ج٣ ص٩٨]

(٥) الشيخ أحمد حسنين مخلوف – المطالب القدسية فى أحكام الروح وأثارها الكونية ص١٢ مطبعة الحلبـى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

ولأن الملائكة من العوالم الغيبية، فقد جعل الله الإيمان بـهم من علامات أهـل العرفـان بالله رب العالمين المتقين لدخولهم فى عموم قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُـونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ • والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1].

كما بين جل شأنه أن الكفر بالله أو بالملائكة هو كفر بأصول العقيدة كلها. قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا ﴾[2]. وما ورد فى الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب ﷺ عندما سأل جبريل ﷺ النبى ﷺ عن الإيمان؟ فقال ﷺ : « أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر، خيره وشره »

فعَنْ عمر بن الخطاب ﷺ، قَالَ: « كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم. فجاء رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد شعر الرأس، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منـا أحد قَالَ فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع يده على فخذيه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد! ما الإسلام؟ قَالَ (شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رَسُول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت). قَالَ: صدقت. فعجبنا منه. يسأله ويصدقه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد! ما الإيمان، قَالَ: (أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر، خيره وشره). قَالَ: صدقت. فعجبنا منه يسأله ويصدقه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد ما الإحسان! قال: (أن تعْبُدُ الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قَالَ: فمتى الساعة؟ قَالَ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قَالَ: فما أمارتها؟ قَالَ: (أن تلد الأمة ربتها (قَالَ وكيع: يعني تلد العجم العرب) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البناء). قَالَ ثم قَالَ: فلقيني النبي

---

(١) سورة البقرة – الآيتان ٣/٤ . يقول العلامة ابن كثير : « الغيب المراد هنا اختلفت عبارات السلف فيه، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد، فعن أبى العالية فى قوله: (يؤمنون بالغيب) قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت، وبالبعث، فهذا كله إيمان بالغيب. وعن ابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار، وما ذكر فى القرآن، فكل هذه الأمور من الغيب الذى يجب الإيمان به ».[العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١ مكتبة زهران]

(٢) سورة النساء – الآية ١٣٦ . فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعى، الذى لا يمكن أن يلحقه شك، ومن هنا كان إنكار وجودهم يمثل كفراً بإجماع المسلمين بل بنص هذه الآية الكريمة. [الدكتور محمد نعيم يس – الإيمان – أركانه ، حقيقته ، نواقضه ص٢٥]

صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث، فقَالَ "أتدري من الرجل؟" قلت: الله ورَسُوله أعلم. قَال: (ذاك جبريل. أتاكم يعلمكم معالم دينكم »[1].

والإيمان بالملائكة يستلزم التصديق بأنهم من خلق الله، وأنهم لا يـأكلون ولا يشـربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون، وإنما يخلقهم الله تعالى خلقـا كـاملاً، وهـم مكلفـون مـن أصـل الخلقـة، ولكنهم لا ينامون ولا يغفلون، كما أنهم يموتون من غير مرض، ثم يبعثون، وعلى ربهم يعرضون، فيهم الحفظة الكرام البررة، وفيهم أصحاب الصحف، ومنهم حملـة العـرش، بجـانب الطوافـون، يسجدون الليل والنهار لا يفترون، فمن أنكر وجودهم أوشك فيه، كان خـارج نطـاق الحكـم عليـه بأنه من أهل الإسلام، أو من أهل النجاة في الآخرة.

٣ـ الإيمان بالكتب المنزلة:

أنزل الله على أنبيائه كتبا فيها الحق والهدى والنور، تعـرف النـاس بطرائـق الاسـتدلال على وجود الله تعـالى، وتوحيـده جـل شـأنه، وتفـرده بالربوبيـة والألوهيـة فـي الـذات والأسمـاء والصفات والأفعال، كما أن فيها بيانا لمصالح الناس فـي دنيـاهم وأخراهم، لأن المرء متـى عـرف الغاية من وجوده، أمكنه التعرف على خالقه موجده العظيم وهـو الله تعـالى ، ومـن ثـم سـيحاول التعـرف علـى الحقيقـة التـي صاحبت بعـث الله الرسـل ، وإنـزال الكتـب. قـال تعـالى: ﴿ " رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " ﴾[2].

يقول الشيخ القطان: « إن الله تعالى يرسل إلى الناس الرسـل ، مبشـرين ومنذريـن، لاسـتنقاذ فطرتهم من ركام الإلف والعادة ، وتحرير عقولهم من أسر الأهواء والشهوات »[3].

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم – باب بيـان الإيمـان والإسـلام والإحسـان ووجـوب الإيمـان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. الحديث رقم: ١ – (٨) والمراد بـ: [(أن تلد الأمـة ربتـها) أي أن تحكـم البنت على الأم من كثرة العقوق، حكم السيدة على أمتها. ولما كان العقوق في النساء أكـثر، خصـت البنـت والأم بالذكر. (العالة) جمع عائل بمعنـى الفقـير]. وأخرجـه البخـاري عـن أبـي هريـرة– بـاب: سـؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة – الحديث رقم: ٥٠، باب: ﴿ إنه الله عنده علم الساعة ﴾– الحديث رقم: ٤٤٩٩.

(٢) سورة النساء – الآية ١٦٥ .

(٣) الشيخ مناع خليل القطان – الحاجة إلى الرسل ص١٩٦ .

❁ قال العلامة البرسوى « لئلا يكون للناس من عذر أو معذرة يوم القيامة ، يعتذرون بها قائلين: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً يبين لنا شرائعك ، ويعلمنا أحكامك ، ففيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة على سبيل اللطف والفضل »[1].

ولما كانت النبوات عديدة، والرسالات متعددة، فقد أنزل الله كتبا كثيرة. قال الشيخ محمد نووى: « اشتهر أن جميع الكتب مائة وأربعة، وقيل إنها مائة وأربعة عشر، قال السجمى: والأصح عدم حصر الكتب فى عدد معين، فلا يقال: إنها مائة وأربع فقط؛ لأنك إذا فتشت فى الروايات تجدها أربعة وثمانين ومائة »[2].

ولا شك أن هذا الاختلاف فى العدد، مرجعه إلى أن الأدلة قامت على مجموعة من الأخبار، ولم تبلغ حد التواتر، وبالتالى فإن الإيمان بها أصل من أصول الإيمان، لكن حصرها فى عدد معين ليس من إمكانيات العقل، ويكون دور المؤمن هو تفويض الأمر فى العدد والكيفية التى نزلت بها، أو الحروف التى كتب فيها إلى علم الله تعالى؛ لأن ذلك أسلم وأحكم معاً.

وقد ذهب إلى تلك النتيجة جمع من العلماء، حيث يقولون: « والذى نراه تفويض معرفة ذلك إلى الله تعالى؛ لأنه لم يرد نص صحيح عن رسول الله فى عددها أو كيفيتها »[3]، كما أن مرد ذلك إلى علم الله تعالى، ومادامت الأقوال فى المسألة قد ترددت بين القلة والكثرة، إلى هذا الحد فإن « التفويض فى حقيقة إعدادها ومحتوياتها، وكيفية نزولها يكون هو المشار إليه من الإيمان، الذى يجب الإيمان به فى قوله تعالى: ، ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[4] »[5].

ونفس الفكرة — التسليم بإنزال الكتب السماوية مع التفويض فى العدد والكيفية — تكررت فى العديد من الكتابات والدراسات المعنية بهذا الجانب، فيقول الشيخ عبدالبديع الإسناوى: « إن الناظر فى الآيات التى تحدثت عن الغيب يسعه إلا الإيمان بما جاءت به، ثم

---

(١) العلامة البروسوى -تنوير الأذهان في تفسير روح البيان المجلد الأول ج٦ ص٣٩٦.

(٢) الشيخ محمد نووى الشافعى — نور الظلام شرح عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقى ص٢١ ط الحلبى.

(٣) الدكتور أحمد السيد الكومى ، الدكتور محمد السيد طنطاوى — تفسير سورة الأعراف ص٢١٩ ط٢ دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٤) سورة البقرة – الآيتان ٣/٤.

(٥) العلامة الشيخ محمد نور الدين المنيلاوى — دراسات فى آى القرآن ج١ ص٥٣ مطبعة الدار اليمنية ١٣١٥هـ

التفويض فى حقيقته إلى علام الغيوب، والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم التى نص عليها القرآن الكريم تجب معرفتها، والإيمان بها، من حيث إن نصوصه هى التى يتعلق بها الغيب، وما لم ينص عليه فى القرآن الكريم، ولم يرد بها الحديث الشريف، فإن التفويض الإجمالى فيها يكون هو الغاية[1]، التى يتمسك بها المسلم.

ففى السنة النبوية المطهرة عن أبي إدريس الخولاني[2] عن أبي ذر قال « دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده قال يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما قال فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه فقلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع استكثر أو استقل.

قال قلت يا رسول الله أي العمل أفضل قال إيمان بالله وجهاد في سبيل الله قال قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أكمل إيمانا قال أحسنهم خلقا قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم قال من سلم الناس من لسانه ويده قال الصلاة أفضل قال طول القنوت.

قال قلت يا رسول الله فأي الهجرة أفضل قال من هجر السيئات قال قلت يا رسول الله فما الصيام قال فرض مجزىء وعند الله أضعاف كثيرة قال قلت يا رسول الله فأي الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه قال قلت يا رسول الله فأي الصدقة أفضل قال جهد المقل يسر إلى فقير قلت يا رسول الله فأي ما أنزل الله عليك أعظم قال آية الكرسي ثم قال يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة.

---

(١) الشيخ عبدالبديع حسن الإسناوى – القرآن والكتب السماوية ص١٥ ط أولى – دارالهدى ١٩١٤م.

(٢) أبو إدريس الخولاني هذا هو عائذ الله بن عبد الله ولد عام حنين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالشام سنة ثمانين ويحيى بن يحيى الغساني من كندة من أهل دمشق من فقهاء أهل الشام وقرائهم سمع أبا إدريس الخولاني وهو بن خمس عشرة سنة ومولده يوم راهط في أيام معاوية بن يزيد سنة أربع وستين وولاه سليمان بن عبد الملك قضاء الموصل سمع سعيد بن المسيب وأهل الحجاز فلم يزل على القضاء بها حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فأقره على الحكم فلم يزل عليها أيامه وعمر حتى مات بدمشق سنة ثلاث وثلاثين ومئة. [العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – (ت:٣٥٤هـ) – صحيح ابن حبان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤط . ج٢ ص٨١]

قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله أنبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف(١) وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

قال قلت يا رسول الله ما كانت صحيفة إبراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل. قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله.

قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قلت يا رسول الله زدني قال أحب المساكين وجالسهم قلت يا رسول الله زدني قال انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك قلت يا رسول الله زدني قال قل الحق وإن كان مرا قلت يا رسول الله زدني قال ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما

---

(١) صحائف: هي وجهة كل شيء وجانبه – وصفحه – كل شيء وجهه، وجانبه من الكتاب الوجه من الورقة. [المعلم بطرس البستاني – قطر المحيط ج١ ص١١٣٤]

تأتي وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي ثم ضرب بيده على صدري فقال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق »[1].

❁ **يقول الطاهر بن عاشور**: « أي أنزل الله على إبراهيم عليه السلام ما هو مكتوب فيها ما شرعه الله لإبراهيم عليه السلام ، وأما صحف موسى عليه السلام فهي مشتهرة عند أهل الكتاب والعرب، وهي التوراة، وبين أنها قدرت بعشر صحف أي مقدار عشر ورقات بالخط القويم تسع الورقة، قرابة أربع آيات من آي القرآن الكريم، بحيث يكون مجموع ما في صحف إبراهيم مقدار أربعين آية »[2].

من المؤكد أن الكتب السماوية هي من كلام الله تعالى، لكن ذلك لا يمنع من القول بأن الله تعالى قبضها إليه، حيث لم يبق منها إلا ما وقع فيه التحريف[3]، لأن الله لم يرد حفظها، أما القرآن الكريم فهو كلام الله تعالى الباقي الخالد، الذى لم يقع فيه التحريف، أو التبديل، أو شيء من ذلك ، لأن الله تعالى حفظه، مما لم يحفظ منه الكتب السابقة. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4].

---

(١) الإمام ابن حبان – صحيح ابن حبان ج٢ ص٧٦ – ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها – الحديث: ٣٦١ .

(٢) الشيخ الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير ص٢٨/٢٧، ص١٣٠ .

(٣) التحريف قسمان: – القسم الأول: التحريف اللفظى : ويعرف بأنه وضع لفظ أو مجموعة من الألفاظ مكان أخرى، على طريق التبديل أو الزيادة أو النقصان، والمقصود به تبديل الألفاظ أو زيادتها أو نقصانها. [الشيخ رحمت الله الهندى – إظهار الحق ج٢ ص٤٢٧ تحقيق: دكتور محمد أحمد ملكاوى] وأنواع هذا القسم ثلاثة. هي: الأول: التحريف اللفظى بالزيادة على الكتب المنزلة بإضافة أجزاء إليها كتبها هؤلاء المزيفون، حتى تتيح لهم بعض الممارسات غير المشروعة. النوع الثانى: التحريف اللفظى بالنقصان من تلك الكتب بحذف بعضها، مما يدين أعمال المنتسبين إلى هذه المصادر، النوع الثالث: التحريف اللفظى بالتبديل، وهو فروع، فقد يكون التبديل فى الألفاظ، وقد يكون فى تقديم موضوعات وتأخير أخرى، وقد يكون بتبديل المعانى حتى يقع الإضلال. القسم الثانى: التحريف المعنوى، وهو أنواع ثلاثة كالحال مع التحريف اللفظى. [راجع للباحث عمر عبدالقادر – جهود الشيخ رحمت الله الهندى فى الدين والعقائد – رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ٢٠٠١م بإشرافنا]

(٤) سورة الحجر – الآية ٩ .

۞ **يقول الإمام القرطبى**[1] : « قوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾ يعني القرآن وإنا له لحافظون من أن يزاد فيه أو ينقص منه قال قتادة[2]: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا وقال في غيره من الكتب السابقة مع الأمم السالفة، بما استحفظوا فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا[3]، ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ أي لمحمد صلى الله عليه وسلم من أن يتقول علينا أو نتقول عليه أو ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ من أن يكاد أو يقتل نظيره والله يعصمك من الناس »[4].

---

(١) الإمام القرطبى : هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى ، استقر آخر حياته فى مدينة الميناوى أعمالها ، وتوفى ودفن بها ليلة التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ . [راجع فى هذا الشأن – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى – ج١ ص٧/٨ – دار الغد العربى ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م – ط١، وطبقات المفسرين للداودى جـ٢ ص٦٩]

(٢) هو قتادة بن دعامة بن عزيز السدوس البصرى، من الثقات الإثبات، كان حجة فى الحديث مأمونا، توفى سنة بضع عشرة ومائة. [راجع تهذيب التهذيب جـ٨ ص٣١٥، وتقريب التهذيب جـ٢ ص١٢٣]

(٣) يحكى أنه كان للمأمون مجلس يدخل فيه جملة الناس – بمجلس المأمون – فدخل رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال فتكلم فأحسن الكلام والعبارة قال فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له إسرائيلي قال نعم قال له أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده فقال ديني ودين آبائي وانصرف قال فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما قال فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال ألست صاحبنا بالأمس قال له بلى قال فما كان سبب إسلامك قال انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني ولم يكتشف أحد ما فعلت، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ولم يكتشف أحد ما فعلت، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي ...، ومصداق هذا في كتاب الله ﷻ قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل بما استحفظوا من كتاب الله فجعل حفظه إليهم فضاع وقال ﷻ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فحفظه الله ﷻ علينا فلم يضع . [الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٦]

(٤) العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٥/٦، و نحن يجوز أن يكون موضعه رفعا بالابتداء و نزلنا الخبر والجملة خبر إن ويجوز أن يكون نحن تأكيدا لاسم إن في موضع نصب ولا تكون فاصلة لأن الذي بعدها ليس بمعرفة وإنما هو جملة والجمل تكون نعوتا للنكرات فحكمها حكم النكرات. [نفس المصدر]

۞ **ويقول الإمام الفخر الرازى[1]** : « إنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلاّ وقد دخله التصحيف[2] والتحريف[3] والتغيير، اما فى الكثير منه أو القليل، وبقاء هذا الكتاب الكريم مصونا عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعى الملاحدة واليهود والنصارى

---

(١) الفخر الرازى هو صاحب التفسير والتصانيف ويعرف بابن خطيب الري واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار، له نحو من مائتي مصنف منها التفسير الحافل والمطالب العالية والمباحث الشرقية والأربعين وله أصول الفقه والمحصول وغيره وصنف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد. ولد رحمه الله فى رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. وقد كان معظما عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى ، وقد وقع بينه وبين الكرامية في صولات، وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون في الحط عليه ويبالغ هو أيضا في ذمهم، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه سما فمات ففرحوا بموته . وكانت وفاته بمدينة هراة يوم عيد الأضحى المبارك في ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعاطاه . [راجع البداية والنهاية لابن كثير - ترجمة الفخر الرازى - ٣٧٧/١٠. وراجع الإمام فخر الدين الرازى - حياته وآثاره - للدكتور على محمد حسن العماوى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٥٠٦ سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م - مؤسسة دار التحرير للنشر والطبع، وراجع طبقات الشافعية للعلامة السبكى - ج٥ ص٤٠]

(٢) التصحيف : معناها كتابة الكلمة أو قراءتها على غير صحتها . [المعجم الوجيز ص٣٦٠]

(٣) يعرف التحريف في الاصطلاح بعدة تعريفات منها: أنه الخروج عن جادة الطريق، أو إخراج الوحى والشريعة عما جاءت به، إما بتبديل وهو قليل، وإما بكتمان بعض وتناسيه، وإما بالتأويل البعيد. [الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٥٤٦ - ط١ - الحلبى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م] والتحريف هو الانخراط بالأصول من الوجهة الصحيحة إلى غيرها، وهو فى الكتب السابقة على دين الإسلام قسمان اللفظى ومعنوى. [الشيخ رحمت الله الهندى - إظهار الحق ج٢ ص٤٢٧ تحقيق: دكتور محمد أحمد ملكاوى] والشيخ رحمت الله الهندى هو الشيخ رحمت الله بن خليل الله بن حكيم بن نجيب الله بن حكيم، وينتهى نسبه أيضا إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ. ولد فى منطقة مظفر ناجار التابعة لدهلى عاصمة الهند توجد في قرية كيرانة، وفى حى من أحيائها يدى درباركلان أهل مطلع الشيخ رحمت الله، إذ ولد فى غرة جماد الأولى سنة ١٢٣٣هـ/٩ آزار مارس١٨٢٨م، وله مكانة علمية عالية، ومنزلة رفيعة فى مختلف المجالات، وكان مما اهتم به أن أعد نفسه لمقاومة دعاة التنصير والإلحاد فقام بعقد الندوات، وإقامة الدروس لتبصير المسلمين بأمور دينهم ودنياهم، ولتحذيرهم من دعاوى الإلحاد على وجه العموم، وتعددت مؤلفاته العلمية، فمنها :[أ]: المؤلفات الفقهية ١- رسالة فى وقت صلاة العصر. ٢- رسالة فى رفع اليدين فى الصلاة . [ب] مؤلفاته الكلامية :- ١- رسالة التنبيهات فى إثبات الاحتياج إلى البعث والحشر:- [جـ] ١- إظهار الحق: ٢- إزالة الأوهام.٣- إزالة الشكوك: ٤- الإعجاز العيسوى.٥- أحسن الأحاديث فى إبطال التثليث. ٦- المبحث الشريف فى إثبات النسخ والتحريف.٧- البروق اللامعة ٨- معدل اعوجاج الميزان. ٩- تقليب المطاعن.١٠- معيار التحقيق [د]: كتب مترجمة ١-التحفة الإثنى عشرية . ٢-ب- آداب المريدين. [راجع الشيخ رحمت الله الهندى - إظهار الحق ج١ ص١٤ - من المقدمة للمحقق الدكتور محمد أحمد محمد ملكاوى - طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ،راجع الدكتور السيد عبدالله محمد علام - الشيخ رحمت الله - جهوده فى الدعوة الإسلامية ورده على المخالفين ص٥٨ - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة]

متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات. وأكبر الأدلة على صدق الآية الكريمة فى أنه منزل من الله تعالى، وأنه باق إلى ما شاء الله فى علمه، وأيضا أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف »[1]، لأن هذا التحريف إما أن يكون فى اللفظ، أو فى المعنى، إلاّ أن حمله على تغيير لفظ أولى من حمله على تغيير المعنى، لأن كلام الله تعالى إذا كان باقيا على جهته، وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسموع، فإن أمكن أن يحمل على ذلك كما روى ابن عباس من أنهم زادوا فيه ونقصوا فهو أولى، وإن لم يكن ذلك فيجب أن يحمل على تغيير تأويله، وإن كان التنزيل ثابتا، وإنما يمتنع ذلك إذا ظهر كلام الله متواتراً كظهور القرآن الكريم[2].

فمن أمن بالله الواحد، الفرد الصمد، وأنه خلق ملائكة كراما بررة، وأنه تعالى أنزل كتبا لهداية الناس لله رب العالمين، وتأمين دعوات الأنبياء، وتصديق أخبار المرسلين ، ثم أمن برسل الله جميعا واليوم الآخر، وصدق بالقدر ، وأن الأمور تجرى بأقدار الله تعالى ، وسلم بها فهو المؤمن كامل الإيمان ، أما إذا شك فى اصل من هذه الأصول، فلا يقبل له اعتقاد ، ولا يصح له تسليم.

◄◄ ٤ـ الأيمان برسل الله تعالى صلوات الله عليهم أجمعين :ـ

النبوة منحة من الله تعالى ورحمة بعباده، وفى نفس الوقت هى لطف من ألطافه جل علاه، لا ينالها أحد بجد واجتهاد، وإلا كانت مكتسبة، وإنما تقع اصطفاء من الله لمن يريد أن يجعله نبيا رسولاً. قال تعالى: ﴿اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3].

وأخبر الله تعالى فى كتابه الكريم، أنه يعث رسلا بعدد الأمم التى خلقها، بحيث لا تخل أمة من بعثة الرسل. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4]، وبين جل شأنه أن كل رسول إنما جاء من جنس قومه ونوعيتهم، حتى يكون الأمر سهلا بالنسبة له فى إبلاغ رسالة

---

(١) الإمام فخر الدين الرازى – مفاتيح الغيب م٩ ج١١ ص٣٩٠.

(٢) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – ج١ ص٣٣٩ – ط١ المطبعة العامرة ١٣٠٨هـ، وراجع للإمام الطبرى – جامع البيان م١ ص٢٩٢/٢٩٢ – دار الجيل – بيروت ط٣/١٩٥٤م.

(٣) سورة الحج – الآية ٧٥ . يقول الإمام الزمخشرى: « هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ».[العلامة الزمخشرى – الكشاف – ج٣ ص٤٠]

(٤) سورة فاطر – الآية ٢٤ . يقول الحافظ ابن كثير : « وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث اللّه تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إنما أنت منذرٍ ولكل قوم هاد﴾(سورة الرعد – الآية ٧)، وكما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت﴾(سورة النحل – من الآية ٣٦) والآيات في هذا الشأن كثيرة »[الحافظ ابن كثير– تفسير القرآن العظيم– ج٣ ص ٥١٢].

الله إليهم، ويكون سهلاً عليهم فى التفاهم معه، لكونه ليس غريبا عنهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

وعن رسول الله ﷺ قال: « أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه »[٢].

وقد وردت أخبار تتحدث عن أعدادهم[٣]، وبيان الأنبياء منهم والمرسلين[٤]، وهى فى جملتها تؤكد خبر النبوة والرسالة فى كل من النبى والرسول، لكنها أمور سبقت ورسالات انقضت أخبارها، ولم تبق إلا الرسالة الخاتمة العامة، وهى دين الإسلام، الذى جاء به كل الأنبياء من لدن آدم حتى سيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٥].

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٤. يقول الإمام القرطبى : « قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول" قبلك يا محمد "إلا بلسان قومه وهو لغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة » [الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٤٣٦]

(٢) الإمام مسلم صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – الحديث رقم: ٥٢٠. وقال صلى الله عليه وسلم: « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٣٤ – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته– الحديث رقم: ١٥٣].

(٣) وردت بعض الأحاديث تذكر أن جملة الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى ففى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : « أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ... ».[الإمام ابن حبان – صحيح ابن حبان ج٢ ص٧٦ – ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها – الحديث: ٣٦١] وكذلك وردت بعض الأخبار ذكرت أن المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

(٤) يذهب البعض إلى وجود نوع من التداخل بينهما، وأن النبى هو الرسول، والنبوة هى الرسالة، وعلى هذا فهما بمعنى واحد، ويذهب فريق ثان إلى أن بينهما نوعا من العموم والخصوص، وبناء عليه. فهما متغايران بينما يذهب فريق ثالث رأيا آخر. [راجع المسألة فى شرح أم البراهين للعلامة السنوسى ، وحاشية على شرح أم البراهين للعلامة ابن عرفة الدسوقى، وحاشية تحقيق المقام للعلامة شيخ الإسلام الباجورى، وحاشية الجرجانى على مطالع الأنظار، ونور الظلام للعلامة محمد نووى الشافعى، وحاشية الشرقاوى على شرح الهدهدى، وشرح المواقف للإمام الجرجانى، وشرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى]

(٥) سورة التوبة – من الآية ٣ .

۞ **يقول العلامة الرازى** : « والمعنى أن الله تعالى أكمل الدين فلا يحتاج الناس إلى دين غيره، ولا إلى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلاَّ ما أحله، ولا حرام إلاَّ ما حرمه، ولا دين إلاَّ ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلاف »[١].

وبين ربنا عز شأنه أن سيدنا محمدا ﷺ مرسل للإنس والجن جميعا فى كل زمان ومكان، ألى أن يرث الله الخلائق جميعا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢]. ثم قال الشيخ محمد نووى: « والتحقيق انه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة، لكن باعتبار عالم الأرواح، فإن روحه خلقت قبل الأرواح، وأرسلها الله إليهم، فبلغت الجميع والأنبياء نوابه فى عالم الأجسام، فهو ﷺ مرسل لجميع الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة، حتى إلى نفسه لدخول الجميع تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله ﷺ [بعثت إلى الناس كافة]، فمن نفى عموم بعثته ﷺ فقد كفر »[٣]. وفى الحديث الشريف. قال ﷺ « وأرسلتُ إلى الخلقِ كافةً»[٤].

۞ **وقال تعالى** : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٥].

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى – مفاتيح الغيب م٥ ص٥٦٣ – ط١ دار الغد العربى بالقاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

(٢) سورة سبأ – الآية ٢٨ . يقول العلامة القرطبى: « وما أرسلناك يا محمد إلا للناس كافة وعامة، حيث جئت إليهم إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ كافا للناس عما هم فيه من الكفر، وتدعوهم إلى الإسلام، وتبشرهم بالجنة لمن أطاع وتنذر من النار لمن كفر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عدداً ».[الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج: ١٤ ص: ٣٠١/٣٠٠]

(٣) الشيخ محمد نووى الشافعى – نور الظلام ص٢٥

(٤) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧١ – الحديث رقم:٥٢٣ ، صحيح ابن حبان ج: ٦ ص: ٨٧ – الحديث رقم: ٢٣١٣، وهذا جزء من حديث سبق روايته.

(٥) سورة الأحقاف – الآية ٢٩ .

۞ **يقول العلامة أبو حيان**[١] : « هذه الآية توبيخ لقريش وكفار العرب، حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به، وهم من أهل اللسان، الذى أنزل به القرآن الكريم، ومن جنس الرسول الذى أرسل إليهم، وهؤلاء جن فليسوا من جنسه، وقد أثر فيهم سماع القرآن الكريم، وأمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا أنه من عند الله بخلاف قريش وأمثالهم فهم مصرون على الكفر به »[٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٣].

فالإيمان برسل الله أجمعين أصل من أصول الإيمان، وجزء من أجزاء العقيدة الإلهية، وأنهم جميعا من أهل العصمة عن الوقوع فى الكبائر سهوا، والصغائر عمداً، كما أن الله تعالى ميزهم بالفطانة بجانب الأمانة، وجعلهم ذكورا أحرارا، ليكونوا من الأقدر على تحمل أعباء الدعوة، والقيام بما يأمرهم به الله سبحانه وتعالى، فلم يجعل الله نبيا امرأة، بحيث تمنعها ظروفها عن القيام بأعباء ما يلقى إليها.

كما لم يجعله عبدا رقيقا تقع فيه المشاركة بين تفرغه لله، وانشغاله بأعباء أعمال سيده، كما أن الله لم يجعل نبيا ضعيف العقل؛ لأن كل ما ذكر يمثل صورا للضعف، وهى معوقة عن القيام بأعباء الرسالة.

۞ **قال الشيخ الباجورى**: « القول بنبوة مريم ابنت عمران، وآسيه امرأة فرعون، وحواء، ويوحانذ أم موسى، وهاجر وسارة مرجوح »[٤]، إذ لم تقم أدلة صحيحة عليه، وإنما هو من سهو الناقلين، أو أن بعض أصحاب النوايا الطيبة، نظروا إلى أعمالهن فرأوا نهاية من أعمال الأنبياء فأضافوهم إليهم من باب الأعمال الصالحة، لا من باب النصوص الشرعية الصحيحة

---

(١) الإمام أبو حيان هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان – الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسى الغرناطى النفرى نسبة إلى قبيلة البربر. ولد بمطخشاوش – مدينة من حضرة غرناطة فى أواخر شوال سنة أربع وخمس وستمائة. أهم مؤلفاته: البحر المحيط فى التفسير (النهر)، مختصرة أتحاف الاديب بما فى القرآن من الغريب، التذليل والتكميل فى شرح السهيل. وأخيرا قبل موته بقليل مات بالقاهرة. [طبقات المفسرين – الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ت: ٩٤٥ – تحقيق على محمد عمر ج٢ ط١ مطبعة الاستقلال الكبرى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م القاهرة]

(٢) الإمام أبو حيان – البحر المحيط – ج٨ص٦٧ – دار إحياء التراث العربى – بيروت ط٢/١٩٩٠م .

(٣) سورة الجن – الآيتان ١/٢ .

(٤) الشيخ إبراهيم الباجورى – حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٩ .

الراجحة[1]، وإدخال ملابسة الأعمال الصالحة في دائرة النبوة غير صحيح، لأن صاحب الأعمال الصالحة قد يقع له التبدل، كالحال مع الذى أتاه الله بعض الآيات فدخله الغرور، وزعم لنفسه أمورا أودت به فى الهلاك. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2].

۞ وقد نظم موانع النبوة الشيخ سراج الدين الأوكسى، فقال:

وما كانت نبيا قط انثى ∴ ولا عبد وشخص ذو افتعال[3]

۞ ويكرر الشيخ نووى الشافعى نفس الفكرة، فيقول: أعلم أنه لم يكن نبى من الأنبياء أنثى ولا رقيقا أبدا، وأما القول بنبوة ستة نفر من الإناث فهو مرجوح، وتلك الستة هن مريم، آسية، حواء، يوحانذ أم موسى، هاجر، سارة، واستشهد بنظم الشيخ عوض الغمراوى القائل:

ولم يكن فى الأنبياء أنثى ولا ∴ عبد ومجنون وشخص خبلا[4]

وعلى هذا فمن آمن بكل الأنبياء والمرسلين، ثم أنكر عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ للإنس والجن، فلا إيمان له، ومن أنكر عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ فى الزمان إلى يوم البعث، على سبيل التأبيد، فلا إيمان له، وإنما لابد له من الإيمان برسالة سيدنا محمد أيضا، وكونها عامة إلى كافة المكلفين على سبيل التكليف.

ولا مانع من الإيمان بأنها لكافة المخلوقين على سبيل التشريف، كالحال مع الملائكة، وعلى سبيل الرحمة، كالحال مع الحيوان، والتأمين من الخسف، كالحال مع النبات والجماد على ما ذهب إليه أهل العلم[5].

(١) الشيخ حسن عبدالعظيم السنديونى – أنبياء الله ص٤٥ ط أولى – الدار الجديدة ١٣٤٩هـ – مجموع المتون ط الحلبى ١٣٣٨هـ

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٧٥ .

(٣) الشيخ سراج الدين الأوكسى – بدء الأمالى ص١٧ .

(٤) الشيخ محمد نووى الشافعى – نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام للشيخ المرزوقى ص١٢ ط٣ الحلبى.

(٥) الشيخ محمد نووى الشافعى – نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام للشيخ المرزوقى ص ... ط٣ الحلبى.

٥. الإيمان باليوم الآخر:-

يعتبر اليوم الآخر من رحمات الله بعباده، لأنه غير معروف بالنسبة لموعده، وعلامات الساعة الكبرى تعطى علامات فيها الكثير من العموم، حتى يستعد أهل الإيمان للقاء الله تعالى قبل وقوعها، لأنها لو وقعت لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا. قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[1].

وقد كثر الحديث عن اليوم الآخر فى النقل المنزل، حتى إن يوم القيامة ذكرت كثيراً. يقول الإمام الغزالى: « وصف الله بعض دواهيها، وأكثر من أساميها، لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود بكثرة الأسامى، تكرير الأسامى والألقاب، بل الغرض تنبيه أولى الألباب، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر، وفى كل نعت من نعوتها معنى، فأحرص على معرفة معانيها »[2]. وقد جمع جملة من أساميها، كما وعد هو بذلك.

واليوم الآخر له مظاهر كونية عديدة، فيه تبدل الأرض غير الأرض، وتمور السماء مورا، وتسير الجبال سيرا، وتكور الشمس، وتتكور النجوم وتعطل العشار وتسجر البحار، قال تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٥٨ . ويقول صاحبا تفسير الجلالين: « هل ينظرون ما ينتظر المكذبون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي ربك أي أمره بمعنى عذابه أو يأتي بعض آيات ربك أي علاماته الدالة على الساعة يوم يأتي بعض آيات ربك وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طاعة أي لا ينفعها توبتها كما في الحديث قل أنتظروا أحد هذه الأشياء إنا منتظرون ذلك » [تفسير الجلالين ج١ ص١٩١]

(٢) الإمام أبو حامد الغزالى – إحياء علوم الدين ج٤ ص٥٠٠ – تحقيق الدكتور بدوى طبانة ط الحلبى وقد عد الإمام الغزالى أسمائها ما يربو على المائة، وكلها مأخوذة من النقل المنزل كالقيامة والحشر والندامة والمحاسبة والمساءلة، المسابقة والمنافسة والزلزلة، والراجفة والغاشية.

(٣) سورة التكوير – الايات ١٤/١ .

وآيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى سيدنا محمد بن عبدالله البشير النذير عن اليوم الآخر ومعالمه بدءا من انهدام الكون القائم،وخلق كون جديد، ومظاهر ذلك جاءت على سبيل الإيجاز تارة، وعلى سبيل التفصيل أخرى، مما يؤكد أن الأيمان باليوم الآخر ضرورة شرعية وعقلية أيضا.

ثم إن اليوم الآخر فيه النعيم المقيم لأهل الرضوان أو العذاب الأليم، الذى يقع على أهل العصيان، فنعيم الجنة فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكذلك العذاب تتعدد ألوانه،وتكثر أغلاله وسلاسله وسعيره.

كما أن اليوم الآخر يبتدئ من الموت إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ففى الأثر : عن أنس بن مالك ﷺ[1] أنه قال: «من مات فقد قامت قيامته»[2]، على أساس أن الموت يفرق بين حياتين. الأولى حياة الدنيا التى فيها العمل، والثانية الحياة الأخرى، التى فيها الأجر.

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المكثرين من الرواية عنه صح عنه أنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وأن أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبله وأن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنبها ومازحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ياذا الأذنين. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان ويجيء منه ريح المسك وكانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها قال علي بن المديني كان آخر الصحابة موتا بالبصرة. وعن أنس قال: جاءت بي أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام فقالت يا رسول الله أنس أدع الله له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة قال قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة وقال جعفر أيضا عن ثابت كنت مع أنس فجاء قَهْرَمَانُهُ فقال يا أبا حمزة عطشت أرضنا قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية وصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب تلتئم قال ثم مطرت حتى ملأت كل شيء فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال انظر أين بلغت السماء فنظر فلم تعد أرضه الا يسيرا وذلك في الصيف. ومناقب أنس وفضائله كثيرة جدا. [راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني . باب الألف بعدها نون. ٢٧٧ – ص ١٢٧/١٢٨]

(٢) العجلوني – كشف الخفاء ج٢ ص٣٦٨ رقم:٢٦١٨ وقال العجلوني : في المقاصد لـه ذكر في أكثروا ذكر هادم اللذات ورواه الديلمي عن أنس رفعه بلفظ اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته،وذكره أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء ج٦ ص٢٦٨ .

وعن بشر بن عبدالله بن بشار السلمي[1] قال « خطب عمر الناس فقال أيها الناس لا يبعدن عليكم ولا يطولن يوم القيامة فإن من وافته منيته فقد قامت عليه قيامته، لا يستطيع أن يزيد في حسن، ولا يعتب من سيء ألا لا سلامة لا مرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاصي، ألا وإن أولاهما بالمعصية الامام الظالم »[2].

باعتبار أن الموت انفصال عن الدنيا، ودخول في الآخرة، ولذا قيل الموت أول منازل حرة[3]، ولذا يفصل بين مفهوم اليوم الآخر،واليوم الأخير، بأن اليوم الأخير هو الذى يمثل نهاية حياة المرء فى دار الدنيا، فهو آخر يوم له فيها، ولذا سمى أخيرا، أما اليوم الآخر فهو حياة كاملة، طبقا لنواميس إلهية تصاحب المرء في البرزخ[4]، بعض مظاهرها ابتداء من ضمة القبر يبعثه الله للنشر أو الحساب. ففى الحديث الشريف عن أنس أن النبي ﷺ صلى وقف على صبي أو صبية فقال « لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي »[5]. وعن نافع قال أتينا صفية بنت أبي عبيد فحدثتنا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن كنت لأرى لو أن أحدا أعفي من ضغطة القبر لعفي سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة »[6]. وعن ابن عمر « عن رسول

---

(١) بشر بن عبد الله بن يسار السلمي الشامي الحمصي كان من حرس عمر بن عبد العزيز روى عن عبد الله بن بسر وعبادة بن نسي ورجاء بن حيوة ومكحول وغيرهم وعنه إسماعيل بن عياش وبقية وأبو المغيرة الخولاني وسعيد بن عبد الجبار وأبو سعيد محمد بن مسلم بن أبي الوضاح له عند أبي داود حديث واحد قلت ذكره بن حبان في الثقات وأخرج له الحاكم في المستدرك. [تهذيب التهذيب ج١ ص٣٩٧ رقم: ٨٣٣]

(٢) أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء ج٥ ص٣٢٥ ،وراجع كشف الخفاء ج١ ص١٨٩

(٣) العلامة عبدالمجيد السيد الغمرى – الموت فى القرآن الكريم ص٧ ط مكتبة زهران ١٣٣١هـ.

(٤) وحياة البرزخ تستمر إلى يوم البعث. قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون – الآية ١٠٠] ومن ورائهم برزخ يقول ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني إلى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى. [الطبري – جامع البيان ج١٨ ص٥٣]

(٥) العلامة الطبراني – المعجم الأوسط ج٣ ص١٤٦ – الحديث: ٢٧٥٣، المعجم الكبير ج٤ ص١٢١ الحديث: ٣٨٥٨، وأخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ج٣ ص٤٧

(٦) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمى – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٣ ص٤٧ .

الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه »[1].

وقال العلامة السندي: « ضمة القبر وضغطته عصره وزحمته قيل والمراد التقاء جانبيه على جسد الميت، قال النسفي يقال: أن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان لله عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليه لربها »[2].

وكذلك يلقى النعيم المقيم أو العذاب الأليم فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة »[3].

وعن أبي سعيد الخدري[4] قال: « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون قال أما إنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا من

---

(١) الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج٤ ص١٠٠ – ١١٣ باب ضمة القبر وضغطته الحديث: ٢٠٥٥

(٢) العلامة نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي المتوفى ١١٣٨هـ – حاشية السندي على النسائي – ج٤ ص١٠٠ – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب١٤٠٦هـ/١٩٨٦م – ط٣- تحقيق عبدالفتاح أبو غدة .

(٣) العلامة أبو حاتم ابن حبان – صحيح ابن حبان ج٧ ص٣٩٢ – ذكر الإخبار عن وصف التنين الذي يسلط على الكافر في قبره – الحديث:٣١٢٢ ، وراجع الترغيب والترهيب ج٤ ص١٩٣ – الحديث: ٥٣٩٠.

(٤) أبو سعيد الخدرى : هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر ومحمود بن لبيد وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل ومن كبار التابعين بن المسيب وأبو عثمان النهدي وطارق بن شهاب وعبيد بن عمير وممن بعدهم عطاء وعياض بن عبدالله بن أبي سرح وبشر بن سعيد ومجاهد ...وآخرون وهو مكثر من الحديث. وكان من أفقه أحداث الصحابة ومن أفاضل الصحابة، وحفظ حديثا كثيرا وروى الهيثم بن كليب في مسنده من طريق عبدالمهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس على ألا تأخذنا في الله لومة لائم فاستقال السادس وقيل مات سنة أربع وسبعين. [راجع الإصابة لابن حجر – في: ذكر من اسمه سعد ساكن العين. في الفصل: ٣١٩٨ (ص:٧٨)]

ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال ويقيض الله له سبعين تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضي به الحساب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »[1].

ثم يأتي بعد حياة القبر البعث[2]، وهو رد الله الأرواح إلى الأجساد داخل القبور، استعداداً لمرحلة تأليه له، يأذن بها الله تعالى[3]، قال جل شأنه: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[5].

وعموم الآية دال على وقوع الصعق[6]، لكل مخلوق حتى السماوات والأرضين، ويدخل فيهما من كان مرتبطا بهما دخولا أوليا وفيهم الملائكة، أما المستثنى من الصعق، فذلك مما لم

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٤ ص٦٣٩ – ٢٦ باب – الحديث: ٢٤٦٠ ، وأخرجه الهيثمي – مجمع الزوائد ج٣ ص٤٦

(٢) وردت مادة ب ع ث في القرآن الكريم حوالى ثمان وستين مرة. [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – باب الباء ص١٢٤/١٢٥]

(٣) الشيخ محمد عبدالعظيم النبهاني – البعث في القرآن والسنة ص١٣ ط الدار اليمنية ١٣١٣.

(٤) سورة التغابن – الآية ٧ . حيث يقول تعالى ذكره زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم، وقوله: "قل بلى وربي لتبعثن" يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن من قبوركم ثم لتنبؤن بما عملتم يقول ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا وذلك على الله يسير. [الطبري – جامع البيان ج٢٨ ص١٢١]

(٥) سورة الزمر – الآية ٦٨ .

(٦) قيل هو الموت، وقيل إنه غير الموت بدليل قوله تعالى ﴿ وخر موسى صعقا ﴾ الأعراف ١٤٣، مع العلم بأنه لم يمت. (الإمام الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – م١٣ ج١٦ ص٤٧٨) .

ينص عليه الله جل علاه فى القرآن الكريـم، وإن كـانت هنـاك بعـض ظواهـر مـن السـنة النبويـة المطهرة تقرر بعض المستثنيين من عموم الصعق ففى الحديـث الشـريف الذى رواه أبـو هريـرة ﷺ قال: « قال رسول الله: يأتى ملك الموت للملـك العـلام، فيقـول الملـك العـلام رب العـالمين لملـك الموت: يا ملك الموت من بقى وهو أعلم جل جلاله؟ فيقول بقى جبريل وإسرافيل وميكائيل وحملة العرش، وبقيت أنا فيقول الملك: ليمت جبريل، ليمت إسرافيل، ليمت حملة العرش ويبقـى ملـك الموت، فيأتى للملك فيقول له الملك: أنت خلق من خلقى وخلقتك لما تـرى فمـت يـا ملـك المـوت فيموت ويبقى الله الواحد الحى الذى لا يموت»[1].

❁ **يقول الإمام الباجورى**: « البعث عبارة عن إحياء الله الموتى بعد جمع الأجزاء الأصليـة، وهـى التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ولو قطعت قبل موته بخلاف التـى ليسـت مـن شأنها ذلك كالظفر »[2]، والشعر ومالا يكون فى إعادته إلى الأصول غاية.

أما النشر فهو إخراج الله الموتى مـن قبورهـم بأرواحـهم وأجسـادهم، إذن همـا مرحلتـان تأتيان على سبيل التتابع، لكن ما هى المدة التى تفصل بين البعث والنشر، ذلـك ممـا اخفـاه الله تعالى عنا، ربما لأن عقولنا لا تطيقه، فيكون ذلك الإخفاء من بـاب اللطـف بنـا والرحمـة، وربمـا لحكمة يعلمها الله جل علاه، وليس فى علمنا بها مزيد فائدة.

ثم يعقب النشر الحشر[3]، وهو سوق الله الناس إلى أرض الحشر، فعن سهل بن سعد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضـاء عفـراء كقرصة نقي، قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد »[4].

---

(١) أورده الإمام القرطبى فى كتاب التذكرة فى أحول الموتى وأمور الآخرة ص١٩٥ - مكتبة دار التراث.

(٢) العلامة شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى – حاشية البيجورى على الجوهـرة ص٩٨ وبهامشـها تقريـرات العلامة الأجهورى المطبعة الأزهرية ١٣١٠هـ

(٣) ورد الحشر على قسمين:

- القسم الأول– حشر الدنيا وهو نوعان: النوع الأول، حشر أهل الكتاب فـى قولـه تعـالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سـورة الحشر – الآيـة ٢]. النـوع الثـانى حشر الساعة: وهو الذى يكون من أشراطها.
- القسم الثانى– حشر الآخرة . وهو نوعان: الأول: حشر الأموات مـن قبورهـم وغيرهـا بعـد البعـث جميعا إلى الموقف قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف – الآية ٤٧]. النوع الثانى : حشر الجنة أو النار، فاهل الجنـة يحشـرون إليها، وأهل النار يحشرون فيها. [راجع للشيخ محمد زكى الدين أبـو هاشـم– جـامع البيـان فيمـا اتفق عليه الشيخان ج٣ ص٣١٥/٣١٦]

(٤) الإمام البخارى – صحيح البخـاري ج٥ ص٢٣٩٠ – رقـم: ٦١٥٦ ،وأخرجـه مسـلم – صحيـح مسـلم ج٤ ص٢١٥٠ – ٢ باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة – الحديث: ٢٧٩٠]

وعن أنس رضي الله عنه قال: « بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خبرني بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه »[1].

❁ **ويقول الإمام الغزالي:** « وهي ارض بيضاء، قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا، ولا ترى عليها ربوة، يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة، ينخفض عن الأعين فيها، بل هو صعيد واحد بسط لاتفاوت فيه، يساقون إليه رمزا، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض، أو ساقهم بالراجفة، تتبعها الرادفة[2].

والناس في الحشر مختلفون بأعمالهم وتوفيق الله تعالى لهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا »[3].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال « أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة »[4]، فسبحان من له الجلال والكمال، ومن بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج٣ ص١٢١١ – الحديث: ٣١٥١

(٢) الأمام الغزالي – إحياء علوم الدين ص٤٩٦ .

(٣) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص٢٣٩٠ – ٤٥ باب كيفية الحشر – رقم:٦١٥٧ .

(٤) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص٢٣٩٠ – ٤٥ باب كيف الحشر – رقم: ٦١٥٨

وعن ابن عبس رضى الله عنهما قال « قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده[١]. وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم[٢]، قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم »[٣]. وعن ابن عباس أيضا قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « (إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلا) قال سفيان[٤] هذا مما نعد أن بن عباس سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم »[٥].

ويأتى بعد الحشر الحساب والميزان، ثم الصراط، وأخيرا يستقر أهل الرضوان فى الجنات، رحمة من الله وفضلا، ثم يتجلى عليهم ربنا الرحيم الرحمن. أما أهل الكفران فإنهم يستقرون فى قعر جهنم حيث النيران، عدلا من الله تعالى. ولا يظلم ربك أحداً، وذلك كله من علم الغيب، الذى لا يعلمه ألا الله تعالى، ولم يخبر به إلا هو جل شأنه فى كتابه وعلى لسان رسوله سيدنا محمد ﷺ ،ونؤمن به نحن أهل الإسلام على ما جاءنا من الله تعالى ورسوله.

فمن أنكر البعث أو كذبه، فإنه يكون غير معتقد بأصول الإيمان، لأن البعث أصل من أصول الإيمان، ومن يكفر ولو بواحد منها فلا إيمان له. فعن خباب بن الأرت[٦] قال: « كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه قال: لا أعطيك حتى تكفر

---

(١) قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء – الآية ١٠٤]

(٢) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة – الآيتان ١١٧/١١٨]

(٣) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص٢٣٩١ – ٤٥ باب كيف الحشر – رقم: ٦١٦١

(٤) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى – أبو عبدالله الكوفى . قال فيه النسائى هو أجل من أن يقال فيه ثقة. توفى سنة ١٦١ هـ . [تهذيب التهذيب جـ٤ ص٩٩، والجرح والتعديل جـ١ ص٥٥، والتقريب جـ٢ ص٣١١]

(٥) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص٢٣٩١ – ٤٥ باب كيف الحشر – رقم: ٦١٥٩

(٦) هو « خباب بن الأرت ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم أبو يحيى التميمي، من نجباء السابقين له عدة أحاديث وقيل كنيته أبو عبد الله شهد بدرا والمشاهد، حدث عنه مسروق وأبو وائل وأبو معمر وقيس بن أبي حازم وعلقمة بن قيس وعدة، ومات بالكوفة سنة سبع وثلاثين وصلى عليه علي، وقيل عاش ثلاثا وسبعين سنة. وقال مجاهد أول من أظهر إسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وبلال وصهيب وعمار. وعن مسروق عن خباب قال كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت اتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث فقال إذا بعثت وكان لي مال فسوف أقضيك فقلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا مريم » [راجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٢٣/٣٢٤ - رقم: ٦٢].

بمحمد صلى الله عليه وسلم فقلت لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت: أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا »[١].

٦- الإيمان بالقضاء والقدر:

شأن المؤمن بالعقيدة الإلهية التسليم لله تعالى بكل ما يأمر به وينهى عنه، والاعتقاد في ان قضاء الله تعالى قائم، وقدره نافذ،ولأنا لا نعلم حقيقة ما فى القضاء والقدر الإلهى، فإن التسليم الحقيقى بالقضاء والقدر يمثل اصلا من أصول العقيدة الإلهية، على أساس أن القضاء هو ما دون فى علم الله الأزلى، أما القدر فهو تنفيذ ما فى علم الله جل علاه، كل بحسب وقته المقدر له. فالقضاء علم والقدر عمل.

فقد ذهب الأشاعرة إلى أن قضاء الله هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ماهى عليه، فيما لا يزال، وقدره هو إيجادها على قدر مخصوص، وتقدير معين فى ذواتها وأحوالها[٢]. وظواهر النقل المنزل ربما حملت على تأييد هذا الاتجاه.

بينما ذهب الماتريدية إلى أن القضاء الإلهى هو الفعل والخروج بالموجودات من العلم الأزلى، إلى الوجود الفعلى، وأن القدر هو العلم[٣]، لكن ظواهر النصوص الشرعية ربما تقف لصالح

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٢ ص٧٣٦ – ٢٩ باب ذكر القين والحداد – الحديث: ١٩٨٥ .

(٢) الإمام السيد الشريف الجرجانى – شرح المواقف – الموقف الخامس ص٢٩٦ ولمزيد من التفاصيل راجع الأربعين فى أصول الدين ج١ ص٣١٩ وما بعدها ،و نهاية العقول فى دراسة الأصول، والمطالب العالية من العلم الإلهى ج٩ فى الجبر والاختيار والقضاء والقدر ومفاتيح الغيب للإمام الرازى، وللآمدى أفكار الأفكار فى أصول الدين وللإمام السعد – شرح المقاصد.

(٣) الإمام النسفى – كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٣٢/٣٣٣ وللإمام الماتريدي – كتاب التوحيد ص٣٠٦، وللإمام البياضى – إشارات المرام من عبارات الإمام ص٢٦٤ وما بعدها. والإمام النسفى هو : هو الشيخ أبو المعين ميمون بن محمد النسفى كان شيخ صالح حسن السيرة. توفى سنة ثمان وخمسمائة (٥٠٨هـ) [راجع تكملة الإكمال ج٢ ص٦١١ رقم:٢٣٤٣] ومن مؤلفاته : تبصرة الأدلة فى الكلام. الذى جمع فيه ما جل من الدلائل في المسائل الاعتقادية وبين ما كان عليه مشايخ أهل السنة وأبطل مذاهب خصومهم معرضا عن الاشتغال بإيراد ما دق من الدلائل سالكا طريقة التوسط في العبارة بين الإطناب والإشارة فجاء كتابا مفيدا الى الغاية. [راجع كشف الظنون ج١ ص٣٣٧] وبحر الكلام، والتمهيد لقواعد التوحيد وعليه شرح لحسام الدين سحين بن علي الصغناقي الحنفي المتوفى سنة ٧١هـ وسماه التسديد. [راجع كشف الظنون ج١ ص٤٨٤]

اتجاه الأشاعرة فى أن القضاء علم والقدر عمل،وكذلك بعض الاتجاهات اللغوية تعـين على تفهم وجهة نظر الأشاعرة[١].

على ان الإيمان بالقضاء والقدر ليس فى مجـرد تعريـف كـل منـهما،وإنمـا فـى التصديـق بأنهما من صفات الله تعالى، وأنهما من حيث الحقيقة لا يعلمهما إلا الله تعالى، ومع ذلك فـالمؤمن بالقضاء والقدر يرضى بما يجيء فيه من خير أو شر، على أساس أن أفعال الله تعالى كلها خـيرة، وان النظر فيها أو إليها على غير ما هو مقرر فى الشرع الإلهـى ، يعتـبر خروجـا علـى اصـل مـن أصول العقيدة الإلهية ، سواء أكان ذلك الخروج من باب الشك فيها ، أو الإنكار لها[٢].

أجل كلفنا الله تعالى ببذل الطاقة المكنة فى كل مـا يوكـل إلينـا مـن أعمـال ، إذ علينـا العمل وعند الله تعالى الأجر والثواب، لقوله تعـالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣]، وفـى الحديـث الشريف : عن علي بن أبى طالب[٤] – كرم الله وجهه – قال: « كان رسول الله صلى الله عليه

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة كتابنا : الأيمان بالغيب وأثـره علـى الفكـر الإسـلامى ص٣٦٧/٤٢٧ – الطبعة الثانية.

(٢) وفى الحديث القدسى يقول رب العزة جل عـلاه : « مـن لم يـرض بقضائى ولم يشـكر لى نعمـائى، ولم يصبر على بلواتى ، فليخرج من أرضى وسماتى ، وليختر له رب سوالا » .

(٣) سورة التوبة – الآية ١٠٥ .

(٤) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينـة ألا ترضـى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولمـا آخـى النـبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له أنت أخي ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد لم ينقل لأحـد مـن الصحابة ما نقل لعلي وقال غيره وكان سبب ذلك بغض بني أمية له فكان كل من كان عنده علم مـن شـيء من مناقبه من الصحابة يثبته وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لا يزداد إلا انتشارا وقد ولـد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها وتتبع النسائي ما خص به مـن دون الصحابـة فجمـع مـن ذلـك شيئا كثيرا بأسانيد أكثرها جياد . روى عن النـبي ﷺ كثـيرا ، وروى عنـه مـن الصحابـة ولـداه الحسـن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس وأبو رافع وابن عمر وأبـو سـعيد وصـهيب وزيـد بـن أرقـم وجرير وأبو أمامة ، و قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام،وقتله غدرا ابـن ملجـم فـى رمضـان عـام ٤٠هـ [راجع الإصابة لابـن حجـر – العـين بعدهـا الـلام.. رقـم: ٥٦٩٢ [ص:٥٦٥/٥٦٦] ، وراجـع للعلامة أبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالـبر – الاسـتيعاب فـى معرفـة الصحابـة – تحقيـق محمد البيجاوى – دار الجيل – بيروت ١٩٩٢م]

وسلم ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۔ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۔ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۔ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۔ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۔ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[1]»[2].

إذ لا يمنع الاعتقاد في القضاء بالقدر من الأخذ بالأسباب المشروعة ، بل إنه يدفع إليها ، ويحث عليها، كما أنها من مقتضيات الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن المرء لا يعلم ما يختبئ بالغيب الحاضر، ولا يمكنه التنبؤ بالمستقبل، كما لا يدعى المؤمن معرفة شيء من ذلك، وبالتالى فهو في أمن الله وأمانه، في كرم الله وضيافته، حريص على العمل المشروع، بكل طاقة ممكنة، طبقا لما وردت به النصوص الشرعية ، وفي نفس الوقت فإن المؤمن بالله تعالى ينظر إلى القضاء و القدر ، على أنهما من صفات الله تعالى ، والإيمان بالصفات الإلهية هو نفس الإيمان بالذات الإلهية وأفعالها وصفاتها.

من جملة ما سبق : يمكن القول بأن هذه الأصول الستة هي التي تجمع أطراف العقيدة الإلهية الصحيحة ، بحيث أن آية ديانة تخرج في شيء منها عن هذه الأصول ، يكون الحكم عليها بأنها ديانة فاسدة وثنية ، ويمكن وصف القائمين عليها والداعين إليها بأنهم يعتقدون أمورا غير صحيحة، ويمارسون أفعالا ليس لها شيء من القبول عند الله تعالى، إنها ديانة وثنية على كل ناحية، لأنها خارجة تماما على ما جاء من عند الله تعالى.

ثم إن الاعتقاد الصحيح، الذي يقوم على هذه الأصول الإلهية، يتبعه القيام بالتكاليف الشرعية، إذ الانفصال بين العقيدة والشريعة ، إنما هو انفصال في طرائق ما يستلزمه العلم والعمل، الذي يستوجب الممارسة،وبالتالي فانفصالهما النظرى ، يستلزم تطابقهما العلمى والعملى والسلوكي.

ولذا عرف جمع من العلماء الإيمان بأنه : ما وقر في القلب وصدقه العمل[3]. ودل على ذلك صحيح الأثر، فعن سفيان بن عبد الله الثقفي[4] قال قلت يا رسول الله قل لي قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم[5].

---

(١) سورة الليل - الآيات ٥ / ١٠ .

(٢) الإمام مسلم صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٤٠ – الحديث: ٢٦٤٧ .

(٣) الشيخ منصور محمد المنياوى – الإيمان والإسلام،ص ٢٣ ط دار الهدى ١٩٤٣م.

(٤) سفيان بن عبدالله بن ربيعة الثقفي كنيته أبو عمر، له صبحة من النبي صلى الله عليه وسلم. حديثه في البصريين وقال بعضهم في أهل الطائف. روى عنه عروة بن الزبير في الإيمان. [رجال مسلم ج١ ص٢٨٥ رقم:٦١٥]

(٥) صحيح ابن حبان ج٣ ص٢٢١ - ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري تعالى الثبات والاستقامة على ما يقربه إليه بفضل الله علينا بذلك - الحديث:٩٤٢

فالإيمان هو الممثل للعقيدة الصحيحة، التي جاءت فـي الأصـول السـتة . أمـا التكـاليف الشرعية، فقد جاء في قوله ﷺ : « ثم استقم » لأنها تمثل الجانب العملي التطبيقـي ، وليـس من الصواب القول بان الإيمان غير الإسلام في الحقيقـة والمفهوم، لأنـهما يتكـاملان ، وهمـا معـاً يمثلان العقيدة الصحيحة لدين الإسلام الذي شرعه الله تعالى

◈ **ربما يقال**: إن الإيمان له أصول ستة على ما سلف القول به، وللإسلام قواعد خمسـة[1]، فـإذا وقع التفاوت في الأداء بالنسبة لقواعد الإسلام ، كأن يصلي ولا يصوم ، أو لا يحج ومـع هـذا لا يسلب عنه الوصف بأنه مسلم ، فلماذا بالنسبة للإيمان إذا وقع هذا التفاوت فـي الأجـزاء، فقد المرء هذا الوصف بالإيمان ولم يحكم عليه بأنه مؤمن؟

☞ **والجواب** : أن الأصول الإيمانية كل لا يتجـزأ إلا فـي عمليـة الاعتقـاد والممارسـة، لأنـها فـي الحقيقة أمور مجتمعة، مرتبط بعضها مع البعض الآخر ، على أنها تمثل العقيدة الصحيحـة، وبالتالي فالكفر أو الإنكار أو الشك في واحدة منـها ، يستتبعه إنكـار بـاقي الأصـول مـن غـير منازعة في ذلك

كما أن قواعد الإسلام هي الأخرى تتكامل فيما بينها بحيث لو أنكر واحد ركنا مـن هـذه الأركان، فإنه لا يكون مؤمنا ولا مسلما، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان ذلك كثيرة.

منها في الصلاة[2]. قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[3]. يقول الإمـام القرطبـي : « "فـإذا اطمـأننتم" أي أمنتـم مـن الخـوف.

---

(١) يقول رسول الله ﷺ: « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْس شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَـاءِ الزَّكَاةِ وَالحَجِّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ ».[الإمام البخاري – صحيح البخاري – جـ١ – باب الإيمان، وقـول النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس). الحديث رقم: ٨ . وذكره العلامة السندي – حاشية السندي على السنائي – : ٢٢٢٩ ـ باب على كم بني الإسلام– الحديث رقم: ٤٩٩٩ وقال السندي « [بني الإسلام] يريد أنه لا بد من اجتماع هذه الأمور الخمسة ليكون الإسلام سالما عن خطر الزوال وكلما زال واحد من هذه الأمور يخاف زوال الإسلام بتمامه وللتنبيه على هذا المعنى أتي بلفظ البناء وفيه تشبيه الإسلام ببيت مخمسة زواياه أو تلك الزوايا أجزاؤه فبوجودها أجمع يكون البيت سالما وعند زوال واحد يخاف على تمام البيت وإن كان قد يبقى معيوبا أياما والله تعالى أعلم، والمراد الشهادة بالتوحيد على وجه يعتد به وهو أن تكون مقرونة بالشهادة والله تعالى أعلم »]

(٢) هي الرابط الوثيق الذي يبرز العقيدة في شكل عملي، ولذا فإن العلماء يقولـون: إن الصـلاة هـي العلامـة الوحيدة بين الإنسان وربه. ففي الحديث الشريف: عن عمر رضي الله عنه قال: « جـاء رجـل فقـال يـا رسول الله أي شيء أحب عند الله في الإسلام؟ قال الصلاة لوقتها ومن ترك الصـلاة، فـلا ديـن لـه والصـلاة عماد الدين »(الشيخ إسماعيل محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – دمشق . ج٢ ص٣٩ – الحديث رقم: ١٦٢١ – مكتبة الغـزالي ، وقـال العجلوني: رواه بعض الفقهاء بلفظ الصلاة عماد الدين فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها فقـد هـدم الديـن يعني دين نفسه.).

(٣) سورة النساء – الآية ١٠٣

"فأقيموا الصلاة" أي فأتوها بأركانها وبكمال هيئتها في السفر. وبكمال عددها في الحضر. "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" أي مؤقتة مفروضة. وقال زيد بن أسلم: "موقوتا "منجما. أي تؤدونها في أنجمها[1]. وهذا قول زيد بن أسلم بعينه. وقال: "كتابا "والمصدر مذكر، فلهذا قال: "موقوتا" »[2].

ومن لم يؤمن بها فهو الكافر بالله رب العالمين، فعن جابر بن عبد الله[3] ﷺ قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة »[4]. وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من ترك الصلاة فقد كفر »[5]، واستقرت الأحكام الفقهية بان تارك الصلاة جحداً يستتاب، وإلا قتل بحد تارك الصلاة.

ومنها في الزكاة[6] قول الخليفة الأول لرسول الله ﷺ : « والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله ، لقاتلتهم عليه »[7]، وقوله : « والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، أو

---

(١) والمعنى عند أهل اللغة: مفروض لوقت بعينه، يقال: وقته فهو موقوت. ووقته فهو مؤقت.

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٢ص٣٤٥ .

(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبدالله وأبا عبدالرحمن وأبا محمد وهو أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة. روى مسلم من طريق عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يقول غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قال جابر لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي فلما قتل لم أتخلف، وعن جابر قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمل خمسا وعشرين مرة أخرجه أحمد وغيره عن أبي الزبير عنه. وقال قتادة قال كان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا بالمدينة جابر، حيث سنة أربع وسبعين، ويقال: إنه عاش أربعا وتسعين سنة. راجع الإصابة لابن حجر – وجدت في: الجيم بعدها الألف.. في الفصل: ١٠٢٧[ص: ٤٣٤]

(٤) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٥ ص١٣ – ٩ باب ما جاء في ترك الصلاة – الحديث: ٢٦١٩ . وأخرجه ابن ماجة – سنن ابن ماجه ج١ ص٣٤٢– ٧٧ باب ما جاء فيمن ترك الصلاة – الحديث: ١٠٧٨. والإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٣ ص٣٧٠ – الحديث: ١٥٠٢١.

(٥) العلامة المنذري – الترغيب والترهيب ج: ١ ص: ٢١٧ رقم: ٨٣٠ .

(٦) الزكاة: في اللغة النماء، وفي لسان الشرع سميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات. [الشيخ سيد سابق – فقه السنة طبعة ١٩٨٨م ج١ ص٢٧٦]

(٧) الدكتور عبدالفتاح شحاته –تاريخ الخلفاء الراشدين ج١ ص٥٧

من فرق بين الزكاة وشهادة لا إله إلا الله » وقصة من عاهد الله في سورة التوبة واضحة في أن منكر الزكاة في النار.

ومنها في الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]. يقول الإمام الطبرى – رحمه الله – : « يعني بذلك جل ثناؤه: أنه فرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام والحج إليه. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم: هي الزاد والراحلة »[2].

وقد بشر الله الحجاج بأن لهم من الله تعالى كامل المغفرة، ففي الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم « يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[3]، فصار الحاج كأنه لم يقع في ذنب أبداً، فكما أن المولود حين يولد لا يكون حاملاً لأى خطأ، لأنه لم يذنب، فصار أمر الحاج الذى لم يرفث ولم يفسق إذا قبل الله منه حجه، كحال هذا المولود فيما لو قبضت روحه، من حيث إنه يذهب إلى ربه، ولا ذنب عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ أيضا قال: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور »[4]، والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة على ما ورد به الحديث الشريف، وقد تمسك بذلك أهل الإسلام وأفاضوا فيه شرحا وتعليقا.

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ٩٧.

(٢) العلامة الطبرى – جامع البيان ج٤ ص١٦/١٥.

(٣) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم:١٤٤٩، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٣ – باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث رقم: ١٣٥٠.

(٤) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم:١٤٤٧ وروى أيضا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت « يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم:١٤٤٨)

من ثم فإن الإسلام والإيمان يتكاملان، بحيث لا يصلح إيمان لصاحبه بدون ممارسة الأحكام الشرعية، مادامت لديه الفرصة ويستطيع ذلك ، ولا يصلح إسلام بدون إيمان، لأنه لا يصلح الجسد بدون أن تكون له رأس.

بيد أني أرى صواب إطلاق لفظ العقيدة على العقيدة الصحيحة الإلهية وحدها، لأنها عقيدة واحدة ولها أجزاء،وإطلاق لفظ العقائد على الديانات الفاسدة، لأن العقيدة الإلهية واحدة المصدر لكونها من لدن رب العالمين، واحدة التبليغ، لأنه ينقلها رسول أمين، واحدة النصوص، لأنه يصونها كتاب كريم واحد، ثم أنها تتكامل فيما بينها[1]، أما الديانات التي تتعدد فإنها التي يطلق عليها لفظ العقائد ، بناء على أن كل واحدة منها لها استقلال عن باقي العقائد الأخرى في الاعتقاد والممارسة، ولا يسلب من المعتنقين لبعضها الجاحدين للبعض الآخر – الوصف القائم عليها– .

فمثلا في البوذية[2] والكونفوشيوسية[3] وغيرهما ، متى اعتقد أحد الأفراد الاعتقاد في الإله براهما وجحد بالإله فيشنو فإنه يوسم بالبوذية أيضا، دون نظر لشيء آخر، وكذلك الحال في اليهودية والمسيحية، فإن الواحد منهم قد يعتقد في التثليث مثلا على نحو من الأنحاء، لكنه

---

(١) الشيخ محمد عبدالعظيم – معالم العقيدة الصحيحة ص٥٣ .

(٢) وجدير بالذكر أن مؤسس البوذية اسمه الحقيقي هو " سورانا أوجوناما " ، عاش ما بين أعوام ٥٦٦/ ٤٨٦ ق .م Goutama Siddhartha ، ابن حاكم ساكاس ، ولهذا يسمى حكيم ساكاس ، ولد بإقليم نيبال في القسم الشمالي من الهند الوسطى ، والبوذية تتنوع إلى :–

أ– بوذية شن : وهي مدرسة الأرض الطاهرة الحقة ، وهي إحدى المدارس البوذية في اليابان .

ب– البوذية التنترية : وهي تمثل تطورا هاما في بوذية الهند والبلاد المجاورة ، لا سيما التبت ، وتستخدم لغة موغلة في الرمزية. [دكتور/ إمام عبدالفتاح إمام – معجم ديانات وأساطير العالم – (مجلد ١ ص٢٢٤، مجلد ٢ ص ٢٤٦ / ٢٩٩) مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٥م]

(٣) ترجع هذه الديانة إلى كونفوشيوس الذي أشاع بين الصينيين، أن عبادة الأسلاف هي اصل العقيدة الكونفوشيوسية، وموقف كونفوشيوس من جعل عبادة الأسلاف موقف رسمي في الدين الكونفوشيوسي. وما كان مطلب كونفوشيوس لإجراء طقوس وتقديم قرابين، تكريما للأسلاف، لم يكن من أجل الأرواح بذاتها، ولا من أجل إكرامها، أو من أجل استدرار عطفها؛ لأن هذه الطقوس قائمة من قديمة الزمان »[سيراغي أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم – ترجمة الدكتور : أحمد م. فاضل ط أولى ١٩٩٨م – الأهالي للتوزيع بدمشق سوريا]

لا يقر بكل من الأبوة والبنوة لله . أولا يعتقد فى أن الآلهة ثلاثة. أو أن الأبوة فى الآلهة غير حقيقية[1]، وهذا الفارق واضح بالنسبة للعقيدة الصحيحة والعقائد الوثنية

جـ العقائد الفاسدة

تتعدد العقائد الفاسدة باعتبارات مختلفة ، لأنها قد يأتيها الفساد من ناحية نوعية تأليه الآيات الكونية، أو تأليه الظواهر الجوية، أو تأليه المنافع والمخاوف، أو تجسيد الإله فى شيء من الظواهر المرئية، إلى غير ذلك من النواحى التى تجيء فيها ألوان الفساد للعقيدة التى يتمسك بها أصحابها على أى جانب من جوانب التشبيه أو التجسيد .

وقد يكون الفساد من ناحية تعدد الآلهة كأن تكون فكرة الثنائية فى الآلهة هى الموقع الثابت، وقد بين الله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[2].

يقول العلامة القرطبي : « لا تتخذوا اثنين إلهين، ولما كان الإله الحق لا يتعدد وأن كل من يتعدد فليس بإله اقتصر على ذكر الاثنين لأنه قصد نفي التعديد، إنما هو إله واحد يعني ذاته المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته»[3] جل علاه فى الذات والصفات والأفعال.

أو يكون التعدد فى الآلهة من خلال ثلاثة آلهة لكل واحد منهم اختصاص ثابت مستقل، وقد بين الله تعالى فساد ذلك أيضا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ

---

(١) مال إلى التأويل فى هذه العقائد البروتستانت وغيرهم من أصحاب الكتابات المسيحية الحديثة كالقس عوض سمعان.

(٢) سورة النحل الآية ٥١ .

(٣) تفسير القرطبي ج: ١٠ ص: ١١٣ . ويقول العلامة الطبرى : « يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا ولا شريك لي إنما هو إله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فإياي فارهبون يقول فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا »[تفسير الطبري ج: ١٤ ص: ١١٨]

وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلا إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أفـلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وكل عقيدة يقع فيها أى نوع من أنواع تأليه مخلوق، أيا كـان نوعـه، فـالصواب وصفـها بأنها وثنية.

الرابع: الوثنية

☆ **الوثن**[2] هو التمثال المصور من دون الله تعالى، سواء أكان من خشب أم حجر أو من نحـاس أو فضه، أو كان من غير ذلك، وسواء أكان التمثال هـو المعبـود لذاتـه أم باعتبـار أنـه يعبر عـن مخاوف أو منافع، وسواء أكان التمثال مصورا أم كائناً قائما فى الذهن، تصنع له صـور بحكـم ثقافة واعتقادات المتعبدين له؛ لأن الوثنى هو من يعبد الوثن على أية ناحية.

---

(١) سورة المائدة ٧٣ . يقول الإمام ابن كثير : « والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة قاله مجـاهد وغـير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك كفـارهم في قولهـم بالأقـانيم الثلاثـة وهـو أقنـوم الأب، وأقنـوم الأبن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عـن قولهـم علـوا كبـيرا قـال ابـن جريـر وغـيره والطوائف الثلاثة من الملكانية واليعقوبية والنسـطورية التـى تقـول بـهذه الأقـانيم وهـم مختلفـون فيـها اختلافا متباينا، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحـق أن الثلاثـة كـافرة وقـال السـدي وغـيره نزلـت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الإعتبار قال السدي وهي كقوله تعـالى في آخر السورة وإذ قال الله ياعيسى ابـن مريـم أأنـت قلـت للنـاس اتخذونـي وأمـي إلهـين مـن دون الله قـال سبحانك الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم قال الله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي ليس متعـددا بـل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ثـم قـال تعـالى متوعـدا لهـم ومتـهددا وإن لم ينتهوا عما يقولون من هذا الافتراء والكذب ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليـم في الآخـرة مـن الأغـلال والنكال ثم قال أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفـور رحيـم وهـذا مـن كرمـه تعـالى وجـوده ولطفـه ورحمته بخلقه فمع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكـل مـن تاب إليه تاب عليه وقوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت مـن قبلـه الرسـل وهـم أمثالـه مـن سائر المرسلين المتقدمين عليه وإنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال إن هو إلا عبد أنعمنـا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل » [تفسير ابن كثير ج٢ ص٨٢]

(٢) الوَثَن كل مَالَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرْض أو من الخَشَب والحِجـارة كصُـورةِ الآدَمـيّ تُعْمَـل وتُنْصَـب فتُعْبَد، فهو ما اتُّخِذ إلهاً من دون الله تعالى ، فكل ما كان ليس له جسمٌ أو صورةٌ فهو وثنٌ. [النهايـة في غريب الحديث ج٥ ص١٥٠]

☆ **أما الصنم**[1] فهو التمثال الذى يكون من حجر أو خشب ، أو معدن، وكان عباد الأصنام يزعمون أن عبادتهم لها لا لذاتها، وإنما لتقربهم إلى الله تعالى. قال تعالى مصوراً اعتقاداتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[2].

---

(١) الصنم : معروف واحد الأصنام، يقال: إنه معرب (شمن) وهو كالوثن، وهو ينحت من خشب، ويصاغ من فضة ونحاس، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة، فهو وثن، والصنمة الصورة التي تعبد، وقيل للصنمة الداهية. [راجع لسان اللسان – تهذيب لسان العرب للعلامة ابن منظور ج٢ ص٤٢١ ط٢ بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م] والصَّنَم الصُّورَة بلا جُثَّة وَمِنْهُم من لَم يُفَرِّق بَيْنَهما وأطلقها على المَعْنَيَين وقَد يُطْلَق الوَثَن على غَير الصُّور، [النهاية في غريب الحديث ج٥ ص١٥٠]

(٢) سورة الزمر — الآية ٣ . يقول الحافظ ابن كثير : « أخبر الله عز وجل عن عباد الاصنام من المشركين أنهم يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا من الله زلفى أي إن ما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه فلا تضربوا لله الأمثال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل إن الله يحكم بينهم أي يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون وقوله عز وجل إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه » [الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٦]

فكأنها وسائل يتوسطون بها، حتى يبلغوا غايتهم، إذ كانوا يقولون : ما حكاه القرآن الكريم عنهم : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. فالوثن أعم والصنم أخص،

والاعتقادات الوثنية هى التى تقوم على الاحتماء فى إله أو جملة من الآلهة، تتعلق بالمنافع أو المضار[2]، يصنعها خيال المرء نفسه، سواء أكانت هذه الاعتقادات متعلقة بآية من آيات الله الكونية فى العالم المشاهد[3]، أم العالم الغيبى – غير المشاهد –[4]، أو كانت متعلقة

---

(١) سورة يونس – الآية ١٨ .

(٢) لأن النافع والضار فى الحقيقة هو الله تعالى، باعتبار ان النفع والضر من القضاء والقدر، وهما من أفعال الله تعالى، بل إن من اسمائه الحسنى جل شأنه: الضار النافع، وما المنافع أو المضار التى تجىء مع آيات الله الكونية ألا فاعلة بالإضافة لقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام – الآية ١٠٢]

(٣) كالشمس والقمر والليل والنهار، أو الأرض والسماء، وغير ذلك من آيات الله التى هى ممثلة فى مجملها الكون ويمكن ملاحظة بعض مظاهر وجودها.

(٤) كالحال مع عبدة الملائكة ، حيث اعتقد البعض فيها أنها بنات الله ، مع أن الملائكة من العالم الغيبى الذى أخبرنا عنه النقل المنزل. قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.[سورة الزخرف – الآية ١٩] ويقول العلامة ابن كثير : « قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾، أى اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم، فقال: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أى شاهدوه، وقد خلقهم الله إناثاً، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾، أى بذلك. ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ». [الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – م٣ ص٢٨٧ – طبعة دار الصابونى ١٩٨٨م] بينما عبدها البعض على أنها رسل من الله تعالى إليهم وهم اصحاب الروحانيات ومنهم طائفة من أهل الهند الأقصى يزعمون أنهم تأتيهم ملائكة روحانيون من عند الله فى صورة البشر بالأحكام ويثبتون لهم الشرائع والحدود فيسجدون لهم وهم فرقة المهالكية. وهم أربعة أصناف : الباسنوية – الباهودية – الكابلية البهادونية. [راجع للشهرستانى – الملل والنحل ج٣ ص١٠١/١٠٣ ، وابن القيم – إغاثة اللهفان ج٢ ص٢١٨ ، وابن النديم – الفهرست ص٥٣٦]

بجملة من الأوهام والخرافات والأساطير . التى تواكبت مع بعضها، فتكون عنها شيء غير محدد المعالم[١].

ولكنهم جعلوا له صورا وتماثيل وأوثانا، ثم اعتقدوا فى ألوهية هذه الصور والتماثيل. كما قاوموا بعبادتها، ولم ينصرفوا عنها، كعبدة الملائكة وعبدة الجن، قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[٢].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال الله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[٣] «كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»[٤]. وكانوا يتنقلون من عبادة بعضها إلى عبادة البعض الآخر، بمعنى أنه إذا طاب للواحد منهم أن يعبد الليل صيفا، ثم لم يجبه الليل إلى ما طلبه، فإنه يتحول عنه إلى عبادة النهار أو الشمس أو غيرها.

وأحيانا كانت الجماعات الوثنية تجبر فى أفرادها على عقيدة أو جملة عقائد وثنية. متى كان ذلك مما يرتضيه الملك القائم فى السلطة[٥]، أو قائد الجيش الغازى[٦]. أو يميل إليه جامعوا الضرائب، وأحيانا كان يتم الإجبار على ممارسة اعتقادات وثنية بعينها، رغبة فى إيجاد حلول لمشكلات الآلهة التى تنشأ عن بعض الأطماع التى تجرى فى أعراف معتقدى تأليه هذه الآراء البهلوانية، التى لا سند لها سوى الخيال المريض.

---

(١) كالحال مع عبدة الجعران وعجل ابيس، حيث كانوا يصنعون لها أوثانا، جزء منها – العلوى – على شكل حيوان وجزء أخر – السفلى – على شكل رأس إنسان.

(٢) سورة سبأ – الآية ٤١ .

(٣) قال تعالى : ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ سورة الإسراء – الآية ٥٧ .

(٤) الإمام البخارى صحيح البخاري ج٤ ص١٧٤٧ – رقم:٢٠٥ باب قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا – رقم:٤٤٣٧ .

(٥) كالحال مع الملك إخناتون، حيث أمكنه إكراه المصريين القدماء على الاعتقاد فى أنه إله بن آلهة لا تجوز الخروج عليه، ولا يمكن ترك الاعتقاد فيه. [راجع أقباس من نور الحق للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ص٨٧ ط مجمع البحوث.

(٦) فعل ذلك بوخانصر البابلى عندما هزم الإسرائيليين وأجبرهم على إعلان تصديقهم بكل الاعتقادات التى يريدها.

أجل، صار عباد الأوثان اقرب ما يكونون شبها بلاعبى السيرك الذيـن لا يعنيـهم سـوى جذب أنظار المشاهدين، والاستحواذ عليهم من ألبابـهم، بحيـث إذا اطمـأنوا إلى أن ألاعيبـهم قـد نالت من هؤلاء الناس بعض القبول، فإنهم يغتنمون الفرصة، ثم يعلنون عن الأفكـار التـى تجـوس خلال أفئدتهم ويعلقون عليها الكثير من آمالهم، بغض النظر عن كونها أفكار مقبولة أم مرفوضة.

من المؤكد أن العقائد الوثنية متعددة بتعدد الآلهة المعبودة، متعددة كذلك بتعدد المعتقدين أنفسهم، بمعنى أن العقائد الوثنية والمعتقدين لها يقع لهما معا التعدد، وهو ما يجعـل ضـبط ذات العقائد الوثنية أو حصرها أمرا صعبا، طبقا لما اعترف به ثلة من الباحثين فى هذه الديانـات علـى سبيل التأريخ لها أو المقارنة بينها.

❁ **يقول البيركامى:** « إن الإلمام بالديانات القديمة أمر صعب بل هو عسير؛ لأنه يسـتلزم متابعـة ذلك فى القرى والنجوع، كما يحتاج مطاردة داخل الكهوف وشواسع الصحارى، والغوص فى مخاطر المحيطات والأغوار، على أساس أن التدين أمر فطرى، والديانات الفردية بلغت الحـد الكبير من التعدد[1]، وذلك مما يجعل الإلمام بها أمرا صعبا.

ونفس الفكرة يؤكد عليها الشيخ محمد على حكمت الله، حيث يقـول : « كـان السـائد لدى البعض هو إمكانية تقديم حصر فنى دقيق، يعتبر سجلا يراقب حركة الأديان فى العـالم مـن خلاله، ثم بان لهم فساد ذلك الاعتقاد، ثـم يعلـل ذلـك بـأن الديـن الإلهـى واحـد فـى مصـدره، ونصوصه، وذلك يجعل الوقوف عليه أمرا سهلا ، أما الأديان الوثنية فمنـها الفـردى والجمـاعى، ومنها الرسمى وغـير الرسمـى، وفيـها الأديـان التـى تتولـد عنـها ديانـات أخـرى، فتسـتمر فـى متولواتها، ومنها التى لا يقع لها التولد فتموت »[2]، وهو من الأدلة الواقعيـة علـى أن الديانـات الوثنية فاسدة من كل ناحية، واعتقادات أصحابها أكثر منها فسادا.

غير أن هيبرز يلتمس تعليلا آخر، لعدم الحصر فى الديانات الوثنية، معتبرا أنها تعتصم بقلب صاحبها، وقد يرفض الإفصاح عنها، فمن أين للباحث فى تاريخ الديانـات الوقـوف عليـها مادام لم يقم الداعون إليها بالإفصاح عنها، ولم يقع لهم إفضاء بآرائهم الشخصية حولها، وكذلـك ما يتعلق بانطباعاتـهم بالنسـبة لشـخص لا يشـاركهم نفس الاعتقـادات، إنـهم أشـبه بجماعـات النحل، التى ترفض دخول كائنات أخرى للخلية، حتى لا تتكشف عليها أسرارها[3].

---

(١) البيركامى — تاريخ الديانات القديمة ص٧ ترجمة أبو عزيزة محمد بن المعشر ط دار مراكش ١٩٤١م.

(٢) الشيخ على محمد حكمت الله — العقائد الوثنية ص١٣٠ ط الدار الإسلامية ١٣٢٣هـ.

(٣) أ.ب هيبرز — ديانات فارس القديمة ص١٩ ترجمة رزق إسكندر ط أولى ١٩٦١م.

فأصحاب الديانات الوثنية الفردية فى الغالب الأعم يعملون على إخفاء الأسس التى تقوم فيها اعتقاداتهم، ربما خوفا من سطوة ملك قاهر لا يطمئنون إليه، وربما رغبة فى إبعاد الآخرين عن هذه الاعتقادات، حتى تظل خالصة لهم، تحت مزاعم أنها اعتقادات متميزة فيها مسألة الخصوصية الاعتقادية، التى لا تليق إلا بهذه الجماعة وحدها، كالحال مع الاعتقادات الوثنية التى يمارس اليهود طقوسها، ويرفضون مشاركة غيرهم فيها، تحت أوهام أنهم أبناء الرب، الذين اختصهم بمودته، وأقامهم على أبواب مملكته.

* **يقول العهد القديم:** : « وحدث لما أبتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة، كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة، الذين منذ الدهر ذوو اسم »[1].

وهذه الأفكار ساقطة، ولم تقم على قواعد مقبولة، بل هى فى ذات الوقت لا يقبلها أصحاب العقول السليمة، لأنها « لم تحكم العقل فى قواعدها، ولا فى تعاليمها، ولا فى نفسها، كما لم تشر إليها، أو تتحدث عنها، وقلما أن يظفر الباحث بحديث فى العهد القديم عن العقل، أو الكلام عن الفكر، أو توجيه رأى، أو عظة، أو تبصرة، فضلا عن عبرة أو تذكرة، وإنما هى قد قرنت عقائدها التلقينية الإلزامية بالوعيد والتهديد الشديد، وكأنها أرادت أن تسوق طفولة اليهود بيد من حديد »[2].

وجدير بالذكر أن « اليهود يفخرون بهذا، وهم واقعون فى أعماق الخطيئة والفساد، كما لو كانت هذه البنوة وحدها كافية لخلاص أنفسهم فى اليوم الآخر »[3].

واليهود يعتقدون أن للرب أبناء وأنهم أحفاد هؤلاء الأبناء وقد كذبهم الله تعالى فى كل ما قالوا. قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]. أى خالقها على غير مثال سابق، يا للعجب كيف يكون لله ولد، ولم تكن له زوجة، إذ التوالد يكون بين ذكر وأنثى لحاجة إليه، لحفظ النوع، وكثرة النسل لعمارة

---

(١) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٦ فقرات ١/٤

(٢) الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى – دراسات فى التوراة ص٨٩ .

(٣) الأستاذ محمد عبدالعزيز منصور – اليهود المغضوب عليهم، نقلا عن كتاب بنى إسرائيل فى رأى المسيحية للأنبا شنودة ص٢٧ دار الاعتصام ١٩٨٠م

(٤) سورة الأنعام – الآية ١٠١

الأرض، بل ولعبادة الرب، فأى معنى لاتخاذ ولد له إذ لو كان لله ولد لعلمه. وكيف لا وهو بكل شيء عليم[1].

وقد كذبهم الله في كل ما قالوا، وجعل الواقع العملى بالنسبة لهم وغيرهم شاهدا عليهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

يقول الإمام الشوكانى: « أثبت اليهود لأنفسهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وجرى هذا الزعم في أفهام النصارى تأثيرا، وذلك بمجرد الدعاوى الباطلة والأمانى العاطلة، فرد الله عليهم بقوله: فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب، بالقتل والمسخ وبالنار يوم القيامة، فإن الابن من جنس أبيه، لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب، وأنتم تذنبون، والحبيب لا يعذب حبيبه، فهذا يدل على أنكم كاذبون »[3].

والمتابع لحركة الديانات التعددية الفردية، يرى أنها قامت على تعدد في الآلهة وتجسيد لها، ونعتها بنعوت المخلوقين، بحيث يمكن القول بأن الديانات الوثنية صناعة أصحابها، الذين أدخلوا عليها التعديلات المتوالية، بغية مواكبتها حركة التطور الإحيائى[4]، الذى امتلأت الصفحات بالحديث عنه، وما هو إلا نتاج أفكار عاش أصحابها في الخيال فترة طويلة من الزمان.

إنها أقرب شبها بالقوانين الوضعية، التى يصوغها أفراد في مجتمع ما زاعمين أن متابعتها ومراعاة شرائطها توفر الحماية للناس، بجانب أنها تحقق لهم الأمن والأمان معا. فلما حاولوا تطبيقها في دنيا الواقع ظهرت لهم ثغرات كثيرة، وبدت فيها عورات كثيرة.

---

(١) العلامة أبو بكر جابر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير م٢ ص٩٩ – مكتبة العلوم والحكم ١٤١٥هـ/١٩٩٤م – المدينة المنورة – الطبعة الأولى

(٢) سورة المائدة – الآية ١٨

(٣) راجع في هذا الشأن محمد سليمان عبدالله الأشقر – زبدة التفسير من فتح القدير للإمام الشوكانى ص١٤٠ – ذات السلاسل ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤) ذلك نوع من التطور الذى تجيء أنواعه في اللغوى والآلى والعلمى، وقد تعرضت لبيان ذلك في شيء من التفصيل داخل كتابنا: التطور الإحيائى – الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

ومن ثم يلجأون إلى إصلاحها ، والعمل على تغطية السلبيات ، وهو ما يستوجب أصدار المزيد من التعديلات والكثير من التشريعات ، فتتعدد القوانين الوضعية ، التى وضعت فى الأصل لمعالجة مشكلة ما[1] ، وذلك مما يؤكد أن التشريع الإلهى هو وحده المعصوم عن هذه الاختلافات البعيد تماماً عن كل المشكلات فى النصوص، والتطبيق معا، لأن الذى أمر به هو العليم بعباده، الخالق لهم وعلى طاقتهم كلفهم.

ويدخل فى الديانات الوثنية ما عليه اليهود ودعاة المسيحية الآن — رغم أنهم فى الأصل أتباع ديانة سماوية صحيحة مؤقتة —، لكنهم بدلوا وغيروا فى النصوص والعقيدة، فصارت العقيدة مجرد مسألة من المسائل، أو قضية من القضايا، أو مشكلة من المشكلات، شأنها فى ذلك شأن باقى المعارف والثقافات الإنسانية، التى تقع بين اليقين تارة ، والشك تارة أخرى ، كما تقع بين القبول والرد، لما هو معروف من أن هناك فرقا بين العقيدة الإيمانية والمعرفة العقلية. أما كيف؟

فلأن العقيدة قلبية، يتعلق بها الإيمان أو الكفر ، ولا يصح فيها التقليد ، كما لا تنفع فيها الإنابة، إنها علاقة بين الله تعالى القوى، والمخلوق الضعيف، محلها القلب النقى الخالى عن الغى والهوى، إنها التى تقود الإنسان للخير وتصرفه عن الشر.

ونية المؤمن الصالحة خير من عمله الفاسد؛ « لأن مكانها قلب المؤمن، قال سهل: ما خلق الله مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفة الحق فجعل الأعز في الأعز فما نشأ من أعز الأمكنة يكون أعز مما نشأ من غيره، قال سهل: فتعس عبد أشغل المكان الذي هو أعز الأمكنة عنده تعالى بغيره سبحانه »[2].

أما المعرفة فعقلية، يتعلق بها العلم أو الجهل، ويصح فيها التقليد، لأنها قد يقع فيها الكسب، بدليل أننا كثيرا ما نسمع من عوام الناس وبعض مثقفيهم تفسيرات خيالية ، لعلاقة الجن بالإنسان من تزوج الإنس بالجان ، وإنجاب الذرية بينهما، وما يتعلق بالزلازل وأنها ناتج تحريك أحد قرنى الثور ، الذى يحمل الأرض على رأسه، وقصة عقنق بن لكلوك ، وأسطورة عمر

---

(١) من ذلك على سبيل المثال فى بلدنا الإسلامية "مصر" قانون الملكية الفكريه وتعديلاته ، وقوانين المساكن وتعديلاته، وقانون الأراضى الزراعية وتعديلاته ، وقانون العاملين المدنيين بالدولة وتعديلاته، حتى إنك ربما وجدت من التعديلات ما يفوق نصوص القوانين بمراحل ، وهذا كله بخلاف المذكرات الإيضاحية والتفسيرية واللوائح التنفيذية بكل قانون وتشريع بل وتعديل.

(٢) الإمام العجلونى – كشف الخفاء ج٢ ص٤٣٠/٤٣١ .

الأرض ، إلى غير ذلك من المعارف التى قد يقبلها العقل كلها، أو يرفضها كلها، أو يكون له فيها أمر أخر من التعديل ، بالإضافة إليها والحذف منها ، كما أفاض فى دراسة ذلك الباحثون فى مصادر المعرفة وأنواعها ودرجاتها من اليقين أو الشك.

وجه دخول اليهود وغيرهم فى الديانات الوثنية ، هو اعتقادهم فى تعدد الآلهة ، مع استقلال كل إله منها باسمه، وإن اتفقوا فى الكيفية ، التى يجهدون أنفسهم فى العثور على بعض المعالم ، التى قد تؤدى بهم إلى إقناع بعض السذج بهذه التصورات الواهية.

فاليهود يعتقدون فى الإله ياهو[1] ، والإله يهوه[2] ، والإله ألوهيم[3] ، كما يعتقون فى أن الإله الرب تجسد فى صورة إنسان الرب، الذى صارع يعقوب عند فينئيل حتى الصباح، وفوق ذلك فهم يعتقدون أن هذا الإله يأكل ويشرب ، ويجرى ويلعب ويفرح[4] ،

---

(١) اسم عبرى يقصد به اسم شخص من الأشخاص ، سواء كان بطلا أو نبيا ، وكل من ملك قوة كبيرة ، وسلطان عظيما يقال عليه ياهو – قاموس الكتاب المقدس ص١٠٤٩/١٠٥٠ .

(٢) "يهوه": اسم من أسماء الله فى اليهودية، يحفظ الدين من خطرين : – أولهما : من جعل الله فكرة أو تصورا . والثانى: من جعله وجودا يتلاشى فيه كل ما فى الوجود ، فالاسم بجعل الله إلها معيناً معلنا ، يستطيع الإنسان أن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة ، ولفظة يهوه هى فعل مضارع من: هى ، أو هو . كما كان فى الأصل ، ومعناه كان أو حدث أو وجد ، وبعبارة أخرى ، هو الذى كان والذى أعلن ذاته وصفاته – [راجع قاموس الكتاب المقدس –ص١٠٤٦]

(٣) هو لفظ عبرى وهو يساوى فى العبرية لفظ الجلالة الله ، ويقصد به " بألوه " الذى جمعه فى العبرية " الوهيم " ورد هذا الاسم فى جميع الأسفار مائتين وخمسين وتسع مرات ويلاحظ أنه لم يأت فى الأصل العبرى بصيغة المفرد ، بل ورد فيها بصيغة الجمع " الوهيم " وعبر عنه المترجمون للتوراة بالمفرد " ألوه : الله " وقالوا أن الجمع مراد به المفرد وليس لهم دليل على إرادة هذا المعنى المفرد مع الجمع ، وقالوا ذلك خوفا من القول بان التوراة معددة لا موحدة » .[عطية إبراهيم الشوادفى – دراسات فى التوراة – ط دار الشروق – القاهرة بدون – ص٩٣] وهذا الاسم "وألوهيم": « ورد عن بنى إسرائيل استعماله ووردت نسخة من نسخ التوراة بهذا الاسم لأنه الاسم الذى يطلق على الإله يهوه، ويبدو أن هذه التسمية هى أقرب التسميتين إلى اللغة العربية عندهم، ومن المعروف أن اللغة العربية والعبرية تلتقيان معا فى أصل واحد ، ولو أننا حذفنا أخر الكلمة " الياء والميم " فستبقى معنا كلمة " إله " العربية مع نقل حرف المد إلى الألف من الواو » .[دكتور / محمود محمد مزروعة – دراسات فى اليهودية – ط دار الطباعة المحمدية – القاهرى ١٩٨١م – ص١٦٣]

(٤) حيث يقول سفر التثنية: « لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك »[سفر التثنية ٩]

ويحزن[1] ويفزع[2] من الغضب[3] ويمكث حتى تهدأ عيناه ، إلى غير ذلك من الهلاوس التى امتلأت بها بعض أسفار العهد القديم[4]، ونبه إلى فسادها على ناحية الكثير من الدارسين.

وكذلك الحال مع دعاة المسيحية ، الذين يعتقدون فى الآلهة المثلثة - الإله الآب، والإله الإبن، والإله الروح القدس - كما يعتقدون فى الأبوة والبنوة ، وغير ذلك من العقائد التى جاءهم بعضها من الفكر اليهودى، بينما وصلهم بعض آخر من احتكاكهم بالأمم الوثنية التى نزلوا بها، التى كانت لهم بعض التعاملات على المدى القريب أو البعيد .

ولا يغربن على دارس أن الاعتقادات الوثنية ليس المهم فيها التسمية، وإنما الذى يجب النظر إليه هو العقيدة الإلهية، فإن كانت الآلهة متعددة، فهى وثنية فى تعداداتها الإلهية، وإن كان الآلهة فيها متجسدة فهى وثنية تجسيد الآلهة، وإن كانت جامعة بينها فهى وثنية التعدد والتجسد معا، واليهود يعددون فى الآلهة ويجسدونها، وكذلك الحال مع دعاة المسيحية، الذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة، وكل منها له استقلال بذاته، فيسوع الإله الابن حملت به أمه، وعاش بين الناس، ثم تمكن منه أعداؤه فقبضوا عليه، ويعتقد المسيحيون أنهم لما تمكنوا منه أخذوه، وعلى الصليب علقوه، ثم قتلوه، وكانت الروح القدس ترف حوله حزنا عليه، وقد نادى الإله الإبن الإله الأب حتى يخلصه من محنته، وينزله من على الصليب، أو ينتصر له من أعدائه، ولكن إمكانيات الإله الأب كانت أضعف من ذلك، وبالتالى فلا يجب ابنه لطلبه، وإنما تركه يلقى مصيره المحتوم عليه أيدى أعدائه - رغم أنه إله - ولا ينكر ذلك الفعل دعاتهم، كما حرصت

---

(١) حيث يقول سفر التكوين: « فحزن الرب أن عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه »،[سفر التكوين ٦ : ٦]

(٢) يقول سفر التكوين : « فرغ من اليوم السابع من عمله الذى عمله فاستراح فيه، وقدس ذلك اليوم، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل ». [سفر التكوين - ٢ : ٢]

(٣) يقول سفر التثنية :- « وعلى أيضا غضب الرب بسببكم ». [العهد القديم - سفر التثنية ١ : ٣٧]
ويقول أيضا: « فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض، حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة فى هذا السفر، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم»،[العهد القديم - سفر التثنية ٢٩ : ٢٧]

(٤) العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المعتمدة عند اليهود، وتبلغ تسعة وثلاثين سفرا، وتنقسم إلى أربعة أقسام: أ- كتب موسى أو الأسفار الخمسة. ٢- الأناشيد وعددها خمسة أسفار. جـ- الأسفار التاريخية وعددها اثنى عشر سفرا. د- أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا. [دكتور: محمد إبراهيم الجيوشى - دراسات عن اليهودية ص٤٢/٤٤ د.ت].

على تسجيله والتأكيد على كتبهم، مع أن الله تعالى بين أن عيسى ابن مريم رسول الله لم يزد عن أخواته من الأنبياء والمرسلين شيئا، لأن الله تعالى أنجاه من أيدى أعدائه، فلم يقتلوه ولم يصلبوه.

ﷻ قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

---

(١) سورة النساء – الآيات ١٥٦/١٥٨ . يقول الطبرى : « وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني بفريتهم عليها ورميهم إياها بالزنا وهو البهتان العظيم لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به بغير ثبت ولا برهان بريئة فبهتوها بالباطل، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، ثم كذبهم الله في قيلهم فقال: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم يعني وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم.

واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى فقال بعضهم لما أحاطت اليهود به وبأصحابه أحاطوا بهم وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه وذلك أنهم جميعا حولوا في صورة عيسى فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى عيسى من غيره منهم وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى، وقال آخرون بل سأل عيسى من كان معه في البيت أن يلقى على بعضهم شبهه فانتدب لذلك رجل فألقي عليه شبه فقتل ذلك الرجل ورفع عيسى ابن مريم عليه السلام،

وإن الذين اختلفوا في عيسى هل هو الذي بقي في البيت منهم بعد خروج من خرج منهم من العدة التي كانت فيه أم لا لفي شك منه يعني من قتله لأنهم كانوا أحصوا من العدة حين دخلوا البيت أكثر ممن خرج منه ومن وجد فيه فشكوا في الذي قتلوه هل هو عيسى أم لا من أجل فقدهم من فقدوا من العدد الذي كانوا أحصوه، ولكنهم قالوا: قتلنا عيسى لمشابهة المقتول عيسى في الصورة، وقوله: "ما لهم به من علم" يعني أنهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه واختلاف هل هو عيسى أم غيره من غير أن يكون لهم بمن قتلوه علم من هو هو عيسى أم هو غيره "إلا اتباع الظن" يعني جل ثناؤه ما كان لهم بمن قتلوه من علم ولكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم أنه عيسى وأنه الذي يريدون قتله ولم يكن به، وما قتلوه يقينا يقول وما قتلوا هذا الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا أنه عيسى ولا أنه غيره ولكنهم كانوا منه على ظن وشبهة وهذا كقول الرجل للرجل ما قتلت هذا الأمر علما وما قتلته يقينا إذا تكلم فيه بالظن على غير يقين علم فالهاء في قوله وما قتلوه عائدة على الظن، أما قوله جل ثناؤه "بل رفعه الله إليه فإنه" يعني بل رفع الله المسيح إليه يقول لم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن الله رفعه إليه فطهره من الذين كفروا، وأما قوله "وكان الله عزيزا حكيما" فإنه يعني ولم يزل الله منتقما من أعدائه كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم وكلعنه الذين قص قصتهم بقوله فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله حكيما يقول ذا حكمة في تدبيره وتصريفه خلقه في قضائه يقول فاحذروا أيها السائلون محمدا أن ينزل عليكم كتابا من السماء من حلول عقوبتي بكم كما حل باوائلكم الذين فعلوا فعلكم في تكذيبهم رسلي وافترائهم على أوليائي » [الطبرى – جامع البيان ج٦ ص١٨/١٢]

بل إن اليهود يضعون فى معابدهم ومذابحهم صورا وتماثيل للآلهة التى يعتقدونها، وكلما اختلفت طائفة عن الأخرى فى الاتجاهات السياسية والثقافية، انعكس ذلك على الصور والتماثيل التى صنعتها أيديهم معبرة عن الآلهة التى يعبدونها[1].

الخامس: الآيات الكونية

نحن المسلمين نعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق عوالم كثيرة منها ما نعلمه بإخبار الله تعالى عنها، ومنها ما لا علم لنا به، لأن الله تعالى أخفى ذلك عنا، إما لعدم قدرة عقولنا على تفهم تلك العوالم، أو أن معرفتنا بها لا تفيد بالنسبة لنا، وإنما يتعلق المرء بها، فينزل فى بحارها العميقة، أو يشقى بين موجاتها المتلاحقة التى لا تتوقف.

وقد دل على ذلك الحديث الشريف فعن أبى ثعلبة الخشنى[2] أن النبى ﷺ قال: «إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك

---

(١) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان– العقائد وتطوراتها ص١٥٧ ط٢ دار الفؤاد ١٩٥١م.

(٢) أبو ثعلبة الخشني صحابي مشهور معروف بكنيته واختلف في اسمه اختلافا كثيرا .وسكن أبو ثعلبة الشام وقيل حمص روى عنه أبو إدريس الخولاني وأبو أمية الشعباني وأبو أسماء الرحبي وسعيد بن المسيب وجبير بن نفير وأبو قلابة ومكحول وآخرون ومنهم من لم يدركه قال بن البرقي تبعا لابن الكلبي كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهمه في خيبر وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا وأخرج بن سعد بسند له إلى محجن بن وهب قال قدم أبو ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى خيبر فأسلم وخرج معه فشهدها ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من قومه فأسلموا ونزلوا عليه قال أبو الحسن بن سميع بلغني أنه كان أقدم إسلاما من أبي هريرة وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل بصفين مع أحد الفريقين ومات في أول خلافة معاوية كذا قال والمعروف خلافه وقال أبو علي الخولاني كان ينزل داريا وأخرج بن عساكر في ترجمته من طريق محفوظ بن علقمة عن ابن عائذ قال قال ناشرة بن سمي ما رأينا أصدق حديثا من أبي ثعلبة لقد صدقنا حديثه في أفنية الأودية قال علي وكان لا يأتي عليه ليلة إلا خرج ينظر إلى الأسماء فينظر كيف هي ثم يرجع فيسجد وعن أبي الزاهرية قال قال أبو ثعلبة إني لأرجو الله ألا يخنقني كما أراكم تخنقون عند الموت قال فبينما هو يصلي في جوف اليل قبض وهو ساجد فرأت ابنته في النوم أن أباها قد مات فاستيقظت فزعة فنادت أين أبي فقيل لها في مصلاه فنادته فلم يجبها فأتته فوجدته ساجدا فأنبهته فحركته فسقط ميتا قال أبو عبيد وابن سعد وخليفة بن خياط وهارون الحمال وأبو حسان الزيادي مات سنة خمس وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني – القسم الأول [من ذُكِرَ له صحبة، وبيان ذلك]. الفصل:٩٦٥٨ ص٥٨/٦٠ .

أشياء في غير نسيان رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها»[١].

كما أن العالم الذى أخبرنا الله تعالى عنه قد جاء فى ناحيتين:

أ- المشاهدة: وهو عالم الشهادة الذى تدركه الحواس، ويمكن التعرف عليه من خلالها، فالأرض من تحتنا يمكن أن الاحتكام فى معرفتها عن طريق حواسنا، صحيح أننا لم نعرف أولها من آخرها، على سبيل اليقين، كما لا نعرف مساحتها على وجه الدقة، وكذلك وزنها، لما هو معروف من أن كل كتلة يكون لها الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والعمق، ومادامت كتلة، فمن المؤكد أن لها وزنا، وكل هذه الأمور غير معروفة حتى الآن، برغم أن الأرض أحد جزئيات عالم الشهادة.

وكذلك السماء ندرك بعقولنا التى خلقها الله لنا أنها فوقنا، إذ كما أن الأرض تحتنا فالسماء فوقنا، والعقل الصحيح لا يجد سبيلا إلى إنكار ذلك أو تجاهله، بل هو من آيات الله فى الكون. قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج۝ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج۝ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾[٢].

---

(١) الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٢٩ – الحديث: ٧١١٤ . وعن أبي الدرداء عن النبى قال: « – إن الله عز وجل افترض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها رحمة لكم فاقبلوها ».[الحافظ نور الدين الهيثمى – مجمع الزوائد ج١ ص١٧١ – باب ثان منه في اتباع الكتاب والسنة ومعرفة الحلال من الحرام ، وراجع العلامة المتقى الهندى فى كنز العمال – الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ٩٨١] وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها (تتعدوها) وحرم محارم فلا تنهكوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن القدر خيره وشره، ضره ونفعه إلى الله، ليس إلى العبد تفويض ولا مشيئة ».[العلامة المتقى الهندى فى كنز العمال – الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ١٦٥٦] وعنه ﷺ : « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها، [البيهقى سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ١٢ – الحديث: ١٩٥٠٩ – وذكره العلامة أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٩ ص١٧ دار الكتب العلمية – بيروت]

(٢) سورة ق – الآيات ٨/٦ . ويقول صاحبا تفسير الجلالين : « أفلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث إلى السماء كائنة فوقهم كيف بنيناها بلا عمد، وزيناها بالكواكب، وما لها من فروج أو شقوق تعيبها والأرض مددناها ودحوناها على وجه الماء وألقينا فيها رواسي هى جبال تثبتها وأنبتنا فيها من كل زوج وصنف يبهج به لحسنه تبصرة وقد فعلنا ذلك تبصيرا منا و تذكيرا لكل عبد منيب راجع إلى طاعتنا » [تفسير الجلالين ج١ ص٦٨٩]

ثم إن الليل والنهار وتداخل كل منهما مع الآخر، وسعي كل منـهما خلف الآخـر على سبيل التلاحق[1]، ويقع كل منهما بالنسبة لحواسنا موقع المشاهدة على سـبيل الامتنان بكونـهما من أنعم الله علينا[2]، والضبط الميقاتي، صحيح لا يمكـن للخلائـق كلـها إيقـاف سـعي أي منـهما خلف الثاني، أو تعطيله مهما كانت قوة الخلائق واستعداداتهم، لأن ذلـك مـن فعـل الله وحـده، لكن بإمكان الخلائق التواضع والاتفاق على تقسيم كل من اليوم والليلـة إلى سـاعات والسـاعات إلى دقائق وثوان، وهو ما يعرف بالضبط الميقاتي في الزمان[3]، و في نفس الوقـت هـو ممـا علمنـا الله إياه لغايات قد ندرك بعضها لكونها متعلقة بنا. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[4].

❁ **يقول الحافظ ابن كثير:** « يمتن الله تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بـين الليـل والنهار وليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمـال والأسـفار، وليعلمـوا عدد الأيام والجمع والشهور والأعـوام، ويعرفـوا مضـي الآجـال المضروبـة للديـون والعبـادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك، ولهذا قال: ﴿لتبتغوا فضـلا مـن ربكـم﴾: أي في معايشـكم وأسفاركم ونحو ذلك مما تقتضيه الضرورة وتدفع إليه الحاجيات المنوطة به.

﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾، فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعـل اللّـه عليكـم الليـل سـرمدا إلى يـوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾[5]، وقـال تعـالى: ﴿وهـو الـذي جعـل الليـل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[7]، وقال: ﴿يكور الليـل علـى النـهار ويكـور النـهار علـى

---

(١) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان – الآية ٢٩]

(٢) قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة القصص – الآية ٧٣]

(٣) أ.ب زاتوفيتش – الزمن وكيفية التعرف عليه ص٣١ – ترجمة الأستاذ زكي محمد ط دار مراد ١٩٤١م.

(٤) سورة الإسراء – الآية ١٢.

(٥) سورة القصص – الآية ٧١ .

(٦) سورة الفرقان – الآية ٦٢ .

(٧) سورة المؤمنون – الآية ٨٠ .

الليل﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾[٢].

ثم إنه تعالى جعل الظلام علامة الليل، وكذلك ظهور القمر فيه، وللنهار علامة يعرف بها، وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من ذاك، كما قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾[٣].

وقيل في قوله: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ قال" ظلمة الليل وسدف النهار، وعن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل. وقال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر. وقال قتادة: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم، وقال ابن عباس: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ قال: ليلاً ونهاراً، كذلك خلقهما الله عزّ وجل »[٤].

كما أن معرفة اليوم والليلة، وترتيب ذلك قد جاءت به إشارات فى القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُور عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٥]،

۞ **قال الحافظ ابن كثير**: « إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته[٦] فقال: "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة

---

(١) سورة الزمر – من الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام – من الآية ٩٦ .

(٣) سورة يونس – من الآية ٥ .

(٤) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٧ .

(٥) سورة التوبة – الآية ٣٦

(٦) هى حجة النبى ﷺ الوحيدة، وتسمى حجة الوداع ، وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة واستعمل لى المدينة أبا دجانة قال ابن هشام فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ويقال سباع بن عرفطة الغفاري. وعن عائشة قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدي وأشراف من أشراف الناس أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي قالت وحضت ذلك اليوم فدخل علي وأنا أبكي فقال مالك يا عائشة لعلك نفست قالت قلت نعم والله لوددت أني أخرج معكم عامي في هذا السفر فقال لا تقولن ذلك فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت، قالت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فحل كل من كان لا هدي معه وحل نساؤه بعمرة، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير فطرح في بيتي فقلت ما هذا قالوا ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني [السيرة النبوية ج٦ ص٥/٧].

حـرم، ثلاثـة متواليـات ذو القعـدة وذو الحجـة والمحـرم ورجـب مضـر الـذي بـين جمـادى وشعبان][1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الزمـان قـد اسـتدار كهيئتـه يـوم خلـق اللـه السماوات والأرض" فيه تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه، وتثبيت للأمر على ما جعله اللـه في أول الأمـر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص، ولا نسيء ولا تبديل، كمـا قـال في تحريـم مكـة[2]: [إن هذا البلـد حرمـه اللـه يـوم خلـق السماوات الأرض فـهو حـرام بحرمـة اللـه تعـالى إلى يـوم القيامة][3]. وهكذا قال هاهنا: "إن الزمان قد استدار كهيئته يـوم خلـق اللـه السماوات والأرض" أي الأمر اليوم شرعا كما ابتدع الله ذلك في كتابه يوم خلق السماوات والأرض.

وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث إن المراد بقوله: "قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض" أنه اتفق أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلـك السنة

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٣ ص١١٦٨ – الحديث رقم: ٣٠٢٥ ، الإمام مسـلم – صحيح مسلم ج٣ ص١٣٠٥ – باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال – الحديـث: ١٦٧٩. والمـراد بــ: [(الزمـان) اسم لقليل الوقت وكثيره، والمراد به هنا السنة. (استدار كهيئته) عـاد إلى أصـل الحسـاب والوضـع الـذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السماوات والأرض، وذلك أن العرب كـانوا يؤخـرون المحـرم ليقـاتلوا فيـه، وهكذا يؤخرونه كل سنة فينتقل من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة، فلمـا كـانت تلـك السنة كان قد عاد إلى زمنه المخصوص به. (حرم) محرمة لا يقـاتل فيـها إلا مـن اعتـدى. (رجـب مضـر) نسب إلى مضر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من غيرها] .

(٢) مكة بيت الله الحرام قال بطليموس طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدى وعشرون تحت نقطة السرطان طالعها الثريا بيت حياتها الثور وهي في الإقليم الثاني أما اشتقاقها ففيه أقوال منها: سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهـب نخوتـهم ويقـال إنمـا سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا وسميـت بكـة لازدحـام الناس بها، ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، ويقال أيضا سميت مكـة لأنـها عبـدت النـاس فيـها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم أمتك الفصيل أخلاف الناقة إذ جذب جميع ما فيـها جذبـا شـديدا فلم يبق فيها شيئا وهذا قول أهل اللغة. وروي أن بكة اسم القرية ومكة مغـزى بـذي طـوى لا يـراه أحـد ممن مر من أهل الشام والعراق واليمن والبصرة وإنما هي أبيان في أسفل ثنية ذي طوى وقـال آخـرون بكـة موضع البيت وما حول البيت مكـة . [معجـم البلـدان – بـاب الميـم والكـاف ومـا بينـهما – ج: ٥ ص: ١٨٢/١٨١].

(٣) الإمـام البخـارى – صحيـح البخـاري ج: ٢ ص: ٦٥١ – بـاب لا يحـل القتـال بمكـة – الحديـث رقـم: ١٧٣٧، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٦ – بـاب تحريـم مكـة وصيدهـا وخلاهـا وشـجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام الحديث رقم: ١٣٥٣ عن ابن عباس قـال « قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم يوم الفتح فتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقال يـوم الفتـح فتـح مكـة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يـوم القيامـة لا يعضـد شـوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط إلا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسـول الله إلا الإذخـر فإنـه لقينـهم ولبيوتهم فقال إلا الإذخر » .

في ذي الحجة، وأن العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين بل أكثرها في غير ذي الحجة، وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة »[1].

كما بين جل شأنه أن من الشهور الهلالية « أربعة حرما، وأنها مما كانت العرب في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" فإنما أضافه إلى مضر ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم، فبين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر لا رجب ربيعة، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة: ثلاثة سرد، وواحد فرد، لأجل مناسك الحج والعمرة »[2].

وأكد الله سبحانه وتعالى على أن كلا منهما – الليل والنهار – آية مستقلة[3]، ولها اعتبارات بعينها، بحيث لا يمكن النظر إليهما على أنهما آية واحدة، وإنما يجب الاعتبار بهما، وأن كلا منهما آية مستقلة. قال تعالى: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾[4].

غير أنه لما كان الليل يتبعه القمر والنجوم، والنهار تجيء معه الشمس، فإن الله سبحانه وتعالى قد بين أن ذلك من آياته فى الكون المشاهد، ومن سننه التى لا تختلف، حتى يأتى أمر الله تعالى. قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[5].

۞ **يقول الإمام القرطبي**: « تكلم العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه. أي لكل واحد منهما سلطان على حياله، فلا يدخل أحدهما على

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٣٥٤ .

(٢) راجع فى هذا الشأن أيام العرب للعلامة محمد عبدالهادى النابلسى ص١٧ وما بعدها، وكذلك أسماء الشهور الإسلامية للعلامة محسن عبدالعاطى البعلبكى ص٤٥ وما بعدها.

(٣) الآية هى العلامة والأمارة والعبرة فهى علامة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وإرادته تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام الدالة على صدق الخبر والخبر معا ، وهو النبى أو العبرة بالنسبة لمن يعتبر فى إنجاء الله الصالحين وهلاك الظالمين. [راجع المحيط وقطر المحيط باب الألف ، والقاموس المحيط باب التاء فصل الألف وما يثالثهما]

(٤) سورة يس – الآية ٣٧ .

(٥) سورة يس – الآية ٤٠ .

الآخر فيذهب سلطانه، إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع الشمس من مغربها. وقيل: إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء[1]، فبان أن الشهور عندنا نحن المسلمين التي نعتمدها في إقامة الشعائر، إنما هي الأشهر الهلالية التي تجيء مع مطلع القمر وعليها التقويم المعتمد بالنسبة لنا.

واستدل بعضهم بقوله تعالى: "ولا الليل سابق النهار" على أن النهار مخلوق قبل الليل، وأن الليل لم يسبقه بخلق. وقيل: كل واحد منهما يجيء وقته ولا يسبق صاحبه إلى أن يجمع الله تعالى بين الشمس والقمر يوم القيامة، كما قال: "وجمع الشمس والقمر[2]" وإنما هذا التعاقب الآن لتتم مصالح العباد. ولذا قال تعالى: "لتعلموا عدد السنين والحساب"[3]، ويكون الليل للإجمام والاستراحة، والنهار للسعي المتواصل، كما قال تعالى: "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون[4]" ففي النهار عمل الأبدان، وفي الليل راحتها »[5].

ومن المؤكد أن آيات الله تعالى لا تنقطع، ولا يمكن حصرها، لأنها من أنعمه جل شأنه، التي لا يمكن حصرها متى أراد واحد الوقوف عليها. قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا

---

(١) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٥ ص٣١ ، يعني هنا : أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر. وقال قتادة: لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا. وقال الحسن: إنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة. أي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر، ولكن إذا غربت الشمس طلع القمر. يحيى بن سلام: لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها. وقيل: معناه إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها، قال ابن عباس أيضا. وقيل: القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه، ذكره النحاس والمهدوي. قال النحاس: وأحسن ما قيل في معناها وأبينه مما لا يدفع: أن سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير ذكره المهدوي أيضا. (تفسير القرطبي جـ٣١/١٥).

(٢) سورة القيامة – الآية ٩ .

(٣) سورة يونس – الآية ٥ .

(٤) سورة القصص – الآية ٧٣.

(٥) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٥ ص٣٢ .

تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾[1]. وقال أيضا : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾[2].

قال الحافظ بن كثير: « ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾، أي يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازى على اليسير »[3].

فنجد أن الحق ﷻ يختم الآية في سورة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾، وفي سورة النحل بقوله تعالى: ﴿إن الله لغفور رحيم ﴾، مما يبين أن الإنسان قد يجحد نعم الله عليه، فيكون بذلك ظلوما وكفارا، ومع ذلك فالله يغفر له إن تاب وأناب، لأنه سبحانه الغفور ذو الرحمة، ولا يقطع عنه نعمه، حتى ولو ظل على كفره، فهو الرحيم، فالآية الأولى تبين حال الإنسان الكافر تجاه نعم ربه، والآية الثانية تبين حال الله تجاه الإنسان.

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – : « اعلم أنه تعالى قال في سورة إبراهيم: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾، وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿إن الله لغفور رحيم ﴾، والمعنى: أنه لما بين أن الإنسان لا يمكنه القيام بأداء الشكر لله تعالى على سبيل التفصيل. قال تعالى: ﴿إن الله لغفور رحيم ﴾،أي غفور للتقصير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه، رحيم بكم، حيث لم يقطع نعمه عليكم بسبب تقصيركم في أداء الشكر له »[4].

لكن لماذا سميت هذه الآيات الإلهية كونية؟ أو آيات الله الكونية؟

والجواب : أن الكون لفظ يطلق على المخلوق الموجود بالمعنى العام، كما يطلق على حصول الصورة في المادة، بعد أن لم تكن حاصلة، ويطلق لفظ الكون أيضا على الدنيا، كما يطلق لفظ الكون على الآخرة أيضا، لكن المراد بالآيات الكونية هنا هو ما انعقدت عليه الآراء من أنه الموجود المخلوق، الذي يحكم عليه بالتحول والصيرورة، طبقا لعلم الله تعالى وإرادته، فالسماء ليس فيها فطور، ومع ذلك ستنشق، فثباتها على حالها منذ خلقها الله إلى يوم القيامة يمثل دلالة باهرة على قدرة البارى جل علاه. قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٣٤ .

(٢) سورة النحل – الآية ١٨ .

(٣) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٥٦٥ .

(٤) الإمام الرازي – مفاتيح الغيب – ج٩ ص٥٠٤ .

(٥) سورة النازعات الآية ٢٧ .

◈ **يقول صاحب الظلال** : « والبناء يوحي بالقوة والتمسك، والسماء كذلك متماسكة لا تختل، ولا تتناثر نجومها وكواكبها، ولا تخرج من أفلاكها ومدارتها، ولا تتهاوى ولا تنهار، فهى بناء ثابت، وطيد، متماسك الأجزاء »[١].

وقوله تعالى: ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها ﴾[٢]، وقال أيضا: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾[٣].

كما أن الأرض لم يكن لها وجود قبل أن تخلق، ثم خلقها الله تعالى فى صورتها، التى يعلمها جل شأنه. قال تعالى: ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾[٤].

وقال أيضا: ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لكم ولأنعامكم ﴾[٥]،

لكن الأرض يقع لها بأمر الله تعالى التحرك الدائم، والمد المتواصل، والجزر الذى لا يتوقف فى دار الدنيا، حتى إذا كان يوم القيامة مدت على هيئة أخرى، فيقع لها التحول من صورة إلى أخرى. قال تعالى: ﴿ وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت﴾[٦]،

◈ **يقول العلامة الطبرى** : « وإذا الأرض بسطت فزيد في سعتها فعن علي بن حسين عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [تمد الأرض يوم القيامة مدا لعظمة الرحمن، ثم لا يكون لبشر من بني آدم إلا موضع قدميه، ثم أدعى أولي الناس فأخر ساجدا، ثم يؤذن لي فأقوم فأقول يا رب أخبرني هذا لجبريل وهو عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قبلها قط إنك أرسلته إلي قال وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله صدق ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود][٧]. وقوله وألقت

---

(١) الأستاذ سيد قطب– فى ظلال القرآن جـ٦ ص٣٨١٦ طبعة دار الشروق

(٢) سورة لقمان – الآية ١٠ .

(٣) سورة الرعد – الآية ٢ .

(٤) سورة ق – الآية ٨ .

(٥) سورة النازعات – الآيات ٣٣/٣٠ .

(٦) سورة الانشقاق – الآيتان ٤/٣ .

(٧) الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٦١٤ – الحديث: ٨٧٠١ .

ما فيها وتخلت يقول جل ثناؤه وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلت منهم إلى الله. فعن مجاهد قوله وألقت ما فيها وتخلت قال أخرجت ما فيها من الموتى»[1].

وأما الشمس فإنها تبزغ وتأفل، وتجرى بسرعة هائلة إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى. قال تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العز يز العليم﴾[2].

ومستقر الأرض الذى تجرى إليه فيه قولان:

☆ **الأول المستقر المكاني**: وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش، هي وجميع المخلوقات لأنه سقفها، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع.

روى البخاري عن أبي ذر[3] ﷺ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟" قلت:

---

(١) العلامة الطبرى – جامع البيان ج٣٠ ص١١٣/١١٤ .
(٢) سورة يس – الآية ٣٨.
(٣) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن وقيل بن عبدالله وقيل اسمه بربر وقيل بالتصغير والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن قيل يزيد وعرفة وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بن عمرو بن مليل بلامين مصغرا بن صعير بمهملتين مصغرا بن حرام بمهملتين بن غفار وقيل اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار واسم أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا ويقال إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه وقع في رواية لابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر يا جنيدب بالتصغير وهذا الاختلاف في اسمه واسم أبيه أسنده كله بن عساكر إلى قائليه وقال هو إن بريرا تصحيف بريق وكذا زيد ويزيد وعرفة وكان من السابقين إلى الإسلام . وقصة إسلامه في الصحيحين على صفنين بينهما اختلاف ظاهر فعند البخاري من طريق أبي حمزة عن بن عباس قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ثم رجع إلى أبا ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتي المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطج فرآه علي فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه فقال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني فعلت ففعل فأخبره فقال إنه حق وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه وسمع من قوله فأسلم مكانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه . وأخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب » . وأخرج أبو داود وأحمد « عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ». وروى أبو ذر عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عنه أنس وابن عباس وأبو إدريس الخولاني وزيد بن وهب الجهني والأحنف بن قيس وجبير بن نفير وعبدالرحمن بن تميم وسعيد بن المسيب وخالد بن وهبان بن خالة أبي ذر وآخرون . وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به وقال المدائني إنه صلى عليه بن مسعود بالربذة ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل. راجع الإصابة فى تعريف الصحابة لابن حجر العسقلاني – وجدت في: القسم الأول [من ذكر له صحبة، وبيان ذلك].. ٩٨٦٨ – ص١٢٦/١٢٩ .

الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾[1] "

وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أيضا، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى: ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ قال صلى الله عليه وسلم: "مستقرها تحت العرش".

وقد تكاثرت الروايات حول المعنى الأول فعن أبي ذر ﷺ قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس، فقال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس"؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: "فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها – ثم قرأ – ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ »[2].

☆ **والقول الثاني: المستقر الزماني:**– أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها يوم القيامة، حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني، قال قتادة: « "لمستقر لها" أي لوقتها ولأجل لا تعدوه، وقيل: المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها، ثم تنتقل في مطلع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما "والشمس تجري لمستقر لها" أي لا قرار لها، ولا سكون بل هي سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف، كما قال تبارك وتعالى: "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين" أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة، "ذلك تقدير العزيز" أي الذي لا يخالف ولا يمانع "العليم" بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك ووقته على منوال، لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال عز وجل: "فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم" »[3].

ولا شك أن سرعة جريان الشمس إلى أية جهة لا نعلمها نحن، إلا ما أخبرنا به الله تعالى ورسوله الأمين سيدنا محمد ﷺ، أما عن سرعة الضوء، والتي تقدر بحوالي ١٧٩ سنة ضوئية

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج٤ ص١٨٠٦ – ٢٨٩ باب والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم – الحديث: ٤٥٢٤.

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج٣ ص١١٧٠ – الحديث: ٣٠٢٧

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث ص٣١٥ .

فى الثانية الواحدة، فذلك مـن القضايـا الاحتماليـة التـى تجـرى فـى العـالم الطبيعـى، وقضايـاه ونتائجه لا تعرف الكلمة الأخيرة، ولكن يأتى يوم تتلاشى هذه الشمس، كما تذهب حرارتها. قال تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ فإذا برق البصر ۔ وخسف القمر ۔ وجمع الشمس والقمر ۔ يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾[2].

۞ **قال ابن جرير:** « إن التكوير جمع الشيء بعضـه علـى بعـض، ومنـه تكويـر العمامـة وجمـع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: "كورت" جمع بعضها إلى بعض، ثم لفـت فرمـى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها »[3].

وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: « يكور الله الشمس والقمر والنجـوم يـوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا »[4]. وروى البخاري، عن أبي هريـرة عـن النبي صلى الله عليه وسلم: « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة »[5].

وقال تعالى: ﴿فإذا برق البصر ۔ وخسف القمر ۔ وجمع الشمس والقمر ۔ يقـول الإنسـان يومئذ أين المفر ﴾[6]. فالأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتـذل مـن شـدة الأهـوال، ومـن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور التى تجرى بقضاء الله وقدره فى نهايـة هـذا الكـون. وقولـه تعالى: ﴿ وخسف القمر﴾ أي ذهب ضوؤه، ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ فطلعا من المغرب أو ذهـب ضوؤهما وذلك في يوم القيامة[7]، وقوله تعالى: ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال الشديدة يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر ويقول: ﴿أين المفر﴾؟ أي هل من ملجـأ أو موئل[8].

---

(١) سورة التكوير – الآية ١ .

(٢) سورة القيامة – الآيات ٧/ ١٠ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث ص٤١٣.

(٤) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٧٦ .

(٥) الإمام البخارى صحيح البخاري ج٣ ص١١٧١ – كتاب بدء الخلق – باب صفة الشمس والقمر – الحديث رقم:٣٠٢٨.

(٦) سورة القيامة – الآيات ٧/ ١٠ .

(٧) تفسير الجلالين ج١ ص٧٧٩ .

(٨) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث ص٤٠٠

وكذلك الحال فى الليل، الذى يجن ثم ينسلخ بالنهار، وكل من الليل والنهار يطول فى بعض الفصول، ويقصر فى بعضها، مما يدل على أنهما مخلوقات الله تعالى، وقد سخر كل منهما لأداء ما كلف به، ومثل ذلك ما يجيء فى العواصف والزلازل والبراكين، والبرق والرعد والمطر والسحاب، بل والحرارة والرطوبة،وكل ما فى الكون هو من آيات الله الكونية المرئية، التى يمكن الحكم عليها بأنها موجودة على ناحية من النواحى التى قدرها الله سبحانه وتعالى.

٢ـ الغير مشاهدة:

وهى عالم الغيب بكل ما فيه على اعتبار أن عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وقد يعلم الله بعض عباده ممن اصطفاهم أو يعطيهم شيئا من علم الغيب لقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أ حدا ۝ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ۝ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير : « إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول الملكي والبشري ثم قال تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله وبهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا »[2].

وعلم الغيب ليس هو الغيب، على أساس أن الغيب هو ما لم يدرك بحاسة، ولا تدركه بداهة، وإنما مرده إلى الله تعالى، فقد يطلع بعضا من عباده على بعض غيوباته، وقد لا يطلع أحدا على شيء من علمه، فيبقى ذلك المكتوب بعيدا عن كل التصورات، وفوق كل الإمكانيات، مهما بذل فى التعرف عليه من طاقات، أما علم الغيب فهو معرفة ذلك الغيب، والتعرف عليه أو الوصول إليه، والفرق بين الغيب وعلم الغيب، هو ذاته الفرق بين الموضوع، وطريقة التعرف عليه، من خلال وسيلة بعينها.

---

(١) سورة الجن – الآيات ٢٦/٢٨ .

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٣٤ .

فالموت من الأمور الغير مشاهدة، وكذلك القبر والحياة بداخلة من النعيم المقيم أو العذاب الأليم، وكذلك البعث والنشر، ثم الحشر وأرض المحشر، والقلم[١] والعرش والكرسى واللوح[٢] والميزان والصراط، ثم الجنة ونعيمها والنار وعذابها، ذلك كله من أمور الغيب التى لا سبيل إلى معرفتها عن طريق العقل[٣]، مهما كانت إمكانياته.

وإنما معرفة ذلك راجعة إلى الله تعالى التى يجيء بها النقل المنزل، وهو من آيات الله الكونية، التى جاء بها العزيز الحكيم، وعبر عنها القرآن الكريم، أو جاء بها خير الأنبياء وسيد المرسلين، لما ورد فى الحديث الشريف عن المقداد[٤] عن النبى ﷺ قال : « إني أوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شعبان على أريكته أن يقول بيني وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال

---

(١) القلم جسم نوراني خلقه الله تعالى وأمره بكتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ونحن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته وفي بعض الآثار أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء وفي بعضها أن الله خلق اليراع وهو القصب ثم خلق منه القلم. [العلامة العجلونى – كشف الخفاء ج١ ص٢٧٦]

(٢) وعن ابن عباس قال « إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسوله أدخله الجنة ».[الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٩٨ ، وراجع للشيخ مصطفى بن أحمد العقباوى – حاشية العقباوى على شرحه لعقيدة الدرديرى ص٧ – المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ]

(٣) يقول الراغب : « وأصل العقل الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه: كفه، ومنه قيل للحصن معقل، وجمعه معاقل » [الإمام الراغب الأصفهانى – المفردات في غريب القرآن ص٣٤٢]، ويقول ابن منظور: « رجل عاقل، وهو الجامع لرأيه وأمره، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذى يحبس نفسه، ويردها عن هواها. أخذا من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، وسمي العقل عقلا؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك، أى يحبسه » [لسان العرب – باب اللام – مادة (عقل) جـ١١ ص٤٥٨/٤٥٩]، وفى المعجم الوجيز: « العقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات والتصديقات، ويتميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل » [المعجم الوجيز ص٤٢٩]، وبالتالى يعتبر العقل ملكة التفكير، التى يتوصل بها الإنسان إلى التمييز، بين الحسن والقبيح، والعاقل هو الذى يتبع الحق، ويحبس نفسه عن الباطل.[راجع دكتور عبدالوهاب محمد عبدالله سليم – بناء الإنسان فى القرآن (رسالة دكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م]

(٤) المقداد بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معدي كرب أبو كريمة وقيل أبو يحيى الكندي نزل حمص روى عن النبي وعن خالد بن الوليد ومعاذ بن جبل وأبي أيوب الأنصاري وجماعة وعنه ابنه يحيى وابن أبنه صالح بن يحيى وخالد بن معدان وحبيب بن عبيد ويحيى بن جابر الطائي والشعبي وشريح بن عبيد وعبد الرحمن بن أبي عوف وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي وراشد بن سعد القرائي وأبو عامر الهوزني ومحمد بن زياد الألهاني وأخرون ذكره بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام وقال مات سنة سبع وثمانين وهو بن إحدى وتسعين سنة. [راجع: تهذيب التهذيب ج١٠ ص٢٥٥ – رقم:٥٠٧، ومشاهير علماء الأمصار ج١ ص٥٣ – رقم:٣٦٥، والثقات ج٣ ص٣٩٥ – رقم:١٣٠٠، والإصابة ج٦ ص٢٠٤– رقم: ٨١٩٠]

أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا وإنه ليس كذلك »[1]. وقوله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه الا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[2].

كما أن العقل[3] وحده يعجز عن التعرف على السماوات السبع، من حيث هى فمع أنها مرئية فى ظاهرها إلا أن العقل لا يمكنه معرفة أنها سبع، فلو لم ينقل ألينا النقل المنزل أنها سبع، لم يكن بإمكان العقل إدراك ذلك، وأنها مبنية مثلا[4] وأنها سقف

---

(١) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج١ ص١٨٨ – ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها عن الله لا من تلقاء نفسه الحديث:١٢ ، والبيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج٩ ص٣٣٢ – الحديث:– ١٩٢٥٣ ، والدار قطنى – سنن الدارقطني ج٤ ص٢٨٧ – الحديث: ٥٩] ، وإجماعنا نحن أهل الإسلام على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة هما النقل المنزل من عند الله تعالى – وهما معا مصدر واحد فى التشريع الإسلامى – فمن كفر بواحد وأمن بأخر فهو كافر بهما معا، لأنهما جزءان لشيء واحدا. [راجع كتابنا: الدرة النيرة فى دفاع عن السنة النبوية المطهرة ج١ ص٥٧ ط١٩٩١/١م]

(٢) الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني المولود فى ١٦٤هـ والمتوفى فى ٢٤١هـ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ج: ٤ ص: ١٣٠ – الحديث:١٧٢١٣ – مؤسسة قرطبة – مصر . وأخرج أحمد أيضا عن النبى ﷺ قال : « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروهم فان لم يقروهم فلهم ان يعقبوهم بمثل قراهم ». [الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٤ ص١٣٠ – الحديث:١٧٢١٣ عن المقداد بن معد يكرب الكندى]

(٣) العقل : عقل الشيء يعقله عقلا، أى فهمه، وهو القوة المدركة فى الإنسان، وهو مظهر من مظاهر الروح، محله المخ، كما أن الإبصار خاصة من خصائص الروح آلته البصر، والعقل به تعرف حقائق الأمور، ويفصل بين الحسن والقبح، وهو قسمان: غريزى، ومكتسب. قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

رأيت العقل عقلين ∴ فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع ∴ إذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس ∴ وضوء العين ممنوع

[راجع فى هذا الشأن الأستاذ محمد فريد وجدى – دائرة معارف القرن العشرين م٦ ج١٤ ص٥٢١/٥٢٢ طبعة دار المعارف ١٩٢٤م.

(٤) قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ [سورة الذاريات – الآية ٧]

محفوظ[1]، وأنها تغطى الأرضين السبع، وهل بإمكان العقل أن يعرف سدرة المنتهى، أو يعرف اللوح والقلم، أو يمكنه تقديم صورة ما عن الصراط والميزان وأرض المحشر، فضلا عن الانتقال فوقها.

لاشك أن هذه المسائل من عالم الغيب، وهى فى نفس الوقت من آيات الله الكونية، على أساس أن الكون هو ما سوى الله تعالى، فيكون مرادفا للعالم، أو على أساس أن الكون هو الموجود فى مقابلة المعدوم، وذلك كله مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ويجب الإيمان به على ما هو وارد فى النقل المنزل من غير زيادة عليه أو نقصان له.

---

(١) قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾ [سورة الأنبياء – الآية ٣٢] يقول العلامة الصابوني : « يقول تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال: "أولم ير الذين كفروا" أي الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه؟ ألم يروا أن السماوات والأرض "كانتا رتقا" أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه فجعل السماوات سبعا والأرض سبعا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض؛ ولهذا قال: "جعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء:"

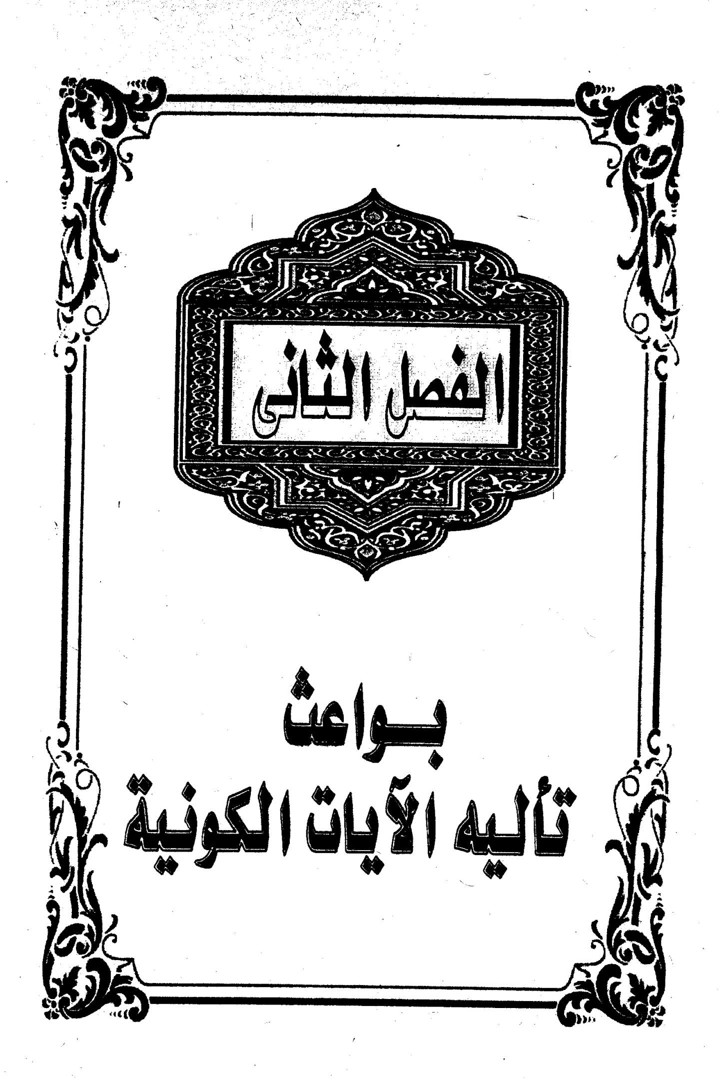
وفي كل شيء له آية .·. تدل على أنه واحد

وعن عكرمة قال، سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرأيتم السماوت الأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار. وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عمر: أن رجلا أتاه يسأله عن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ، فاسأله، ثم تعال فأخبرني بما قال لك، قال، فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر، قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس في تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علما، وقال عطية العوفي: كانت هذه رتقا تمطر فأمطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت فأنبتت، وقال سعيد بن جبير: كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه، وقال الحسن وقتادة: كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء، وقوله: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" أي أصل كل الأحياء. عن أبي هريرة قال، قلت: يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: "كل شيء خلق من ماء" قال، قلت: أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة؟ قال: "أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام".[مسند أحمد ج٢ ص٣٢٣ – الحديث٨٢٧٨ ، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٢ ص: ٢٦١ – ذكر إيجاب دخول الجنة لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وقرنهما بسائر العبادات – الحديث:٥٠٨]

وقوله تعالى: "وجعلنا في الأرض رواسي" أي جبالا أرسى الأرض بها وثقلها لئلا تميد بالناس و تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات، ولهذا قال: "أن تميد بهم": وقوله "وجعلنا فيها فجاجا سبلا" أي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا، من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا، ولهذا قال: "لعلهم يهتدون"، وقوله "وجعلنا السماء سقفا محفوظا": أي على الأرض وهي كالقبة عليها، كما قال: "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون"، وقال: "أفلم ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج"، والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس" أي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهده العرب، "محفوظا" أي عاليا محروسا أن ينال، وقال مجاهد مرفوعا، وقوله: "وهم عن آياتها معرضون" كقوله: "وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون" أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والاتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ونهارها، من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة، فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله، الذي قدرها وسخرها وسيرها » [مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني ص٣٧١]

أما الذى أتناوله فى هذا الكتاب فهو ما يتعلق باعتقادها آلهة من دون الله لها النفع والضر، وبيدها الأمر والنهى، و أهل الاعتقاد فيها جعلوا لها صورا مجسدة، وتماثيل ثابتة، يتحركون بها ليلا ونهار، حلا وترحالا، وهى الأرض والسماء، ثم الليل والنهار، وأخيرا الشمس والقمر.

وبما أن آيات الله تعالى الكونية متعددة فى الدنيا والآخرة فى عالم الشهادة وعالم الغيب، فإن متابعة الحركة الفلكية، وتاريخ الديانات الوثنية من أول نشأة العالم إلى يومنا هذا تعتبر مسألة صعبة إلى حد كبير، ناهيك عن متابعتها فى كل الأمم والشعوب،وفى الأفراد والجماعات.



الفصل الثانى

بواعث تأليه الآيات الكونية

من المؤكد أن كل غاية تقوم على بواعث، تكون بمثابة الدوافع[1] التى تقود إليها، لكن تختلف الغايات من فرد لآخر، ومن جماعة بعينها إلى جماعة غيرها، يستوى فى ذلك أن تكون الغايات متعلقة بالجانب القلبى الإيمانى، أو الجانب العقلى المعرفى، أو الجانب التقنى، أو الجانب الإلهامى والوجدانى؛ لأن العبرة فى مجيء الغاية هى أن تتم على الوجه الذى يسعى إليه طالبها، سواء أكان سعيه مقبولا أم مرفوضاً.

وكلما كان الباعث على الشيء منطلقا من الداخل، فإن التمسك به والاسترسال معه يكون أمرا طبيعيا، أما إذا كان الباعث له هو القهر والاستعباد، أو الذل والاستبداد، فإن الاحتفاظ بذات الباعث أو السير معه، يكون أمرا غير مطرد، بل ويجرى فيه القلق، ويتواءم معه الاضطراب.

---

(١) الدافع فى اللغة هو : القوة الهادفة ، التى تلجئ إلى غاية معينة ، مستخدمة الأسباب الموصلة بحركة قوية ، تستهدف الإزاحة ،سواء للإنشاء أو للانتهاء .، ويعرف فى الاصطلاح بأنه: « ما يدفع به الخصم حجة خصمه عند الحاكم الشرعى »(المعلم / بطرس البستانى – دائرة المعارف – قاموس عام لكل فن ومطلب – المجلد السابع ص٧٠٤ (طبعة ١٨٨٣م – مطبعة المعارف ببيروت) . ويعرف فى علم النفس بأنه : عبارة عن عامل داخلى ، يستثير سلوك الإنسان ، ويوجهه ، ويحقق فيه التكامل(أدوارد د.ج موراى – الدافعية والانفعال ص١٨٣ (الطبعة الأولى – دار الشروق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .) ، بحيث لو لم يوجد ذلك الدافع – ما تم ذلك التكامل . والدافع « يستعمل بكل بساطة للدلالة ، على فكرة تستخدم ، لكى نوضح بها،، أن سلوك الكائن الحى ، يتوقف فى تغيره وتعديله ، على إخضاع الكائن الحى ، وتعرضه أو تعريضه لعمليات معينة ، ونجد أن الدافع يعتمد فى ظهوره على الطاقة المختزلة بالجسم ، وهو الذى يوجهها »(الدكتور / مصطفى فهمى – الدوافع النفسية ص٣٩ (الطبعة الخامسة – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة ١٩٦٠م) .) . وهى تنقسم إلى "١-: الدوافع الفطرية، و« هى الدوافع التى تكمن فى الإنسان ، ويولد مزودا بها ، ولا يمكنه الاستقلال عنها أو الانفصال ، وإن أمكن تعديلها فى مراحل العمر». ٢-: الدوافع المكتسبة « هى عكس الدوافع الفطرية ؛ حيث لا يولد الفرد مزودا بها ، بل يكتسبها بعد ولادته من خلال التطور الزمنى للإنسان ، وهى تتنوع مع تنوع خبراته ،والمواقف التى يتعرض لها ، وطبيعة كل مرحلة عمرية يمر بها ».[راجع للباحثة نجلاء مصطفى بدوى – الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها – رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م]

بيد أن الله تعالى لما خلق الكائنات، أودع فى كل منها باعثا داخليا، يدعوهـا إلى إعـلان التوحيد لله رب العالمين، والتصديق بربوبيته، والاعتقاد فى ألوهيته، ومـن ثـم يتـم الإيمـان بـه، وتقع الطاعة له.

۞ **قال تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَـهُ مَـن فِـي السَّمَاوَاتِ وَمَـن فِـي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَـا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾[١].

۞ **يقول الحافظ ابن كثير:** « يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحـده لا شـريك لـه، فإنـه يسـجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به كما قـال تعـالى: "أو لم يـروا إلى ما خلق اللّه من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا للّه وهـم داخـرون"[٢]،وقـال ههنا "ألم تر أن اللّه يسجد له من في السماوات ومـن في الأرض"، أي مـن الملائكـة في أقطـار السماوات، والحيوانات في جميع الجهات، مـن الإنـس والجـن والـدواب والطـير، "وإن مـن شيء إلا يسبّح بحمده"[٣]، وقوله: "والشمس والقمر والنجوم" إنما ذكر هذه علـى التنصيـص لأنها قد عبدت من دون اللّه، فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبـة مسـخرة، "لا تسـجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للّه الذي خلقهن إن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"[٤].

وقال أبو العالية[٥]: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع للّه ساجداً حـين يغيـب ثم ينصرف حتى يؤذن لـه فيـأخذ ذات اليمـين حتـى يرجـع إلى مطلعـه، وأمـا الجبـال والشـجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل. وعن ابن عباس قال: جاء رجل فقـال: يـا رسـول اللّه إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدتُ، فسـجدت الشـجرة لسـجودي

---

(١) سورة الحج– الآية ١٨ .

(٢) سورة النحل – الآية ٤٨ .

(٣) سورة الإسراء – الآية ٤٤ .

(٤) سورة فصلت – الآية ٣٧ .

(٥) أبو العالية: هو رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية الرياحي البصري أحد الأعلام كان مولى لامرأة بني رياح بن يربوع ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه، وسمع من عمر وعلي وأبي وأبي ذر وابن مسعود وعائشة وأبي موسى وأبي أيوب وابن عباس وزيد بن ثابت وعدة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب وتصدر لإفادة العلم وبعد صيته قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وروى عنه القراءة عرضا شعيب بن الحبحاب وآخرون. مات رحمه الله في شوال سنة ثلاث وتسعين. [سير أعلام النبلاء ج٤ ص٢٠٧ – رقم:٨٥]

فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود، قال ابن عباس: فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة، ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة[1].

وقوله: "والدواب" أي الحيوانات، كلها، وقد جاء في الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر، فرب مركوبة خير وأكثر ذكراً لله تعالى من راكبها. وقوله: "وكثير من الناس" أي يسجد لله طوعاً مختاراً متعبداً بذلك، "وكثير حق عليه العذاب" أي ممن امتنع وأبى واستكبر، "ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء".

وقيل لعلي إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشيئة، فقال له علي: يا عبد الله، خلقك الله كما يشاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء، قال: بل حيث يشاء. قال: والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف »[2].

وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد لها اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار »[3].

فليس سجود هذه الكائنات علويها وسفليها كبيرها وصغيرها لله تعالى على سبيل القهر والغلبة، ولا على سبيل الترغيب، وإنما على سبيل الاستجابة لنداء الباعث الداخلي، والتمسك برجاءاته. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[4].

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٢ ص٤٧٢ – ٤٠٧ باب ما يقول في سجود القرآن – رقم:٥٧٩، والبيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج ٢ ص ٣٢٠ – رقم:٣٥٦٩ ، وابن ماجة – سنن ابن ماجه ج١ ص٣٣٤ – ٧٠ باب سجود القرآن – رقم:١٠٥٣.

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن الكريم – ج٣ ص٢١٢ .

(٣) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج١ ص٨٧ – ٣٥ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة – الحديث:٨١ .

(٤) سورة فصلت –الآية ١١ .

❁ **يقول الطبرى** : « وقوله تبارك وتعالى: يعني تعالى ذكره ثـم استوى إلى السماء ثم ارتفع إلى السماء. ﴿ وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض فقال لهـا ولـلأرض ائتيا طوعا أو كرها يقول جل ثناؤه فقال الله للسماء والأرض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقـت فيك من الأشجار والثمار والنبات وتشققي عن الأنهار قالتا أتينا طائعين جئنا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك »[1].

بيد أن بعض بنى الإنسان قد عملوا على طمس نور الإيمان فـى القلـوب، والسـير خلـف الأوهام، فأدى بهم ذلك إلى الاعتقاد فى الخرافات[2] بعد التصديـق بـهـا، والانطلاقـات نحوهـا، حتى إن بعضهم كان يقتل الأنبياء[3] والمرسـلين، بينمـا كـان البعض الآخـر يعـمل علـى امتـهان المعجزات الحسية بعد السخرية منها، والاستهزاء بها، والاعتداء عليـها حتـى لـو كـان بـالقتل، متى أمكنه ذلك، كالحال مع الشقى الـذى ذبـح ناقـة نبـى الله صـالح عليه السلام. قـال تعـالى : ﴿ إِذِ

(١) الإمام الطبرى – جامع البيان ج٢٤ ص٩٨.

(٢) الخرافات : جمع مفرده خرافة، وكان فى الماضى خرافة هذا مـن سـاكنى المدينـة المنـورة قبـل الإسلام، وكان يذهب إلى مواضع الجن فيقابلهم ويعتدى على أماكنهم وبيوتهم، كما يلوث أطعمتهم ومياه شربهم، فلما أكثر من ذلك أصدروا حكما عليه بالتغريب لمدة عام، كانوا يرونه من ألاعيبهم الكثير، ممـا لا يمكـن تصديقه، فلما هاجر رسوله الله ﷺ الى المدينة قـال الصحابـة مـن أهـل المدينـة يـا رسـول الله : إن خرافـة يحدثنا أحاديث عجب. فماذا نفعل بها أنصدقها أم نكذب بها؟ قـال ﷺ لا تصدقـوا خرافـة، حيـث كـان يؤذى الجن فغربته عاماً، فكانت تريه من ألاعيبها مـا يحـدث لكـم، فلمـا انتـهت المـدة عـاد خرافـة إلى قتله، ولم يقبل حكاية الخرافات، وفى الحديث الشريف: عن عائشة قـالت حـدث رسـول الله صلـى الله عليه وسلم نساءه ذات ليلة حديثا فقالت امرأة منهن يا رسول الله كـان الحديـث حديـث خرافـة فقـال أتدرون ما خرافة، إن خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيـهم دهـرا طويـلا ثـم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال النـاس حديـث خرافـة . [الإمـام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٦ ص١٥٧ رقم: ٢٥٢٨٣ ، وراجع للهيثمي – مجمع الزوائد ج٤ ص٣١٥ – باب عشرة النساء]

(٣) قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَـهُمُ الأَنبِيَـاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [سورة آل عمران – الآية ١٨١] وقـال أيضـا: ﴿ فَبِمَـا نَقْضِـهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَـلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا ﴾ [سورة النساء – الآية ١٥٥] .

انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها ﴾[١].

وبعض بنى الإنسان اصطنع لنفسه أفكارا زعمها تغنيه عن التعاليم الإلهية التى يجيء بها المرسلون، ومضت أيام قلائل حتى صارت تلك التعاليم البشرية بمثابة قوانين يتمسك بها أصحابها، ويحاولون جمع الأتباع نحوها، وبالتالى يتحول هؤلاء الأتباع إلى طوائف وفرق، لا مانع لديها من تأليه بعضهم، سواء أكانوا من أولئك الذين أنشأوا هذه الأفكار أم الذين عملوا على تأكيدها. وربما بذلوا جهودهم بغرض تعبيد الناس بعض الآيات الكونية، او المنافع والمخاوف فى صورة تبين أن هناك بواعث قادت إلى ذلك، ومن هذه البواعث ما يلى :-

الأول: الباعث النفسى[٢]:

النفس الإنسانية عالم بعيد الأغوار، كثير الأسرار، فيها الطمأنينة والقلق، الخوف والترقب، الحزن والفرح، فيها المتناقضات والمتقابلات، فيها من النوازع والنوازغ، فيها من الآمال والأمنيات العذاب والأحلام، تتعدد مظاهرها، وتتكاثر ملامحها، منها النفس الأمارة بالسوء[٣]، التى لا تكف عن التماس الشرور وارتكاب الآثام.

- **يقول الإمام الفخر الرازى:** « إن النفس لأمارة بالسوء، ميالة إلى القبائح، راغبة فى المعصية »[٤]، ويقول الإمام ابن القيم -: « وأما النفس الأمارة فهى المذمومة، فإنها التى تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها، إلاّ ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلاّ بتوفيق الله له، وكان النبى ﷺ يعلمهم خطبة الحاجة: [الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له،

---

(١) سورة الشمس — الآيات ١٥/١٢ . وقال تعالى: ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ [سورة هود — الآيات ٦٦/٦٤]

(٢) وردت مادة الكلمة ن ف س فى القرآن الكريم حوالى ثلاث وتسعين ومائتى مرة. [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧١٠/٧١٤]

(٣) قال تعالى : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ [سورة يوسف – الآية ٥٣]

(٤) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – ج٩ ص٨٠ .

ومن يضلل فلا هادي له]⁽¹⁾، فالشر كامن في النفس، وهو يوجب سيئات الأعمال، فإن خلى الله بين العبد ونفسه، هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال، وإن وفقه وأعانه، نجاه من ذلك كله. فنسأل الله العظيم أن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه نعم المولى ونعم النصير»⁽²⁾.

☆ **والنفس اللوامة** التي تدفع إلى السعي نحو الأسس الصحيحة والقواعد الأصلية، يقول الإمام ابن القيم: « وأما النفس اللوامة، وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾⁽³⁾، فاختلف فيها:-

فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة، أخذوا اللفظة من التلوم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوقة من مخلوقاته، تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة، فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألوانا متلونة، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكشف، وتنيب وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتتقى، وتفجر إلى أضعاف أضعاف، ذلك من حالاتها وتلونها فهي تتلون في كل وقت ألوانا كثيرة.

وقالت طائفة: اللفظ مأخوذ من اللوم، ثم اختلفوا، فقالت فرقة: هي نفس المؤمن، وهذا من صفاتها المجردة. قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائما يقول: ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى أو نحو هذا من الكلام. وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب، ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فواته.

وقالت طائفة : بل هذا اللوم للنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه برا كان أو فاجرا، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله، وترك طاعته والشقي لا يلومها، إلا على فوات حظها وهواها. وقالت فرقة أخرى : هذا اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئا على إساءته، وإن كان محسنا على تقصيره.

---

(١) الإمام ابن ماجة - سنن ابن ماجه باب خطبة النكاح - الحديث رقم: ١٨٩٢ عن عبد الله بن مسعود، وعن ابن عباس بنفس الباب في الحديث رقم : ١٨٩٣.

(٢) العلامة ابن القيم - كتاب الروح - ص٣٠٠ .

(٣) سورة القيامة - الآيتان ١/٢ .

ثم ينتهي إلى رأيه الشخصي فيقول: وهـذه الأقـوال كلـها حـق، ولا تنـافى بينـها، فإن النفس موصوفة بهذا كله، وباعتباره سميت لوامة، ولكن اللوم نوعان: لوامة ملُومة، وهـي النفس الجاهلة الظالمة، التي يلومها الله وملائكته. ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تـزال تلـوم صاحبـها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة، واشرف النفـوس مـن لامـت نفسـها فى طاعة الله واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قـد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها، ولم تلم نفسها، ولم تحتمل فى الله ملام اللوَّام، فهى التي يلومها الله عز وجل »[1].

☆ والنفس المطمئنة التى تعود إلى ربها راضية بـأوامره ونواهيـه. قـال تعـالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2].

۞ قال العلامة ابن عاشور: « والمطمئنة: اسم فاعل من اطمأن، إذا كان هادئـاً غـير مضطـرب ولا منزعج، فيجوز أن يكون من سكون النفس بالتصديق، لما جاء به القرآن الكريـم دون تـردد ولا اضطراب بال، فيكون ثناء على هذه النفس، ويجوز أن يكون من هدوء النفس بدون خـوف ولا فتنة فى الآخرة »[3].

۞ وقال الإمام القرطبى: « والنفس المطمئنة: السـاكنة الموقنـة، أيقنـت أن الله ربـها، فـأخبتت لذلك، وهى النفس المطمئنة بثواب الله، وعنه المؤمنـة، وقـال الحسـن: المؤمنـة الموقنـة، وعـن مجاهد أيضا الراضية بقضاء الله التى علمت أن ما أخطأها لم يكـن ليصيبـها، ومـا أصابـها لم يكن ليخطئها.

وفى ذات الوقت الآمنة من عذاب الله، لأنها التى عملت على يقـين بمـا وعـد الله فـى كتابه. فصارت هى المطمئنة بالإيمان المصدقة بالبعث والثواب. وهى المطمئنة أيضا، لأنـها بشـرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع »[4].

۞ وقال الإمام ابن القيم: « تسمى النفس بالنفس المطمئنة باعتبار طمأنينتـها إلى ربـها بعبوديتـه ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرضا به، والسكون إليه، فـإن سمـة محبتـه وخوفـه ورجائه منها قطع النظر عن محبة غيره ورجائه، فيستغنى بمحبته عن حب سائر مـا سـواه،

---

(١) كتاب الروح – العلامة ابن القيم – ص٢٩٨/٢٩٩.

(٢) سورة الفجر – الآيات ٢٧/٣٠ .

(٣) العلامة الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج٣٠ ص٣٤٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن – القرطبى – ج١٠ ص٧١٤٨.

فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمعه عليه وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به ويبصر به، ويتحرك به ويبطش به، فتسرى تلك الطمأنينة فى نفسه وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة إلاّ بالله وبذكره، وهو كلامه الذى أنزله الله على رسوله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١) »(٢).

وهذه النفس الإنسانية فطرت على طلب الأمن والتماس الأمان، وهى متجهة إلى الجانب الذى ترى أمنها لديه، ويتحقق لها الأمان عنده، فإذا اخفقت فى التماسه أو الوصول الصحيح إليه، فإنها تنشد ما تزعمه مبلغاً إياها ذات الجانب، وليس أدل على ذلك من لجوء الإنسان القديم إلى الأحجار والأشجار يئشد لديها ما يرجوه، وربما تقرب إليها بالعبادة، والقرابين المختلفة التى تدخل فيها البشرية والحيوانية والنباتية وغيرها.

غير أن هذه النفس كما تطلب الأمن، فإنها تحتاج إرواء الداخل بالهدى أو إشباعه بالضلال. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٣)، لكن من يبحث عن إروائها بما فيه الهدى الإلهى يقع له الرضوان، ومن يبحث عن إشباعها من خلال الغى الشيطانى، يطرحه الله فى النيران. قال تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٤).

❁ **يقول العلامة القرطبى:** « فمن اهتدى وصدق محمدا وآمن بما جاء به فإنما يهتدي لخلاص نفسه، "ومن ضل" وترك الرسول والقرآن، واتبع الأصنام والأوثان، "فإنما يضل عليها" ويكون وبال ذلك على نفسه "وما أنا عليكم بوكيل" وحفيظ أحفظ أعمالكم إنما أنا رسول »(٥).

وكلما ارتفعت هذه النفس إلى ما فيه الهدى، فقد زكت، ومتى انحط بها المرء إلى مدارك السفل، فإنها تهبط به فى الدرك الأسفل، والاعتقاد فى ألوهية الله الواحد الأحد الفرد الصمد،

---

(١) سورة الرعد – الآية ٢٨ .

(٢) الإمام ابن القيم – الروح ص٢٩٢.

(٣) سورة الشمس – الآيات ٧/١٠ .

(٤) سورة يونس – الآية ١٠٨ .

(٥) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن الكريم ج٨ ص٣٨٨ .

تجعل النفس زاكية في العبادة أيضا. قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

أما الاعتقاد في ألوهية غير الله، أو وجود شريك له ، أو إدعاء الأبوة والبنوة، فهو الذى يجعل المرء ينزل إلى ظلم نفسه. قال تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]،

بيد أن النصوص القرآنية قد ألمحت إلى بعض الأمم الذين بعث الله فيهم الرسل، فكذبوهم وقاتلوهم، فرفع الله عن هذه الأمم أنوار النبوة، رغم أن نفوسهم كانت تتطلع إلى بلوغ ذلك الزاد النفسي، الذى هو مبعث الطمأنينة وفى ذات الوقت هو الفطرة الدينية، ومن ثم فقد لجأ هؤلاء وغيرهم إلى تأليه كائنات مخلوقة لله، فمنهم من كانت الشمس هى نجواه ونداءه الأثيرى، فاعتقد ألوهيتها، وقدم لها القرابين، لا حبا فى الشمس، وإنما من باب الاعتماد عليها، باعتبار أنها القوة العليا بالنسبة لغيرها من الكونيات الأخرى، وظلت هذه الاعتقادات قائمة حتى جاء القرآن الكريم، فحكى عنها والمعتقدين فيها، ثم كر عليهم جميعا ببيان بطلانها، ووجه فسادها. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ • إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[3].

۞ **يقول القرطبى:** « والذين تدعون من دونه من الأصنام ما يملكون من قطمير، أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة[4]، كما أنكم "إن

---

(١) سورة فاطر – الآية ١٨ .

(٢) سورة الفتح – الآية ١٠ . يقول العلامة الطبرى : « يقول تعالى ذكره ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله والإيمان به والعمل بطاعته فإنما يتطهر لنفسه وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجنانه والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به كما فى قوله تعالى: ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه أي من يعمل صالحا فإنما يعمله لنفسه"، وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وبركم وفاجركم وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه » [الطبري– جامع البيان ج٢٢ ص١٢٨]

(٣) سورة فاطر – الآيتان ١٣/١٤.

(٤) هذا الرأى قاله أكثر من المفسرين وقال ابن عباس هو شق النواة وهو اختيار المبرد وقاله قتادة وعن قتادة أيضا القطمير القمع الذي على رأس النواة الجوهري ويقال هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة. [القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٣٣٦]

تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم" وإن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعائكم، ولا يجيبوكم في استغاثاتكم، لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، إذ ليس كل سامع ناطقا[1].

"ويوم القيامة يكفرون بشرككم" حيث يجحدون أنكم عبدتموهم ويتبرءون منكم ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقا، وأنهم أمروكم بعبادتهم كما أخبر عن عيسى بقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضا أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلا للعبادة ولا ينبئك مثل خبير هو الله جل وعز إذ لا أحد أخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله في عمله »[2].

◈ **ربما يقال**: مادام الله قد فطر الناس على العقيدة الإيمانية بالله رب العالمين، والنفس الإنسانية تشعر بحاجة شديدة إلى هذا الإيمان القلبي، فلماذا لجأ هؤلاء وأولئك إلى الاعتقاد في الآيات الكونية، وعبادة المنافع والمخاوف، وما يستتبع ذلك؟

والجواب: أن الإيمان أمر قلبي داخلي، لأن الإيمان هو ما وقر في القلب[3] وصدقه العمل[4]، وذلك تكون له علامات. يقول صاحب الحلية: « علامة الإيمان طاعة من آمنت به والعمل بما يحبه ويرضاه وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده حتى أكون عليه مقبلا ولموافقته مؤثرا ولمرضاته متحريا لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أوثر عليه شيئا دونه ولا أتشاغل عنه بسبب سواه حتى يكون المالك لسري والحاث لجوارحي بما أمرني من آمنت به وله عرفت فعند ذلك تقع الطاعة لله على الاستواء ومخالفة كل الأهواء والمجانبة لما دعت إليه الأعداء والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا والإقبال على من هو أولى وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألت عنه وصفة الكل يطول شرحة قال وسألته ما الإيمان فقال هذا سؤال لا حقيقة له ولا معنى ينبيء عن مزيد من علم وإنما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجردا وحقيقته في القلوب

---

(١) وقال قتادة المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل أي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر. [القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٣٣٦]

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٣٣٦ .

(٣) ففي فضائل أبي بكر الصديق قال رسول الله ﷺ: « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه » [العلامة العجلوني – كشف الخفاء ج: ٢ ص: ٢٤٨ الحديث رقم: ٢٢٢٨].

(٤) أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن أنه قال « إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » [مصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص١٦٣ رقم: ٣٠٣٥١]

مفردا وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله والتصديق وبما أخبر من أموره في سائر سمواته وأرضه مما ثبت في الايقان وإن لم أره بالعيان فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق وللآيقان إيقان وإنما الصدق فعل قلبي والايقان ما استقر من العلم عندي فكيف يجوز أن يفعل فعلي وإنما أنا الفاعل أو يعلم علمي وإنما أنا العالم والسؤال في الابتداء غير مستقيم ولو جاز أن يكون للآيمان إيمان وللتصديق تصديق جاز أن يوالي ذلك ويكرر إلى غاية تكثر في العدد وجاز أن يكون كما عاد على ثواب إيماني وثواب تصديقي أن يعود علي إيمان إيماني ثواب وعلى تصديق تصديقي جزاء ولو أردت استقصاء القول في واجب ذلك لا تسع به الكتاب وطال به الخطاب »[1].

أما الإلحاد فأمر معروف قائم فى صدور أصحابه، بدافع الكبر والحسد، أو الحقد والأنانية، أو الغرور المندفع القائم على القوة المتوهمة، والخيال الجامح، والأمانى الكاذبة، والله تعالى لما فطر الخلائق على معرفته جل شأنه، فقد فطر الثقلين على التوحيد الخالص لله رب العالمين، و التنزيه التام، فهو الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

❁ **يقول الشيخ الزفتاوى:** « إن الإيمان يحرك النفس من داخلها، حيث ينقاد المرء إليه طوعا بعقله وكرها بقلبه، وذلك مما يدفع إلى القول بأن إشباع النفس الإنسانية أحد البواعث لبناء العقيدة الإيمانية، فضلا عن تطوراتها المتواصلة، وقفزاتها المستمرة[2]، التى تجذب المرء إليها من عقله كما تشده من أزمته متى كانت هذه العقيدة مردها إلى الله تعالى، أما إذا كانت عقيدة مردها إلى الأفكار التى ينشئها أصحابها، أو يقبسونها من ديانات وثنية، فإن الانجذاب نحوها يكون قليلاً، والإقبال عليها يوشك أن يتلاشى.

ونفس الفكرة تجوس خلال ديار أفئدة الكثيرين، إذ يقرر الشيخ السقارى أن النفس الإنسانية لها سلطان على الجوارح، فإذا قبلت تلك النفس عقيدة، وأمسكت بها، فإن الجوارح تبذل طاقتها فى تقديم ألوان الطاعة لها على أساس أن العقيدة اتجاه يجرى فى القلب، أما السلوكيات فإنها طريق تقوم به الجوارح، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر إلا فى الديانات الوثنية ذات الاستحداثات المتوالية[3]، أما فى الإسلام فإن الإيمان محله القلب، كما ورد فى

(١) الإمام أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) – حلية الأولياء ج١٠ ص٢٦٦ – طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة.

(٢) الشيخ نجيب محمد الزفتاوى – الإيمان وأثره في النفوس ص٥٣ ط دار بركات ١٣١٣هـ.

(٣) الشيخ محمد عبدالعظيم السقارى – المسيحية الأصول والفروع ص٥٣ وهذا يقترب كثيرا مما ذهب إليه العلامة القناوى، الذى يقرر أن النفس الإنسانية هى محل الاعتقاد، أما الجوارح فإنها محل تطبيق ما تأمر به العقيدة وهو التكاليف أو السلوكيات. [راجع للشيخ مصطفى صادق القناوى – النفس الإنسانية ص٤٥ ط ١٩٤٥م]

الحديث القدسي يقول رب العزة : « لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع »[1].

الثاني : القدرات العقلية والإمكانيات الإبداعية :

العقل[2] من أنعم الله تعالى التي لا تحصى[3]، وهو نور من أنوار الله تعالى، التي يطبع بعضا منها في عباده، به يتمايزون، وفي إمكانياته وملكاته يتنافسون، بدليل أن الله تعالى رفع التكليف عن فاقدي هذه الملكة[4]، حتى لا يكون التكليف بالنسبة لهم داخلا في نطاق ما لا يطاق، لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثةٍ: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيِّ حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل".»[5]، فإذا استيقظ النائم، واحتلم الصبي، وعاد للمجنون عقله، وصار

---

(١) العلامة العجلوني – كشف الخفاء ج٢ ص٢٥٥/٢٥٦ رقم: ٢٢٥٦.

(٢) قد وردت مادة (عقل)، وما اشتق منها في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة. [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – باب العين]

(٣) قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم – الآية ٣٤]

(٤) الملكة هي صفة راسخة في النفس وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا. [راجع للعلامة الجرجاني – التعريفات ج١ ص٢٩٦ رقم: ١٤٧٨ ط١ دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ ، ص٢٤٠ – ط دار الكتاب العربى ١٤١١هـ/١٩٩١م]

(٥) الإمام أبو داود – سُنَنُ أبي دَاوُد – كتاب الحدود – باب في المجنون يسرق أو يصيب حدّاً – الحديث رقم: ٤٤٠٣ ج٤ص١٣١(تحقيق صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر ببيروت ١٩٩٤م) عن أبي الضُّحي، عن عليٍّ ﷺ. وأخرج في الباب نفس الحديث رقم: ٤٣٩٨ - عن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثةٍ: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصَّبيِّ حتى يكبر".» وروى أيضا في نفس الباب الحديث رقم: ٤٤٠٢- عن أبي ظبيان، قال هناد: الجنبيُّ قال:« أتي عمر بامرأة قد فجرت، فأمر برجمها، فمرَّ عليّ رضي الله عنه فأخذها فخلى سبيلها، فأخبر عمر فقال: ادعوا لي عليًا، فجاء عليٌّ رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثةٍ: عن الصَّبيِّ حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ" وإن هذه معتوهة بني فلان، لعل الذي أتاها أتاها وهي في بلائها، قال: فقال عمر: لا أدري، فقال عليّ رضي الله عنه: وأنا لا أدري » . وأخرج الإمام الترمذي بسننه (وشرح العلل) – بابُ مَا جَاءَ فِيمنْ لا يجبُ عليهِ الحدُّ، في الحديث رقم: ١٤٤٦ عن الحسَن عن علي أنَّ رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلَّم قال: «"رُفِعَ القلمُ، عن ثلاثةٍ، عن النَّائمِ حتىٰ يستيقظَ، وعن الصَّبيِّ حتى يشبَّ، وعن المعتوهِ حتىٰ يعقل"». وعن ابن عباس قال:« قيل لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أو ما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثةٍ: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصَّبيِّ حتى يحتلم؟" قال: صدقت، قال: فخلّى عنها. ». [الإمام أبو داود – سُنَنُ أبي دَاوُد – كتاب الحدود – باب في المجنون يسرق أو يصيب حدّاً – الحديث رقم: ٤٣٩٩، وروى النسائي بلفظ: « رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، والصبى حتى يحلم، والنائم حتي يستيقظ » (الحديث أخرجه النسائي في كتاب الطلاق – باب من لا يقع طلاقه – جـ٦ ص١٥٦، وأبو داود في كتاب الحدود باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا رقم: ٤٤٠٢]

كل واحد منهم قادر على ممارسة قدراته العقلية، فإن الله تعالى يلزمه القيام بالتكاليف الشرعية كاملة.

فلما كان العقل بهذه المنزلة من ناحية التكليف وعدمه، فإن القدرات العقلية تعبر عنها المظاهر التى تجيء فيها، باعتبار ان الناس جميعا يتمايزون فيما بينهم بالاختلاف فى مداركهم العقلية، وهو ما يعرف باسم الفروق الفردية فى الملكات العقلية[1]، وهذه الفروق نفسها جعلت البعض يستنكف اعتقاد ما يعتقده البعض الآخر، حتى لو كان الداعى لهذه العقيدة نبى مرسل من قبل الله تعالى، وبخاصة إذا كان لا يثق فيهم من الناحية العقلية، أو ينظر إليهم على أنهم أدنى منه منزلة، أو أقل فى القدرات العقلية.

وقد عبر القرآن الكريم عن صور عديدة من هذه الأفهام المغلوطة، حيث اتهم نبى الله شعيب من قبيل الذين بعث فيهم — بأنه يتحدث بما لا يفيد، مما يدل على ضعف قدراته العقلية، وهو ما يستوجب الفرار منه، وعدم اتباعه وتقليده. ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2]،

يقول العلامة الصابونى: « يقولون: "يا شعيب ما نفقه" ما نفهم "كثيرا" من قولك، "وإنا لنراك فينا ضعيفا " ذليلاً، لأن عشيرتك ليسوا على دينك، "ولولا رهطك لرجمناك" أي قومك لرجمناك" بالحجارة والسباب، "وما أنت علينا بعزيز" إذ ليس عندنا لك معزة، "قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله"، أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيّه بمساءة وقد اتخذتم جانب الله "وراءكم ظهريا" ونبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه، "إن ربي بما تعملون محيط" وهو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم عليها »[3]،

---

(١) ربما يطلق عليها البعض اسم الفروق الفردية العقلية، بينما يطلق عليها بعض آخر اسم الفروق الفردية فى الملكات العقلية، وهما متقاربان إلى حد كبير، اللهم إلا أن يراد بالملكات العقلية النظر إلى العقل على أنه جوهر مستقل، والنظر إلى الملكات على أنها جوهر آخر، وأرى أن الاختلاف بينهما يجيء فى الألفاظ المعبرة، أما المضمون فواحد.

(٢) سورة هود — الآيتان ٩١:٩٠ .

(٣) العلامة محمد على الصابونى — مختصر تفسير ابن كثير — المجلد الثانى ص٢٦٧ .

ومن المؤكد أن العقل ملكة لابد من استغلال إمكانياتها فى المعارف النافعة والاعتقادات الصحيحة، التى تنجى المرء فى الدنيا والآخرة، بجانب الأعمال التى تعود على المجتمع الإنسانى بالخير، فإذا لم يتم للعقل استخدام إمكانياته بالعقيدة الصحيحة والعلم النافع، فسوت تمتلئ معارفه بما يضر، وتبدوا اعتقاداته فاسدة، وكذلك الأعمال الأخرى الناشئة عن الاعتقادات الفاسدة، فإنها ستكون هى الأخرى ممتلئة بألوان الفساد، بجانب الشرور فى والآثام.

لكن العقل الإنسانى بالنسبة له اعتقاداته قد يجعلها وليدة جملة من المعارف الإنسانية، فما أدلت به المعارف الصحيحة اعتقده العقل على نحو معرفى، بحيث يكون من السهل التخلى عنه، متى ظهرت له معارف أكثر صحة من ذى قبل، « وتكون اعتقادات هذه من قبيل الاعتقاد المعرفى الذى محله العقل »[١]، وليس الاعتقاد الحق، الذى يكون محله العقل والقلب على أساس أن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

فى نفس الوقت، فإن دائرة المعارف الإنسانية التى محلها العقل تتنوع — باعتبار الموضوع — فمنها المعارف الرياضية، ومنها المعارف الطبيعية، و منها المعارف الفقهية والأصولية، بل والمعارف الفنية أيضا، بحيث لا يكون هناك من عقل ألا وفيه شيء من هذا التعدد، وإن اختلفت درجات تلك المعارف لدى البعض، من بنى الإنسان عن البعض الآخر، سواء أكان ذلك فى الأفراد أم فى مجتمع من المجتمعات بالضعف أو القوة، أو باختلاف التسطح أو التعمق.

والإمام السيوطى مع شدة ذكائه وساهماته فى كل العلوم، فإن الجانب المتعلق بعلم الحساب بالنسبة لقدراته العقلية كان اقل من غيره، وقد عبر هو بنفسه عن ذلك حيث يقول: أما علم الحساب فهو أعسر شيء على وأبعده عن ذهنى، وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به، فكأنما أحاول جبلا أحمله[٢].

أما أينشتاين الرياضى الشهير، صاحب نظرية النسبية الرياضية[٣]، فقد كان يكره حفظ قطعة من الشعر أو النصوص، ويقول: إنه كان يفر من دراسة الشعر والنصوص، ومتى طلب منه حفظ قطعة من الشعر، فكان يفر من المدرسة، وكذلك كان يكره دراسة التاريخ، لأنها تحتاج

---

(١) الشيخ محمد أبو العينين الدرملى – العقيدة الإيمانية وأثرها فى النفوس ص٥١ ط دار رضوان ١٣٢٥هـ.

(٢) الإمام السيوطى– حسن المحاضرة ج٢ ص١٥٣ ، وصون المنطق والكلام ج١ ص٢٣ .

(٣) هناك النسبية الكلامية، وكان علماء المسلمين هم وحدهم الذين تحدثوا عنها، وسجلوها تحت أبحاث الأمور العامة فى مؤلفاتهم الكلامية. [راجع على سبيل المثال للإمام الإيجى المواقف – الثانى فى الأمور العامة]

حفظا لبعض الأحداث مرتبة بالسنوات التى وقعت فيها[١]، ومع أنه صاحب عقلية رياضية متميزة، إلا أن الجانب العقلى فى الفهم صار أعلى بالنسبة لعقله من الجانب المتعلق بالحفظ والاستظهار.

كما يقرر التاريخ العام، أنه ما من إنسان، إلا وفى قدراته العقلية وملكاته الذاتية، جوانب تعلو وأخرى تهبط، وقد يقع بينها التساوى فى الإمكانيات، لكنها تختلف فى إشباعها، من حيث العمق أو التسطح، فأمير الشعراء أحمد شوقى كان شاعرا مجيدا، تذكر إبداعاته الشعرية بأصحاب المعلقات والشعراء الذين حفروا لأنفسهم فى تاريخ الشعر مكانا، ومع هذا لم تكن لديه القدرة على مواجهة الجمهور، حتى إن شعره كان يلقيه غيره نيابة عنه[٢]، متى كان ذلك فى المحافل الكبيرة، كما كان يرفض - أول الأمر - استخدام الكتابة النثرية، لأنه لم تكن لديه الإجادة التامة لها، حتى تواكب ملكته الشعرية.

أضف إلى ما سبق أن كل عاقل يدرك من نفسه أن فى ملكاته العقلية نوعا من التفاوت فى إدراك المعلومات اكتسابا لها، أو تعبيرا عنها بدليل أن بعض الأذكياء من الناس يمكنهم اكتساب معلومات متنوعة فى موضوعاتها كثيرة بسرعة فائقة لمجرد إلقائها عليهم، ولكنها تكون مسألة صعبة عليهم جدا، متى طلب منهم التعبير عن ما فهموه من خلال الكتابة النثرية أو الشعرية، بل وربما امتد ذلك إلى المشافهة، وهو ما يؤكد تفاوت الناس فى ملكاتهم العقلية وقدراتهم التعبيرية.

ولما كان التباين بين الناس فى القدرات العقلية إلى هذا الحد، فإن كل واحد منهم متى غاب عن نور السماء، أو غاب عنه نور السماء، فإنه يحاول إقناع نفسه باختيار نموذج من الكائنات الموجودة، بحيث يكون ذلك النموذج هو المثال الأعلى بالنسبة له، ثم يستخدم اللغة التعبيرية التى توحى بأن هذا الكائن خالص له، مع أن صاحب هذه المحاولة الفاشلة هو الذى أوقع نفسه فى أغلال ذلك الاعتقاد الزائف.

ربما يكون هذا النموذج هو كوكب الأرض، لما فيها من اتساع وتنوع، وفوائد تتعلق بعملية الإنبات للزرع، وقد يكون النموذج هو كوكب الشمس بما لها من البعد الشاسع والارتفاع المتعالى والأشعة المكتسبة التى لا يملك أحاد الناس أو جملتهم حجبها عن الظهور، وربما كان هو

---

(١) الدكتور محمد نصر الدين السنهوتى - أينشتاين العقلية والإمكانيات ص١٣ ط أولى ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور فوزى محمد نصر - الشعراء المحدثون ص١٩٥ ط أولى ١٩٧٧م.

الاعتقاد متمثلا فى الليل بظلامه الدامس وحركة إقباله السريعة، أو حركة أدباره البطيئة أو العكس[1]. وقد يكون ذلك النموذج هو النهار الذى يقع فيه الكر والسعى والعمل.

لكن أصحاب هذه العقول لا يكتفون بمجرد الحركة العقلية التى فرضت عليهم اختيار كائن مخلوق، حتى يكون بالنسبة لهم هو المثال المجرد، وإنما لابد من رسم صور وإقامة تماثيل لذلك المثال، حتى ينقاد إليها الآخرون ومن إلى هؤلاء يلوذون، ومن ثم فقد ظهرت صناعة التماثيل وصناعة الأصنام، لتكون وثائق بارزة تعبر فى مضمونها عن شيء ما، ثم تطورت هذه الاعتقادات من كونها مجرد وسيلة تعبيرية إلى أن صارت هى المعبود الحقيقى حينا، أو الموصل إلى المعبود حينا آخر.

فى كل هذه الأحوال لم تفقد عقيدة الألوهية الصحيحة وجودها فى العقول والنفوس، ولكن افتقدت هذه العقول الشجاعة فى التعبير عن ذلك الوجود للعقيدة الإلهية الحقة داخل العقول والقلوب والنفوس، وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى واصفا تلك الحال. قال تعالى. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]. وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[3]. وقوله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[4].

فالعقيدة الإلهية الصحيحة فى رب العالمين العزيز العليم لم تفقد وجودها بالكلية، وإلا ما جاءت الإجابة على النحو السالف، كما أنهم لما سئلوا عن هذه المعبودات المصنوعة، التى لا تملك شيئا من النفع أو الضر لنفسها، أو غيرها، كان الجواب: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[5].

---

(١) المعروف أن الليل على المظلوم يكون طويلا، لأنه لا يعرف من الأيام إلا الظلام، ولذا قيل ليل المظلومين طويل، أما ليل العاشقين فقصير، كما قيل من أن ليالى السعادة قصيرة، لا حسبان لها فى العمر. [راجع للأستاذ ثروت محمد الفقى – أيام وليالى ص١٣ ط دار الحرم ١٩٣٣م]

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٦١ .

(٣) سورة العنكبوت – الآية ٦٣ .

(٤) سورة الزخرف – الآية ٨٧ .

(٥) سورة الزمر – الآية ٣ .

يقول ابن كثير : « أخبر الله عز وجل عن عبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا من الله زلفى، أي إن ما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به[1].

وذهب فريق إلى أن المعنى ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه[2].

وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه فلا تضربوا لله الأمثال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، إن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون، حيث سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله[3] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[4]، وقوله عز وجل:

---

(١) وإلى هذا الرأى اتجاه ابن كثير ومن اعتمد رأيهم، وهو رأى جميل وتوجيه سديد.

(٢) نسب هذا الرأى إلى قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد، واللغة تعضده، وكذلك ظواهر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

(٣) أما الجنة فبفضل الله تعالى فعن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وأما مسيئا فلعله أن يستعتب »
[الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٥ ص٢١٤٧ – الحديث ٥٣٤٩ ، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢١٦٩ ١٧ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى– الحديث: ٢٨١٦]

(٤) سورة سبأ – الآيتان ٤٠/٤١.

"إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار" أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه »[١].

من ثم فإن أصحاب التدين العقلي هم الذين يعملون على إطفاء نور العقيدة الصحيحة في نفوسهم، والإمساك بما تمليه عليهم قدراتهم العقلية وتصوراتهم الذهنية، بحيث يهتدون بها أو تكون هي البديل لذلك النور الإلهي، وحاشا للباطل أن يكون له بجوار الحق مكان، فضلا عن أن يعلو عليه، أو يعلن أصحابه كفايته عنه، وكم من صاحب عقل ما ألقاه في الهلاك سوى عقله لما اعتمد عليه ونسي من خلق له ذلك العقل. قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٢].

❁ **يقول الإمام البيضاوي**[٣] : « إن من يطيع هواه، ويبني عليه دينه، لا يسمع ولا يبصر دليلا، فهل تكون عليهم حفيظا عن الشرك والمعاصي؟ هل تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجرى لهم الآيات والحجج، فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم، فهؤلاء كالأنعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات في آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات، بل هم أضل سبيلا من الأنعام، لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها،

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٤ ص٤٦

(٢) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤ . يقول العلامة الحافظ ابن كثير: « مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه، كما قال تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾؟ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول، ثم قال تعالى: ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ﴾، أي هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة، فإن تلك الأنعام السارحة تفعل ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم. » [تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٣٢١ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ]

(٣) البيضاوي: الإمام القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي البغدادي الحنفي أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، سمع أبا جعفر بن المسلمة وأبا الغنائم بن المأمون وأبا محمد الصريفيني وطائفة، وروى عنه السمعاني وابن عساكر وابن الجوزي والكندي وآخرون. قال السمعاني شيخ صالح متواضع متحر في قضائه الخير متثبت توفي في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمس مائة [سير أعلام النبلاء ج: ٢٠ ص: ١٨٢ رقم: ١١٧]

وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه سبحانه وتعالى »[1].

ووجه الشبه بين هؤلاء والأنعام نبه إليه الإمام الزمخشرى فقال: « شبه الله عز وجل من يتبعون أهواءهم بالأنعام، فإن قلت كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قال: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التى تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتتجنب ما يضرها، وتهتدى لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان، الذى هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذى هو الشرع الهنى والعذب الروى »[2].

۞ وعلل الطاهر بن عاشور فقال: « ووجه كونهم أضل من الأنعام، أن الأنعام لا يبلغ بها ضلالها إلى إيقاعها فى مهاوى الشقاء الأبدى، لأن لها إلهاماً تتفصى به عن المهالك، كالتردى فى الجبال، والسقوط من الهوّات، هذا إذا حمل التفضيل فى الضلال على التفضيل فى جنسه، وهو الأظهر، وإن حمل على التفضيل فى كيفية الضلال ومقارنته، كان وجهه أن الأنعام قد خلق إدراكها محدوداً، لا يتجاوز ما خلقت لأجله، فنقصان انتفاعها بمشاعرها ليس عن تقصير منها، فلا تكون بمحل الملامة، وأما أهل الضلالة فإنهم حجزوا أنفسهم عن مدركاتهم بتقصير منهم، وإعراض عن النظر، واستدلال فهم أضل سبيلاً من الأنعام »[3].

۞ ويقول الشيخ تاج الدين الحنفى : « فى الآيات إعلام بأن هؤلاء الناس فى جهل بالمنافع، وقلة نظر فى العواقب، فهم مثل البهائم، بل هم أشد من البهائم غفلة، من حيث لهم فهم، وقد تركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والأنعام لا سبيل لها إلى فهم المصالح، فكان التارك لشرع الله، المتمسك بهوى نفسه، أضل من الأنعام »[4].

كما أن العقل متى صار لصاحبه هو الهادى والمرشد وحده فى أمور الدين فإن الإنسان يتحول بالدين إلى ما يطلبه له عقله القاصر من إباحة المحرمات[5]، والخروج على شرع الله،

---

(١) الإمام البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٣٩٣ .

(٢) العلامة الزمخشرى – تفسير الكشاف – ج٣ ص٩٤ .

(٣) العلامة الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – جـ٩ ص١٨٤ .

(٤) راجع للعلامة الإمام تاج الدين الحنفى النحوى – الدر اللقيط من البحر المحيط ج٦ ص٤٩٨ دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٥) كالحال مع ابن آدم الأول، حين قتل أخاه استجابة لنزعات قلبه، أو سعيا خلف أوهام نفسه.

فيصير دينه تبعا لعقله، وعقله تبعا لشهواته، وشهواته تسعى خلف هواه معبرة عنه، وكل ذلك مؤد للهلكة، وملق بصاحبه في النار. قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

يقول العلامة الطبري: « يقول تعالى أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء، دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره . وأضله الله على علم فخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية.

وطبع الله على سمعه، فلا يسمع مواعظ الله وآي كتابه فيعتبر بها ويتدبرها ويتفكر فيها فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى، وطبع أيضا على قلبه فلا يعقل به شيئا ولا يعي به حقا، وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا إله غير، فمن يوفقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدي أبدا ولن يجد لنفسه وليا مرشدا »[2].

وربما يقال: إن العقل حجة الله على عباده، فلماذا لا يسمح الله للعقل باختيار الطريق الأنسب له في التعرف على الله وطرائق عبادته، ولماذا يطلب من العقل الانصياع لقرارات تملى عليه من غيره، ألا يعتبر ذلك إهدار للعقل ذاته. كما يعتبر قضاء تلك الحجة.

والجواب: أن العقل حجة الله على عباده في قدرته على تلقي الأمور الإلهية، التي تجيء بها النبوة الصادقة عن الله تعالى، وبالتالي فلم يكلف الله فاقد القدرات العقلية بتلقي أحكامه، فضلا عن إمكانية التعرف عليها، وإنما أكرم الله هؤلاء بأن رفع عنهم التكليف، وجعلهم عنده في عداد أهل الجنة، تفضلا منه ورحمة، يستوي في ذلك الصغار الذين لم تكتمل قدراتهم العقلية كالحال مع الصبي حتى يبلغ[3]، والكبار الذين ولدوا فاقدي الأهلية،

(١) سورة الجاثية – الآية ٢٣ .

(٢) الإمام ابن جرير الطبري – جامع البيان – ج٢٥ ص١٥٠.

(٣) ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » [الإمام البخاري – صحيح البخاري ج١ ص٤٦٥ – ٩١ باب ما قيل في أولاد المشركين – رقم: ١٣١٩]

واستمروا على ذلك أو فقدوها بعد تقدم السن، فإن الله تعالى يرفع عنهم التكليف، من حين فقدان تلك الملكة[١]، وما يحدث من النائم نوما طبيعيا من غير تعد[٢].

كما أن العقل وحده ليس بإمكانه التعرف على الله تعالى بطريقة مأمونة، وإنما لابد له من النور الإلهى، الذى يجيء به خبر النبوة الصادق، إذ من أين للعقل مثلا معرفة أن الله تعالى موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال والإكرام، بل من أين للعقل معرفة أن لله تسعة وتسعين اسماء وكيف يتفهم العقل أن الله تعالى هو البر الرحيم، وهو الجبار المنتقم، فاختيار العقل طريق معرفة الله يكون محفوفا بالمخاطر، وأقصى ما يمكن للعقل هو الاستدلال على أن الله تعالى موجود حى دائم، وهذا وحده لا يكفى فى إدراك العقيدة الإلهية الحقة، ولما كانت ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله من الغيبيات، فإن إدراك العقل وحده لها لا يكون كافيا[٣].

ثم إن طرائق عبادة الله تعالى ليس بإمكان العقل وحده التعرف عليها كاملة ؛ لأن العقول مختلفة فى ملكاتها وإمكانياتها، فما يتصوره عقل على أنه طاعة، قد يفهمه الآخر على أنه معصية ، وكيف يتأتى للعقل تصور أن الله حرم عبادة الأصنام، ونحن فى الحج نرمى حجرا فى رمى الحجرات، ونستلم حجرا عند الطواف، مع أننا فى الأمرين لا نستلم ولا نرمى، إنما نقوم بشعائر إلهية، ولكل منها غاية، إذ فى الأول تعبير عن بغض الشيطان، بينما الثانى فيه تسليم على الرحمن، ففى الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان يتكلم عن من استلمه بالنية، وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه »[٤].

---

(١) أما إذا كان صاحب عقل ثم ذهب عنه، فإن الله تعالى يحاسبه على الفترة التى كان فيها عاقلا ولا يظلم ربك أحدا.

(٢) كفوات وقت فرض من الفروض أثناء النوم الطبيعى، أما من يتعدى بنومه كمن يستخدم المنومات لغير علة مرضية، أو من تملكه رغبة النوم قبل الفرض، حتى لا يقوم به فحسابه عند الله تعالى بنيته.

(٣) يراجع فى ذلك كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى، وكتابنا الغزاليات فى النبوات.

(٤) الإمام الطبرانى – المعجم الأوسط ج١ ص١٧٧ – رقم:٥٦٣ ، والحاكم – المستدرك على الصحيحين ج١ ص٦٢٧ رقم:١٦٨١، والمنذرى – الترغيب والترهيب ج٢ ص١٢٤ – رقم:١٧٦٩. وابن خزيمه – صحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٢١ – ١٨٦ باب ذكر الدليل على أن الحجر إنما يشهد لمن استلمه بالنية دون من استلمه ناويا باستلامه طاعة الله وتقربا إليه إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلم أن للمرء ما نوى– الحديث:٢٧٣٧

◄ **ثم إن العبادات متنوعة بين صلاة وزكاة وصوم وحج**، ولكل منها شروط وأركان وهيئات، بل إن لها من شروط الوجوب ما هو غير شروط الصحة والأداء، وكل منها يغاير الثاني في كثير من تفصيلاته، كما أن في العبادات طاعات لا يمكن للعقل معرفتها، ولا إدراك الفوائد منها، فضلا عن كونها في مواعيد ثابتة كالصلاة مثلا، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[1]، وبالتالي فأن الصلاة إذا أخرجها القائم بها عن مواعيدها، يكون قد وقع في تقصير يجعله يحاسب عليه أمام الله تعالى.

☆ **وفي الزكاة**: قوله تعالى: : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2] . فظاهر الآية يدل على « وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض من النبات ، ومن كل ما يزرع الآدميون ، لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم ، فأوجبوا الزكاة في النخيل والكروم ، وفيما يقتات ويدخر من الحبوب ، وقال الزهري ومالك : تجب في الزيتون »[3].

واشترط الشرع الشريف أن يكون ذلك كله من الطيب، لا من الخبيث، فعن أبي هريرة قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك »[4].

☆ **وفي الصيام**: قوله تعالى: : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء – الآية ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٦٧ .

(٣) العلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) – لباب التأويل في معاني التنزيل جـ١ ص١٩١ – دار الفكر – بيروت .

(٤) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٧٠٣ – الحديث رقم: ١٠١٥ .

(٥) سورة البقرة – الآية ١٨٥ .

◉ **قال صاحبا تفسير الجلالين:** «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر هاديا من الضلالة للناس وفيه آيات واضحات بما يهدي إلى الحق من الأحكام، ومما يفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وكرر ذلك لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر لكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم، ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند إكمالها على ما هداكم إليه وأرشدكم لمعالم دينه ولعلكم تشكرون الله على ذلك »[1]، وكل ذلك لا يتم أداؤه إلا بشروطه، كما لا يكون مقبولا، إلا إذا كان فيه التوجه إلى الله تعالى، لقوله سبحانه: « قال كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[2].

☆ **وفي الحج:** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

◉ **يقول الإمام الطبرى:** « يعني بذلك جل ثناؤه: أن الحج فرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام والحج إليه. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم: هي الزاد والراحلة »[4]، فهل يملك العقل معرفة كيفية أداء ركن الحج من غير أن يخبره الله تعالى بذلك.

وقد بشر الله الحجاج بأن لهم من الله تعالى مغفرة، ففي الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم « يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[5]، فصار الحاج بعد أداء الركن خالصا لله تعالى، كأنه لم يقع فى ذنب أبداً، فكما أن المولود حين يولد لا يكون حاملاً لأى خطأ، لأنه لم يذنب،

---

(١) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٣٨.

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٥ ص٢٢١٥ – ٧٦ باب ما يذكر في المسك – الحديث:٥٥٨٣ ، وأخرجه مسلم صحيح مسلم ج٢ ص٨٠٧ – الحديث: ١١٥١

(٣) سورة آل عمران – من الآية ٩٧.

(٤) العلامة الطبرى – جامع البيان ج٤ ص١٦/١٥.

(٥) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم:١٤٤٩، ج٢ ص٦٤٥ – باب قول الله تعالى فلا رفث الحديث رقم: ١٧٢٣، ١٧٢٤ وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٣ – باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث رقم: ١٣٥٠ وأخرج الإمام الترمذى عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه » (سنن الترمذي ج: ٣ ص: ١٧٦/١٧٥ – باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة الحديث رقم : ٨١١)

فصار الحاج بعد أداء الركن خالصا لله تعالى أمر الحاج الذى لم يرفث ولم يفسق كحال هذا المولود فيما لو قبضت روحه، فإنـه يذهب إلى ربـه، ولا ذنـب عليـه، وإنمـا يكرمـه الله تعـالى بالجنـة إكراما.

وعن أبي هريرة ﷺ أيضا قال: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمـال أفضـل قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم مـاذا قـال حج مـبرور »[1]، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة على ورد به الحديث الشريف، وقد تمسك بذلك كلـه أهـل الإسلام وأفاضوا فيه شرحا وتعليقا.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال : « العمـرة إلى العمـرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جـزاء إلا الجنـة »[2]، فـإذا مـات المسـلم المؤمـن بعـد أداء الفريضة وقد قبلها الله تعالى منه، فإنه يبعث كأنه لم يقع فى خطأ أبـداً، كمـا يولـد الصغـير مـن رحم أمه، طاهراً بريئا لم يقع فى إثم أبدا، وهى بشرى ما بعدها إلا كل الخير من الله تعـالى رب العالمين.

وعن عبد الرحمن بن يعمر[3] « أن ناسا من أهل نجـد أتـوا رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم وهو بعرفة فسألوه فأمر مناديا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »[4].

بل من أين للعقل مثلا معرفة أن الأعمال التى يقوم بها المرء بعضها يرد، وبعضـها يقبلـه الله، مع أنها داخلة فى نطاق العبادات العضدية، وقد بينت الآيات القرآنية ذلك. قال تعالى على

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم:١٤٤٧ وروى أيضا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت « يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجـاهد قال لا لكن أفضل الجهاد حج مـبرور » (صحيـح البخـاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – بـاب فضـل الحـج المـبرور الحديث رقم:١٤٤٨)

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٣ – بـاب لا يحـج البيـت مشرك ولا يطـوف بـالبيت عريـان الحديث رقم: ١٣٤٩

(٣) عبد الرحمن بن يعمر الديلي له صحبة عداده في أهل الكوفة روى عـن النـبي حديـث الحـج يـوم عرفـة وحديث النهي عن الدباء والمزفت وعنه بكير بن عطاء الليثي قلت ذكر بـن حبـان في الصحابـة أنـه مكـي سكن الكوفة قال ويقال مات بخراسان،وقال مسلم والأزدي وغيرهمـا لم يـرو عنـه غـير بكـير بـن عطـاء.
[تهـذيب التهـذيب ج٦ ص٢٧٠ رقم: ٥٨٩، ومشاهير علماء الأمصار ج١ ص٣٤ رقم:١٨٣]

(٤) الإمام الترمذى سنن الترمذي ج٣ ص٢٣٧ – ٥٧ باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحـج – رقم:٨٨٩ ، سنن ابن ماجه ج٢ ص١٠٠٣ – ٥٧ باب من أتى عرفة قبـل الفجـر ليلـة جمـع رقـم:٣٠١٥ ، مسند أحمـد ج٤ ص٣٠٩ رقـم:١٨٧٩٦ ، سـنن البيـهقي الكـبرى ج٥ ص١٧٣ – ٢٥٨ بـاب إدراك الحـج بإدراك عرفة قبل طلوع الفجر من يوم النحر – رقم:٩٥٩٣

لسان رسول الله ﷺ: : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(١)، والمعنى قل لهم إنما أخبركم.

ولما كانت هذه العبادات بما فيها من شرائع وشعائر تعلوا جميعا على العقل البشرى، فقد جعل الله النبوات معه لتكون بمثابة الدليل والهادى له حتى لا يضل أو يشقى، وقد ذهب علماء الإسلام إلى أن من فوائد بعثة الرسل أنها تجيء لأمور:

[١] فيما يستقل العقل بمعرفته، بحيث تكون بمثابة التأكيد على صحة ما وصل إليه واستقل به، فيزول شكه وتنقضى مخاوفه، ولولا البعثة لضل وشقى.

[٢] فيما لا يستقل العقل بمعرفته فتكون هى الهادى، حيث تأخذ بمعارف العقل فتنميها، كالحال فى معرفة فوائد الأغذية والأدوية.

[٣] فيما لا علم للعقل به، كأحوال الطاعة والحسن والأمور التى لا يحسن فيها العقل أو يقبح، وإنما يتم ذلك كله من خلال النبوة والرسالة.

[٤] فيما لا علم للعقل به، ومنها معرفة أحوال الماضيين وقصص الغابرين، فيقع له بذلك كل من العظة والاعتبار، بجانب إدراك ما فيهما.

[٥] أن تكون فيما يتعلق بأمور الآخرة من الثواب والعظيم، والنعيم المقيم أو العذاب الأليم(٢).

ثم إن فى البعثة حماية للعقل، لأنها تكلفه بما يطيقه ولو ترك العقل وحده، ربما افترض على نفسه ما لا طاقه له به، ظنا منه أن ذلك قد يقربه إلى الله تعالى، فيقع فى الهلاك، كما وقع أتباع عيسى ابن مريم. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً(٣) ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

(١) سورة الكهف - الآية ١١٠.

(٢) يراجع المواقف للعلامة الإيجى أو الشروح والحواشى شرح المقاصد لإمام السعد التفتازانى، والطوالع والمطالع للإمامين البيضاوى والأصفهاني وعليهما حاشية السيد الشريف الجرجانى ونشر الطوالع للعلامة ساجقلى زاده، وكتابنا: الغزاليات فى النبوات.

(٣) الرُّهْبانِيةُ: مصدرِ الراهب، والاسمِ الرُّهْبَانِيَّةُ. وفي التنزيل العزيز: وجعلنا في قُلُوب الذين اتَّبَعُوه رأفةً ورَحْمَةً و رَهْبانِيَّةً ابْتَدعوها، ما كَتَبْناها عليهم إلا ابتغاء رضوانَ. قال أبو إسحاق: يحتمل ضَرْبَيْن: أحدهما أن يكون المعنى في قوله ﷺ : ورَهْبانيَّةً ابْتَدَعُوها ، وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، كما تقول رأيتُ زيداً وعمراً أكرمته؛ ويكون ما كتبناها عليهم معناه لم تُكتب عليهم البَتَّة. ويكون إلا ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاءِ والألف، فيكون المعنى: ما كَتَبْنا عليهم إلاَّ ابْتغاءَ رضوان الله. وابتغاءُ رضوان الله، اتبّاعُ ما أَمَرَ به، فهذا، وا أعلم وجه، وفيه وجه آخر: ابتدعوها، جاءَ في التفسير أنهم كانوا يَرَوْن من ملوكهم ما لا يَصْبرون عليه، فاتخذوا أسرابا وصَوامعَ وابتدعوا ذلك، فلما أَلزموا أنفسهم ذلك التَّطَوُّعَ، ودَخَلوا فيه، لَزِمَهم تمامُه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صَوْماً، لم يُفْتَرَضْ عليه، لزمه أن يُتِمه. وفي الحديث: لا رَهْبانِيَّةَ في الإسلام، هيَ كالاخْتِصاءِ واعْتِناق السَّلاسِلِ وما أشبه ذلك، مما كانت الرُّهابنةُ تَتَكلّفه، وقد وضعها الله ﷺ، عن أُمة محمد ﷺ. [لسان العرب ج١ ص٤٣٧]

إلا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّـهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

وكذلك الذين سألوا عن عبادة رسول الله، فلما علموا بها أوحت إليهم عقولهم أن عبادتهم قليلة عن بلوغ درجة الطاعة، ففرض كلٌ منهم على نفسه ما حكم به عقله، ما بين القيام المتواصل أو الصيام الدائم، أو الانقطاع التام عن العلاقات الزوجية، فبين الله على لسان رسوله كذب ذلك كله.

ففي الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر انا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »[2].

إذاً العقل لا يصغى لقرارات تملى عليه من عقول أخرى، وإنما عليه الاستجابة لتوجيهات الله تعالى، التي يبعثها للعقل الصحيح من خلال رسول بشر يمكن لأصحاب العقول أن يتعاملوا معه ويعايشوه، وهو في كل الحالات واحد منهم ينفذ قبلهم تعاليم الله تعالى، فهو لا

---

(١) سورة الحديد – الآية ٢٧. فيقول تعالى ذكره ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح إبراهيم برسلنا وأتبعنا بعيسى ابن مريم وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه يعني الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته رأفة وهو أشد الرحمة ورحمة ورهبانية ابتدعوها يقول أحدثوها ما كتبناها عليهم وما افترضنا تلك الرهبانية عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها فقال بعضهم هم الذين ابتدعوها لم يقوموا بها ولكنهم بدلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى فتنصروا وتهودوا. وقال آخرون بل هم قوم جاؤوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها لأنهم كانوا كفارا ولكنهم قالوا نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أوليا فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها. [تفسير الطبري ج٢٧ ص٢٣٨]

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج٥ ص١٩٤٩ – ٧٠ كتاب النكاح – ١ باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء– الحديث: ٤٧٧٦.

يطلب منهم الصلاة، إلا كما أخبره الله بها وعلمه جبريل الأمين إياه، ولذا، قال ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي »[1].

ومن ثم فقد كانت بشرية الرسول الكريم من أهم العوامل التي ساعدت على القيام بالتكاليف الشرعية، على الوجه الأكمل، واقتدى به أهل العلم بالله، من الذين فتح الله عليهم من خزائن رحمته

۞ **ويقول الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ** : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ[2] بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3].

۞ **يقول ابن كثير** : « يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه قل لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إنما أنا بشر مثلكم، فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به، فإني لا

---

(١) ففي الحديث الشريف :عن مالك بن الحويرث قال:« أتي رجلان النبي صلى الله عليه وسلم يريدان السفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أنتما خرجتما، فأذنا، ثم أقيما، ثم ليؤمكما أكبركما) » (رواه الإمام البخاري – صحيح البخاري – ١٨ – باب: الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة – الحديث رقم:٦٠٤. ورى في الحديث رقم:(٦٠٥) من نفس الباب عن مالك قال:« أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا، فلما ظن أن قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم). وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها: (وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم) » (ورواه البخارى في ٢٧ – باب: رحمة الناس والبهائم – الحديث رقم:٥٦٦٢. والمراد بـ : [(شببة متقاربون) في السن، وشببة جمع شاب]. وروى البخارى أيضا – في: ١٧ – باب: الدعاء بعد الصلاة – الحديث رقم: ٥٩٧٠ – عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: قالوا:« يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: (كيف ذاك). قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: (أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً) »

(٢) وفي السنة النبوية عن أبي هريرة، عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عزَّ وجلَّ أنه قال: "أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك".[الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٣٠١ – الحديث: ٧٩٨٦، ٧٩٨٧] وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك".[الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٣ ص: ٤٦٦ – الحديث رقم:١٥٨٧٦] وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء يوم القيامة بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول الله عز وجل للملائكته ألقوا هذا وأقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيرا فيقول وهو أعلم إن هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغي به وجهي". [العلامة على بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادى (٣٠٦/٣٨٥)هـ – سنن الدارقطني ج١ ص٥١ –(١٤) باب النية رقم:٢ – طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م – تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني.] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عزَّ وجل". [الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٢ ص: ٢٩٠ باب الترغيب في تحسين الصلاة – الحديث: ٣٣٩٩].

(٣) سورة الكهف – الآية ١١٠ .

أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي، عما سألتم من قصة أصحاب الكـهف[١]، وخبر ذي القرنين[٢]، مما هو مطابق في نفس الأمر، لـولا مـا أطلعني اللّه عليه، وإنما أخبركم ﴿أنما إلهكم﴾ الذي أدعوكم إلى عبادته ﴿إله واحد﴾ لا شريك له، ﴿فمن كان يرجو لقـاء ربـه﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فليعمل عمـلا صالحـا﴾ موافقاً لشرع اللّه، ﴿ولا يشرك بعبـادة ربـه أحدا﴾ وهو العمل الذي يراد بـه وجـه اللّه وحده لا شريك لـه، وهـذان ركنـان فـي العمـل المتقبل،إذ لا بدَّ أن يكون خالصاً للّه، صواباً على شريعته، كما أخبر رسـول اللّه صلـى اللّه عليه وسلم[٣].

روي عن طاووس[٤] قال، « قال رجل: يا رسول اللّه! إني أقف المواقف أريد وجه اللّه، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم شيئاً، حتى نزلت هذه الآية ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ »[٥].

وجاء رجل إلى عبادة بن الصامت[٦]، فقال « أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه اللّه ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغـي وجـه اللّه ويحـب أن يحمد، ويتصدق

---

(١) وقصة الكهف وأصحابه وكلهم مما أخبر به القرآن الكريم من الغيب، وبالتالى فلما اخبر الرسول ﷺ عنه فقد كان من الشواهد له على صدقه في دعواه النبوة الخاتمة.

(٢) راجع قصة ذى القرنين في سورة الكهف من قوله تعالى﴿ ويسألونك عن ذى القرنين ﴾ وراجع تفسيرالفخر الرازى للقصة، ففيها شيء مهم لمن يقرأ .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير – ج٣ ص١٠٩ .

(٤) طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له فقيل هو مولى بحير بن ريسان الحميري وقيل بل ولاؤه لهمدان أراه ولد في دولة عثمان رضي الله عنه أو قبل ذلك، سمع من زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس ولازم ابن عباس مدة وهو معدود في كبراء أصحابه، وروى أيضا عن جابر وسراقة بن مالك وصفوان بن أمية وابن عمر وعبد الله بن عمرو وعن زياد الأعجم وحجر المدري وطائفة وروى عن معاذ مرسلا، روى عنه عطاء ومجاهد وجماعة من أقرانه وابنه عبد الله والحسن بن مسلم وابن شهاب وإبراهيم بن ميسرة وأبو الزبير المكي وسليمان التيمي وسليمان بن موسى الدمشقي وقيس بن سعد المكي وعكرمة بن عمار وأسامة بن زيد الليثي وعبد الملك بن ميسرة وعمرو بن دينار وعبد الله بن أبي نجيح وحنظلة بن أبي سفيان وخلق سواهم وحديثه في دواوين الإسلام وهو حجة باتفاق. مات في عام ستة ومئة. [سير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٨ رقم:١٣]

(٥) الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٣٦٦ – رقم:. ٧٩٣٩

(٦) عبادة بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين سكن بيت المقدس، حدث عنه أبو أمامة الباهلي وأنس بن مالك وأبو مسلم الخولاني ...، وآخرون، وهو ممن جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أقواله: ألا تروني لا أقوم إلا رفدا ولا آكل إلا مالوق يعني لين وسخن وقد مات صاحبي منذ زمان يعني ذكره وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي وإن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتي الشيطان فيحركه على أنه لا سمع له ولا بصر، ومات رحمه الله بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة » [راجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥ رقم:١]

يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله ولا حاجة لي فيه»[١].

وعن شداد بن أوس[٢] رضي الله عنه أنه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكاني. سمعت رسول الله يقول: "أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية"، قلت: يا رسول الله! أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: "نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه"[٣]،

من ثم فإن انصياع العقل الصحيح لخبر النبوة لا يعتبر نوعا من إهداء قيمة العقل أو لشيء من معارفه، كما لا يعتبر استخفافا بإمكانياته وملكاته،ـ إنما يعتبر حفاظا عليه وصونا له، ونحن فى دنيانا نحافظ على الأشياء التى نعتبرها ثمينة، حتى لا تتعرض للتلف، ونبذل فى سبيل ذلك بقدر منزلتها فى نفوسنا، وإذا سألنا أحد عن ذلك نقول: إنها غالية علينا، حتى لو أدى ذلك إلى حجبها عن العيون طيلة العمر، ونعتبر ذلك احتراما لها، ونوعا من الحرص عليها، يستوى فى ذلك الممتلكات الشخصية والمقتنيات الثمينة، فهل بعد ذلك يجرؤ العقل على خوض غمار التكذيب بخبر النبوة تحت مزاعم أنها تقيد حربه العقل وتهدر حرمته، كما يزعم أصحاب الفكر المادى أو أبناء الصابئة وأحفاد أهل الخلاعة قديما ودعاة التطور ومنكرو النبوات حديثا.

ثم إن كل عقل له رصيد كبير من الذكريات والتجارب والخبرات، بعضها مؤلم، يجعل المرء يفترض السوء، ويتوقع الآلام، وبعضها مفرح، يجعل المرء يتوقع المزيد من عوامل النجاح وألوان السرور، ومن هذه الذكريات والخبرات تتكون جملة المعارف التى ترسخ فى العقل، حتى

---

(١) ابن أبي شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص١٤٠ رقم:٣٤٨١١ .

(٢) شداد بن أوس ابن ثابت بن المنذر بن حرام أبو يعلى وأبو عبد الرحمن الأنصاري النجاري الخزرجي أحد بني مغالة وهم بنو عمرو بن مالك ابن النجار، وهو ابن أخي حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، من فضلاء الصحابة وعلمائهم نزل بيت المقدس، حدث عنه ابنه يعلى وأبو إدريس الخولاني وأبو أسماء الرحبي وأبو الأشعث الصنعاني وعبد الرحمن بن غنم وجبير بن نفير وكثير بن مرة وبشير بن كعب وآخرون، سكن الشام ومات ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين في ولاية معاوية بن أبى سفيان » [راجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٦٠ رقم ٨٩ ، والثقات ج٣ ص١٨٥ رقم:٦٢١ ، و مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٥٠ رقم:٣٢٥].

(٣) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ١٢٣– الحديث: ١٧١٦١

تصير بالنسبة له كالثوابت، التى لا تقبل الاقتراب منها بالنقد أو التمحيص، لأنها صارت ثابتة فى العقل كالأسس التى يقوم عليها تماما بتمام.

وإذا كانت الثقافة هى حصيلة ما أمكن التقاطه من معارف، والتعامل معه من تجارب وما مر من خبرات، فإنها تمثل الجانب النظرى المجرد من الحضارة الإنسانية، على أساس أن التطبيق العملى للثقافة هو المدنية، وهما معا – الثقافة والمدنية – يمثلان الحضارة التى هى انتقال من طور إلى آخر أرقى منه[1].

لكن هذه الخبرات قد تتعلق بالجانب الميتافيزيقى نفس تعلقها بالجانب الفيزيقى، فتقع للعقل ظنون تدفعه إلى مقايسة العالم الغائب بالعالم المشاهد، ولما كان من جملة العالم الغيبى معرفة الله تعالى وصفات ذاته، وأفعاله، فإن العقل يصطنع لنفسه من العالم المشاهد معبودات ويضفى عليها من صفات القداسة والعظمة، كما يصبغ عليها من صفات الجلال والاحترام، وحينئذ تتحول من كونها آيات الله الكونية إلى معبودات تتسم فى عقول أصحابها بصفات إلهية. قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ • فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

❁ **يقول الصابونى**: « يخبرنا الله تعالى عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه الأصنام والأنداد والأوثان ﴿ ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ﴾ إذ لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك لأنفسهم، أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً وهى مخلوقات له ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره »[3].

بيد أن هذه الجوانب التى خطرت بالعقل، قد خطت به خطواته فيها الكثير من القفز المتردد بين الإيمان الخفى تارة، والإلحاد المعلن المتنامى تارة أخرى، حتى يتمكن الشيطان من قهر القوى التى تأخذ بصاحبها إلى الإيمان، بحيث ينصرف تماماً إلى الكفر. قال تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) راجع كتابنا : قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٩٨ وما بعدها.

(٢) سورة النحل – الآيتان ٧٣/٧٤ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى.

يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[١].

يقول الحافظ ابن كثير : « ومن يتعامى ويتغافل ويعرض عن ذكر الرحمن بعقله وعينه وبصيرته نقيض له شيطانا فهو له قرين كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٢]، وكقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣]، وكقوله جل جلاله : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[٤]، ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم فإذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرأ منه الشيطان الذي وكل به.

قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فعن سعيد الجريري قال بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة سفع بيده الشيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين[٥]، فبئس القرين والمراد بالمشرقين ههنا هو مابين المشرق والمغرب وإنما استعمل ههنا تغليبا كما يقال القمران والعمران والأبوان قاله ابن جرير وغيره»[٦].

من شأن العقول الصحيحة ان تستفيد من أنوار الإيمان وروعته في النفوس، ويستجيبوا للوحي القلبي الذي فطر الله النفوس عليه حيث يدعوهم للإيمان بالله تعالى وتوحيده، والإقرار له بالعبودية الخالصة، وقد جاء به الوحي الإلهي المنطوق فيما أنزل الله تعالى من كتب مع من أرسل

---

(١) سورة الزخرف – الآيات ٣٦/٣٨.

(٢) سورة النساء – الآية ١١٥ .

(٣) سورة الصف – الآية ٥ .

(٤) سورة فصلت – الآية ٢٥ .

(٥) أرى أن بعد المشرقين يمكن حمله على ظهور المشرق الأول، ثم مجيء المشرق الثاني لليوم الثاني بعده، فبينهما بعد كبير، لأن الأمس لا يمكن إعادته، وهي لطيفة، يمكن التعرف عليها والتماسها، وهناك تأويلات كثيرة في قوله تعالى "بعد المشرقين".

(٦) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٩ .

الله جل شأنه من رسله فى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

من ثم يمكن القول: بأن القدرات العقلية مع الإمكانيات الإبداعية والخبرات والتجارب التراكمية قد تكون أحد البواعث لتأليه الآيات الكونية، فى الديانات الوثنية، وهى كلها دالة على خروج أصحابها المتواصل عن تعاليم الله رب العالمين.

الثالث: البيئة والخرافات:

قديما قيل: الإنسان ابن بيئته، ويقصدون بالعبارة أنه يتأثر - غالبا - بما يجرى فيها، بحيث يصير جزءا منها، وإن لم يكن يقصد هذا الارتباط على أساس أنها تحيط به من كل ناحية، فمنها مطعمه ومشربه، ومن خلالها يشعر بحقوقه المؤداة إليه وواجباته الملقاة عليه، فيها حبه ونجواه، ومما يجرى فيها تكونت أماله ونمت أحلامه، وربما برزت أحزانه، وتكاثرت الأمة.

وللبيئة على الإنسان أثار متعددة، وبخاصة أنها تتنوع من حيث التربة بين صحراوية وزراعية[2]، ومن حيث النشاط إلى صناعية وزراعية ورعوية وتجارية، ومن حيث الثقافة إلى إبداعية متحررة، وتقليدية محافظة، وجامعة بين هذه وتلك[3]، ومن حيث المناخ إلى حارة أو رطبة أو استوائية أو معتدلة، ومن بيئة مستقلة إلى أخرى قلقة تعانى من الاضطرابات السياسية والقلاقل الأمنية والمخاوف العسكرية[4]، ويعقب ذلك كله تنوع ثقافى وأخلاقى وعقدى أيضا.

لكن هذه البيئة قد تفرض على أهلها نوعا من الممارسة لجملة من العادات، التى تتحول فيما بعد إلى طقوس، ثم عبادات لأشخاص بعينها أو أنواع من الكائنات التى تبرز منافعها أو مخاوفها للمقيمين بتلك البيئة، سواء قصدوا إلى ذلك أم لم يقصدوا، فالنجوم قد عبدت فى بلاد

---

(١) سورة المائدة - الآيتان ١٥/١٦ .

(٢) هذا التنوع باعتبار التربة قد يجعل المرء موصوفا بطبائع معينة، فالبيئة الصحراوية مثلا تطبع أفرادها بطابع الصبر على تحمل ندرة المياه، وتقلبات الرزق، بجانب نوعية التغذية، كما تطبعه بطابع الشجاعة، حتى إن روحه تكون رخيصة فى مقابل عرضه أو شرفه أو كرامته، وليس الأمر كذلك فى التربة الزراعية.

(٣) هذا التنوع مما تشهد به وقائع الأيام والطابع العام.

(٤) راجع للدكتور عبدالعظيم محمد الشناوى - البيئة وأثرها على الفرد والجماعة ص٣٧ .

الرافدين، كما عبدت فى اليونان[١]، وكان البابليون يقدسونها، بل إن العربى الجاهلى قدم لها الطقوس، وصنع لها التماثيل، لأنها ترشد السائرين وتهدى الحائرين، مع أن الله تعالى بين أن النجوم من أنعمه جل علاه، وجزء من آياته الكونية، التى يجب النظر إليها على أنها من أنعم الله.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[٢].

وكذلك عبدت الشمس فى الأماكن الباردة أو الرطبة، لأنها ترسل أشعتها الذهبية، فتزيح قسوة البرد، أو تخفف من حدته، وتعمل على إنماء النبات، وكان المصريون القدماء ينظرون إليها على أنها أكبر الآلهة، ولم يختلف حال الفرس من هذه الناحية عن حال قدماء المصريين، بدليل أن خليل الرحمن إبراهيم لما نظر للشمس قال هذا أكبر الآلهة التى اتجهتم نحوها، ونظرتم إليها فلما أفلت نادى بأعلى صوته فيهم، لا أحب الآفلين. قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

كما إذا اتجه الدارس إلى بلاد اليونان، فإن البيئة قد فرضت عليهم الاعتقاد فى جملة من الآلهة معها المنافع تارة، والمضار أخرى،وتتنوع هذه الاعتقادات فى الآلهة من حيث الأغراض والغايات فمن آلهة الحب المتمثلة فى الربيع، وآلهة الخير المتمثلة فى الفيضان والثمار والزروع، ومن آلهة الحرب المتمثلة فى الكوارث والزلازل والبراكين، بجانب الرعد والبرق، وهكذا قد اختلفت المظاهر التى تعبر عن الآلهة باختلاف طبيعة البيئة التى حاول أصحابها التعبير عن اعتقاداتهم الدينية من خلال توجهات طبيعية اعتبروها تمثل جوانب فكرية.

---

(١) الدكتور رزق السيد سليمان – الحضارة اليونانية ص١٧٥.

(٢) سورة النحل – الآيات ١٥/١٩. يقول صاحبا الجلالين: » وألقى في الأرض رواسي جبالا ثوابت لئلا تميد وتتحرك بكم و جعل فيها أنهارا كالنيل وسبلا طرقا لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم، وعلامات تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار وبالنجم بمعنى النجوم هم يهتدون إلى الطرق والقبلة بالليل، أفمن يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا أفلا تذكرون هذا فتؤمنون، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها إن الله لغفور رحيم حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون» [تفسير الجلالين ج١ ص٣٤٧].

(٣) سورة الأنعام – الآيتان ٧٨/٧٩.

كما أن البيئة قد تفرض على أصحابها عادات لها ارتباط بظاهرة كونيـة ، ثـم تتحـول إلى جزء من الاعتقادات التى متى تجمعت مع بعضها ، فإنها تتحـول إلى ظـاهرة اعتقاديـه متكاملـة ، ففى مصر القديمة كانوا يعتقدون أن النيل[1] لا يفيض إلا إذا ألقيت فيـه عـروس حسـناء، وكـانوا يقومون بهذه الذبيحة البشرية على مرأى ومسـمع مـن الجميـع ،وكـانت الفتـاة التـى يقـع عليـها الاختيار لتكون عروسا للنيل تظل أسرتها تفخر بها على غيرها مـن الأسـر طيلـة العـام، ومـن ثـم فكانت الفتاة البريئة تلقى إلى الموت فى رباطة جاش وشجاعة منقطعة النظـير، لأنـها تلبـى نـداء الآلهة العظماء، وخير لها أن تبقى فى أحضان الآلهة من أن تعيش بين أحضان أسرة تعيسـة ، أو مجتمع ينتظر نيله الجفاف، ويواجه أهله التصحـر ، مـن ثـم فقـد ظـهرت بـين بعـض المصريـين

(١) النيل هو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا له نظير في خفته ولطافته وبعـد مسراه فيمـا بـين مبتدئـه إلى منتهاه، فمبتداه من الجبال القمر البيض ومنهم مـن يقـول جبـال القمـر بالإضافـة إلى الكواكـب وهـي في غربي الأرض وراء خط الإستواء إلى الجانب الجنوبي، ويقال أنها حمر ينبع من بينها عيـون ثـم يجتمـع من عشر مسيلات متباعدة ثم يجتمع كل خمسة منها في بحر ثم يخرج منها أنهار ستة، ثم يجتمع كلـها في بحيرة أخرى ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بـلاد السـودان الحبشـة، ثـم علـى النوبـة ومدينتها العظمى دمقلة ثم على أسوان ثم يفد على ديار مصر، وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيـادات أمطارها واجتراف من ترابها وهي محتاجة إليهما معا لأن مطرهـا قليـل لا يكفـي زروعـها وأشـجارها، وتربتها رمال لا تنبت شيئا حتى يجيء النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى أولم يروا أنا نسوق المـاء إلى الأرض الجـرز فنخـرج بـه زرعـا تـأكل منـه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون، ثم يجاوز النيل مصر قليلا فيفترق شطرين عند قريـة علـى شـاطئه يقـال لها شطنوف فيمر الغربي على رشيد، ويصب في البحر المـالح، وأمـا الشرقي فتفـترق أيضـا عنـد جوجـر فرقتين تمر الغربية منهما على دمياط من غربيها، ويصب في البحر، والشرقية منـهما تمـر علـى أشمـون طناح فيصب هناك في بحيرة شرقي دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دميـاط، وهـذا بعـد عظيـم فيمـا بين مبتداه إلى منتهاه ولهذا كان ألطف المياه، قال ابن سينا له خصوصيات دون مياه سائر الأرض، فمنـها أنه أبعدها مسافة من مجراه إلى أقصاه، ومنها أنه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلـب ولا أوحال، ومنها أنه لا يخضر فيه حجر ولا حصاة وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافتـه، ومنـها أن زيادته في أيام نقصان سائر الأنهار ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها، وأما ما يذكره بعضهم مـن ان أصـل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسانا وأشياء غريبة وأن الذي اطلع على ذلك لا يمكنـه الكـلام بعـد هـذا فـهو مـن خرافـات المؤرخـين وهذيانـات الأفـاكين .
[الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – ج٢ فصل في البحار والأنهار ط دار الغد العربى]

القدماء عبادة النيل، وقدمت له صور وتماثيل نيليه، وظلت هذه الاعتقادات لدي المصريين، حتى جاء الفتح الإسلامى، حيث كتب عمرو بن العاص[١] الفاتح المسلم إلى عمر بن الخطاب[٢] الخليفة الثانى باعتقادات المصريين بذلك.

فعن قيس بن الحجاج[٣] قال: « لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم القبطية فقالوا يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها فقال لهم وما ذاك قالوا إذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر – بؤنة – عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو أن هذا لا يكون في الإسلام وأن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبدالله وأبا محمد أمه النابغة من بني عنزة بفتح المهملة والنون أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر . . ولما أسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ثم استعمله على عمان فمات وهو أميرها ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين. وكان الشعبي يقول دهاة العرب في الإسلام أربعة فعد منهم عمرا وقال فأما عمرو فللمعضلات. وقد روى عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث روى عنه ولداه عبدالله ومحمد وقيس بن أبي حازم وأبو سلمة بن عبدالرحمن وأبو قيس مولى عمرو وعبدالرحمن بن شماسة وأبو عثمان النهدي وقبيصة بن ذؤيب وآخرون. سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر فوليها لمعاوية من صفر سنة ثمان وثلاثين إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين على الصحيح الذي جزم به بن يونس وغيره من المتقنين وقيل قبلها بسنة، وقيل: توفي وهو بن تسعين سنة قلت قد عاش بعد عمر عشرين سنة وقال العجلي عاش تسعا وتسعين سنة وكان عمر عمر ثلاثا وستين. رجع الإصابة لابن حجر – ذكر من اسمه عمرو بفتح العين وسكون الميم – رقم: ٥٨٨٦ [ص: ٦٥١/٦٥٣] باختصار

(٢) عمر بن الخطاب : هو عمر بن نفيل بن رياح بن عبدالله بن قرط بن زراح بن كعب بن لؤى القرشي العدوى أبو جعفر. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان عمر بعد إعلان النبوة وقبل إسلامه شديداً على الرسول والمسلمين، ثم أسلم بعد رجال سبقوه، وهاجر علانية، وتحدى كفار قريش وهو مهاجر إلى المدينة، وقال عنه أبو بكر: ما على ظهر الأرض رجل أحب إلىّ من عمر. وتولى الخلافة بعهد من أبى بكر فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية، وقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بخنجر له، وحمد الله أن لم يقتله رجل سجد لله سجدة واحدة. وتوفى ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذى الحجة عام ثلاث وعشرين هجرية . [راجع العلامة ابن الأثير – أسد الغابة فى معرفة السحابة ج٤ ص١٣٧/١٣٨، العلامة جلال الدين السيوطى – تاريخ الحلف ص٩٤ طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، وكذلك الشيخ عبدالوهاب النجار – الخلفاء الراشدون ص٢٣١ – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت] .

(٣) قيس بن الحجاج السلفي الكلاعي الحميرى المصرى روى عن أبي عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله السبأى روى عنه ليث وابن لهيعة وضمام بن إسماعيل وعبد الرحمن بن ميسرة. توفي سنة تسع وعشرين ومائة وكان رجلا صالحا له. [راجع الكاشف ج٢ ص١٣٩ رقم: ٤٥٩٨ ، والجرح والتعديل ج٧ ص٩٥ رقم: ٥٤٥ ، وتقريب التهذيب ج: ١ ص٤٥٦ رقم: ٥٥٦٨ ، و الكبير ج٧ ص١٥٥ رقم: ٦٩٤]

يجري لا قليلا ولا كثيرا وفي رواية فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهو لا يجري حتى همـوا بـالجلاء فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر ابن الخطاب كتابـا جـاء فيـه : إنك قد أصبت بالذي فعلت وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قـدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فـإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل فأصبح يوم السبت وقد أجـرى الله النيـل سـتة عشـر ذراعـا في ليلـة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم »[1].

وعلى شواطئ دجلة والفرات[2]، كانت نفس الطقوس تتـم لكـن فـى شـكل حيوانـى، إذ كانت بلاد الرافدين قد اختلطوا بالرعاة الذين اعتقدوا أن الفرات يفيـض، متـى تمت لـه قرابـين حيوانية، حيث يلجأ أكثر رعاة الماشية ما لا إلى انتقاء أفضل عجل من عجوله، وأفضل كبش مـن كباشه، ثم يقوم بذبحهما فى الماء بحيث يختلط دمها بالماء، ثم يقطع أجزاء كـل منـهما ويلقيـها فى المياه على شكل أجزاء صغيرة[3]، ويأخذ هو وأتباعه فى القيام بـهذه المهمـة اعتقـادا منـهم أن الفرات لن يفيض إلا إذا تم له ذلك.

وقد اعتقد هؤلاء أن الفرات يسمع لهم ويفرح بأفعالهم، وأنه من شدة فرحه يفيض عليهم بالماء، كما يفيض بالخير والنماء، ولذا صنعوا له تماثيل يحتفظون بها فى بيوتهم وصورا يزينونها بها، وربما صنعوا له تماثيل صغيرة، يحملها الرعاة بين أيديهم، متـى ذهبـوا إلى مواطـن الكـلأ، ومنابت العشب، أو اختلطت عليهم أمور الرعى، وقد امتدت معهم هـذه الاعتقـادات حتـى جـاء الإسلام، فبين فسادها ثم أزاحها كما أمرهم بضرورة التخلى عنها.

أجـل كـان لهـذه البيئـة أثـر كبـير فـى اعتقـادات الإسـرائيليين، الذيـن عبـدوا الحيـة النحاسية، كما عبدوا بعل فخور، ثم العجل الذهبى، اعتقادا منـهم أن العجـل مركـز الخصوبـة، كما يمثل النماء، وأن الحية النحاسية التى أخرجت آدم من الجنة، كـانت ممثلـة لمركـز التدمـير

(١) الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – ج٢ فصل في البحار والأنهار .

(٢) الفرات أصلها من شمالي أرزن الروم فتمر إلى قرب ملطيه ثم تمر على شميشاط ثم على البـيرة قبليـها ثـم تشرق إلى بالس وقلعة جعبر ثم الرقة ثم إلى الرحبة شماليها ثم إلى عانـة ثـم إلى هيـت ثـم إلى الكوفـة ثـم تخرج إلى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار أي بحيرات وترد إليها ويخرج منها أنهار كبـار معروفـة . [الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – ج٢ فصل في البحار والأنهار]

(٣) الدكتور فوزى السيد أبو النيل – عادات وعبادات قديمة ص١٧٣ ط أولى ١٩٦١م.

والخراب[1]، وهكذا تتعدد الاعتقادات بتعدد البيئات، متى لم يكن التوجه فى هذه البيئات إلى الله تعالى،و.إنما كان التوجه للبيئة الطبيعية التى يعايشها بنو الإنسان، وكان ذلك من أسباب تعدد الديانات، كما كان أحد البواعث فى تأليه آيات الله الكونية.

وكثيرا ما يقع المرء أسير جملة من الخرافات، فيقوم بالاعتقاد فيها وتأليهها أيضا، حيث يذكر ثاوفراسطوس اليونانى[2]، أنه يمكن تعريف عالم الخرافة بأنه: ضرب من الجبن أمام القوى الخارقة للطبيعة، ثم يقول: إن المؤمن بالخرافة هو ذلك النوع من الناس، الذى لا يخرج من داره أول النهار، إلا بعد أن يغسل يديه ويرش نفسه بالماء، من العيون التسع ، ويضع فى فمه قطعة من ورق شجر الغار يأتى بها من أحد المعابد، فإذا اعترضت طريقه قطة لم يواصل السير، حتى يمر به إنسان آخر، أو يقذف بثلاثة أحجار فى الشارع[3]، فإذا لم يتم له ذلك، فإنه يقبع فى داره ينتظر جملة من المصائب.

وإذا أبصر أفعى فى بيته وكانت من النوع الأحمر اللون مثلا، فإنه يستنجد بديونسيوس أو أسبازيوس sabezius[4]، حتى يخلصه منها، أما إذا كانت الأفعى مقدسة، فإنه يقيم لها هيكلا من فوره فى البقعة التى أبصرها فيها[5]، ولا مانع من تعدد الهياكل التى تقام لها فى الأمكنة التى يراها فيها، لأنها تتعدد بتعدد المرائى والرائين أيضا.

وإذا مر بحجر أملس من تلك الحجارة المقامة فى مفترق الطرق، فإنه يصب عليه الزيت من قنينة[6] مخصوصة، ولم يواصل السير فى طريقه إلا بعد أن يركع له، ويحنى رأسه إلى الأرض تعبيرا عن الاحترام والتقديس معا[7]. وكان لذلك أثره البالغ فى تكوين العديد من الاعتقادات الفاسدة، التى امتلأت بها بلاد اليونان قديما، وكانت من العوامل التى ساعدت على

(١) الشيخ محسن حسن الثروى – العقائد اليهودية القديمة ص٤١ ط دار الثقافة ١٩٤٢م.

(٢) ولد ثا فراسطوس فى أثينا ٣٧٢/٢٨٧ قبل الميلاد، وكان تلميذ لأرسطو وخليفته فى زعامة المدرسة التى نسبت لأرسطو وكثيرا ما كان يقوم بشرح كتب أرسطو ويضيف إليها من إبداعاته فى تصوير ورسم شخصياته الفكرية.

(٣) الدكتور صبحى السيد أبو حسنين – اعتقادات اليونان القدماء ص١٥١ .

(٤) أحد الآلهة الخرافية التى بإمكانها إزاحة الأفعى ذات اللون الأحمر وإبعاد آذاها عن المستنجد به.

(٥) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٨٠.

(٦) القنينة هى القارورة وهى وعاء من زجاج يجعل فيه الشراب صغيراً كان أم كبيرا، وجمعها قنانى وقنان . [محيط المحيط – باب القاف]

(٧) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٨٠ .

الفاسدة، التى امتلأت بها بلاد اليونان قديما، وكانت من العوامل التى ساعدت على ظهور الثورات الفكرية فى بلاد اليونان.

أما إذا قرض فأر جراب[1] طعامه، فإنه يتوجه مباشرة إلى العراف[2]، حتى يسأله: ماذا يفعل؟ فإذا أشار عليه العراف بإرسال هذا الجراب إلى الاسكافى ليرقعه، فإنه يهمل تلك النصيحة، ويلجأ إلى التخلص من النذير المشئوم عن طريق طقوس يمارسها متصورا أنها تمنع عنه الشر المرتقب.

كما أن الذى يعتقد فى الخرافات يلجأ دائما إلى ممارسة طقوس بعينها، ظنا منه أن هذه الطقوس هى التى تدفع عنه الشرور، أو تجلب إليه أنواع الحظوظ، ومع ذلك فقد صعدت الخرافات فوق أكتاف بعضها، حتى تخيل المؤمن بها أن الآلهة هيكاتى ابنة برسيس واستريا توحدت مع الإلهة برسيفونى، وكان لهما بهذا الاتحاد السيطرة على طقوس السحر والشعوذة، وأن هيكاتى تسكن بيته هو[3]، ولذا فهو يعمل فى تطهير بيته على الدوام، ويقوم بطقوس عديدة أثناء عملية التطهير المنزلى هذه، حتى تصير تلك العمليات الخرافية هى اعتقاداته الثابتة.

ويذكر المؤرخون أن الخرفات التى يرثها المرء من مجتمع بعينه، عن طريق تداولها بين أفراد بيئته[4]، تؤثر كثيرا فى الاعتقادات التى يكون لها ظهور على سطح الأحداث الفكرية، من ذلك ما شاع أن المؤمن بالخرافات متى سمع نعيب البوم، أو نهيق الحمار، أو نعيق الغراب أثناء سيره خارج بيته، فإنه يرتعش، ولا يتم سيره، إلا إذا كان يتمتم بعبارات تحمل اللجوء إلى

---

(١) جراب الطعام هو الوعاء الذى يحفظ فيه الزاد، وكانوا قديما يصنعونه من سعف النخيل، ومن صوف الغنم وشعر الماعز والإبل، ويجمع على اجربة باعتباره أحد جموع القلة، وتجمع كذلك على أجرب [قطر المحيط ص٣١١]

(٢) العراف هو من يدعى معرفة الغيب عن طريق استخدام النجوم أو غيرها، وهم كاذبون، ففى الحديث الشريف: « عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » [صحيح مسلم ج٤ ص١٧٥١ رقم: ٢٢٣٠] وعن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » [المستدرك على الصحيحين ج١ ص٤٩ رقم: ١٥].

(٣) جفرى بارندر — المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٨١ .

(٤) لا فرق بين البيئة الأصلية التى ولد بها، والبيئة التى انتقل إليها، وأقام فيها، إذ العبرة إنما تكون بالأفكار التى تجرى فيها، ومدى تأثيرها على عقول أفرد ذلك المجتمع.

القوى التى تدفع عنه هذا الشؤم، وكان اليونانى يتمتم بقوله: القوة للإلهة أثينا، بينما كان البوذى يتمتم باللجوء إلى بوذا[١]، رغم أن الأمر مجرد مصادفة.

كما أن البعض يرفض أن تطأ قدمه حجر ضريح، أو أن يسير فى أى مكان بجوار جثة ميت أيا كان نوعه[٢]، اعتقادا منه بأن ذلك يمثل الفأل السيئ، الذى يستوجب التطهير، وإلا غضبت عليه الطبيعة، و نالت منه الآلهة التى صنعها خياله، حتى زعم قدماء المصريين أن الآلهة رع ترفض إنزال بركاتها على مرتكبى هذه الحماقات، التى تنسب لأصحابها الوقوع فى النجاسات.

فى نفس الوقت اعتقد اليونانى القديم والبابلى والأروى، بجانب الكلدانيين[٣] والمصريين أنه متى سار رجل بجوار امرأة فى مخاضها، دون أن يعلم فإنه يصاب بالعقم، الذى لا علاج له، ومن ثم كان هؤلاء يردد الواحد منهم قوله: "إننى لا أريد أن أعانى من النجاسة"[٤]، ويظل يردد هذه الجملة ظنا منه أنها تكون بمثابة صكوك الغفران التى يقدمها طواعية، حتى ترفع عنه السماء نقمتها، وتخفف الطبيعة القاسية من حدتها.

---

(١) الدكتور فوزى السيد أبو النيل – عادات وعبادات قديمة ص١٨٥ .

(٢) لا يعنيه إذا كان ذلك الميت حيوانا أم إنسانا، وما إذا كان هذا الميت بالقتل عدوانا أم الموت الطبيعى ، الذى يفصل بين هذه المتقاربات ، المهم أنها جثة لميت ، ومن ثم فإن المرور بجوارها يستلزم ضرورة القيام بهذه الطقوس.

(٣) الكلدانيون : هم أخر السادة الساميين الذين حكموا بابل القديمة قبل عام ٦٠٥ ق.م، وكانوا يسكنون " كلديا " فى جنوب بابل قديما ، وكانوا هم الجنس الغالب بين سكانها، من سنة ٧٢١ حتى ٥٣٩ ق.م ، وشغلوا كل المناصب الرفيعة فى تلك المنطقة ، وتولوا أمر السلطة والسياسة ، وكان غيرهم يقوم بالأعمال الأخرى طبقا لقاعدة سيادة الأغلب ، وقد ملأوا كل المناصب الكهنوتية فى عاصمتهم بمن هو كلدانى ، حتى صارت تلك الوظائف قاصرة عليهم ، [راجع جيمس هنرى برستيد – انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم نقله إلى المصريين. دكتور: أحمد فخرى – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م] وفى نفس الوقت « اعتقد شعب بابل أن هؤلاء الكهان يملكون ناصية الحكمة ، ولهم معرفة سحرية ، ومقدرة فائقة على العرافة ، والكهانة ، والتنجيم ، ومعرفة الغيب » [قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٥] من اشهر آلهة الكلدانيين :- الإله بعل، أو أمون ، وهو إله الشمس، والإله عشتروت أو إيزيس – إله الجمال ، والإله حورس أو تموز إله الخصب والنماء. [الدكتور / محمد فؤاد الهاشمى – الأديان فى كفة الميزان ص٣٣ – دار الحرية ١٩٨٦م]

(٤) جفرى باندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٨١ .

وكان اليونانيون القدماء يعتقدون أن الآلهة أفروديت عاشرت الإله هرمس معاشرة جنسية، واستمرت معاشرتهما فترة، نتج عنها مولود يجمع بين صفتي الذكورة والأنوثة أطلقوا عليه اسم الإله هرمفوديت، الذى أمست طقوسه وقرابينه سيفا على رقاب اليونانيين والهرامسة معا، بدليل أن اليونانى كان فى اليوم الرابع والسابع من كل شهر يطلق تعليمات حادة ويصدر خرمانات جماعية بإعداد الخمر للأسرة، ثم يذهب هو لشراء أغصان الريحان، بجانب البخور والصور المقدسة، ثم يعود إلى البيت ليقضى بقية نهاره فى صناعة أكاليل الزهور التى يزين بها تماثيل هرمفوديت، حيث يقدمها كقرابين له[1].

فى نفس الوقت ظهرت جملة من الخرافات المنامية، التى كان لها دور كبير فى إنشاء جملة من الاعتقادات، فمن رأى فى منامه حلما من الأحلام ، فإنه يهرع إلى مفسرى الأحلام والعرافين والمنجمين، حتى يستفتيهم فيما ينبغى عمله، بحيث ترضى عنه الآلهة، ولا مانع لديه من القيام بعدة زيارات للكهنة خلال مدة قصيرة ، أو زيارات شهرية يصطحب فيها زوجته وأطفاله ، وغرضه الظفر بقبول الكهنة للقرابين المتوالية[2]، التى يقوم هو بأدائها من خلال تسامح كبير ، واستعداد منه لعمل المزيد.

وقد ضربت هذه الخرافات بجذورها فى أعماق المجتمعات القديمة، فاليونانى القديم قد بالغ فى رش جسده بالماء، الذى بين يدى الكهنة،ويطلق عليه اسم الماء المقدس[3]، حتى إنه متى رأى أحد تماثيل هيكاتى المتناثرة على مفترقات الطرق، وشاهد مع تمثال منها حزمة ثوم مثلا، فإنه يذهب إلى بيته بسرعة حتى يغتسل فورا ويغسل يديه عدة مرات؛ ثم يرسل للكهنة حتى يسألهم، فإذا لم يكونوا فى خلواتهم أصابه الخوف الشديد، وحينئذ يتقدم مباشرة للكاهنات طالبا منهن القيام بتطهيره الذى يعتمد على حمل إحداهن جروا، وتحمل ثانية زنبقة وتجتمع الكاهنات فى موكب واحد، حتى يتم تطهيره، وإلا هلكت ماشيته، وجفت أرضه، ومات أولاده، أو زوجته[4]، كنوع من الغضب الذى تصبه الآلهة الخرافية.

---

(١) إنه يستدعى أحلامه لتعينه على تحقيق أوهامه ، مع أن الأحلام لا تحقق فى الواقع شيئا ، وكذلك الأوهام فإنها لا تقيم نوعا من العمران ، أو تعين على إنشاء أفكار صحيحة . فما هو الحال لو طلب إليها تقديم دلائل على الاعتقادات التى تلتزم بها، لاشك أنها ستغرب بها كثيرا.

(٢) الدكتور فوزى السيد أبو النيل – عادات وعبادات قديمة ص١٧٨ .

(٣) الشيخ عبدالمحسن محمد عبدالعظيم الطنبولى – الخرافة وأثرها فى العقائد الوثنية ص١٥٣ ط أولى الدار الجديدة ١٣٤٣هـ

(٤) الدكتور صبحى السيد أبو حسنين – اعتقادات اليونان القدماء ص١٥٦ .

وكثيرا ما تحركت الخرافات إلى الصدور فأبعدت أصحابها عن الواقع الطبيعي وقذفت بهم في الخيال الذى لا يرجى من ورائه خير، ولا يتحقق للباحث عنه إلا الضرر، وكل هذه الاعتقادات البيئية والاعتقادات الخرافية قد حفرت بأظافرها في أعماق أصحاب هذه الافتراءات فألقت بهم في المهالك ، وأبعدتهم عن الاعتقاد في الله رب العالمين .

الرابع: الموروثات الفاسدة والتقليد الأعمى:-

عادة ما يرث الإنسان من البيئة التي يعيش فيها بعض العادات، وقد تتحول هذه العادات إلى اعتقادات ، ولما كانت العادات الموروثة متنوعة، فإن الاعتقادات الناشئة عنها تكون هي الأخرى متنوعة أيضا، وبخاصة أن المرء يطور في عاداته الموروثة على ناحية نمطية ، ولا يقلع عنها، مهما كانت ضارة ، أم خيفة سلطان الرأى العام ، أو النظام والطابع الأسرى، بدليل أننا كثيرا ما نتنازل عن أشياء ضرورية تحت ضغط العادة المألوفة؛ ونأمل أن تمتد يد لإنقاذنا من تلك العادة، وبخاصة حينما نعجز عن دفعها بأنفسنا كعادات الثأر المنتشرة في بعض البلدان، والتي ينشأ عنها قتل أبرياء على سبيل العمد، ويساق الناس إليها رغم عنهم، تحت ستار الموروثات الفاسدة والتقليد الأعمى[1].

ففي البلاد الإسلامية التي تتمسك بالشريعة الإسلامية، تعتبر الرشوة جريمة يعاقب صاحبها في الدنيا بالعقوبات التعزيرية، وفي الآخرة يلقى اللعن من اله تعالى، ففي الحديث الشريف عن ثوبان[2] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الراشي

---

(١) والحمد لله أن هذه الموروثات آخذة في التلاشي واسأل الله أن يجعل الخير في أمة الإسلام إلى يوم القيامة.

(٢) ثوبان مولى رسول الله ﷺ صحابي مشهور يقال إنه من العرب حكمي من حكم بن سعد حمير وقيل من السراه اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن انتقل رسول الله ﷺ ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين قاله بن سعد وغيره وروى بن السكن من طريق يوسف بن عبد الحميد قال لقيت ثوبان فحدثني أن رسول الله دعا لأهله فقلت أنا من أهل البيت فقال في الثالثة نعم ما لم تقم على باب سده أو تأتي أميرا تسأله وروى أبو داود من طريق عاصم عن أبي العالية عن ثوبان قال قال رسول الله من يتكفل لي الا يسأل الناس واتكفل له بالجنة فقال ثوبان أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا. [العلامة ابن حجر – الإصابة ج١ ص٤١٣ – الثاء بعدها الواو – رقم:٩٦٨ ، وراجع الكاشف ج١ ص٢٨٥ رقم:٧٢١].

والمرتشي والرائش[1] »[2]، لأنه الذى يسعى بينهما، فهو الوسيط الذى يعرف كلا منهما بـالآخر، وبالتالى فاللعن من الله تعالى واقع عليه أيضا.

بينما هى فى بعض المجتمعات عادة موروثـة لقضاء بعض المصالح،و إنجاز كثير من المهام، وهذه العادة المحرمة قد تنتشر فى المجتمع ويضطر المسلم المتمسك بحبل الله تعالى لممارستها فى حياته ولو مرة واحدة على سبيل الإكراه، فيراه ابنه وهو يقوم بـها، فيتحـول الأمر مع الابن إلى أنها عادة، و ربما حكم عليها أول الأمر بأنه سيئة، ولكن بمرور الأيام وانخفاض معدلات الوازع الدينى فى نفس الصغير تصير عادة غير محكوم عليها بالسوء،وتظل تسعى بين الناس ، حتى يجيء اليوم الـذى تتحـول فيه إلى عـادة ثابتـة، وهنا يأتى الخراب على ذات المجتمعات ، التى تستوجب عقاب الله تعالى؛ لأن لله تعالى لم يحرم شقيا إلا وعاقبه مرتكبه بالخراب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

كذلك عادة الاحتفال بـالمولد النبوى — فى بعض البلدان الإسلامية — بإنشاء جماعة يطلقون عليهم قراء المولد، و إعلان مظاهر المولد النبوى ببناء الأشكال ورسوم وتماثيل من الحلوى، فى شكل سفن أو أحصنة أو عروس المولد، قد تحولت عند البعض إلى اعتقادات، فإذا لم تتم قراءة المولد من خلال هذه الجماعة نفسها أو لم يتم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف على هذا الشكل من التماثيل المصنوعة من الحلوى مثلا، فإن الكارثة تتم، وأن الضلال سينتشر[3]، إلى غير ذلك مما أجاد فيه أصحابه ، وأتقنوا القيام به ، وما أكثر العـادات فـى بلادنـا الإسلامية ،

---

(١) الرائش: الذي يمشي بينهما إنما ذكرت عمر بن أبي سلمة وليث بن أبي سليم في الشواهد لا في الأصول [الحاكم — المستدرك ج٤ ص١١٥].

(٢) الإمام الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١١٥ رقم: ٧٠٦٨ ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم، [سنن الترمذي ج٣ ص٦٢٢ – ٩ باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم — رقم:١٣٣٦ ، المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٩٨ رقم: ٩٥١، صحيح ابن حبان ج١١ ص٤٦٧ – ١ باب الرشوة– ذكر لعن المصطفى صلى الله عليه وسلم من استعمل الرشوة في احكام المسلمين — رقم:٥٠٧٦]

(٣) لست هنا فى مقام التعريض بأحد، أو توجيه الانتقاء، وإنما اعرض صورا لبعض العادات التى تحولت فى نفوس بعض السذج إلى اعتقادات، حتى صار الواحد منهم يترك لنفسه فرصة إهمال الواجبات، ولا يترك لنفسه القيام بهذه العادات، معتقدا أن الاعتقادات لا تصح إلا بـهذه العادات، وهو قلب الأمور، وعكس بين الأصول.

التي لم يوجد لها سند صحيح النقل المنزل، كما لم تدعمها ظواهر من السنة النبوية الصحيحة المطهرة، مع هذا تتم ممارستها كموروث عادى.

غير أن البعض قبل مجيء النبي الخاتم قد ورثوا عبادة الأصنام والأوثان، كما عبد بعضهم الآيات الكونية من الليل والنهار، والشمس والقمر، والأرض والسماء، بل والنيل والكواكب، وكانت تلك الموروثات تجرى فى أفهام أصحابها مجرى الدماء فى العروق، يقاتلون فى سبيلها، ويتداعون للدفاع عنها وكأنهم ما خلقوا إلا لها ، أو كأنها التى خلقتهم وهم يؤدون لها واجب الطاعة وخالص العبادة، ولذلك كانت حربهم للأنبياء عنيفة، وما ذلك إلا، لأن النبى يريد أن يدلهم على الخالق العظيم، ويصرفهم عن الآلهة المخلوقة الباطلة.

ﷻ قال تعالى مصورا موقف قوم نبى الله شعيب قالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[1].

لاشك أن هناك موروثات صحيحة، يستوى فى ذلك أن تكون عادات حسنة، أو سلوكيات مستقيمة، أو أحلاف ومعاهدات ، قامت على أصول لا تعارض الشرع الشريف، دليل ذلك ما روى أن رسول الله ﷺ قال في حلف الفضول الجاهلي ما أحب أن لى به حمر النعم، فعن طلحة بن عبد الله بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الإسلام لأجبت »[2]، فلو كان

---

(١) سورة هود – الآية ٨٧ . يقول الطبرى ذ: « يقول تعالى ذكره قال قوم شعيب يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس في الكيل والوزن إنك لأنت الحليم وهو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا الرشيد يعني رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان» [الطبرى – جامع البيان ج١٢ ص١٠١]

(٢) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج:٦ ص:٣٦٧ – الحديث: ١٢٨٥٩، وقال القتيبي فيما بلغني عنه وكان سبب الحلف أن قريشا كانت تتظالم بالحرم فقام عبد الله بن جدعان والزبير بن عبد المطلب فدعاهم إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فأجابهما بنو هاشم وبعض القبائل من قريش قال الشيخ قد سماهم بن إسحاق بن يسار قال بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة قال القتيبي فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان فسموا ذلك الحلف حلف الفضول تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوي وللغريب من القاطن قام به رجال من جرهم يقال لهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعا لأسماء هؤلاء قال غير القتيبي في أسماء هؤلاء فضل وفضال وفضيل وفضالة قال القتيبي والفضول جمع فضل كما يقال سعد وسعود وزيد وزيود والذي في حديث عبد الرحمن بن عوف حلف المطيبين، قال القتيبي أحسبه أراد حلف الفضول للحديث الآخر ولأن المطيبين هم الذي عقدوا حلف الفضول قال وأي فضل يكون في مثل التحالف الأول فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب أن أنكثه وأن لي حمر النعم ولكنه أراد حلف الفضول الذي عقده المطيبون قال محمد بن نصر المروزي قال بعض أهل المعرفة بالسير وأيام الناس ان قوله في هذا الحديث حلف المطيبين غلط إنما هو حلف الفضول وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين لأن ذلك كان قديما قبل أن يولد بزمان وأما السابقة التي ذكرها فيشبه أن يريد بها سابقة خديجة رضي الله عنها إلى الإسلام فإنها أول امرأة أسلمت . وراجع ابن كثير ج٢ ص٢٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٧٨، وراجع كتابنا حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث.

كل فعل في الجاهلية منبوذا ما امتدح الرسول الكريم الحلف الذى انعقد فى دار ابن جدعان. وعن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شهدت حلفا إلا حلف قريش من حلف المطيبين وما أحب أن لي به حمر النعم، وأني كنت نقضته والمطيبون هاشم وأمية وزهرة ومخزوم »[١].

وفى القواعد الأصولية، كل ما حرمته العرب فهو حرام، إلا ما ورد الشرع بحله، وكل ما أحلته العرب فهو حلال، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، ولم تعلق تلك القاعدة إلا على الخلق الذين مازالت طباعهم سليمة، وفطرهم نقية، وأعرافهم مستقرة.

لكن الموروثات الفاسدة هى التى تتعلق بالمعتقدات فى غير الله تعالى، كالتى صنعها أصحابها ولم يسمحوا لأتباعهم بالتخلى عنها أو التخلص منها، كاعتقادات الوثنيين جميعا واليهود والنصارى فى تجسيد الإله وكونه ثلاثة، واعتقادات عبدة الكواكب[٢] فى أنه النار والنور، أو الليل أو النهار، أو الظلمة والنور، واعتقادات تأليه الآيات الكونية من كون الأرض أو

---

(١) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج:٦ ص٣٦٦ – الحديث:١٢٨٥٨، وقال الشيخ لا أدري هذا التفسير من قول أبي هريرة أو من دونه قال الشيخ وبلغني أنه إنما قيل حلف المطيبين لأنهم غمسوا أيديهم في طيب يوم تحالفوا وتصافقوا بأيمانهم وذلك حين وقع التنازع بين عبد مناف وبني عبد الدار فيما كان بأيديهم من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة فكان بنو أسد بن عبد العزى في جماعة من قبائل قريش تبعا لبني عبد مناف فكان لهم بذلك شرف وفضيلة وصنيعة في بني عبد مناف وقد سماهم محمد بن إسحاق بن يسار فقال المطيبون من قبائل قريش بنو عبد مناف هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر خمس قبائل قال الشافعي وقال بعضهم هم حلف من الفضول .

(٢) حيث يزعمون أن مدبر هذا العالم وخالق هذه الكواكب السبعة والنجوم هم الكواكب، فصاروا عبدة الكواكب، ولما بعث الله إبراهيم كان الناس على دين الصابئية فاستدل إبراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله لا أحب الآفلين واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صورا ومثلا فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها فظهر من ههنا عبادة الكواكب. [راجع للعلامة محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله المولود ٥٤٤هـ ، والمتوفى ٦٠٦هـ – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج: ١ ص: ٩٠ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢هـ – تحقيق علي سامي النشار]

السماء ، أو كونه الشمس أو القمر[1]، إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التى توارثها هؤلاء، ولم يسمحوا لأحد منهم بالتفكير فيها، أو الخروج عليها، وإلا لقى حتفه أن تمكنوا منه، أو طاردوه بأحكام الكفر والهرطقة بجانب الشائعات المتلاحقة، إن لم يتمكنوا منه.

قد يصادف المرء فى حياته واحدا أو أكثر من أصحاب الاعتقادات الفاسدة الموروثة، فيراه يدافع عنها بصلابة كاذبة ، أو مهارة رأى جدلية، أو يحاور مستغلا مهارته التعبيرية، وعذره أنه اعتقد فى الموروث الفاسد دون أن يعلم بفساده، ثم تمسك به بحيث لم يعط نفسه الفرصة فى مراجعته أو النظر إليه مرة واحدة، بعين ناقدة، ولكن ذلك العذر يزول متى كان ذلك المرء بالغا عاقلا رشيدا ، بدليل أن القرآن الكريم نعى على أولئك المقلدين باللائمة كما وصفهم بأنهم فقدوا حواسهم، ومراكز تفكيرهم فصاروا أضل من الأنعام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ

---

(١) يطلق على عبدة الشمس والقمر عبدة النيرين ومذهبهم في ذلك مذهب الصابئة في توجههم إلى الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والإلهية عليها ومنهم: [١] عبدة الشمس حيث زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفلية وهى ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينيكيتية أى عباد الشمس ومن سنتهم أن اتخذوا لها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقربانا وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به [٢] عبدة القمر زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلى والأمور الجزئية فيه ومنه نضج الأشياء المكتوبة وإيصالها إلى كمالها وبزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات وهو تلو الشمس وقرينها ومنها نوره وبالنظر إليها تكون زيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الجندريكينية أي عبدة القمر ومن سنتهم أن اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة وبيد الصم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه وأن يصوموا النصف من كل شهر لا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون إليه وينظرون إلى القمر ويسألونه حوائجهم فإذا استهل الشهر علوا السطوح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا إليه ثم نزلوا عن السطوح إلى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا إليه إلا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر إذا فرغوا من الإفطار أخذوا في الرقص واللعب بالمعازف بين يدي الصنم والقمر. [راجع للعلامة محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المولود ٤٧٩هـ والمتوفى ٥٤٨هـ - الملل والنحل ج٢ ص٢٥٨/٢٥٩ - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٤هـ - تحقيق محمد سيد كيلاني]

كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

◈ **ربما يقال:** إن أصحاب كل ديانة يتمسكون بها، ويدافعون عنها، ولو تخلوا عن القيام بهذا الدور لما نسبوا إليها، يستوى فى ذلك أصحاب الديانات جميعا واتباعهم فى هذا المجال سواء، فلماذا وقع النعى والوصف بالغفلة على هؤلاء وحدهم، ولم يكن الحكم شاملاً لهم وغيرهم؟

والجواب ما يلى:

✽ **أولا : مفهوم لفظ أصحاب كل ديانة ينطبق عل الديانات الوضعية،** التى يقع لها التعدد، ولا ينطبق على الإسلام، لأن الدين المعتبر عند الله تعالى واحد، هو الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2].

◈ **يقول العلامة الطبرى :** « ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والزلة، من قول الشاعر:

ويوم الحزن إذ حشدت معد ∴ وكان الناس إلا نحن دينا

يعني بذلك: مطيعين على وجه الذل، والدين هو الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ هو الطاعة لله، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والزلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية. وقال قتادة قوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ هو شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به »[3]، أما اعتقاد غيره، فإنه يكون باطلاً لقيامه على تسميات أصحابه.

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٧٩ .

(٢) سورة آل عمران – من الآية ١٩ .

(٣) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبرى – ص٥٣١٦ (طبعة الحلبى ١٩٥٣م)، ج٢١١/٣ (طبعة الحلبى ١٩٦٤م).

يقول الإمام القرطبى : « والدين فى هذه الآية هو الطاعة والملة، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات، والأصل فى مسمى الإيمان الإسلام التغاير، وقد يكون بمعنى المرادفة، فيسمى كل واحد منهما باسم الأخر »[1].

وهذا مما جاء به رسل الله صلوات الله وسلامه عيهم أجمعين من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ، فلا يهودية ولا نصرانية، ولا غيرها، حيث قال تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]. حيث نزهه تعالى من دعاويهم الكاذبة، وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية، ولم يكن مشركا، والحنيف الذى يوحد ويحج ويضحى، ويختن ويستقبل القبلة، والمسلم من اللغة المتذلل لأمر الله المنطاع له[3]، أما المتذلل لغير الله، فإنه الجاحد بأنعمه جل علاه، ومثله لا تقبل منه القيام بأية عبادات أو اعتقادات، لأنها باطلة مثله.

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

قال العلامة الحافظ ابن كثير: « من سلك طريقاً سوى ما شرعه اللّه فلن يقبل منه، ﴿ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾، كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الصحيح: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" »[5].

ثانيا: إن تمسك أصحاب هذه الديانات بالأفكار التى وضعها أتباعها، إنما هو تمسك بباطل يحسب عليهم، وتقليد مذموم يرتد إليهم، لأنه وقع لمن ليسوا أهلا له . إذ المعروف أن التقليد نوعان:-

---

(١) العلامة الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٣٩٥/١٣٩٦ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ٦٧ .

(٣) العلامة الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٤٥٧ .

(٤) سورة آل عمران – الآية ٨٥ .

(٥) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم (٢١٢/٢) . والحديث رواه ابن ماجة فى سننه – باب تعظيم حديث رَسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والتغليظ على من عارضه – الحديث رقم: ١٤ – وأبو داود فى سننه – باب في لزوم السُّنة – الحديث رقم: ٤٦٠٦- بلفظ « عَنْ القاسم بن مُحَمَّد، عَنْ عائشة؛ أن رَسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قَالَ: (من أحدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد) » والمراد بـ: [(في أمرنا) أي في شأننا. فالأمر واحد الأمور. أو في ما أمرنا به، فالأمر واحد الأوامر. (فهو رد) أي مردود].

☆ **ممدوح** : وهو تقليد العالم بدليله ، كتقليد أصحاب المذاهب الفقهية فى الوصول للدلالة التى وقفوا عليها، فليس المطلوب من كل مسلم أن يكون فى معرفة الأصول كالأئمة الأربعة مثلا، وإنما يكفيه تقليد كل واحد من هؤلاء بالدليل الذى وقف عليه.

☆ **مذموم**: وهو تقليد الجهلة وأصحاب الغفلة، وأتباع المذاهب الفاسدة الهدامة، كالقائلين بالقدم الذاتى للعالم[1]، لأن تقليد هؤلاء يوقع فى الكفر، إذ أنهم من جماعة الكافرين، فمقلدهم مثلهم تماماً.

ثم إن الله تعالى قد بين أنهم جميعا فى الضلال يهيمون. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2]، فاتباعهم ما كان عليه الأباء والأجداد، مما لم يقم دليل صحيح عليه، يعتبر إعلانا منهم بإلغاء عقولهم وركلها بأقدامهم.

يقول العلامة الصابونى : « يقول تعالى: "وإذا قيل " للكفرة المشركين: "اتبعوا ما أنزل الله" على رسوله، واتركوا ما انتم عليه من الضلال والجهل، قالوا في جواب ذلك: "بل نتبع ما ألفينا" – ما وجدنا – عليه آباءنا من عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكراً عليهم: "أو لو كان آباؤهم" الذي يقتدون بهم ويقتفون أثرهم "لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" أي ليس لهم فهم ولا هداية، وعن ابن عباس أنها نزلت في طائفة من اليهود، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فأنزل الله هذه الآية »[3]، التى تندد بكل من يلغى عقله، فلا يستخدمه فى التفكير، ويلغى قدراته فلا يستخدمها فيما أمر الله تعالى، وإنما يسلم قيادة لغيره، دون أن تكون لدى الغير مقومات القيادة وأسباب النجاح.

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[4]، فهم اقتدوا بأفعال آبائهم، التى تركوها ميراثا بينهم، وقد أكد عليها الشيطان الذى يدفع بهم إلى غضب الله تعالى، وبالتالى يذوقون عذاب السعير.

---

(١) الشيخ منصور محمد الفكهانى – خطر التقليد على الأمة الإسلامية ص١٣ .

(٢) سورة البقرة – الآية ١٧٠

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الأول ص١١٤ .

(٤) سورة لقمان – الآية ٢١ .

◉ **يقول الطبري** : « يقول تعالى ذكره وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به، فإنه يفرق بين المحق منا والمبطل، ويفصل بين الضال والمهتدى فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فإنهم كانوا أهل حق، قال الله تعالى ذكره أو لو كان الشيطان يدعوهم بتزيينه لهم سوء أعمالهم واتباعهم إياه على ضلالتهم وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه إلى عذاب السعير يعني عذاب النار التي تتسعر وتلتهب »[1].

❋ **ثالثا: أن الإسلام ليس ديانة نصبها أصحابها**، أو وضعوا لها بعض الأسس، ثم جاء الخلف فأضافوا إلى ما ترك السلف، وإنما هو دين الله الخالد إلى يوم القيامة[2]، وبالتالى فلا ينطبق عليه ما ينطبق على تلك الديانات، التى قامت فى الأصل على نتاج أصحابها، أو قامت أول أمرها على أصول صحيحة لمجيء نبى من أنبياء الله بها، ثم وقع عليها التحريف بأنواعه المختلفة، سواء أتم ذلك بأيدى أتباع ذلك النبى بعد وفاته مباشرة، أم قام به من انتسبوا إليه.

❋ **رابعا: أن أهل الإسلام الذين يلتزمون كتاب الله وسنة رسوله**، أما غيرهم فليس من الصواب وصفهم إلا بأنهم أصحاب أفكار قد تروق لهم، ولا يقع لها القبول عند غيرهم، كما أن تعاليم الإسلام فى الجزء التعليلى تقبل التفهم من هذا القبيل[3]، وهى فى مجملها تخاطب العقول الصحيحة والفطر النقية، وبناء عليه، فقد وقع كل من النعى والذم على أصحاب الديانات الفاسدة، سواء التى شابها النقص والفساد من أساسها، أو التى دخلت إليها ألوان الفساد من خلال التحريف الذى مارسه من ينتسبون إليها، ولا يقع شيء من ذلك على نص من النصوص الإسلامية أبدا، والتى هى فى نفس الوقت عدة أهل الإسلام.

كما أن الموروثات الفاسدة يقع لها التعدد بتعدد الأمم التى تتبناها، والأفراد الذين يمارسونها ما بين تقليد بغير دليل، وعادة تتحول إلى اعتقادات وعبادات، وربما تخطت ذلك فصارت بجانب ما ذكر — سلوكيات ومعاملات تجرى لأصحابها مجرى الضروريات، ومن ثم لا يمكنهم التخلى عنها أو الفرار منها، وإنما يعملون على إضافة المزيد إليها كلما جاء خلف أزاد على ما تركه السلف.

---

(١) الإمام الطبري — جامع البيان ج٢١ ص٧٩ .

(٢) وبهذا تتضح الفروق بين الدين الإلهى والديانات الوضعية، التى أقامها أصحابها.

(٣) على أساس أن من العبادات ما يقبل التعليل، وكذلك المأكولات والمشروبات، ويطلق عليها الأطعمة والأنكحة والأشربة، وتلك ميزة فى الإسلام وحده.

من ذلك ما جال بخواطر الأقدمين عن الغول وأبنائه وبناته وزوجاته، مما هو قائم في الخرافات، وتعتمد عليه الأساطير التي أسرفت في وضع صفات له وعائلته الخرافية من طول أظافر، واتساع عيون، وكبر رؤوس، وامتداد أطراف، وصار هؤلاء وأولئك يرددون قصص أمهم الغولة، وما يحدث بينها وزوجها من ناحية وما يحدث بينهم كعائلة وبين أفراد البشر من ناحية ثانية[1]، حتى خاف الناس هذه العائلة وصاروا يقدمون لها الطقوس والقرابين تزلفا لها وخوفا منها.

ومع أن هذه الموروثات يمكن إطلاق وصف البدائية عليها، لكنها ظلت تنقل من أفواه إلى أذان وعقول، حتى يومنا الحاضر لم تنفك الأسر عن حكايتها تسلية لصغارهم، أو تخويفا أو كوسيلة من وسائل إرغامهم على ممارسة شيء ما أو الكف عنه[2].

بيد أنه على مستوى أعلى مما سبق جاء فيلون اليهودي فقرر: « أن الإله والحكمة هما أب وأم العالم »[3]، وأنهما اختارا لقيادة العالم نوابا عنهما، وبذل أتباع فيلون جهوداً كبيرة لحمل مفرداته اللغوية على معان تجيء في العهد القديم، سواء جاء الحمل من ناحية التأويل ام من ناحية الحقيقة، مع أن بدهيات العقول شاهدة على استحالة ان يكون الله تعالى موصوفا بالأبوة أو البنوة — تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا —. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4].

۞ **يقول الأستاذ عبدالرحمن عزام:** « إذا نظرنا في تاريخ أديان البشر، وجدنا الشرك — في الغالب — نتيجة لبدع أحدثها الناس، فعددوا الآلهة ونوعوها، وأقام المبتدعون والمفسدون

---

(١) راجع للشيخ عبدالمحسن محمد عبدالعظيم الطنبول – الخرافة وأثرها في العقائد الوثنية ص١٦٥ .

(٢) كما يحكى العوام عن عروس النيل للأبناء الصغار، حتى يبعدوهم عن النزول لماء البحر الغريقة، وأبو رجل مسلوخة، حتى يصرفوهم عن الصعود فوق أسطح المنازل ليلا.

(٣) الأستاذ إميل بريهيه – الآراء الدينية والفلسفية لفيلون ص١٦٣ ترجمة د: محمد يوسف موسى عبدالحليم النجار – مكتب الحلبي ١٩٥٤م.

(٤) سورة الإخلاص – بتمامها . ويقول الحافظ ابن كثير: « إن الله أخبر الأنبياء جميعاً، ومنهم موسى عليه السلام بأن الله تعالى واحد أحد، فقد بين له كما بين لهم جميعاً أنه تعالى منزه عن الشريك والولد. قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقال المشركون نحن نعبد الأوثان. فأنزل الله على سول الله ﷺ هذه السورة، يعني هو الواحد الأحد، الذى لا نظير له، ولا وزير ولا ند ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقوله ﴿ الله الصمد ﴾ الذى يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعظيم الذى قد كمل في عظمته، والحليم الذى قد كمل في حلمه، وقوله: ﴿ لم يكن له كفواً أحد ﴾ يعنى لا صاحبة له ولا ولد، ولا والد ولا صاحب، فهو الواحد الأحد المنزه عن كل شبيه ونظير ».[الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم –مكتبة دار التراث ج٤ ص٥٧٠]

أنفسهم قواما على الالهة، وسدنة وحراسا، بل وكلاء ونوابا، واتخذوا سلطان هذه الآلهة سلطانا لهم، ثم تآمر ذوو الأغراض فتساندوا على تضليل العامة، وانتهوا بوضعهم في أسر مجموعة من الخرافات والسخافات، وكأن الكهنة وأضرابهم من القوام والوكلاء والمرشدين خزنة الأسرار الدينية، هم في الواقع الآلهة المتصرفون في المجموعات البشرية المأسورة »[١]، فكانت الموروثات الفاسدة من أسباب تعدد الآلهة، وتأليه قوى الطبيعة، والآيات الكونية على قدر سواء.

۞ قال تعالى مصورا ذلك عنهم: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا ﴾[٢].

۞ **يقول القرطبي** : « أي ما منعهم عن الإيمان إلا حكمي عليهم بذلك ولو حكمت عليهم بالإيمان آمنوا، وسنة الأولين هي معاينة العذاب فطلب المشركون ذلك وقالوا ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣]، أو يأتيهم العذاب قبلا عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال مقاتل فجأة وقرأ أبو جعفر وعاصم والأعمش وحمزة ويحيى والكسائي قبلا بضمتين أرادوا به أصناف العذاب كله جمع قبيل نحو سبيل وسبل النحاس ومذهب الفراء أن قبلا جمع قبيل أي متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز عنده أن يكون المعنى عيانا وقال الأعرج وكانت قراءته قبلا معناه جميعا وقال أبو عمرو وكانت قراءته قبلا ومعناه عيانا »[٤].

لكن تبقى مسألة الموروثات الفاسدة بالنسبة للاعتقادات والثقافات متداخلة في حياة الناس، لا يمكنهم الانفلات منها، وبالتالي فهي تدفع إلى ممارسة الاعتقادات الوثنية، كما تسوق إلى اعتناق عبادة المنافع والمخاوف من غير تردد، ولم يحل التقدم العلمي بين الناس وهذه الموروثات، بدليل أن بوذا كان ينادى بفكرة اللاعنف بين افرد المجتمعات باعتبارها طريقة للسلوك في العلاقات الإنسانية فتحولت معه إلى عقيدة دينية، ولما جاء المهاتما غاندى أبقاها على

---

(١) راجع الأستاذ عبدالرحمن عزام – الرسالة الخالدة ص٢٥ – لجنة التعريف بالإسلام – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٦٤م.

(٢) سورة الكهف – الآية ٥٥ .

(٣) سورة الأنفال – الآية ٣٢ .

(٤) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص٦ .

مفهومها الجديد، ثم أضاف إليها ضرورة الاعتقاد فيها على ناحية سياسية أيضا[1]، ثم جاء من بعده فامسك بها على أنها عقيدة دينية خاصة فصار تأليهها يجرى نفس السياق الذى تجرى فيه عقيدتهم فى تأليه البقر والحيوانات الأخرى التى تمثل جزءا من عقائد سكان بلاد الهند.

أجل كانت الهند تموج بموروثات فاسدة تتعلق بتالية الكثير من الكائنات الحية، والآيات الكونية، لكن الإضافات إلى هذه الاعتقادات لم تتوقف، كما أن السعى نحوها لم ينقطع فى الماضى والحاضر، إنها سلسلة من التعاقدات الغير مكتوبة، يقوم بالمحافظة عليها الأبناء والأحفاد على أنها جزء ثابت من تراث الآباء والأجداد.

كما أن التاريخ العام للديانات، قد أثبت وجود العديد من العلاقات، بين تكوين الاعتقادات المتعددة فى الموروثات التى يتناقلها الناس، يقول أسكورت: « لقد أمكن توريث العقائد، وبخاصة تعدد الآلهة وتجسداتها إلى الحد الذى جعلها أقرب شبها بالأنظمة الميراثية فى العقارات والأموال والمنقولات فى البلاد ذات الصبغة الأصولية[2]، وهو وإن لم يتحدث عن الميراث فى الإسلام، إلا أنه لم يتمكن من إخفاء عداوته للإسلام والمسلمين معا، على أساس أن الميراث فى الإسلام نظام ثابت فى فروض مقدرة من قبل الله تعالى لأصحابها، وأما ما يتعلق بميراث ذوى القرابة والأرحام والعصبات فهو لم يضع له فروضا مقدرة باعتبار أنها ليست فروضا ثابتة.

ثم إن تحويل العادات الفردية أو الجماعية إلى اعتقادات ذات صبغة تقليدية، ينتهى حتما إلى إدخال العديد من التطورات المستمرة عليها من باب ضرورة إضافة الخلف لما يتركه السلف، أو طبقا لطبيعة ما يقوم به اللاحقون نحو ما تركه السابقون، بدليل أن بعض العادات التى كانت لها السيادة فى المجتمع البابلى« كوجود كبير للعالم تحتمى به، قد تحول إلى عقيدة عرفت باسم الحماة المشائريين، وظلت تلك العقيدة سارية فى المجتمعات المختلفة داخل صور توارثية، إلى يومنا هذا، وهو ما يجعل العقائد الوثنية غير ثابتة الأصول »[3]، ويكشف عن زيفها بالنسبة للظواهر التى تحيط بها.

---

(١) اللجنة الدولية لتاريخ التطور العلمى والثقافى – تاريخ البشرية – المجلد السادس – القرن العشرون – التطور العلمى والثقافى ج٢ ص١١ ترجمة د: عثمان نويه، وراشد البرادى ومحمد على أبو رده – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

(٢) الدكتور جوتفر يد مارتن أسكورت – الفكر الشرقى القديم – العقائد والعبادات ج١ ص ٨٤٣ – ترجمة زكريا عبدالعظيم ط أولى ١٩٣٧م.

(٣) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية أصولها وتطوراتها ص٤٥ ط الدار الإسلامية ١٩٣٢م

أجل قد تتفاوت الموروثات الاعتقادية الفاسدة في أعدادها، كما يقع التفاوت بينها في أحكامها وأحجامها، وفوق ذلك قد يقع لها التفاوت في أنماطها، لكنها في الوقت نفسه تكشف عن وجود علاقة فيها الكثير من الانفلات بجانب الخروج عن تعاليم الله جل علاه، وقد كشف القرآن الكريم شيئا من هذه الموروثات الفاسدة، التي تلقاها الأبناء عن الآباء، أو يتمسك بها جيل من القرناء. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ • قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ويكشف الموروث العقدي الفاسد، عن وجهه الكريه ونتائجه القبيحة، حين تختلط مظاهره بأعمال المترفين، الذين مكن الله لهم في أسباب البحث، وطرائق الاستدلال، ولكن أصروا على التقليد الأعمى، وتكذيب كل ما من شأنه أن يحرك فيهم الرغبة الصادقة للبحث الجاد، والاعتقاد الصحيح.

۞ **قال تعالى**: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ • وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ • وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ • أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ • بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ • وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ • قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ • فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

۞ **يقول الإمام القرطبي**: « قوله تعالى أو من ينشأ في الحلية فيه مسألتان الأولى قوله تعالى أو من ينشأ أي يربى وقرأ ابن عباس وغيره ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أي يربى ويكبر في الحلية، وقرأ الباقون ينشأ بفتح الياء وإسكان النون يرسخ وينبت وأصله من نشأ وارتفع في الحلية أي في الزينة قال ابن عباس وغيره هن الجواري زيهن غير زي الرجال قال مجاهد رخص للنساء في الذهب والحرير وقرأ هذه الآية قال الكيا فيه دلالة على إباحة الحلي للنساء والإجماع منعقد عليه والأخبار فيه لا تحصى »[3].

---

(١) سورة الشعراء – الآيات ٦٩/٧٧ .

(٢) سورة الزخرف – الآيات ١٨/٢٥ .

(٣) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٧١ .

ولأن التقليد المذموم له أخطاره الكثيرة، ومضاره التى لا تتقطـع، بجـانب انـه مفـض إلى التبعية المتزايدة، فقد حذر الإسلام منه على كافة الوجوه، من ذلك قوله ﷺ: « لا تَكونوا إمَّعَـةً[1] تقُولونَ إنْ أحسَنَ النَّـاسُ أحسـناً وإنْ ظَلَمـوا ظَلَمنـا ، ولكـنْ وطِّنُـوا أنفُسَـكُم إنْ أحسَنَ النَّـاسُ أن تُحسنُوا، وإنْ أساءوا فلا تَظلِموا »[2] .

ولئن كان الموروث الصحيح القائم على أصول سليمة مفيدا، حيـث يدفـع للتـأمل العقلـى الهادف، ويعين على الخروج عن دائرة التبعية للآخرين، فإن الموروث الفاسد مقبحة ومذمة، لأنه يجعل صاحبه يلغى قدراته العقلية، وإمكانياته النفسية والقلبية والإيمانية، ثم ينقلب إلى الآخرين يأخذ منهم، وينقل عنهم، وربما تصورهم فى أشكال القديسين أو رسم لهم ما يجول بخـاطره مـن ملامح الملائكة المقربين، وهو فى كل ذلك كاذب على رب العالمين.

بدليل أن الذين يحفلون بالموروثات الفاسدة « من مثال تقبيل مزارات الصالحين أعتابـا وأخشابا، وتسليم أنفسهم لناقصى الأهلية الذين يقيم بعضهم بجوار هذه الموروثات، إنما يمارسـون ذلك لا من باب التعقل الصحيح، وإنما من باب التقليد الأعمى الذى يجـبر صاحبـه علـى إلغـاء ملكاته وإمكانياته، يستوى فى ذلك ساكن القصور مع ساكن القبور، ومنتعل الصحراء، مـع المقيـم بناطحات السماء[3]، إذ لا فرق يمكن احتسابه لصالح الثقافة، كما لا يوجد فارق يحتكم إليـه مـن باب إعادة النظر فى القضايا التى ذهبت أدراج الرياح ، أو صارت حبيس الأغلال التى كـان لهـا وجود متواصل داخل الإنسان المفكر نفسه.

الخامس : الخيال المنفلت من أحكام الشرع:

بعض الناس يفترون بقدراتهم العقليـة وملكاتـهم الذاتيـة التـى خلقـها لهـم رب البريـة . زاعمين انهم أوتوها عن استحقاق وجدارة، وامتياز على غيرهم وتفاضل، وربما أعنت بعض منـهم على أنفسهم، فزعموا أنها جيء بها إليهم لعدم توافر من يحظى بـهذه المكانـة، أو يسـتحق تلـك

---

(١) الإمَّعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رَأي له، فهو يُتابع كل أحد على رَأيه، والهاء فيه للمبالغة. ويقال فيه إمَّع أيضاً. ولا يقال للمرأة إمَّعة، وهمزته أصلية، لأنه لا يكـون أفْعَـل وصفـا. وقيـل هـو الـذي يقول لكل أحد أنا معك.- [راجـع النهايـة فـي علـوم الحديـث لابـن الأثـير – المجلـد الأول – حـرف الهمزة – باب الهمزة مع الميم]

(٢) الإمام الترمذى – سنن الـترمذي (شـرح العلـل) – بَـابُ مَـا جَـاءَ فِي الإِحْسَـانِ والعفـو – الحديـث رقـم: ٢٠٧٥ ، وروايته » حَدَّثَنَا أبو هشامٍ الرِّفَاعيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضيلٍ عن الوليدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جُمَيـعٍ عـن أبي الطُّفَيلِ عن حُذَيفةَ قال: ... »

(٣) راجع للشيخ محمد سيد أحمد نواره – بلاد الشام حضارة وعقائد ص٧٣ ط مراكش ١٣٦٥هـ

الملكة، ومن ثم فإنهم يسمحون لأنفسهم بتجاوز كل الحواجز، وتخطى كل الموانع والقفز فوق كـل الحدود. غير هيابين بصحيح دين، وسليم عقيدة، أو ثابت أخلاق مستقرة.

مثل هؤلاء ينطلقون نحو المراقى متجاوزين كل الحقائق، حتى يصير الواحد منهم داخـل نفسه كأنه ملك الكون بأسره، او جاوزه بعقله، أو امتـاز عليـه بمـا لـه مـن إمكانيـات وملكـات، وبالتالى يسمح لخياله بالانطلاق والتحليق فى كـل مـا يتصـوره دون أن تغلـه قيـود، أو يقلـل مـن حركه تحليقة، وهن أجنحة أو كثافة ضباب أو سحاب مسخر بين السماء والأرض، فهذا الخيـال الجامح المتزايد فى الانفلات يلقـى بأصحابـه فـى أتـون الجحيـم. قـال تعـالى: ﴿وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَـيْئًا وَوَجَـدَ اللَّـهَ عِنـدَهُ فَوَفَّـاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَـاهُ مَـوْجٌ مِّـن فَوْقِـهِ مَـوْجٌ مِّـن فَوْقِـهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1].

يقول العلامة الصابونى: « هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار:

☆ **فأما الأول** من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم أصحاب الجهل المركب الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمـر علـى شـيء، فمثلـهم في ذلـك كالسراب الذي يرى فيه القيعان[2] من الأرض من بعد كأنه بحر طام، وفيه يكـون السـراب، يرى كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء حسبه ماء فقصـده ليشرب منه، فلما انتهى إليه "لم يجده شيئا"، فكذلك الكافر، يحسب أنه قـد عمـل عمـلاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد لـه شيئاً بالكلية، كما قال تعالى: "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا"[3]، ووجـد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

وفي الصحيحين: "أنه يقال يوم القيامـة لليـهود مـا كنتـم تعبـدون؟ فيقولـون: كنـا نعبـد

---

(١) سورة النور – الآيتان ٣٩/٤٠

(٢) القيعة جمع قاع كجار وجيرة، وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة.

(٣) سورة الفرقان – الآية ٢٣.

عزير[1] ابن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون؟ فيقولون: يا رب عطشنا فاسقنا، فيقال: ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فينطلقون فيتهافتون فيها"[2]، وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب.

---

(١) هو عزير بن جروة ويقال سوريق بن عديا بن اسبوع بن فلحاص بن العازرين هارون بن عمران، ويقال عزير بن سروخا جاء في بعض الآثار أن قبره بدمشق، قال ابن عباس لا أدرى العزير كان نبيا أم لا؟ ولكن ورد عن ابن عباس أيضا أن عزيرا كان ممن سباه بختنصر وهو غلام حدث، فلما بلغ أربعين سنة اعطاه الله الحكمة، قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه، وقال ابن إسحاق عن عبدالله بن سلام إن عزير هو العبد الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه، وكان عبدا صالحا حكيما، لا أن المشهور أن عزير نبى من أنبياء بني إسرائيل، وإنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا يحيى وأنه لما لم يبقى فى بنى إسرائيل من يحفظ التوراة، الهمه الله حفظها فسردها على بنى إسرائيل، كما قال وهب بن منبه: أمر الله ملكا ونزل بمعرفة من نور فقدفها فى عزير فنسخ التوراة حرفبا بحرف حتى فرغ منها. [راجع قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٦٥ وما بعدها - دار الأقصى ط١/١٤١٠هـ/١٩٩٠م] ويذكر الطبرى فى تاريخه قائلا : « كانت التوراة قد استبيت منهم فحرقت وهلكت - بعد السبي - وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشأم يبكي عليها ليله ونهاره قد خرج من الناس فتوحد منهم وإنما هو ببطون الأودية يبكي فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها إذ أقبل إليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهده كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا وغضب ربنا علينا أن سلط عليا عدونا فقتل رجالنا وأخرب بلادنا وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره أو كما قال فعلام أبكي إذا لم أبك على هذا قال أفتحب أن يرد ذلك عليك قال وهل إلى ذلك من سبيل قال نعم ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها وحدودها فأحبوه حبا لم يحبوه شيئا قط وقامت التوراة بين أظهرهم وصلح بها أمرهم وأقام بين أظهرهم عزير مؤديا لحق الله ثم قبضه الله على ذلك ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير هو ابن الله وعاد الله عليهم فبعث فيهم نبيا كما كان يصنع بهم يسدد أمرهم ويعلمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها ». [تاريخ الطبري ج١ ص٣٢٥].

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج٦ ص٢٧٠٦ - رقم: ٧٠٠١ ، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج١ ص١٦٧ رقم:١٨٢.

☆ **وأما المثال الثاني**: فهو لأصحاب الجهل البسيط، وهم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى: "أو كظلمات في بحر لجي" عميق، "يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها" ولم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده، ولا يدري أين يذهب، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم، قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما "يغشاه موج" يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة" الآية. وكقوله: "وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة" الآية. فالكافر يتقلب في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار. وقوله تعالى: "ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور" أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل بائر كافر. كقوله: "من يضلل الله فلا هادي له" وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين "يهدي الله لنوره من يشاء"، فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً، وعن أيماننا نوراً، وعن شمائلنا نوراً، وأن يعظم لنا نوراً »[1].

ثم إن أصحاب هذا الخيال الطافح دائما يعزفون ألحانا تشجيهم وحدهم، وتطرب مسامعهم. كما تشنق أنوفهم وحدهم؛ لأن كل حركة يقطعها الخيال المتزايد إنما تدفع إلى تصور المحالات، والاعتقاد في المحسوسات، حيث يقع في ذات الأفئدة اقتراب هذه وتلك من المعقولات. ثم الاتداد إلى المحسوسات في حركة لا تنقطع، ولا تسمح باستعمال الصبر والأناة.

❋ **يقول جون فيكتور**: إن الخيال النفسي كثيرا ما ألهم الشعراء والنابهين، وبقدر خصوبة ذلك الخيال يكون الأثر الناشئ عنه قويا وعميقا، حتى إنه ليتسنى لأصحابه تصور اعتقادات لا وجود لها، ويقيم في أعماقهم عبارات لا يستقيم مع العقل الصحيح وجودها، وإنما يسوغ لها ذلك كله الخيال المريض المتنامي[2].

---

(١) العلامة محمد علي الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني ص٢٩٧ .

(٢) الأستاذ جون فيكتور – عقائد الشرق القديم ص٥٧ – ترجمة عبدالعظيم بن عيشان ط مكتبة القصريين – سوريا ١٩٣١م.

ومثلهم يندفعون لممارسة أفعال عدوانية، حتى لو كان عدوانها منقلبا على أصحابها أنفسهم، لأنهم لا يدركون عواقب الأمور، ولا يقدرون لأنفسهم قدرا « إنهم اقرب شبها بمرضى الهلاوس أو الوساوس القهرية، التى تدفع أصحابها إلى ممارسات غير مقبولة على الإطلاق »[١].

❖ **وربما يقال**: إن الخيال أمر ضرورى، لأنه يدفع إلى التفاؤل، ويحقق أعلى قدر من النجاح، فى الأمور التى يحاول الكائن العاقل القيام بها، كما أنه يعتبر التربة الخصبة، التى تنبت فيها الأفكار الأولى للقصيدة الفصيحة ذات الواقع البلاغى، وكذلك يقود الخيال الخصب إلى ممارسة الأعمال القاسية، مادام ذلك سوف يحقق لصاحبه ما ينشده، فلماذا اتهم هنا بأنه أحد العوامل التى تساعد على ظهور الاعتقادات الفاسدة؟

☞ **والجواب**: أن الخيال القابل للتطبيق فى دنيا الواقع ضرورة فى الكثير من العلوم النظرية، وبخاصة ما يتعلق بالعلوم اللغوية من بلاغة ونحو وصرف، وبعض الاتجاهات الأدبية، وإلا فكيف يمكن قبول التشبيه، وهو انتقال من الواقع الحقيقى إلى جملة من الصور الخيالية التى يعبر عنها بالمجاز، أو الاستعارة أو الكناية، مع مراعاة الضوابط التى لابد منها فى هذا الأنتقال، ولولا الخيال الشعرى، ما كانت تلك الزعامة للشعر على غيره من فروع اللغة، حتى قيل: أغرب الشعر أكذبه[٢]. ويريدون أكثر خيالا.

كما أن الخيال العلمى فى مجال العلوم التجريبية يعين على احتمال أعباء التجربة، وانتظار نتائجها فى فرح بالغ، وسرور لا ينقطع، لأن خيال العالم الطبيعى قد جعله يتصور جملة النتائج التجريبية، وقد برزت إلى الواقع المعاش، محققه أعلى قدر من الخدمات، التى تقدم للإنسانية الخير، فى أوجهه المختلفة، وكم من ملاحظة عابرة، أو تجربة بسيطة أعقبت كلا منها نتائج دفعت لاكتشافات علمية جديدة لم تكن فى الحسبان، وحولت هذه الأمور إلى وقائع ثابتة[٣]، طبقا لما معها من نتائج ممتازة، أو صاحبها من تجارب مقصودة كان لها عظيم الأثر فى تقديم النفع للإنسانية.

ولذا قيل: لولا الخيال العلمى لماتت الأبحاث فى مراحلها التجريبية، ولماتت التجارب فى أولى خطوات القيام بها، أو لفظت أنفاسها فى مهدها.

---

(١) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراتها ص٣٣ طبعة أولى ١٩٥٧م.

(٢) راجع للدكتور محسن السيد أبو صبره – الخيال الأدبى عند شعراء الرومانسية ص٣٧ ط أولى ١٩٤٣م.

(٣) يمكن مراجعة تفاصيل ذلك فى كتابنا: الحثيث فى المنطق الحديث ص٣٨٥ وما بعدها.

كما أن الخيال العلمي يدفع بالباحثين إلى تحمل الشاق، واستعذاب أوجه المعاناة، آملين أن يجعل الله لهم فرجا، تتحقق به الآمال التي علقوها على ما يعقب هذا النوع من التجارب، ويعرف باسم الاكتشافات العلمية الجديدة، التي تعبر كل منها عن صورة من صور الخيال العلمي بالشكل الذي تحقق مع التجربة أو يبحث عن طرائق بها يتحول من مجرد خيال علمي إلى واقع عملي.

فالإنسان البدائي كان مجرد تصوره لركوب البحر يمثل نوعا من الخيال الذي يصعب تحقيقه، حتى صارت اليوم الغواصات والفرقاطات والسفن العملاقة التي تجوب البحار والمحيطات في سرعات مختلفة، ولأغراض السلم والحرب، وكذلك ركوب الجو بالنسبة لإنسان العصور التاريخية كان نوعا من الخيال، الذي يصعب مجرد التفكير فيه وقد صارت اليوم الطائرات الأسرع من الصوت ، تجوب العالم كله، بل ظهرت الطائرات التي لا قائد لها، والأخرى التي يتم التعامل معها من خلال منظومة إلكترونية، قد تجاوز الخيال ذلك[1]، حتى صارت سفن الفضاء التي قطعت في هذا المضمار شوطا كبيرا.

ونفس الخيال العلمي كما هو في تطور الآلة، فقد برز أيضا في مجال التطبيق التقني، حيث ظهرت الهندسة الوراثية في المجال البيولوجي، كما ظهرت الهندسة البيوكيميائية، التي كان الإنسان الآلي والروبوت من أبرز مظاهرها، وما تزال هذه الأنواع تجري في اندفاع نحو المجهول، تعمل على سبر أغوره، ومحاولة كشف أستاره، والعمل على فض مغاليقه من خلال نافذة الأمل التي يعمل على توسيعها الخيال العلمي.

لكن هذا الخيال القائم في مجال المعلومات والمعارف، لا تقع فيه المنازعة، إنما الذي تقع فيه المنازعة هو الذي يدفع إلى الاعتقادات الوثنية، وتأله آيات الله الكونية؛ لأنه يقوم على تحوير الثوابت وتحويلها من وضعها الطبيعي الذي خلقها الله عليه، ثم القفز فوق الأصول العقدية، والعمل على إنزالها منزلة الخيال المعرفي، ومتى تحولت الأصول العقدية إلى أنواع معرفية، تقبل الصدق والكذب، أو تقبل الزيادة عليها والنقصان منها، فلابد أنه سيجري عليه تأليه الآيات الكونية وتعدد الآلهة وتجسداتها، على النحو الذي تكاثرت حوله الدراسات في الأديان الوثنية عموما، والتي كانت لها أصول كتابية ثم انحرفت على وجه الخصوص.

دليل ذلك أن البوذية قفز معها الخيال الواسع الغير واقعي لدى أتباعها، إلى تصورات ساذجة، جعلت الألوهية مجرد فكرة يمكن التعديل فيها من ناحية التعدد والتركيب. بجانب

---

(١) والله وحده أعلم بما يخبئه القدر في المجالات العلمية المختلفة التي امتلأ بها رحم العلم.

التجسيد الكامل والجزئي لهذه الآلهة[1]، فكان من جراء ذلك وقوع عقائدهم في دائرة الخيالات المتزايدة، مما حدا بأتباع البوذية اللاحقين إلى إنشاء المزيد من الاعتقادات الوثنية، وكلها فاسدة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[2].

يقول الإمام الطبري: « ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السماوات والأرض ومن فيهن من خلق الله لأن ذلك قام بالحق.

"بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون" اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول بينا لهم. وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم لأنه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا ذلك نظير قوله وإنه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى. وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم »[3].

ثم إن الخيال المتنامي، متى انفلت من أحكام الشرع، وسعى في إنشاء عقائد لا علاقة لها بما شرع الله تعالى، فإنه يمثل صورة بغيضة من صور الإلحاد والفساد العقدي، وقد حذر القرآن الكريم منها، وبين فسادها[4].

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن

---

(١)

(٢) سورة المؤمنون – الآية ٧١ .

(٣) الإمام الطبري – جامع البيان ج١٨ ص٤٣/٤٢ .

(٤) قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [سورة الروم – الآية ٢٩]

تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

يقول الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « عن مسروق عن عبدالله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ هو رجل من بنى إسرائيل، وكأن أمر هذا الرجل على دعوات مستجابات، لأنه كان يدعو باسم الله الأعظم، فدعا على نبى الله موسى ومن معه بعد إغرائه، فسلخه الله ما كان عليه قال تعالى: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي لمن الهالكين الحائرين البائرين »[2].

---

(١) سورة الأعراف – الآيتان ١٧٦/١٧٥ . ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن هذه الآيات نزلت فى بلعام بن باعور فقال: « إن بلعام كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها ضربا أشد من الأول فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسبان ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك، فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا واندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموه ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستى برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم يقال إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يحوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى فنحاص بن العزار بن هرون أخذ حربته وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعا فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفعهما نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين ألفا والمقلل يقول عشرين الفا وكان فنحاص بكر أبيه العزار بن هرون فلهذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة اللية والذراع واللحى ولهم البكر من كل أموالهم وأنفسهم » (راجع البداية والنهاية لابن كثير – جـ٢ ص٢٨٣]

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٢/ جـ٢/ص٣١٠ (بتصرف يسير)

وقد ورد في معنى هذه الآية حديث (حذيفة بن اليمان[١]) رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام، اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك" قال: قلت يا نبيّ الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: "بل الرامي" »[٢].

ومن ثم فإن أهواء دعاة القائمة على الخيال الجامح لم تدعهم لأمور أنفسهم[٣]، وإنما منعتهم من ممارسة عقولهم واجباتها[٤]، فصاروا كالذين أوقعتهم شياطينهم في حبائلها، بحيث لم يتمكنوا من الانصراف عنها.

ﷻ **قال تعالى مصورا أحوالهم** : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥].

---

(١) حذيفة بن اليمان من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو صاحب السر. حدث عنه أبو وائل وزر بن حبيش وزيد بن وهب وربعي بن حراش وصلة بن زفر وثعلبة بن زهدم وأبو العالية ... وخلق سواهم، له في الصحيحين اثنا عشر حديثا وفي البخاري ثمانية وفي مسلم سبعة عشر حديثا، شهد هو وأبوه أحدا فاستشهد أبوه يومئذ قتله بعض الصحابة غلطا ولم يعرفه، ولم يشهد بدرا ، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حذيفة وعمار، وولي إمرة المدائن لعمر فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة، ومن مناقبه أن أسر إليه النبي ﷺ أسماء المنافقين وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وندبه ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو وعلى يده فتح الدينور عنوة ومناقبه تطول رضي الله عنه.[سير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٦١ رقم:٧٦]

(٢) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١ ص: ٢٨١ – ذكر ما كان يتخوف صلى الله عليه وسلم على أمته جدال المنافق الحديث رقم: ٨١، والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره جـ٣/٣١٣ وقال: إسناده جيد وعزاه إلى الحافظ أبي يعلى الموصلي. وجاء في كنز العمال الإصدار – للعلامة المتقي الهندي – م٢ – الحديث رقم: ٢٨٨٢ – « قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة فاستحرمه الملوك واستمال به الناس، ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه وضيع حدوده كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله تعالى ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله واظمأ به نهاره وقاموا في مساجدهم وحبوا به تحت برانسهم فهؤلاء يدفع الله بهم البلاء ويزيل من الأعداء وينزل غيث السماء فوالله لهؤلاء من القراء أعز من الكبريت الأحمر »

(٣) قال تعالى : ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة – الآية ١٦] وقال عز وجل : ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [سورة البقرة – الآية ١٧٥]

(٤) قال تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [سورة الأعراف – الآية ١٩٣] وقال عز وجل: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف – الآية ١٩٨]

(٥) سورة الأنعام – الآية ٧١.

❁ **يقول العلامة القرطبي** : « قوله تعالى قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا أي ما لا ينفعنا إن دعوناه ولا يضرنا إن تركناه، يريد الأصنام ونرد على أعقابنا[1]، بعد إذ هدانا الله أي نرجع إلى الضلالة بعد الهدي، قال أبو عبيدة يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها قد رد على عقبيه وقال المبرد معناه تعقب بالشر بعد الخير وأصله من العاقبة والعقبى وهما ما كان تاليا للشيء واجبا أن يتبعه ومنه والعاقبة للمتقين ومنه عقب الرجل ومنه العقوبة لأنها تالية الذنب »[2].

كما بين عز وجل ان أتباع أصحاب الخيال الجامح، الذين أنشأوا العقائد الوثنية فيه الهلاك؛ لأن من يصاحبهم واقع في الضلال. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

❁ **قال العلامة الفخر الرازي** : « وهذا أقوى في الذم ، لأن كل مضل فإنه يجب أن يكون ضالاً ، وقد يكون ضالا ، ولا يكون مضلا ، فالمضل أكثر استحقاقا للذم من الضال ، وقيل المراد هنا عمر ابن لُحَيٍّ ، لأنه أول من اتخذ البحائر والسوائب وغير دين إسماعيل عليه السلام »[4] .

في نفس الوقت فإن أصحاب الخيال الجامح هم من المكذبين بآيات الله ورسله، الذين ركبوا أهواء أنفسهم، وراحت أفئدتهم تسرح مع خيالاتهم، وترعى في كلأ الأفكار، التي تعود على أصحابها بالخسران والضلال، فالانقياد لهؤلاء أو تقليدهم يؤدي إلى الوقوع في الهلاك. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾[5].

يخاطب الله عز وجل أهل الكتاب قائلا لهم: « لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما ذاك إلا لإقتدائكم بشيوخكم

---

(١) الأعقاب جمع مفرده عقب وهو مؤنث وتصغيره عقيبة يقال رجع فلان على عقبيه إذا أدبر .

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٩/١٧ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ١١٩ .

(٤) الإمام الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – ج٦ ص ٥٤٣ . قال الرازي : قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ ليَضلون ﴾ بالفتح . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالضم ، وقرأ نافع وابن عامر بالفتح ، فمن قرأ بالفتح – أشار إلى كونه ضالاً ، ومن قرأ بالضم – أشار إلى كونه مضلاً .

(٥) سورة المائدة – الآية ٧٧ .

شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً، "وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"، أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال »[1].

ثم إن الخيال الجامح، يربط على قلب صاحبه، برباط يحول بينه والنظر الصحيح والتفكير السليم، والاعتقاد المقبول عند الله تعالى، وذلك كله يفضى بأصحابه إلى الغفلة القلبية والعقلية معا، حتى يدفع المرء إلى نسيان المولى الخالق الكريم، والوقوع فى عبادة الأهواء المزينة والخيالات الزائفة، ومن ثم فقد كان تحذير الله لنا من إطاعة هؤلاء أو القبول لما يكرونه من أوهام. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2].

حيث يقول الله تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم " "ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا" « فشغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا، "وكان أمره فرطا" أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته، ولا تغبطه، بما هو فيه »[3].

السادس : الإلحاد باسم العلم:

العلم منحة ونعمة من أنعم الله تعالى، ومتى تفهم باحث ذلك وصل بعلمه إلى رضوان الله تعالى؛ لأن أهل العلم بالله هم أهل الخشية منه والمحبة لله. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4].

غير أن الإلحاد العلمى يعتبر أحد البواعث على إنكار الإله جل علاه، وكل ما جاء من عنده عز شأنه، تحت مزاعم الاعتقاد فى المحسوسات وحدها، وعدم التسليم بوجود ما لا يقع تحت التجربة، وكان الشكاك اليونان[5]، كما كان الحسيون من أبرز هذه المظاهر قديما[6].

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الأول .

(٢) سورة الكهف – الآية ٢٨ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى .

(٤) سورة فاطر – من الآية ٢٨ . وهذه الآية الكريمة تبين لنا، أن أهل العلم هم أشد الناس خشية لله تعالى؛ لأنهم أكثر الناس معرفة به.

(٥) ارتبطت هذه المفاهيم بالسوفسطائية والشكاك فى اليونان، وكذلك شكاك فرنسا من أمثال مونتانى ومونتيسكيو وبعض من أفراد الرومانتيكية فى عصر النهضة، مما دفع بديكارت إلى مهاجمتهم والسعى لإثبات أن الشك لابد أن يكون منهجيا ، وأن تكون له قيمة بنائية. [راجع للدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة، وراجع كتابنا: خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة أثناء الحديث عن ديكارت وفلسفته]

(٦) وقد تعرض لهم الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه الإشارات والتنبيهات عند الحديث عن الوجود وعلله، الذى خص له النمط الرابع من إشاراته.

أما فى العصر الحديث، فقد صار الطبيعيون والتجريبيون من الملحدين هم أكثر الناس تعبيرا عن ذلك الإلحاد باسم العلم، مستخدمين لغة العلم كوسيلة للتعبير عنه.

وأصحاب الإلحاد العلمى ينطلقون فى كل أفكارهم من خلال تصوراتهم الشخصية، التى تقودهم من أزمتهم إلى التمسك بالنتاج العقلى، واعتباره وحده الذى يجب أن يتبع إلى حد الاعتقاد فيه والعبادة له، دون نظر لشيء آخر، حتى لو كان ذلك هو الله تعالى قال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

۞ **يقول الحافظ ابن كثير**: « إن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين[2]، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: "ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب اللّه حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرحاً". فقيل: يا رسول اللّه أفلا نتعلمها؟ فقال: "بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها".

وذكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (الأحوذي في شرح الترمذي) أن بعضهم جمع من الكتاب والسنّة من أسماء اللّه ألف اسم، فاللّه أعلم. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾، قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء اللّه، وقال

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٨٠ .

(٢) ففى الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للهَ تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور » [الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج٥ ص٥٣٠ رقم:٣٥٠٧]

مجاهد: اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، وقال قتادة: يلحدون: يشركون في أسمائه. وعن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر »[1]،

- **ويقول العلامة الشيخ محمد عبده:** « إن الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، بمعنى يلقون جزاء عملهم بعضهم عن قرب فى الدنيا قبل الآخرة، أما فى الآخرة فإنه يعمهم عقاب الله جميعا، إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً قبل الموت »[2].

ثم إن اتباع الإلحاد العلمى ربما انطلقوا فيه على أساس « أن العلم له قواعد ثابتة، وقوانين منضبطة، يجرى الكون على أساسها، كالحال فى المبادئ المعملية، ومنها الحتمية والسببية، والعلية، فإنها جميعا تنتظم فى أمر الكون من أوله إلى أخره[3]، والكل يسعى فيها سعيا متواصلا، بحيث يمكن القول بأن هذه المبادئ هى التى ينعقد عليها الكون كله وجودا وعدما، دون حاجة إلى شيء أخر وراء ذلك.

كما ذهبوا إلى أن الجاذبية العامة هى الأخرى تؤدى دورا كبيرا مهما فى منظومة الكون، لا يفترق كثيرا عن دور كل من الحتمية والسببية والعلية، بحيث تعتبر كلها مجموعة واحدة، تجرى فيها الأنظمة الكونية، وطبقا لتلك المفاهيم، فقد عملوا على إيجاد العديد من العلاقات التى تبدوا بعض مظاهرها وقد يختفى بعض آخر، لكنها فى جملتها الأسس التى لولاها ما وجد كون أصلا.

فإذا كانت السببية تستلزم ضرورة وجود مسبب عن سبب على سبيل الحتم، فإن نفس العلاقة تكون بذات الثبات بالنسبة لكل من العلية والاطراد، على معنى أنه متى وجدت العلة وجد عنها معلولها، على سبيل الحتم والعلية معا فى شكل مطرد، يجرى معه التلازم.

وهذه الأفكار أودت بهم فى الهلكة، لأنها جعلتهم يحذفون من قواميسهم الفكرية مفهوم عقيدة الألوهية، حتى صاح أحد أبواقهم قائلا: أنا مؤمن بالعلم، كافر بهذا اللغو الذى لا يجدى على أصحابه ولا على الناس شيئا، وعندى أن الأمة تأخذ بنصيب من المدنية يكثر أو يقل بمقدار

---

(١) راجع للإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٢٨٢

(٢) الإمام محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٩ ص٣٦٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٣) الدكتور رمزى فخر الدين شبل – مشكلات العلم ص٥٣ – طبعة أولى ١٩٧٦م.

ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه[1]، ويقول غيره: لقد حذفت من قاموس مفرداتي هذه الكلمات: الله، الروح، الخلود، إذ لا يمكن إدخالها المعمل والحكم عليها من خلال التجربة[2].

وماداموا قد حكموا على أنفسهم بالإلحاد، من خلال إعلانهم الكفر بالله، فإن عقيدة الألوهية التي كان عليهم الالتزام بها، تتحول في نفوسهم إلى مجرد فكرة يمكن التعبير عنها بالأشكال الفيزيائية، بحيث تصير هذه الأشكال في النهاية هي الاعتقادات السائدة في نفوسهم، وهي في ذات الوقت التي يكون عليها مدار أمرهم، أو بعبارة أخرى تصير عقائدهم طبقا لأهوائهم العلمية. قال تعالى: : ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[3].

أجل ظهرت على متن الإلحاد باسم العلم اللاأدرية والسوفسطائية، بجانب الدهريين والطبيعيين، ثم التطوريون قبل داروين[4]، حتى يومنا هذا، كما ظهرت الوضعية بأنواعها المنطقية، والاجتماعية، والفلسفية، والبراجماتية، أو مذهب النفعة، كذلك ظهرت الوجودية الملحدة وسائر المدارس التي كان لها انتشار واسع في أوربا، وظل مقيما بها حتى اليوم[5].

كما ظهرت الماركسية والعلمانية وأخيرا ظهرت اتجاهات المادية متباينة كالحال مع أصحاب بوابة السماء[6]،وأصحاب الاعتقادات الزفانية، وهي وأمثالها تهدف إلى التنوع في الاعتقادات المختلفة، ورسم صور لذات العقائد التي صنعتها خيالاتهم، وممارسة أنواع من الضغط

---

(١) الدكتور زكي نجيب محمود – المنطق الوضعي – الجزء الأول ص٣ – الطبعة السادسة ١٩٨١م مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) مارتن ثوليك – الميتافيزيقا ص١٥ ترجمة هناء فخري .

(٣) سورة الروم – الآية ٢٩

(٤) داروين هو تشارلز روبرت داروين الطبيعي الإنجليزي المشهور ، صاحب الرأي القائل بأن الإنسان متسلسل من سلالة حيوانية، وأن كل الكائنات لها أصل واحد ، أو أصول قليلة. ولد سنة ١٨٠٩م ، وتوفي سنة ١٨٨٢م . [راجع دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي . جـ٤ ص٢٩ – طبعة دار الفكر]

(٥) والملاحظ أن هذه الانفلاتات التي تجري باسم العلم تتفرع عنها مسلاخات تجري شوطها باسم العلم من غير نظر إلى أن دعوى العلم العقلي يعلنونها تخالف الاتجاهات التي يسيرون عليها، فصاروا في واد والعلم في واد آخر.

(٦) جماعة يزعمون أن كمية الأكسجين في الكون أخذة في التناقص السريع، وأن السماء فيها هذه الكميات بنسب عالية تعين على الحياة الامنة، وبالتالي فهم يحاولون تقنين الموت بغية الالتحاق بالسماء ؛ لأن الموت هو بوابة السماء، وقد ظهرت هذه الجماعة في أوربا، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، والمؤسف له أن ظهرها كان مع نهايات القرن العشرين الذي يفاخر الإلحاديون بأنه عصر العلم. [راجع كتابنا: التيارات الفكرية ص١٢٨]

على أصحاب الاعتقاد الصحيح، حتى يتركوه إلى غيره، تحت مزاعم كاذبة، واتجاهات متباينة، تعبر كلها عن روح العداء لله رب العالمين والكفر بما جاء به المرسلون[١].

وقد ظهرت الماسونية باتجاهاتها، حيث يطلقون على أنفسهم اسم البناءون الأحرار: وهى جمعية سرية، تحوي حشداً من الناس، ينتمون إلى مذاهب وديانات، ونحل وجنسيات، وأوطان مختلفة، تضم الملحد والشيوعي، والقومي والرأسمالي، والعربي وغير العربي، والعامل ورب العمل، والكادح والمترف، والأرستقراطى (حكومة، أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة[٢].

كما أن الماسونية تجمعهم غاية واحدة – في الظاهر – يعملون لها، ولا يعلم حقيقتها إلا آحادهم، وسواد أعضاء الجمعية عمى القلوب يجهلونها كل الجهل، ويوثقهم عهد بحفظ الأسرار، وعدم البوح بها، ومن شروطها أن يكون العضو فى عون أخيه الماسونى لا غيره، حتى وإن ارتبط به دما ونسباً ووطنا، فالأخوة لا تكون إلا فى الماسونية فقط [٣].

ومع الاختلاف فى ثقافاتهم، إلا أنهم يحاولون التظاهر بالوحدة فى الهدف، وهو القضاء على كل ما يسمى بدين، وخاصة الدين الإسلامى، ومدعين أنه يجب على كل الأعضاء الاندماج تحت ديانة واحدة هى اللادين، حيث صار الماسونى لا دينى كالعلماني تماماً بتمام، وأما ما فى الباطن، فلا يجب البقاء على دين إلا دين (يهوه)، والإبقاء على تعاليمه، فيقولون: « يجب أن يكون كل محفل ماسونى على نمط الهيكل اليهودي، وكل رئيس محفل ملكاً يهودياً، وكل ماسوني إنما هو تجسيد للفرد اليهودى »[٤]. فالماسونية يهودية، فإذا جردتها من تعاليم اليهودي ومبادئها وطقوسها، لم يبق من الماسونية شيء[٥].

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة – الآية ٥] وقل عز ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [سورة المجادلة – الآية ٢٠]

(٢) المعجم الوجيز ص١٢، والديمقراطي (إحدى صور الحكم، التى تكون فيها السيادة للشعب [راجع المعجم الوجيز ص٢٤١]

(٣) أحمد عبدالغفور عطار – الماسونية ص٧ – مكة المكرمة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٤) أحمد عبدالغفور عطار – الماسونية ص٥٧ .

(٥) أحمد عبدالغفور عطار – الماسونية ص١٠١ .

وجدير بالذكر أن الحركة الماسونية العالمية، كان لها ركائز قوية فى إيران بين الطبقات العليا، والتى أمدت البابين بشعاراتها بالتغنى الكاذب بالإنسانية والإدعاء الباطل بأن الأديان هى سبب فرقة البشر، وهم فى كل ما زعموا كاذبون[1].

وأن دعاة الماسونية مزجو « بين الألوهية والشيطانية، ولم يفرقوا بينهما، وإنما أصروا على تقديم ما يظنونه قويماً فى إثبات وجهة النظر الذميمة »[2]،

كما أعلنت جماعة الاتجاه النقدى[3]، عن قدرتها على ممارسة أدوار جديدة، الغرض منها الإلحاد فى الدين الإلهى، وتقديم بعض القرارات والقوانين على أنها نصوص يجب الالتزام بها كبديل لدين الله تعالى، وزعموا أنها فى مجملها تغنى عن الاعتقادات الساذجة فى الأديان التى ظهرت، وإنما لابدّ من ممارسة الإنسان حقوقه، فى اختيار الأنظمة الحياتية التى تناسبه. دون أن يكون لأحد الحق فى توجيهه، مادامت لديه الطاقة الإبداعية والقدرات العلمية.

وكأنى بهم وأمثالهم قد عناهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4]،

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا

---

(١) الأستاذ محسن عبدالحميد – حقيقة البابية والبهائية ص١٠٢ .

(٢) الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار – الماسونية ص٢٢، وما بعدها –بيروت ١٩٧٤م .

(٣) جماعة ظهرت فى ألمانيا فى القرن العشرين، أعلنت رفضها التام للأديان التى يعتقدها أصحابها، ويركزون على أن الدين هو ما يراه الفرد نفسه، لا ما يملى عليه من جهات أخرى، فالدين عملية ذاتية إن شاء أمضاها المرء وإن شاء أهملها، وقد قام أفراد هذه الجماعة بنقد النصوص الدينية كلها، يستوى فى ذلك الكتاب المقدس وأى كتاب آخر. [راجع للدكتور صبرى حسن المرسى – اتجاهات الفكر الأوروبى ص١٧٣ ط١٩٩٥/١م]

(٤) سورة آل عمران – الآية ١٧٨ . ولا يحسبن بالياء والتاء الذين كفروا إنما نملي أي إملاءنا لهم بتطويل الأعمار وتأخيرهم خير لأنفسهم، إنما نملي ونمهل لهم ليزدادوا إثما بكثرة المعاصي ولهم عذاب مهين ذو إهانة في الآخرة » [تفسير الجلالين ج١ ص٩٢]

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا • ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾[1].

❁ **يقول الصابوني** : « "قل هل ننبئكم" و نخبركم "بالأخسرين أعمالا"، وهم "الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا" حيث عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة، "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" ومع ذلك يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون، وقوله: "أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه": أي جحدوا آيات الله في الدنيا، وبراهينه التي أقام على وحدانيته، وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة، "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا" أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير»[2].

وروى البخاري، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة – وقال – اقرأوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا" »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها"، قال قرأ "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا" »[4].

---

(١) سورة الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦ . وعن مصعب بن سعد قال: « سألت أبي في قوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ هم الحرورية. قال: لا هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ وأما النصارى كفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين » [الامام البخارى – صحيح البخاري ج٤ ص١٧٥٨ – (٢١٨) باب قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا– رقم: ٤٤٥١]. وأخرج الحاكم في المستدرك بلفظ عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: « قلت لأبي هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الحرورية هم قال لا ولكنهم أصحاب الصوامع والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم » [المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٠١ – رقم: ٣٤٠٠] وأخرجه بلفظ عن مصعب بن سعد قال: « كنت أقرأ على أبي حتى إذا بلغت هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الآية قلت يا أبتاه أهم الخوارج قال لا يا بني اقرأ الآية التي بعدها أولئك الذين حبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال هم المجتهدون من النصارى كان كفرهم بآيات ربهم بمحمد ولقائه وقالوا ليس في الجنة طعام ولا شراب ولكن الخوارج هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون » [المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٠٢ – الحديث: ٣٤٠١]

(٢) العلامة الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني.

(٣) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٤ ص١٧٥٩ – ٢١٩ باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم الآية – الحديث: ٤٤٥٢ ، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢١٤٧– كتاب صفة القيامة والجنة والنار – الحديث: ٢٧٨٥

(٤) العلامة المنذرى – الترغيب والترهيب ج٣ ص١٠٠ – الحديث: ٣٢٤١ .

وعن بريدة[١] قال: « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له، فلما قام على النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً" »[٢]. وقوله: "ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا" « أي إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم، واتخاذهم آيات الله ورسله هزواً استهزأوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب »[٣].

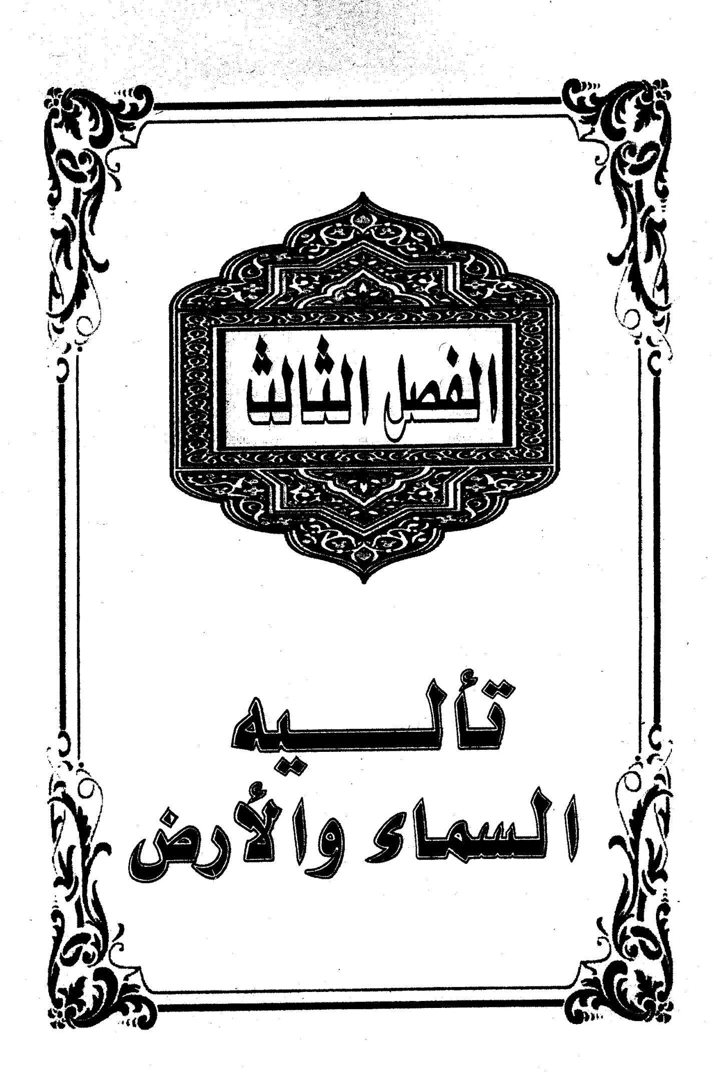
ولا شك أن هذه العوامل قد ساهمت فى تأليه الكائنات المخلوقة، سواء التى جاءت مع آيات الله الكونية، كالأرض والسماء، والشمس والقمر، والليل والنهار، أم غيرها من الآيات الكونية، أم تأليه المصنوعات التى يقوم بها أصحاب هذه الاعتقادات الفاسدة، أم كانت فكرة رسموا لها بعض الصور والتماثيل، وذلك مما يدفع إلى متابعة هذه الأفكار الفاسدة عرضا لها ومناقشة، طبقا لما يوفق الله تعالى إليه.

---

(١) بريدة بن الحصيب ابن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد أبو عبد الله وقيل أبو سهل وأبو ساسان وأبو الحصيب الأسلمي. قيل إنه أسلم عام الهجرة إذ مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة قومه، وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، له جملة أحاديث نحو من مئة وخمسين حديثا. حدث عنه ابناه سليمان وعبد الله وأبو نضرة العبدي وعبد الله ابن مولة والشعبي وأبو المليح الهذلي وطائفة، وسكن البصرة مدة ثم غزا خراسان زمن عثمان. توفي سنة اثنتين وستين.[سير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٦٩ رقم: ٩١]

(٢) العلامة الهيثمي – مجمع الزوائد ج٥ ص١٢٥ ، والترغيب والترهيب ج٣ ص٦٦ رقم: ٣١٠٠.

(٣) العلامة الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني.



الفصل الثالث

تألــيه السماء والأرض

تمهيد

حدث النقل المنزل عن خلق السماوات والأرض وإعدادها، ومادة خلق كل منهما كمجموعات، كما تحدث عن المدة التي خلقت فيها كل مجموعة منها، وجاءت ذلك في آيات محكمات في ورودها.

❁ **قال تعالى:** ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(١).

❁ **يقول العلامة الفخر الرازي** – رحمه الله –: « خلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض »(٢)، وكذلك يكون الحال بالنسبة للأرض من حيث إنها سبع أيضا، ويقول العلامة الزمخشري – رحمه الله –: « إنها طباق متطابقة فوق بعض، بتقدير مخصوص، فسبحان اللطيف الخبير »(٣). يستوي في تطابق الأرضين مع تطابق السماوات.

❁ **ويقول أحد العلماء:** « إنها سبع سماوات شديدة محكمة قوية لا رخاوة فيها ولا ليونة، وذلك كله دال على حكمة السميع البصير »(٤)، لأنه الذي خلق، ومن العدم أوجد، وكل قائم في علم الله تعالى واقع تحت قدرته، خاضع لتخصيص إرادته.

❁ **ويقول العلامة القرطبي:** « قوله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن دل على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في السماوات أنها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ثم قال ومن الأرض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن على قولين أحدهما وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض »(٥).

---

(١) سورة الطلاق – الآية ١٢ .

(٢) العلامة الفخر الرازي – مفاتيح الغيب ج١٥ ص٥٨٢ – دار الغد العربي ١٩٩١م .

(٣) العلامة الزمخشري – الكشاف ج٤ ص١٢٠/١٢١ – دار المعرفة – بيروت .

(٤) الأستاذ سعيد حوى – الأساس في التفسير ج١١ ص٦٣٣٨ .

(٥) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص ١٧٤ .

وبين كل أرض وأرض مسافة ما بين السماء والسماء[١]، وفي كل أرض سكان من خلق الله لا يعلمهم إلا الله جل علاه وقال الضحاك[٢]: ومن الأرض مثلهن أي سبعا من الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السماوات والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه

ومن ذلك ما روى عن صهيب[٣] قال: إن محمدا صلى الله عليه وسلم ما دخل قرية إلا قال حين يراها: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من

---

(١) وفي السنة النبوية المطهرة عَنْ أبي الهيثم عَنْ أبي سَعِيدٍ «عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عليهِ وسَلَّم في قَوْلِهِ: ﴿ وفُرُش مرفوعةٍ﴾ قَال ارتفاعُها كَمَا بيَن السَّمَاءِ والأَرْض، ومَسيرةُ ما بينهمَا خَمْسُمَائَةِ عام" » . [الترمذي بسُنَنه أيضا في: سُورَة الواقِعَة في الحديث رقم: ٣٣٤٨] وذكر ابن كثير عن العباس بن عبدالمطلب قال: «كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء »[العلامة ابن كثير – البداية والنهاية – ج١ ص١١ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – حققه مكتب تحقيق التراث]

(٢) الضحاك : هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني أبو محمد، وقيل: أبو القاسم صاحب التفسير وكان من أوعية العلم وهو صدوق في نفسه وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. توفي سنة ١٠٢هـ وقيل ١٠٥هـ وقيل : ١٠٨هـ (سير أعلام النبلاء ج٥ ص٤٨١) .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل ويقال طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمري أبو يحيى وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرا قال بن سعد وكان أبوه وعمه على الأبلة من جهة كسرى وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التميمي فأعتقه ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف بن جدعان وروى بن سعد أنه أسلم هو وعمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر في تلك السنة فقدما في نصف ربيع الأول وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ورواه بن عدي من حديث أنس والطبراني من حديث أم هانئ ومن حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السباق أربعة أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسليمان سابق الفرس وروى بن عيينة في تفسيره وابن سعد من طريق منصور عن مجاهد أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم. وروى عنه أولاده حبيب وحمزة وسعد وصالح وصيفي وعباد وعثمان ومحمد وحفيده زياد بن صيفي وروى عنه أيضا جابر الصحابي وسعيد بن المسيب وعبدالرحمن بن أبي ليلى وآخرون قال الواقدي مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو بن سبعين. [راجع الإصابة لابن حجر – الصاد بعدها الهاء [ص:٤٤٨/٤٥٠]. رقم: ٤١٠٨ . وراجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢١/١٨ رقم: ٤]

شرها وشر أهلها وشر ما فيها[١]. وما روى عن سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبراً من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين ومثله[٢]،

۞ **قال الماوردي:** « وعلى أنها سبع أرضين بعضها فوق بعض تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين، وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها أقوال:

☆ **أحدهما:** أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة

☆ **والقول الثاني:** أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه وهذا قول من جعل الأرض كالكرة .

☆ **وقول الثالث:** عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم؛ لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، والله أعلم ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه، يتنزل الأمر بينهن من السماوات السبع إلى الأرضين السبع، وقيل الأمر القضاء والقدر وهو قول الأكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها[٣].

---

(١) أبو حاتم بن حبان – صحيح ابن حبان ج٦ ص٤٢٥ – ذكر الإخبار عما يجب للمرء عند طول سفرته سرعة الأوبة إلى وطنه– الحديث:٢٧٠٩ ، وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص١٥٠ – ٥٢ باب الدعاء عند رؤية القرى اللواتي يريد المرء دخولها– الحديث:٢٥٦٥

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٢ ص٨٦٦ – ١٤ باب إثم من ظلم شيئا من الأرض– الحديث:٢٣٢٠، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٣ ص١٢٣١ – الحديث:١٦١٠. وعن سالم عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين. [صحيح البخاري ج٣ ص١١٦٨ الحديث:٣٠٢٤]

(٣) وقيل يتنزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقد قوم [القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٧٦]

☆ وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي الليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها فينقلهم من حال إلى حال، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير يعني أن من قدر على هذا الملك العظيم ابتداء فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ومن العفو والانتقام أمكن وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته»[١].

كما ذكر المادة التي خلقت منها السماوات، وأنها كانت الدخان. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[٢].

۞ **يقول صاحب الظلال**[٣]: « واليومان هما اللذان تكونت فيهما النجوم من السدم، أو تم فيهما التكوين، كما يعلمه الله والوحي بالأمر فى كل سماء يشير إلى إطلاق النواميس العاملة فيها، على هدى من الله وتوجيهه، أما ما هى السماء المقصودة؟ فلا نملك لها تحديداً، فتكون درجة البعد سماء، وقد تكون المجرة الواحدة سماء، وقد تكون المجرات التى على أبعاد متفاوتة سماويات، وقد يكون غير ذلك مما تحتمله لفظة سماء، وهو كثير.

وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا والسماء الدنيا هى كذلك ليس لها مدلول واحد محدد، فقد تكون هى أقرب المجرات إلينا، وهى المعروفة بسكة التبان، والتى يبلغ قطرها مائة ألف مليون سنة ضوئية، وقد يكون غيرها مما ينطبق عليه لفظ سماء، وفيه النجوم والكواكب المنيرة لنا كالمصابيح، وحفظا من الشياطين، كما يدل على هذا ما ورد فى المواضع الأخرى من القرآن الكريم، وذلك تقدير العزيز العليم، وهل يقدر هذا كله؟ ويمسك الوجود كله، ويدبر الوجود كله، إلاّ العزيز القوى القادر؟ وإلا العليم الخبير بالموارد والمصادر؟ »[٤].

۞ **ويقول العلامة الحافظ ابن كثير**: « "ثم استوى إلى السماء وهي دخان" وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، "فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً" أي استجيبا لأمري طائعتين

---

(١) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٧٦ .

(٢) سورة فصلت –الآية ١٢/١١ .

(٣) هو فضيلة الشيخ : سيد بن قطب المفكر الإسلامي المصرى . ولد بأسيوط سنة ١٩٠٦م، وتخرج من كلية دار العلوم، ومن أشهر مؤلفاته: العدالة الاجتماعية فى الإسلام، وفى ظلال القرآن، توفى سنة ١٩٦٦م (الإعلام للزركلى جـ٣ ص١٧٤) .

(٤) الشيخ سيد قطب – ظلال القرآن ج٥ ص٣١١٥ – ط٦ دار الشروق ١٩٧٨م .

أو مكرهتين، قال ابن عباس: قال الله تبارك وتعالى للسماوات: أطلعي شمسي وقمري ونجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، "قالتا أتينا طائعين" وقال الحسن البصري: لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذاباً يجدان أله، ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، غير الأيام التى خلق الله فيها الأرض والأقوات والأرزاق »[1]. ويقول الفخر الرازى: « ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾، لأن جملة يومى السماوات غير جملة يومى الأرضين، وهى كلها غير جملة يومى الأرزاق والأقوات، واليومان قد يكونان هما اللذان تكونت فيهما النجوم من السدم أو تم فيها التكوين كما يعلمه الله »[2].

وعن مادة خلق جملة السماوات وجملة الأرضين، بين الله عز وجل أنها كانت مادة واحدة غير محددة الملامح، غير واضحة المعالم بالنسبة لعقولنا. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[3].

۞ **يقول العلامة الصابونى** : « يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال: ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه؟ أو لم يروا أن السماوات والأرض ﴿كانتا رتقا﴾ متصلاً بعضها ببعض متلاصقا متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه فجعل السماوات سبعاً والأرض سبعًا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، ولهذا قال: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء »[4].

سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرأيتم السماوات والأرض حين كانتا رتقاً هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار. وعن ابن عمر: أن رجلاً أتاه يسأله عن السماوات والأرض كانت رقتاً ففتقناهما؟ قال: انهب إلى ذلك الشيخ، فاسأله، ثم تعال

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٤ ص٩٣ – دار الحديث بالقاهرة .

(٢) الأستاذ سيد قطب – فى ظلال القرآن – م٥ ج٢٤ ص٣١١٠/٣٣١٥ دار الشروق – بيروت – ط٦/١٩٧٨م .

(٣) سورة الأنبياء – الآيات ٣٠/٣٢ .

(٤) العلامة الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى ص٣٧١

فأخبرني بما قال لك، قال، فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كانت السماوات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس في تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً، وقال عطية العوفي: كانت هذه رتقاً تمطر فأمطرت وكانت هذه رتقاً لا تنبت فأنبتت، وقال سعيد بن جبير: كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه، وقال الحسن وقتادة: كانتا جميعاً ففصل بينهما بهذا الهواء.

وقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي أصل كل الأحياء. عن أبي هريرة قال: « قلت: يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: "كل شيء خلق من ماء" قال، قلت: أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة؟ قال: "أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام"»[1].

وقوله: ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ كقوله: ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي « لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ونهارها، من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة، فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله، الذي قدّرها وسخّرها وسيّرها »[2].

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل مسند أحمد ج٢ ص٣٢٣ – الحديث٨٢٧٨ ، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٢ ص: ٢٦١ – ذكر إيجاب دخول الجنة لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وقرنهما بسائر العبادات – الحديث:٥٠٨. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً أرسى الأرض بها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات، ولهذا قال: ﴿أن تميد بهم﴾: وقوله ﴿وجعلنا فيها فجاجا سبلا﴾ أي ثغراً في الجبال يسلكون فيها طرقاً، من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل حائلاً بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا، ولهذا قال: ﴿لعلهم يهتدون﴾، وقوله ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾: أي على الأرض وهي كالقبة عليها، كما قال: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾. وقال ﴿أفلم ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾،[مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني ص٣٧١]

(٢) العلامة الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني ص٣٧١

ولأن هذه الكائنات تجرى بأمر الله تعالى، كما أنها مخلوقة بقدرته وواقعة فى نطاق ما تخصصه إرادة، وما يسمح به علم الله الشامل، فقد كان ذلك الجريان لهـذه الكائنات، إنما هو مظهر سنة الله تعالى الكونية فى العالم الذى نعيشه، بدليل أن السماء فيها تماسك شديد، رغم سعتها وصلابتها وضخامة حجمها، وتعددها. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

❁ **يذكر العلامة الفخر الرازى:** « أن المنفى هنا وجود التفاوت المخل بنظام الكون، وليس التفاوت فى الأداء الذى يتعلق به أمر الكون، ولذا فهى مرفوعه، ومادام ذلك الأمر قائما، فقد دل على أنها كرة، إذ لو لم تكن كرة من ناحية الشكل، لكان بعض جوانبها سطحا، والبعض الأخر زاوية، وبعض ثالث خطا، بل كان بعض أجزائه قريبا إلينا، والبعض الأخر أبعد. فلا تكون التسوية الحقيقية قائمة، فوجب أن يكون كرة حتى تكون التسوية الحقيقية حاصلة، ومن ثم، فقد دل الأمر على أنها محدثة مفتقرة إلى فاعل قادر حكيم هو الله رب العالمين »[2].

❁ **ويقول العلامة ابن جرير الطبرى** – رحمه الله – : « والغاية هنا قائمة فى أن الله خلق سبع سماوات طباقا، بعضها فوق بعض، على سبيل التطابق التام، رغم أنها سبع »[3].

وحال الخلق فى السماوات مثله حال الخلق فى الأرضين من البسط بجانب المتانة والجودة، مع الإبداع. قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

والسماء مرفوعة عن الأرض بقدرة الله تعالى. قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[5].

❁ **يقول الطبرى** : « يقول تعالى ذكره الله يا محمد هو الذي رفع السماوات السبع بغير عمد ترونها فجعلها للأرض سقفا مسموكا، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله رفع السماوات بغير

---

(١) سورة الملك – الآية ٣ .

(٢) العلامة الفخر الرازى – مفاتيح الغيب ج١٦ ص٤٧/٤٨ – دار الفكر بيروت ١٩٩٥م .

(٣) العلامة ابن جرير الطبرى – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص٦٠

(٤) سورة الذاريات – الآيات ٤٨/٤٩

(٥) سورة الرعد – الآية ٢ .

عمد ترونها. فقال بعضهم: تأويل ذلك أن الله هو الـذي رفـع السماوات عـن الأرض بعمـد لا ترونها فعن عكرمة[1] قال قلت لابن عباس إن فلانا يقول إنها على عمد يعني السماء قال فقال اقرأها بغير عمد ترونها أي لا ترونها، وقال آخرون بل هي مرفوعة بغير عمد.

ثم يرجح بين الآراء فيقول: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعـالى الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها فهي مرفوعـة بغـير عمـد نراهـا كمـا قـال ربنـا جـل ثنـاؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه»[2].

فإذا أراد الله إفساد نظام هذا الكون حصل تبدل لكل الأنواع والأجناس. قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ • وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ • وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ • وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[3].

---

(١) عكرمة بن أبي جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشـي المخزومي وكان أبو جهل يكنى أبا الحكم فكناه رسول الله أبا جهل وكان أبو جهل وابنه عكرمة بن أبي جـهل مـن أشد الناس على رسول الله فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافرا ثم هـدى الله عكرمـة إلى الإسلام فأسلم بعد الفتح وحسن إسلامه ولما أسلم عكرمة شكا قولهـم عكرمـة بـن أبـي جـهل فنـهاهم رسـول الله أن يقولـوا عكرمة بن أبي جهل وقال لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات. وقال الشافعي كان عكرمـة محمـود البـلاء في الإسلام محمود الإسلام حين دخل فيه وروي أنه مر برجل يوم اليرموك فقاتل قتـالا شـديدا حتـى قتـل فوجدوا فيه بضعة وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية وقال يومئذ قاتلت رسول الله في كـل موطـن وأفـر منكم اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربع مائة من وجوه المسلمين وكان أميرا على بعض الكراديس. قتل يوم أجنادين في عهد عمـر وهـو بـن ثنتـين وسـتين سنة وقد قيل إن عكرمة بن أبى جهل قتل يوم اليرموك في خلافة عمر سنة ١٥ وقيل قتل يوم مرج الصفـر في خلافة أبي بكر سنة ١٣ وأمه أم خالد بنت مجالد بنت يربوع الهلالية من بني هلال وليـس لعكرمـة عقب. [العلامة يوسف بن الزكـي عبدالرحمـن أبـو الحجـاج المـزي المولـود ٦٥٤ هـ والمتوفى ٧٤٢هـ تهذيب الكمال – مؤسسـة الرسـالة – بـيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م – الطبعـة الأولى – عـدد الأجـزاء ٣٥ – تحقيـق د. بشـار عـواد معـروف ج٢٠ ص٢٤٧ رقـم:٤٠٠٣، وراجـع : تـهذيب التـهذيب ج٧ ص٢٣٠ رقم: ٤٧٠، والثقـات ج٣ ص٣١٠ رقـم: ١٠١٠، والجـرح والتعديـل ج٧ ص٦ رقـم: ٣١ ، ومشـاهير علمـاء الأمصار ج١ ص٣٣ رقم: ١٧٤ ، وراجع تقريب التـهذيب ج١ ص٣٩٦ رقـم: ٤٦٦٧ ، والكاشـف ج٢ ص٣٢ رقم: ٣٨٦٢ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٤ ص٧٠/٧١]

(٢) الإمام الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٩٣/٩٥ .

(٣) سورة الانفطار – الآيات ١/٤ .

❁ يقول الشيخ الصابوني: « ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ حيث انشقت بأمر الله لنزول الملائكة. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[1]. وإذا الكواكب انتثرت وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وزالت عن بروجها وأماكنها، وإذا البحار فجرت، حيث إن البحار فتح بعضها إلى بعض فاختلط عذبها بمالحها، وأصبحت بحراً واحداً. ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ حيث قلبت ونبش ما فيها من الموتى، وصار ما في بطنها ظاهرا على وجهها »[2].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۞ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[3]، حين تتحرك السماء بسرعة من داخل أجزائها، فيقع الاضطراب والتداخل والتردد، بين الهوى والارتفاع، وتسير الجبال عن أماكنها، حتى تصير مستوية بالأرض، حيث لا يظهر شيء يباعد بينهما.

وكذلك الحال في الأرض والجبال. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۞ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[4]

والمعنى: « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، ورفعت الأرض والجبال عن موضعهما، فدكتا مرة واحدة، فيومئذ نزلت النازلة، وانشقت السماء بزوال أحكامها، فهي يومئذ ضعيفة، بعد أن كانت محكمة قوية. والملائكة على جوانبها، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون للحساب، لا يخفى منكم أي سر كنتم تكتمونه »[5]، لأن كل ما كان خافيا، يصير اليوم باديا.

ومع أن كل الدلائل قائمة على أن السماء جرم مخلوق من مخلوقات الله تعالى، إلا أن بعض العقول نأت عن شرع الله والاستجابة له، وانصاعت لأهواء النفس الأمارة بالسوء، التي تدفع إلى الإلحاد، وممارسة الكفران، ولما استنكفت السير في طريق الهداية، وانطلقت بأقصى

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٢٥ .

(٢) الشيخ محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير ج١٤ – ٢٠ ص٥٢٨ .

(٣) سورة الطور – الآيات ١١/٩ .

(٤) سورة الواقعة – الآيات ١٨/١٣ .

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص٨٤٩ – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ط١٤ – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

سرعة في مسالك الغواية، فقد أوقعها ذلك في تأليه غير الله تعالى من آيات كونية، كالسماء والأرض(١)، أو الشمس والقمر(٢)، أو الليل والنهار(٣)، إلى غير ذلك من آيات الكونية التي تحولت معهم إلى اعتقادات وثنية. أما لماذا؟

فلأن الدلائل قد قامت على توحيد الله تعالى، بعد تفرده بالوجود المطلق، واستغنائه عن الكل في النفع والضر، وعدم احتياجه لشيء أبدا، وهذه الدلائل هي نفسها التي تفرض على العقل السليم أن يبذل ملكاته في التعرف على ما خلق الله تعالى له من ملكات، وأودع في الكون من آيات. قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(٤). وقوله سبحانه: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٥).

وكلما تكاثرت الدلائل على وجود الله تعالى وتوحيده، كلما انقطعت على العقول طرق الأعذار، فالنفوس شاهدة على وجود الله تعالى وتوحيده، والعقول مقرة بأن الله واحد لا شريك له، والأجسام لسان حالها ناطق بوجود الله ووحدانيته، كما أن لسانها المقال الذى يعلمه الله ناطق بذلك أيضا، لأنها جميعا داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٦).

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم – الآية ٢٢]

(٢) قال تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس – الآية ٤٠].

(٣) قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا ﴾ [سورة الإسراء – الآية ١٢]

(٤) سورة الذاريات – الآية٢١ .

(٥) سورة الغاشية – الآيات ٢٠/١٧ . يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – عند بيانه لقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ..﴾: « استدل بهذه الآية وما كان مثلها في قوله تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾. وقوله: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(سورة الذاريات – الآية ٢١)، من قال بوجوب النظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته ».[الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ج٤ ص٢٧٦٦]

(٦) سورة الإسراء – الآية ٤٤ .

❁ يقول العلامة الخازن: « ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، من الملائكة والإنس والجن. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن عباس، وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده، وقيل جميع الحيوانات والنباتات، وإن من شيء جماد أوحي إلا يسبح بحمده، وقيل: كل الأشياء تسبح لله حيوانا كان أو جمادا، وتسبيحها سبحان الله وبحمده »[1].

ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء). فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل »[2].

إذن تأليه كل من السماء والأرض، قد غلب على بعض العقول، وذلك مما يجعل عرض كل واحد منهما على حده، وسأبدأ بالحديث السماوى أولا، لأن النقل المنزل قد بدأ بها في غالب الآيات القرآنية.

أولا: تأليه السماء[3]

تأليه السماء في الاعتقادات الوثنية قد انطلق من بعض البلدان، التي ظهر فيها الإلحاد بين أفرادها أنوار الله عز وجل. وسأحاول التعرف على ذلك، ثم مناقشته حسب توفيق الله تعالى، طبقا لما يلي:

---

(١) الإمام الخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل – م٣ ج٤ ص١٦٢ – دار الفكر بيروت .

(٢) صحيح البخاري – باب: علامات النبوة في الإسلام – الحديث رقم: ٣٣٨٦ – والمراد بـ: [(الآيات) المعجزات وهي الأمور الخارقة للعادة. (بركة) فضلا وتكرما من الله تعالى، والبركة النماء والزيادة. (سفر) قيل في الحديبية، وقيل في خيبر. (تخويفا) لأجل التخويف. (اطلبوا..) ابحثوا عن شيء من ماء بقي لدى واحد منكم. (حي على الطهور) تعالوا وتطهروا بالماء. (المبارك) الذي نما وزاد بفضل الله تعالى، ففيه خير ونور. (كنا) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم].

(٣) وردت مادة الكلمة س و م في القرآن الكريم خمسة عشرة وثلاثمائة مرة. [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٣٦٢/٢٦٦]

المصريون من أقدم الأمم الإنسانية وجودا، وأعمقهم حضارة، وأبعدهم أثرا، إذ كانوا فى الفيزياء يمثلون قمة النضج العلمى، ولم تكن لأحد القدرة على اجتياز الجوانب العلمية، إلا إذا استند فى قواعده على نتاجات العقلية المصرية، يستوى فى ذلك مباحثهم الفيزيقية والرياضية، بل والأخلاقية، إذ كانوا يرفضون تقنين الظلم، ويحاولون تحقيق العدل، كما كانت لديهم إلمحات عن الحساب والجزاء والدنيونة، مما نقل إليهم عن طريق الثقافات المختلفة.

ولما كان عالم الآلهة على اتصال وثيق بشئون الأمة السياسية، فقد انتقلت صفات العدالة الاجتماعية من وصفها للحكومة الملكية الفاضلة إلى صفات اله الدولة ، فازدادت المزايا الخلقية، التى كانت تنسب للإله وقد استمرت قرابة الألف سنة. إذ كان الإله فى الماضى يعتبر ملكا، ثم صار ملكا فاضلا بالمعنى الاجتماعى، ثم تحول ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله يهب الحياة للطيب ويقدر الموت للخبيث[1]، وبالتالى أمكن للعقلية المصرية القديمة القيام بدور المنظم الدقيق للأمور التى تجرى فى مفاهيمه، والتى تفرضها السلطة الحاكمة، وهى مرتدية ثوب الألوهية، وكان ذلك فى أزمان ما قبل التاريخ، التى تزيد عن مئات آلاف السنيين على أقل تقدير.

ويقرر برستيد أن التفكير الدينى لدى المصريين القدماء تمثل فى الزهد والورع الشخصى بمعناه الروحى العميق، الذى راح يتوارى من النفوس بالتدريج، نظرا لتأثير رجال الكهانة الذين تطرفوا بتعاليهم فى دينهم أبان الحكم الإغريقى الرومانى فى مصر[2]، وقد كان لذلك أثره على العقائد، التى تحولت من عبادة الملك الإله، إلى عبادة الكائنات العلوية والسفلية على قدر سواء، وكانت السماء هى أعظم الآلهة الطبيعية التى راح المصرى القديم يتابعها بشغف، ويتمسك بها على كل ناحية، معتبراً إياها أعظم الآلهة، وأفخمها على قدر سواء.

أجل السماء تحولت فى نظر الكهنة[3] إلى إله سقفى يحيط بالأرض، على كل اتجاه، « وتطورت هذه الأفكار، حين انتقلت من رءوس الكهنة إلى عوام الشعب، حتى أصدر الملك

---

(١) الشيخ محمد على البيطار – عقائد مصر القديمة ص٩٥ – الطبعة الأولى – المطبعة الميمنية ١٣١٥هـ.

(٢) جيمس هنرى برستيد – فجر الضمير ص٤١ ترجمة د. سليم حسن – الهيئة المصرية العامة ١٩٩٨م.

(٣) الكاهن هو خادم دين ، وفى اصطلاح الكتاب المقدس هو الشخص المخصص لتقديم الذبائح ، وكان كل الأفراد قبل النظام الموسوى يقدمون الذبائح كنوع من الكهنوت ، ثم انحصر اختيارهم فى كل ذكر من ذرية هارون ، بشرط أن لا يكون فيه عيب أو تشويه جسدى. وكان من واجبات الكهنة تقديم الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، وكانوا يخدمون فى الاحتفالات والتطهير، وكانوا يطلقون الصوت فى الأبواق المقدسة، ويحملون تابوت العهد. ويقضون فى دعاوى الغيرة . ويقدمون المال للافتداء، ويفسرون الناموس للشعب.[قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١/٧٩٤]

قانيوس من الأسرة السابعة مرسوما يقضى باعتبار السماء أعظم الآلهة، كما طلب من أفراد الشعب تقديسها، ثم لم يلبث أن سن لهم عدة أيام من شهر حزيران صارت هى الأعياد السماوية[1]، التى كان الملك يساهم فى احتفالاتها، وكان يفعل ذلك أيضا الملك، كما ساهم فى ذات الاحتفالات أفراد الشعب، طبقا للمرسوم الملكى الصادر بهذه الأعياد.

لم تمر سنوات قلائل، حتى أصدر الملك نفسه مرسوما آخر يقضى بإلزام كل أفراد الشعب الإعلان عن العيد السماوى، وفرض عليهم كذلك استشارة الإله السماوى فى كل ما يريدون القيام به من حروب، أو بمصالحات، أو ما يتعلق بأعمالهم فى الزراعة والرعى، وخلاف ذلك، وهو مما مهد الأرضية التى تبذر فيها عملية التأليه للسماء على نطاق واسع.

كما نهض كهنة المعابد المصرية فى إعلان ضرورة الاحتفال بهذه الأعياد، ورسموا الطرائق التى لابد من القيام بها فى ذات الأعياد، أما الطقوس التى تتم فقد جعلوها من الأمور الخاصة به، وأطلقوا عليها الطقوس الكهنوتية[2]، كما أطلقوا عليها اسم الطقوس السماوية الشخصية.

نجح الملك فى تأصيل هذه الاعتقادات الوثنية داخل نفوس كهنة المعابد، وربما خدعوه حين أعلنوا التزامهم بها، ثم خرجوا عنها فى أسرارهم وسرائرهم، بدليل أن بعضا من كهنة منف لم يكونوا ينظرون للسماء هذه النظرة الأحادية الجانب، وإنما كانوا يقولون: إن السماء تشترك مع أفراد الكهنة فى القيام بهذه المهام من خلال نظرات متبادلة أو نظرات مشتركة.

« وقد غدت هذه التعاليم الكهنوتية، إحد الوسائل الفعالة فى وضع أسس عملية تأليه السماء موضع التنفيذ، حيث راحوا يلقونها للناشئة، كما كانوا يكررونها على أسماع أفراد الشعب فى عظاتهم التى كانت أحيانا تستغرق أوقاتا طويلة، وتحتاج طقوسا متزايدة »[3]، تفصح عن هذا التأليه الذى يرفض العقل الصحيح الانصياع له.

ويرى الشيخ البيطار أن كهنة المصريين، قد استغلوا رغبة الملك فى هذا التأليه السماوى فأسرعوا إليه يمدونه بكل عناصر البقاء والذيوع مع الانتشار من خلال مجموعة الطقوس والترانيم والأناشيد التى قاموا بها لدعم هذه الاعتقادات، حتى وإن لم ترق لهم، إذ كان الكهنة فى مصر يعينون من خلال ما للملك من حقوق إلهية، وقع الكهنة مسبقا على عقد اعتراف بمنحها له[4].

---

(١) الشيخ المرسى عبدالمطلب السعيد – مصر القديمة عقائد وعبادات ص٥٤ – طبعة الدار القومية ١٩٣٣م.

(٢) الشيخ محمد على البيطار – عقائد مصر القديمة ص٩٩ .

(٣) جورج بونويك – عقيدة المصريين ص١٢٧ ترجمة أبو عزيزة بن محمد ط مراكش ١٩٤٣م.

(٤) الشيخ محمد على البيطار – عقائد مصر القديمة ص١٨٦ .

فهم بذلك وقعوا وثيقة عبوديتهم للملك، فكيف يخرجون عليه، أو كيف يواجهون أفراد الشعب، إن هم تذمروا على الملك.

- لكن هل نجح الكهنة فى صرف أفراد الشعب عن الاعتقادات الأخرى من تأليه الشمس والقمر، والليل والنهار، أو غير ذلك من البعل والبغل والقطة والجعران، أو تأليه النباتات والجمادات، فضلا عن تأليه الأشخاص والكائنات المرئية وغير المرئية؟

- **والجواب**: أن كهنة قدماء المصريين كانوا أقرب شبها بموظفى الحكومة الذين يعملون فى مقابلة أجورهم التى تمنح من خزائن الدولة[1]، فإذا قرر الكهنة أمرا يخالف ما يراه الملك، فإن المشكلة تقع حتما، والانتصار سيكون للملك؛ لأنه الذى يستطيع فصل هؤلاء الكهنة من وظائفهم، كما أن له وحده الحق فى تعيينهم أيضا.

ومن ثم فإذا ولى الحكم ملك مؤله للنباتات مثلا، فإن الكهنة يقومون بوضع الأناشيد والطقوس التى تناسب الاعتقادات الملكية فى النبات، فإذا خلفه ملك مؤله للشمس أو القمر أو السماء، أو غير ذلك فإنهم يبذلون ذات المجهود بغرض تعبيد الناس لأهواء ملوكهم، ولذا شاعت مقولة الناس على دين ملوكهم، لا على دين الأنبياء الذين بعثوا فيهم، **من ثم فقد كان دور الكهنة يتمثل فى أمرين**:

☆ **الأول**: تقنين الاعتقادات الملوكية من خلال النصوص والطقوس والترانيم والأناشيد، بحيث تكون متوافقة مع غايات هؤلاء الملوك، ولذا فقد كان من السهل الانتقال بهذه الاعتقادات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، مادامت تعاليم الدين ونصوصه متعلقة بما يقوله الكهنة أو يمارسونه.

☆ **الثانى**: إقناع أفراد الشعب بأن هذه التأليه الجديد قد وضع فى موضعه الصحيح، ولا مانع لديهم من القول بأنها طقوس وتقاليد درست فى الماضى وهاهى تحيا من جديد فى الحاضر، إذ أن أفراد الشعب كما كانوا يؤهلون الملك والكائنات الأخرى، فقد كانوا ينظرون إلى الكهنة على أنهم أصحاب العصمة، الذين يمكنهم الاتصال بالآلهة وإبلاغ تعاليمها لأفراد الشعب.

---

(١) هذه المسألة تغلب فى كثير من البلدان التى تغيب عنها تعاليم الله تعالى الذين يزعمون قدرتهم على قطع أرزاق الناس، مع أن الله تعالى وحده هو الذى بيده الأرزاق كلها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات – الآية ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات – الآية ٢٢]

وقد انتقلت هذه المفاهيم عن العلاقة بين السلطة الدينية — الكهنة —، والسلطة السياسية — الملك — من قرون ما قبل التاريخ إلى المسيحية في العصور الوسطى، فكان رجال الكنيسة يعملون على تالية الملك، زاعمين أنه ظل الإله في الأرض، فلا تجوز الثورة عليه، حتى وإن جار، لأن الإله هو الذي يعينه ملكاً، ومن خالف هذه التعاليم، حكموا عليه بالكفر، الذي يستوجب عقوبات كثيرة. منها: القتل والصلب والتمثيل بالجثث، فكان الكهنة أداة لخدمة الملك وتأمين حكمه.

كذلك أعلن الملك أن ما يقوله رجال الكنيسة هو الحق — مهما كان أمره — وأي خارج على تعاليم رجال الكنيسة، فليس له جزاء إلا الحرق أو القتل بحد السيف، أو هما معاً، فكان هذا التعاون المنفعي بين رجال السياسة ورجال الكنيسة من أهم العوامل التي أدت إلى التخلف. كما أظهرت الاستبداد، وجعلت الفرد المسيحي واقعاً بين نارين، كل منهما تناله على أية ناحية[1]، وهو ما يكشف عن العلاقة الوطيدة بين العقائد المسيحية وتأثرها بالاعتقادات الوثنية.

في نفس الوقت، فقد أسرف قدماء المصريين حين حاولوا إبراز مظاهر تأليه السماء، حيث صنعوا لها التماثيل والصور، وأنشأوا المعابد الخاصة بها، وكما عينوا الكهنة، وأجروا عليهم الأرزاق والأقوات، بل وأنزلوهم في النفوس أعلى منزلة، ولو فطنوا إلى أن السماء مخلوق من مخلوقات الله، وأنها تسبح بحمد الله، وأنها ستقع لها عليها النهاية، كما تقع على غيرها من المخلوقات، متى أراد الله لغيروا من اتجاهاتهم، وربما اهتدوا إلى ربهم الذي يملك بسط السماء ورفعها، كما يملك ضمها وطيها، وهو الوحيد الذي لا يكون الاعتقاد صحيحاً، إلا إذا توجه إليه قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[2].

❁ **يقول العلامة الصابوني**: « هذا كائن يوم القيامة ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾، كما قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. عن أبي هريرة قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض][3].

---

(١) راجع كتابنا: قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص١٣٨، وكتابنا: خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة ص١٤٧، فقد تعرضت لبعض هذه الصور في كل منهما على ناحية مخصوصة.

(٢) سورة الأنبياء — الآية ١٠٤ .

(٣) الإمام مسلم — صحيح مسلم ج٤ ص٢١٤٨ — الحديث: ٢٧٨٧ .

وعن ابن عباس قال: يطوي الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة. وقوله: ﴿كطي السجل للكتب﴾ أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله: ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ أي على الجبين، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم وهو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك، ولهذا قال: ﴿إنا كنا فاعلين﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم][1].

وقوله ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾، حيث يهلك كل شيء كما كان أول مرة »[2]، وذلك حكم الله، الذى لا يرد، من ثم فإن تأليه قدماء المصريين للسماء، كان أمرا قائما عندهم، لكنه مرفوض عند الله تعالى، مردود فى وجه القائلين به.

٢ـ عند قدماء اليونان

اليونان أمة قديمة، كثرت فيها الاعتقادات الفاسدة، بناء على وجود الاتجاهات المتباينة، فكل اتجاه قائم فيها كان يؤدى إلى اعتقاد بعينه أو جملة من الاعتقادات طبقا لطبيعة الاتجاه وقوته بجانب قدرته فى التأثير على نفوس وعقول، بل وقلوب الآخرين.

وقد أدى ذلك إلى ظهور العديد من الآلهة اليونانية، بعضها شخصى وبعضها عائلى، وبعضها الأخير مجتمعى أو قومى، بحيث لم يقتصر عدد الآلهة فى رقم من الأرقام، او عدد من الأعداد بدليل أن البعض بلغ فى عده لآلهة اليونان سبعة عشر إلها، ذكر أسماءهم ونعوتهم[3]، بينما بلغ بها آخر أربعة وعشرين إلها، وقام فيها بنفس ما قام الأول[4].

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٣ ص١٢٢٢ – باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا – الحديث: ٣١٧١.

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٠١

(٣) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٩٥ – ترجمة لطفى السيد فخرى ١٩٥١م وراجع أيضا للشيخ نصر محمد الجميل – خرافات وأساطير ص٥٣ ط دار المروة ١٣٣٧هـ

(٤) الدكتور حسن محمد سالم – الحضارة اليونانية القديمة ص٧٧ ط أولى ١٩٥١م .

ثم جاء أخير فقرر وجود آلهة رئيسية، وحصرها في جملة تزيد على الأربعين قليلاً، أما الآلهة القانونية أو الشخصية، فقرر أنها أعداد لا تتناهى باعتبار أن الأفراد أنفسهم لا يتناهون[1]، وهي أفكار تحمل في ملامحها السذاجة العقلية والطفولية معاً، لأن الأفراد جميعاً يتناهون، باعتبارهم أنهم مخلوقون، أما الذي لا يتناهى فهو الله الواحد، الذي لا إله إلا هو رب العالمين.

بيد أن هذه السذاجة العقلية في الجانب الاعتقادي دفعتهم إلى القول بألوهية السماء على ناحية من النواحي، ومن خلال اعتبارات بعينها، وطبقاً للأساطير والخرافات التي تنقلها، وليس أول على ذلك من أطلاقهم اسم إنجيل الإغريق على الأفكار التي تبناها هو ميروس في قصائده[2]، التي لم تعرف إلا بعد فترة طويلة.

لكن من جملة الآلهة التي اعتقدها اليونان الإله لسماء والإلهة والأرض، وقد تتفوق الاعتقادات في تأليه السماء على الاعتقادات في تأليه الأرض داخل بعض الولايات، أو المدن اليونانية، وقد ينعكس الأمر، وذلك مما يدفع إلى القول بأن وجود الاعتقادات في السماء كانت تسير مع الاتجاهات الأخرى، جنباً إلى جنب، حتى صار إله السماء بوزيز واس **Posis.das** – زوجا للآلهة الأرض، وقد دخلت هذه العقيدة الفاسدة في تأليه السماء إلى اليونان، من خلال حملة قام بها الغزاة الهيلينيون في الألف الثانية قبل الميلاد[3]، ولم يكن اليونان يرفضون هذه الاعتقادات، وإنما كانوا على استعداد تام لتقبلها والقيام بها أيضا.

في نفس الوقت انتشرت آلهة المدن، وكان القطاع الجنوبي بالذات تبرز فيه عقيدة السماء بشكل واضح، وكذلك الحال في القطاع الشمالي، أما القطاع الغربي فلم تكن الاعتقادات في تأليه السماء منتشرة بنفس القدر في القطاعين الآخرين – الجنوبي والشمالي – وإنما كان السائد هو الاعتقاد في تأليه الأرض حيناً، وبقية الكواكب هي الأخرى كانت الاعتقادات فيها تنازع السماء والأرض في نفس المكانة والشعور العام هو كثرة الآلهة التي انتشرت في اليونان إلى حد كبير.

---

(١) تناهي الأعداد أمر مقرر في العلوم الرياضية على الناحية العلمية، وتناهي السطوح والأحجام أيضا أمر بديهي يدركه أهل الاختصاص في كل من الحساب والهندسة، أما تناهي الاعتبارات فقائم على تناهي الجهات، وهكذا كل المخلوقات تتناهى على ناحية من النواحي، أما الله تعالى فهو الواحد الأحد الأزلي الأبدي الذي لا يتناهى أبدا.

(٢) جفري بارندر – المعتقدات الوثنية لدى الشعوب ص٦٨ .

(٣) الدكتور حسن محمد سالم – الحضارة اليونانية القديمة ص٢٠٣ .

◉ **وفى تقديرى:** أن اعتقادات اليونان القدماء فى تأليه السماء، بقدر ما تمثل نوعا من الإلحاد الفكرى نظرا لقبول اليونان واردات ثقافات غير موثقة، فإنه يمثل إهداراً للعقل وملكاته، وخروجا على الفطرة والقدرات العقلية الصحيحة، وانسياقا نحو الهوى، واندفاعا فى الخطايا التى لا يرتد صاحبها من طريقها، إلا ويتردى فيما هو أسوأ منها.

بدليل أن أثينا لما اعتقد أهلها تأليه السماء صنعوا لهذا الإله تماثيل وتجسدات شخصية وعائلية وقومية أيضا، وقد تبع ذلك تقديم القرابين المختلفة لهذه التماثيل، فمتى أراد أحد الأيونين تطهير نفسه، فلابد من تقديم تلك القرابين، بغض النظر عن طبيعته وإمكانياته، وأطلقوا على هذه القرابين اسم قرابين التطهير، كما أطلقوا عليها اسم كبش الفداء من الوقوع فى اعتقادات تخالف ما عليه أهل أيونيا، إذ المفروض أن يتم ذلك فى حدود القرابين العامة وليس الخاصة[1].

كما أن ولع اليونانيين بالأساطير والخرافات قد فتح لهم الباب واسعا أمام تقبل الاعتقادات المختلفة، ومنها فكرة تأليه السماء مع الأرض واتحادهما معا عن طريق الارتباط الجنسى، وقد أظهر هزيود فى القرن الثامن قبل الميلاد هذه الاعتقادات فى كتابه "أنساب الآلهة **The ogony**" وإن أمكنه التعرض لها[2]، لكنه لم يتمكن من توجيه أى نقد بشأنها.

بل إن العقلية اليونانية قبل العصور التاريخية « اعتقدوا فى تناسخ الأرواح، والخطيئة المتوارثة، ودورة التطهير عن طريق التماثيل، التى تعتبر الصورة الصحيحة للآلهة، وتداولت العقول اليونانية هذه الاعتقادات فى أثينا وأسبرطه وسراقوصة، مما يؤكد انحيازهم إلى الأهواء فى المسائل الاعتقادية[3]، وعدم الميل إليها فى القضايا الفيزيقية.

ربما كانت هذه الاعتقادات الساذجة، من أهم الأسباب التى دفعت بالفلاسفة فيما بعد لإعلان الخروج على الدين اليونانى كله، ومن ثم ظهر نوع من النزاع بين الدين التقليدى والفلسفة العقلية، غايته مهاجمة الدين الكهنوتى، واستبداله بقانون أخلاقى، بينما يرى الكهنة ضرورة الرجوع بالقانون الأخلاقى نفسه إلى الدين الكهنوتى من جديد، و هو ما يعرف بالتعاقب.

---

(١) أ. هـ روز – الديانات اليونانية القديمة ص١٣٤ – ترجمة الدكتور فاضل محمد القاضى – ط دار الحرمين بالأردن ١٩٦٣م.

(٢) الدكتور ناظم السيد محمد السعيد – المنظومة التاريخية للديانات الوثنية ص١٨١ ط أولى ١٩٥٧م.

(٣) الشيخ محسن محمد عبدالعظيم العطار – التراث اليونانى القديم ص١٢٧ ط١٩٤٢/٢م.

وقد حدث ذلك التعاقب أكثر من مرة في تاريخ العالم، والمقابلة بين القديم والحديث تكشف بعض هذه الملامح، فطاليس يقابل جاليليو[1]، وديمقريطس يقابل توماس هوبس، والسوفسطائيون يقابلون رجال دوائر المعارف الفرنسيين، وبروتاغوراس يقابل فولتير، وأرسطو[2]

---

(١) جاليليو : أقام على دراسة الأجرام السماوية والعالم الطبيعي، من سدم ومجرات، حتى اكتشف مجموعة الكواكب، ومن ثم غضب رجال الكنيسة عليه، وأصدروا أمرا كهنوتيا بأن تتم محاكمة جاليليو في روما؛ عساه يلقى مصير سابقيه، وبعد أن عذب فترة تراجع عن الآراء التي كان ينادي بها، وأعلن ذلك أمام جمع كبير من رجال الكنيسة، ولكن ذلك لم يشفع له، ولم يتم الإفراج عنه، وإنما ظل سجينا لا يعرف الحرية، ولا يتحدث معه أحد حتى مات سنة ١٦٤٢م، ويقال: إنه مات مسموما بيد رجال الكنيسة. [راجع للدكتور خيرى حسن صفوت – محاكم التفتيش ورجال العلم ص١٩٥، وتاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم، وراجع كتابنا – قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص٣٨/٣٧ – الطبعة الثانية ١٩٩٧م]

(٢) أرسطو طاليس : ولد عام ٣٢٢/٣٨٤ق.م ، بأسطاغيرا إحدى المستعمرات اليونانية، وكان أبوه طبيبا للكها. [راجع للدكتور منصور عبدالقادر القط – أرسطو وفلسفته ص١٧] وتقع هذه المدينة على بحر إيجه في الشمال الشرقي من شبه جزيرة خلقيدية في تراقية على حدود مقدونيا ، وكانت أسرته معروفة بالطب ، وكان أبوه نيقوما خوس طبيبا خاصا للملك ، دخل أرسطو أكاديمية أفلاطون ، فتميز على أقرانه ؛ فسماه أفلاطون العقل لذكائه الخارق ؛ مات عام ٣٢٢ ق.م ، ويرجع المؤرخون موته إلى وجود مرض في معدته بعد أن ترك ثروة من المؤلفات العلمية – [راجع قصة الفلسفة اليونانية للأستاذ / أحمد أمين ، والدكتور زكي نجيب محمود ، وراجع تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم] وتعرفه الموسوعة الفلسفية بأنه أرسطو بن نيقوما خوس كان أبوبه طبيبا لأبينتاسي الثاني ملك مقدونيا، وهو فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق وعدد من فروع العلم المختلفة، وُلد في أسطاجيرا في شمال اليونان، مات أبوه في صغره فوفد على أثينا وتتلمذ في الأكاديمية عشرين عاما ثم اختاره فيليب ملك مقدونيا ليكون قريبا لولده الاسكندر، وبعد أعوام قليلة عاد أرسطو إلى أثينا ليؤسس اللوقيون وبعد وفاة الإسكندر ثار الأثينيون على المقدونيين والمتصلين بهم، واتهموا أرسطو بالإلحاد ففر إلى طالين وهو يقول: لا حاجة لي لأن أهل لأثينا منحوا فرصة أخرى للإجرام ضد الفلسفة. [راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٣٢ ، ونشأة الحرية في التربية ج٢ ص٣٢٥ تأليف و.ج ماك كالستر – ترجمة أمين مرسي قنديل]

يقابل اسبنسر، وأبيقور يقابل أناطو فرانسى، وبيرون يقابل باسكال، وارسلوس يقابل هيوم. وأقرابيداس يقابل كانت، وزينون يقابل شوبنهر، وافلوطين[1] يقابل برجسون[2].

ومن المؤكد أن الاعتقادات التى لا تقوم على أسس صحيحة النسبة إلى الله تعالى تعتبر وثنية، والله عز وجل قد بين فساد هذه الاعتقادات الوثنية كلها، فقال تعالى: ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾[3].

ﷻ وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[4].

---

(١) أفلاطون : أحد فلاسفة اليونان قبل الميلاد ، ولد حوالى (٤٢٧ق.م) فى أثينا ، وقد تتلمذ عليه أرسطو . واستفاد غيره الكثير من أفلاطون نفسه ، وهو غير أفلاطون المصرى الاسكندرانى صاحب الأفلوطينية الحديثة ، الذى ولد عام ٢٠٥م بأسيوط ، ثُمّ رحل إلى سوريا والعراق وروما ، حتى استقل بها ومات ٢٧٠م – [راجع فى تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتورين / عوض الله حجازى ، محمد السيد نعيم ص٢٠٥/٢٠٨].

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – المجلد الرابع ج٨ حياة اليونان ص١٨٨ –ترجمة محمد بدران – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) سورة إبراهيم – الآيتان ٢/٣ . يقول الإمام القرطبى : « الله الذي له مافي السماوات وما في الأرض أي ملكا وعبيدا واختراعا وخلقا؛ لأن معناه أنه المنفرد بقدرة الإيجاد، وويل للكافرين من عذاب شديد، وقال الزجاج هي كلمة تقال للعذاب والهلكة من عذاب شديد أي في جهنم الذين يستحبون الحياة الدنيا حيث يختارونها على الآخرة والكافرون يفعلون ذلك، وكل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على النعيم في الآخرة وصد عن سبيل الله وصرف الناس عنه وهو دين الله الذي جاءت به الرسل، فهو داخل في هذه الآية وقد قال صلى الله عليه وسلم [إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون] (مسند أحمد ج٦ ص٤٤١ – الحديث: ٢٧٥٢٥ عن أبي الدرداء) وما أكثر ما هم في هذه الأزمان والله المستعان. ويستحبون أي يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لاتلتمس إلا بطاعته دون معصيته ويبغونها عوجا حين يطلبون لها زيغا وميلا لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم والسبيل في الدين والأمر والأرض وفي كل مالم يكن قائما وكل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوه، أولئك في ضلال بعيد أي ذهاب عن الحق بعيد عنه » [الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٣٩/٣٤٠]

(٤) سورة النحل – الآية ٧٣ .

۞ **يقول العلامة الطبري**: « ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانـا لا تملك لهـم رزقـا مـن السماوات لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين، ولا تملك لهم أيضا رزقـا من الأرض، لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ولا شيئا مما عـدد تعـالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم، ولا يستطيعون هـم وأوثانـهم أن يتملكـوا شـيئا مـن السـماوات والأرض بل هي وجميع ما في السماوات والأرض لله ملـك ولا يسـتطيعون تملـك شـيء بـل ولا يقـدرون علـى شـيء »[1]، فعبادتـهم لغير الله تعـالى ترتـد عليـهم بالنكـال والحسـرات، لأن صاحب العقل السليم يتوجه بالعبادة إلى من خلقه. ويجيب دعاءه، ويدخلـه الجنـة أو يلقيـه إن كفر في النار.

۞ **وقال تعالى**: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[2]، فمادامت السماوات والأرضون كلها مخلوقـة لله تعـالى، فمن الواجـب علـى العـاقل أن يوجـه باعتقـاده إلى الله تعـالى، لأنـه الخـالق الـرازق المحيـي المميت، لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

ولذا فقد ذكر الله تعالى على سبيل التحدي والإعجاز: أنه وحـده الـذي يحفـظ الخلائـق ويرزقهم، وأنه لو أراد إمضاء أمر من الأمور المقدرة عنده، لعجزت جميع الآلهـة الباطلـة المعبـودة من دونه على دفع ذلك.

---

(١) الإمام الطبري – جامع البيان ج١٤ ص١٤٧/١٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء – الآيتان ١٦/ ١٧ . فيخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بـالحق أي بـالعدل والقسـط، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وأنه لم يخلق ذلـك عبثـاً ولا لعبـاً، كمـا قال: "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذي كفروا فويل للذيـن كفـروا مـن النـار"، وقوله تعالى: "لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين"، قال مجاهد: يعني مـن عندنـا، يقول: وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا بعثاً ولا حسـاباً. وقـال الحسـن وقتـادة "لـو أردنـا أن نتخـذ لهوا" اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن، وقال إبراهيم النخعي "لاتخذناه" من الحور العين. وقال عكرمـة والسدي: والمراد باللهو ههنا الولد، وهذا الذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: "لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار" فنزه نفسـه عـن اتخـاذ الولـد مطلقـاً ولا سيما عما يقولون من الإفك والباطل من اتخاذ عيسى أو الملائكة "سـبحان اللـه وتعـالى عمـا يقولـون علـواً كبيراً"، وقوله: "إن كنا فاعلين" قال قتادة والسدي: أي ما كنا فاعلين، وقال مجاهد: كل شيء في القرآن "إنْ" فهو إنكار.[الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني]

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۔ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۔ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(1).

يقول الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم يقول من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرفتم من الرحمن، يقول من أمر الرحمن إن نزل بكم ومن عذابه إن حل بكم، وترك ذكر الأمر وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

ويقول تعالى ذكره ألهؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا، ومعناه أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال: وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله يصحبون بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك وهم إذا لم يصحبوا بالجوار ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم

ثم يقول تعالى ذكره ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ولا جار يجيرهم من عذابنا إذا نحن أردنا عذابهم فاتكلوا على ذلك وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر وهم على كفرهم مقيمون لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الأوثان والأصنام فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم ولم يعرفوا موضع الشكر.

وقوله أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها يقول تعالى ذكره أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائل ومحمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلون بالعذاب أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتناهم وإجلائهم عنها وقتلهم بالسيوف فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

---

(1) سورة الأنبياء – الآيات ٤٢/٤٤.

وقوله أفهم الغالبون يقول تبارك وتعالى أفهؤلاء المشركون المستعجلون محمد بالعذاب الغالبونا، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين ليس ذلك كذلك بل نحن الغالبين وإنما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم يقول أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم »[1].

﴿ ٢- ديانة الأندامانيين ﴾

يعتبر سكان جزر آندامان الأصليين من أبرز الذين عكفوا على اعتقادات وثنية بعينها، باعتبار انهم عاشوا في عزلة تامة عن باقي الشعوب الأخرى، التي كانت لهم معها بعض أنواع الجوار، حيث لم تكن لديهم الرغبة في الخروج من النفق المظلم، الذي دخلوه بإرادتهم، وظلت اتجاهاتهم الثقافية خاصة بهم، كما ظلت لغتهم وعاداتهم هي الأخرى في ذات العزلة[2]، لقد قرروا ممارسة نوع من الاقتصاد، اعتمد على شكل بدائي من الصيد للطرائد والأسماك وجمع الثمار.

لم تكن لديهم اعتقادات ثابتة في كائن بعينه، إنهم لجأوا إلى الاعتقاد في تأليه الأسماك التي يصطادونها ثم يأكلونها، والحيوانات التي يطاردونها فإذا ظفروا بها عاشوا عليها، وكذلك الأرض التي تحملهم، والسماء التي تغطيهم، إذ لم تكن لديهم طرائق أخرى تعينهم في الوصول إلى شيء بعينه، ومادام المرء قد أغلق على نفسه بيته من كل ناحية، وأحكم إغلاق نوافذه، حتى السطح، فلن يعرف سوى ما هو قائم داخل ذلك البيت.

* **يقرر توكاريف** أن سكان جزر آندامان، ظلوا لزمن طويل يعيشون في عزلة تامة عن باقي الشعوب، مما أثر على شكلهم الأنثروبولوجي فهم زنوج قصيرو القامة، ولكن ظلت لغتهم في تفرد تام، وأما مساكنهم فكانت في غاية البساطة، لأنهم كانوا دائمي التنقل والترحال، كما عاشوا في مشاعات غير كبيرة، ضمت الأقرباء بالدم[3] وحدهم، ولكنها دفعت بالآخرين بعيداً.

ونظرا لكونهم أغلقوا على أنفسهم كافة أوجه الاتصال بالآخرين، فقد جاءت اعتقاداتهم طبقا لما أملته عليهم خيالاتهم، من تأليه للسماء التي رسموا لها العديد من التماثيل والتجسدات، وأقاموا لها الكثير من الطقوس، التي تعبر عن الاحترام والتقديس لهذا الإله، الذي يمتد في

(١) العلامة الطبري – جامع البيان ج١٧ ص٣٣/٢٩ .

(٢) أ.ب هايد ثورك – الديانات القديمة ص١٩٩

(٣) سيرغي أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص١١٥ ترجمة د. أحمد م فاضل – الطبعة الأولى ١٩٩٨م – الناشر الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع – مكتبة الأسد.

شكل ما تقع أنظارهم عليه، وكانوا يطلقون على السماء اسم "البوغا" ومعناه العظيم أو الكبير »[1]، على أساس أنه الذى يرونه ماثلا فى ما كل يحيط بهم.

نظر الاندامانيون إلى الكائنات التى تحيط بهم نظرات مختلفة، لأنهم فى بعضها طاردوا بعض هذه الكائنات، ربما للتغذى عليها، وربما خوفا من شرورها، وربما لأن الأرواح الغير مرئية قد أوحت لهم بذلك « بينما نظروا إلى البعض الآخر نظرة التقديس المباشر، وقد فعلوا ذلك إما رغبة منها، أو طمعا فيها، لكن لم يدر بخيالاتهم شيء بعد ذلك، بمعنى أنهم ارتبطوا ارتباطا وثيقا بالموقع الذى أقاموا به[2]، والبيئة التى أغلقوها على أنفسهم، ولم يحاولوا الاستفادة من الآخرين فى الجانب الثقافى المعرفى، أو الجانب الدينى الروحى.

من الطبيعى أن يقف كل مجتمع إنسانى من الأفكار المحيطة به، موقف الحذر الشديد. بحيث يكون إذا قبل شيئا منها، فإنما يتم ذلك له بناء على فحص هذه الأفكار فحصا دقيقا. طالما كانت أوجه الاستفادة منها واقعة، أما الرفض التام لكل ما هو وارد عن الغير، فذلك شأن نوعية من المجتمعات، وهى التى ترتكب العديد من الأخطاء فى حق أفرادها، وحق الأمم المحيطة بهم على الناحية الإنسانية، لأن مجتمعهم سيقع فريسة للأوهام، وسيسقط ضحية الخيالات والأحلام.

نتج عن ذلك فى المجتمع الأندامانى تأليه الكثير من المجسدات أو تجسيد العديد من الروحيات، وعلى الأخص أرواح الموتى، كما جسدوا العديد من قوى الطبيعة المتنوعة. وكانوا يطلقون على هذه التجسدات كلها اسم "تشاوغا"، كما كانوا يطلقون عليها اسم "لاو Law" وشمل هذا التجسد أرواح الغابات، وأرواح حيواناتها أيضا، بل قرروا أن فى الأرض جملة من الأرواح، أطلقوا عليها اسم الأرواح الأرضية.

وكذلك الحال مع السماء، حيث ذكروا أنها موئل الأرواح السماوية التى نزلت من السماء، وأطلقوا عليها اسم الأرواح السماوية، فاعتقدوا تأليه كل من الأرض والسماء، كما اعتقدوا تأليه كل جزء من جزئياتهما معاً، بحيث يمكن القول بأن تأليه السماء عندهم كان متساويا تماما مع تأليه الأرض.

---

(١) المعهد القومى السوفياتى للحضارات – الاندامانيون واعتقاداتهم ص٤٥ – ترجمة الأستاذ فوزى محمد الدعديش ط المعهد الانتوغرافى ١٩٥٤م.

(٢) الدكتور صبحى محمد ثروت – العقائد القديمة وتطوراتها ص٧٣ الناشر دار الهداية ١٣٤٥هـ.

وفوق ذلك فقد كان للأسطورة اثر كبير علـى الاعتقـادات الاندامانيـة، وبخاصـة شخصية بولوغا[1]، القائد السماوى، حيث شغل هذا القائد المقام الأول بين أفكـار الأندامـانين الأسـطورية، التى ينسبونها إلى عمل إله سماوى، أو هى الإله السماوى ذاته، غير أن بولوغا كان لـه نـواب أو خلفاء ويمكنهم الاستقلال بالخلق، كما يمكنهم تنفيذ متطلباته، ومنها الإله تومو Tomo الذى انحدرت منه كل الإنسانية[2]، واعتقد البعض منهم أيضا أن تومو هو الخالق وليس غيره.

وفى تقديرى: أن تأليه الاندامانيين للسماء قد وقع فعلا، لكنه لم يكن الإلـه الواحـد عندهـم، كما لم تكن هذه أول علمية تأليه داخل افهام المجتمع الاندامانى، مما يؤكد وقوع هؤلاء تحت سيطرة الأهواء[3]، وانخراطهم فى كل الاعتقادات الفاسدة، سواء التى اخترعتها خيالاتهم، أم التى نسجتها الأساطير والخرافات، حتى استقرت داخل هذا المجتمع المنعزل نفسه.

كما أنهم بتأليهم للسماء لم يكونوا أول من قرر اتباع هواه، والخروج على تعاليم الله، فقد سبقهم إلى ذلك الطريق غيرهم. من أصحاب الاعتقادات الوثنية والاتجاهات الشيطانية، وبالتـالى فانعزالهم لم يكن دينيا اعتقاديا، وإنما كـان انعـزالا اجتماعيـا اقتصاديـا، علـى أسـاس أن الفكـر الإنسانى يزاوج بعضه بعضا، فلو لم تكن هناك أنـواع مـن التلاقـى بـين الفكـر الإنـدامـانى وتـأثره بغيره، فمن أين له بفكرة تأليه السماء مثلا، إن أكبر مـا يمكـن تصـوره بالنسـبة للخـارجين علـى شرع الله تعالى هو وقوعهم فى براثن تيارات تنشأ فى الداخل، بحيث تكون تعبيرا عن ما يجـرى فيه، وليس قفزا عليه أو تأتيهم من الخارج عن طريق الغزو العسكرى والفكرى.

ثم إن الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية قد تكون صورة معبرة عن جانب من الاعتقادات القائمة فيه. أو التى يعتمد عليها، على أساس أن الثقافة تمثـل الجـانب النظـرى من الحضارة، بينما تمثل المدنية الجانب العملى منها، والحضارة بنـاء علـى ذلـك المفـهوم نفسـه تعتبر نوعا من الانتقال المتوالى بين أطوار مختلفة، حتى تبلغ القمة، وتضـع أسـئلة جُديـدة يمكـن اعتبارها إرهاصات تمهد لظهور المستجدات الجديرة بالاعتبار.

---

(١) بولوغا هو اسم الرب عندهم وهنرى ذات الوقت إله سماو مبدع، يمكنه ان يوحد قواه ويعمـل علـى خلـق العالم، إذا أمكنه ذلك. [راجع للشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٤٥ ط الدار الإسلامية ١٩٣٢م]

(٢) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٥٧ – ترجمة لطفى السيد فخرى ١٩٥١م.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة القصص – الآية ٥٠]

يقول الشيخ البنغالى : « إن متابعة الحركة العقلية داخل المجتمع الاندامانى تفيد وقوع هـذه العقلية على ميراث وثنى بالغ الخطورة، مما كان له الأثر البـالغ السـوء، حتـى علـى نفسية أفراد المجتمع نفسه، فضلا عن المجتمعات الأخرى المحيطة به »[١]، وبخاصة أنه قـد وقـع عليهم غزو من جانب الميداثيين، الذين كانوا يتطلعون إلى احتلال هذه البلاد، بغرض التعرف على الأسرار التى يخفونها، وكذلك طمعا فى الأموال التى أشيع أنهم يحتفظون بها.

فلما وقع عليهم الغزو، أمكن للغزاة الميداثيين احتـلال البـلاد، وسـلب ثرواتـها، وسـبي كثير من نسائها، اللائى كن يتمسكن بهذه الاعتقادات الوثنية، بخاصـة تأليـه السـماء، ولـما كـن مطيعات فى بيوت من وقعن فى أيديهم، فقد انتقلـت هـذه الأفكـار للآخريـن مـن بـاب التأثير، وبذلك انتشرت عبادة السماء بين الميداثين انتشارها فى طوائف الاندامانيين[٢]، وهى كلـها عقـائد فاسدة على كافة النواحي.

ولا أغالى إذ قلت: إنه قد ظهر لهذه الأفكار امتداد عند الأكنواطريـة عبـاد النـار، حيـث يقول الشهرستانى: « زعموا أن النـار أعظـم العنـاصر جرمـا، وأوسـعها حـيزا، وأعلاهـا مكانـا، وأشرفها جوهرا، وأنورها ضياء وإشراقا، وألطفها جسما وكيانا، والاحتياج إليها من الاحتيـاج إلى سائر الطبائع، ولا كون في العالم إلا بها، ولا حياة ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتـها، ... ومنـهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين، يسدون منافسهم. حتى لا يصل إليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر محرم »[٣]، فالمفاهيم متقاربة والنتائج هى الأخرى فيها الكثير من التقارب، وكلها اعتقادات فاسدة، تدل علـى أن أصحابـها قـد عقـدوا العـزم علـى الكفـر بـالله، قاتلـهم الله أنـى يؤفكون.

٤ـ عند الشعوب القفقاسية[٤]

من المؤكد لدى الدارسين، أن الشعوب القفقاسية فى الماضى البعيد، قد وقعـت فـى دائـرة النفـوذ الحضـارى للشـرق، وأقـام شـطر مـن شـعوب القفقـاس – أسـلاف الأرمـن والميورجينـى

---

(١) الشيخ محمد عبدالتواب البنغالى – مشكلات العقائد الوثنية ص١٩٥م ط الثانية الدار السلفية لاهور.

(٢) راجع للشيخ على محمد حكمـت الله – العقـائد الوثنيـة ص١٧٥ وللشـيخ محمـد عبدالعزيـز البنغـالى – مشكلات العقائد الوثنية ص١٩٧.

(٣) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل ج٣ ص١٠٦/١٠٧ تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل – مؤسسـة الحلبى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٤) تعرف باسم بلاد القوقاز، كمـا تعـرف باسم القفقـاس والفـرق فـى الترجمـة فقـط والكتابـة بـالحروف العربية.

والأذربيجان – دولها الخاصة بها، وثقافتها فى العصور القديمة، وكانت المناطق الجبلية من بلاد القفقاس ذات طبيعة مستقلة، كما كانت لها بعض الأنماط المعيشية والاقتصادية المتوارثة بين أفرادها، وقد انعكس ذلك كله على الحياة الدينية، أو على الأقل كان له أثره الكبير فى الأفراد الذين يعيشون داخل نطاق تلك البلاد قديما[1]، وقد استمر ذلك الحال حتى الاحتلال السوفياتى لهذه البلاد، التى دخلت الإسلام حين بلوغه إليها على أيدى الفاتحين المسلمين الأوائل، فلما جاء الروس أزالوا معالم الحضارة الإسلامية، والحمد لله أن هذه البلاد الإسلامية أخذت فى الصحوة والرجوع للدين الإسلامى، وما ذلك على الله بعزيز.

لقد عاشت هذه الشعوب أول أمرها حياة البداوة الأولى، فى الاعتقاديات والعمليات الحياتية، فكانت الأمور الاعتقادية بعيدة عن الوحى الإلهى تماما، وما ذلك إلا لأن البعض قد تخلى عن رسل الله، كما حاربوهم، فعاقبهم الله برفع أنوار النبوة عنهم تماما، وتركهم فى ظلمات يعمهون، ومن ثم اتخذوا من أنفسهم مشرعين وأنبياء، زينوا لهم الباطل الذى ألبسوه ثوب الحق، فنشأت لديهم جملة من الاعتقادات كلها فاسدة، لأنها تقوم على الوثنية وتسوق إلى الضلال.

ويذكر المؤرخون أن القفقاسيين ألهوا الهواء والنار، كما ألهوا الماء والشمس، والنبات، وصنعوا لها تماثيل وتجسدات، واتخذوا منها آلهة شخصية، وأخرى عائلية، وظهرت الآلهة الجماعية أو المجتمعية عندهم، وكان الإله السماء من أبرز تلك الآلهة، لأن الذى يقيد نفسه بأغلال فكرة ما، يعجز عن الخروج من دائرة أغلالها.

- **يقول الشيخ البهنساوى**: خلق الله الإنسان مزودا بعقل يتسع فيمكنه التجوال داخل نطاق الدنيا كلها، ثم يتخيل الأمور التى تختبئ خلفها، طبقا للقدرات التى خلقها الله تعالى له وزوده بها، فإذا لم يستعمل هذا العقل على النحو الذى خلق له، انكمشت قدراته، وتوارت إمكانياته، لأن صاحبه أغلق أمام عقله كل سبل الانفتاح وهو معنى وضع الأقفال على القلوب[2]، فى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[3].

- **يقول العلامة الطبرى**: « أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في

---

(١) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص١٩٧ ط الأسد ١٩٩٨م.

(٢) الشيخ على محمد عبدالعظيم البهنساوى – نظرات فى سورة محمد ص٤٥ ط أولى.

(٣) سورة محمد – الآية ٢٤

تنزيله فيعلموا بها، ويتركوا خطأ ما هم عليه مقيمون، أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر »[١].

❁ **ويقول الحافظ ابن كثير** : « يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الإعراض عنه فقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء »[٢].

وعن هشام بن عروة[٣] عن أبيه رضي الله عنه قال:« تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به »[٤].

❁ **ويرى توماس هبرز** أن الشعوب القفقاسية كانت لها تطلعات متعلقة بالأنظمة الحياتية، وهو ما دفعهم بعيدا عن مجال العقيدة الدينية التى كانوا دائما يشعرون بوخزها[٥]،الذى تختلف درجته من فرد لآخر، ومن مجتمع يحاول أفراده التعلق بالأمور الأخروية، وإلى مجتمع ينفلت أفراده نظرا إلى الدنيا بكل ما يملكون.

---

(١) الإمام الطبرى – جامع البيان ج٢٦ ص٢٧

(٢) الحافظ ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٨١، وراجع للإمام الطبرى – جامع البيان للطبرى ج٢٦ ص٢٨ .

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب الإمام الثقة شيخ الإسلام أبو المنذر القرشي الاسدي الزبيري المدني ولد سنة إحدى وستين وسمع من ابيه وعمه ابن الزبير وزوجته أسماء بنت عمه المنذر وأخيه عبد الله بن عروة وعبد الله بن عثمان وطائفة من كبراء التابعين منهم الخوة عثمان وابن عمه عباد وابن ابن عمه عباد بن حمزة بن عبد الله وأبو سلمة وابن المنكدر وعمر بن عبد الله بن عمر وعمرو بن خزيمة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الرحمن بن سعد وعبد الرحمن بن كعب وعوف بن الطفيل ومحمد والد السفاح وابن شهاب وابو الزبير ووهب بن كيسان وابو وجزة وكريب ومحمد بن إبراهيم التيمي وبكر بن وائل وهو اصغر منه وعبد الله بن ابي بكر بن حزم وابو الزناد وابن القاسم ويزيد بن رومان وغيرهم ومات هشام ببغداد في سنة سته واربعين ومئة وصلى عليه ابو جعفر المنصور. [سير أعلام النبلاء ج٦ ص٣٤/٤٠ – رقم:١٢]

(٤) الإمام ابن جرير الطبرى – جامع البيان – ج٢٦ ص٥٨ .

(٥) السير وليم توماس هيبرز – الأديان والمجتمع ص٩٥ – ترجمة الأستاذ أمين الزغبى – ط الدار الحديثة ١٩٤١م.

لكن الشواهد والأدلة التي وصلت من مؤلفي ورحالة العصور القديمة، وبدايات العصور التاريخية قد نطقت كلها بأن المعتقدات القديمة كانت متنوعة في طبيعتها، كما هي متنوعة في الأفراد والأشكال المعبرة عنها، فمنها اعتقادات في تأليه الكواكب، ومنه اعتقادات في تأليه الظواهر الكونية، ومنها أيضا الاعتقادات المتعلقة بتأليه السماء، أو تأليه الأرض أيضا، وكانت التماثيل والتجسدات التي تنقل للناس تأليه السماء هي الغالبة عليهم، وأطلقوا على ذلك التأليه للسماء اسم تخاشخور إله السماء الأعلى[١]، كما كانت تجرى هذه المفاهيم بينهم على كل ناحية، وظلوا على ذلك الحال من الوثنية، حتى جاء الإسلام فحولهم من الكفر إلى الإيمان، ومن الاعتقادات الفاسدة في الآلهة المتعددة المتجسدة إلى العقيدة الصحيحة في الإله الواحد الأحد رب العالمين.

ومن ثم انتشر الإسلام في بلاد القوقاز، وظهر المسلمون على غيرهم بالعقيدة الإلهية والتشريعات الإسلامية التي برزت معالمها في حضارة شامخة، امتدت عبر القرون، حتى جاءت حكومة القياصرة، ومن بعدهم الحكم الشيوعي، وقد حاول كل منهم القضاء على المعالم الإسلامية في هذه البلاد، من خلال هدم المساجد، وإغلاق مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وقتل علماء المسلمين، وحرق المكتبات الإسلامية، وحرمان أبناء الإسلام من تولى المناصب القيادية، وكذلك حرمانهم من كل الوظائف العامة، كما أغلقوا المدارس الدينية، وصادروا الأوقاف الإسلامية، ومأساة الشيشان وكازاخستان، وجورجيا ليست ببعيدة حيث عمد الشيوعيون في روسيا إلى إعادة تقطيعها، وتمزيق أوصالها، والدفع بعلمائها وشبابها إلى السجون، حتى يموتوا جوعا، مع أن القيادة الروسية تزعم أنها تعمل لصالح أهل البلاد، وكأني بهم وأمثالهم قد جاء فيهم قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۞ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[٣].

---

(١) سيرغى أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٢٠٢ .

(٢) سورة فاطر – الآية ٨ .

(٣) سورة الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦ .

أجل كثرت العبادات الوثنية فى بلاد القفقــاس. قبـل أن تدخلـها أنـوار الإسـلام. وقـد ارتبطت هذه الاعتقادات العبادات بالمخاوف التى وقع لها التاليه، وبالتالى ظهرت أنـواع متعـددة من الآلهة التى كثرت معها العبادات أيضا، وذلك مما دفع إلى وجود:

◄◄ ١ـ **الآلهة الرئيسية** : وهى الإلهة ذات السلطان القوى، والاتجاه العنيف. ومنها:

[أ] شبله : إله الصاعقة.

[ب] سوزيريش: إله العمل الزراعى والخصب .

[جـ] بيميش: إله حماية الأغنام.

[د] تخاشخور: إله السماء وهو الإله الأعلى الأعظم.

[هـ] أخين : إله المواشى ذات القرون.

[و] ميزتيخ: إله حماية الصيادين وإله الغاب أيضا.

[ز] تليبش: إله حماية الحدادين.

◄◄ ٢ـ **الآلهة الفرعية**: وهى آلهة صغيرة تتبع الآلهة الرئيسية كأبناء أو بنات أو خدم لها، ولذا فقد تعددت أسماؤهم وكثرت إلى حد كبير[١]، وكانوا يطلقون عليها اسم آلهة الشعب، دون أن يحددوا لها عددا، أو يذكروا لها أسماء، وإنما تركت لأمزجة الناس.

وشغل أهم المقامات فى ديـن الأبخـاز الآلهـة داوجـا — حاميـة العمـل الزراعـى، والإلـه عيطار خالق الحيوانات الأهلية ورب التكـاثر، والإلهـان أيـرغ وأجنيبشـاع إلهـا الصيـد، وحاميـا الغابات والطرائد، ثم شبله الشركسى، ومن الطبيعى أن تكون نمـاذج هـذه الآلهـة معقـدة عـادة، وكثيرا ما كان ينسب إليها العديد من الوظائف المختلفة والشديدة الغموض بغير حدود[٢].

❁ **وفى تقديرى**: أن تأليه السماء داخل القفقاس فى العصور القديمة، لم يكن أمـرا غريبـا، طالمـا ظهرت تلك الأفكار فى محيط أمة من الأمم القريبة منهم؛ لأنها تنتقل من تلك الأمة إلى غيرها على أساس ان الاعتقادات الوثنية تنتقل بين الناس. انتقال النار فى الهشيم، ولكن نور الحق وضاء، ودين الله لابد أن يظهر؛ لأن توحيد الله تعـالى فطـرى فـى النفـوس والقلـوب، ومـهما حاول البعض مغالبة هذا الجانب، فإنهم يخفقون بلوغ تلك الغاية.

❁ **يقول الشيخ المنيلاوى** : إن عقيدة التوحيد محفورة فى أعماق القلوب والعقول، التى تعلن ذلـك من خلال اللغة المعبرة، وهى أيضا ثابتة فى القلوب والعقول التى تعوزها اللغة المعبرة لأسباب

---

(١) البير كامى – تاريخ الديانات القديمة ص١٩٥ ترجمة بو عزيزة ط دار مراكش ١٩٤١م.

(٢) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٢٠٢ .

قد تخرج عن إرادتها، وقد تكون مراده منها، لكن المنكرين لهذه الاعتقادات يغالطون أنفسهم، ويحاولون أن تكذب ألسنتهم ما هو مستقر في عقولهم وقلوبهم[١].

وكثيرا ما تصف الألسنة الكذب أمورا، أو تحكى عنها على خلاف الحقيقة القائمة، والغاية من ذلك تبرير ما ترمى إليه، أو تقوم به، حتى وإن كان متعلقا بأمر أخروى، قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ • تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

ثم إن تأليه السماء عند القفقاسين القدماء، يختلف في تصوراته عن تألية ذات السماء لدى قدماء اليونان مثلا، أو الاندامانيين في الأسماء والمفاهيم والتجسدات ايضا، مما يؤكد حقيقية هامة، وهى أن هذه التأليهات بشرية خاضعة لطبيعة البشر أنفسهم، وهم الذين صنعوها ولا علاقة لها بشيء من خبر السماء.

وآيات القرآن الكريم ،على أن السماء آية من آيات الله تعالى، كالأرض تماما، قيامهما وإمساكهما، بجانب بقائهما، وما يتعلق بذلك كله إنما مرده إلى الله وحده، فهو الخالق للجميع، ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ • وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ • وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ • فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٥].

---

(١) الشيخ عبدالرحيم محمد المنيلاوى – عقيدة التوحيد وأثرها فى النفوس ص١٧٤ .

(٢) سورة النحل – الآيتان ٦٢/٦٣ .

(٣) سورة النمل – الآية ٨٨ .

(٤) سورة الروم – الآيات ٢٥/٣٠ .

(٥) سورة الأنبياء – الآية ٣٠ .

وآيات القرآن الكريم أيضا على أن السماء قد تكون بابا من أبواب الرحمة، التي يجعلها الله تعالى في عباده، وقد تكون مظهرا من مظاهر الغضب الإلهي .

* **فمن مجيئها في مجال الرحمة الالهة قوله تعالى:** ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

* **يقول الأمام الفخر الرازي** « اعلم أن هذا النوع من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه وحكمته ووجوه إحسانه إلى خلقه، واعلم أن هذه الدلائل كما أنها دلائل، فهي أيضا نعم بالغة، وإحسانات كاملة، والكلام إذا كان دليلا من بعض الوجوه، وكان إنعاما وإحسانا من سائر الوجوه، كان تأثيره في القلب عظيما، وعند هذا يظهر أن المشتغل بدعوة الخلق، إلى طريق الحق لا ينبغي أن يعدل عن هذه الطريقة »[2].

* **وقوله تعالى:** ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾[3].

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾[4].

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " ﴾[5] . وقوله تعالى: ﴿ " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ" ﴾[6] . وقوله تعالى: ﴿ " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ " ﴾[7] .

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٩٩ .
(٢) الإمام الفخر الرازي –مفاتيح الغيب –ج٦ ص ٤٦٤ ط دار الغد العربي
(٣) سورة الرعد – الآية ١٧ .
(٤) سورة هود – الآية ٥٢ .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٢ .
(٦) سورة الحجر آية ٢٢. ويقول العلماء : تلقح بعض الأزهار عن طريق نقل الرياح لحبوب اللقاح، من متوك الأزهار إلى مياسمها، وتسمى هذه الأزهار بالأزهار الريحية التلقيح . [رأجع من المؤلف كتاب بذور المحاصيل ص٥٥]
(٧) سورة غافر الآية ١٣ .

* **يقول العلامة الطبرى** : « يقول تعالى ذكره الذي يريكم أيها الناس حججه، وأدلته على وحدانيته وربوبيته، وينزل لكم من السماء رزقا يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم، وما يتذكر إلا من ينيب، يقول وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ ويعلم حقيقة ما تدل عليه إلا من ينيب، يقول إلا من يرجع إلى توحيده ويقبل على طاعته »[1].

* **ومن الثانى مجيئها فى الغضب الإلهى قوله تعالى**: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾[4].

بل إن السماء قد وردت فى بعض آيات القرآن الكريم كصوره للنعيم المقيم أو للتهديد والوعيد بالعقاب الأليم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[6]،

---

(١) الإمام الطبري – جامع البيان – ج٢٤ ص٤٩.

(٢) سورة البقرة – الآيتان ٢٠/١٩ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٥٩ . وعن ابن عباس قال: كل شيء في كتاب الله من الرجس يعني به العذاب ، وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد ، وعن أسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أو عذاب عذب به من كان قبلكم. [الإمام النسائي – السنن الكبرى الحديث:٧٥٢٣] وفي الصحيحين عن حبيب بن أبي ثابت إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها. [الإمام البخارى – صحيح البخارى – الحديث رقم:٥٧٢٨ ، وصحيح الإمام مسلم – الحديث:٢٢١٨] وعن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم. [صحيح البخارى – الحديث رقم: ٣٤٧٣ ، وصحيح مسلم – الحديث رقم:٢٢١٨] » [راجع تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج١ ص١٠٠]

(٤) سورة الكهف – الآية ٤٠ .

(٥) سورة الأعراف – الآية ٤٠ .

(٦) سورة القمر – الآيتان ١٢/١١ . يقول صاحبا الجلالين : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر منصب انصبابا شديداً. وفجرنا الأرض عيونا تنبع فالتقى الماء ماء السماء والأرض على أمر قد قدر قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقا ».[تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٧٠٥ – ط١ – دار الحديث – القاهرة (بدون)]

۞ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[2]،

۞ يقول الحافظ ابن كثير: «حيثما توجهوا وذهبوا، فالسماء مظلة عليهم والأرض تحتهم، كما قال عز وجل "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون" فعن قتادة أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض.

وقوله تعالى "إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء" أي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا، ثم قال "إن في ذلك لآية لكل عبد منيب" قال قتادة: منيب تائب والمنيب المقبل إلى الله تعالى أي إن في النظر إلى خلق السماوات والأرض، لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع إلى الله على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد ووقوع المعاد لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى »[3].

ولما كان أصحاب تأليه الآيات الكونية قد أغرقوا أنفسهم فى محيطات الهوى، وأعموا عيونهم وقلوبهم عن سماع الحق والاستجابة للرشد، فإنهم قد أخفقوا من ناحية النظر إلى ما خلق الله تعالى. قال عز شأنه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[5].

لكن من ذا الذى يعتبر بما خلق الله فى السماوات والأرض أنهم أهل العلم بالله والعرفان بما له عليهم، ولذا فهم يتدبرون كل ما أنزله جل علاه فى القرآن الكريم والحديث النبوى

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٩٦ .

(٢) سورة سبأ – الآية ٩ .

(٣) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٥٢٧ .

(٤) سورة يوسف – الآيتان ١٠٦/١٠٥ .

(٥) سورة الأنبياء – الآية ٣٠ .

الشريف الصحيح: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

﴿ ثانيا: تأليه الأرض ﴾

خلق الله العالمين وفطرهم على توحيده، وأمرهم بعبادته وحده لا إله سواه هو المبدئ والمعيد، هو الأول والآخر، وهو البر الرحيم، المنتقم، ولما أراد أن يخلق الكائنات، جعل كل واحد منها خاضعا لقدرته واقعا تحت تخصيص إرادته، وشمول علمه وحكمته، يستوى فى ذلك العالم المشاهد وغير المشاهد أيضا، وهو العالم الغيبى، وما وراء أو قبل ذلك كله، لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[4].

ولم يخلق الكون أحد غير الله سواء أكان ذلك المدعو إلها هو "راما" صاحب الفأس والتجسيد السادس للإله فيشنوا الذى دافع عن البرهمية[5] ضد عصر النهب الملكى فى

---

(١) سورة الشورى – الآية ٢٩ .

(٢) سورة الحج – الآية ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ١٠٢ .

(٤) سورة غافر – الآية ٦٢ .

(٥) البرهمية ديانة الهند القديمة ، وهى مستخرجة من كتب الفيدا وقد استمدت اسمها من أهمية براهمان، بوصفه قوة عليا ، كما استمدته أيضا من وضع طبقة البراهمة (الكهنة فى الهندوس) فى آن واحد معا، ويذهب البعض إلى ان جماعة براهما حركة وثنية داخل الهندوسية نفسها وليست مستقلة عنها، وهى تشبه البروتستانتية ، تأسست فى كلكتا عام ١٨٢٨ ، لا تعترف بسلطة الفيدا ، ولا تؤمن بتجسيد الإله. البرهمى: فى السنسكريتية مالك براهما أعلى طبقة اجتماعية فى الهندوسية ، وهى طبقة الكهنة، ويرجع وضعهم الرفيع إلى تقسيم الفيدا للسكان إلى أربع طوائف مغلقة ، والشروح الملحقة بالفيدا أقدم الكتب المقدسة فى الهندوسية ، وهى تفسر معنى الفيدا على نحو ما تستخدم الطقوس والقرابين ، والمضمون الرمزى لأعمال الكهنة، وكلمة براهمانا قد تعنى إما أقوال البرهمى ، أو شرح معنى الكلمات المقدسة . وبراهمانا تاسباتى : إله قوى السحر التى تمسك بالكون فى الهندوسية .
[جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب – سلسلة عالم المعرفة رقم ١٧٣ / ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – ترجمة الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام]

الهندوسية[1]، أم شانوا الذى أنقذ الاليريين من محنتهم، أما كان كى تو، الذى أعاد لأهل الصين استقلالهم، لأن الخالق واحد هم الله تعالى.

بل أخبر الله عز وجل بأنه جل شأنه هو وحده الذى قدر مقادير الخلائق جميعها فى زمان مقدر فى علم الله الأزلى، لا يعلمه إلا الله جل علاه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص[2] قال: « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وكان عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ »[3].

ولما كانت مدة تقدير المقادير قد وقعت فى زمان ما قبل أن يخلق الله الزمان الكونى، فقد دل الأمر على وجود أنواع من الزمان، كل نوع منها له دلالته ومفاهيمه:

الأول: الزمان المقدر فى علم الله تعالى الأزلى.

وهو الذى يكون قبل خلق الكائنات كلها، وقد جرى فيه تقدير المقادير جميعها، كما يكون بعد انهدام الكون كله وبداية عالم جديد، لقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي

---

(١) جون كولر – الفكر الشرقى القديم ص١٨٤ . والهندوسية : ديانة معظم شعب الهند ، وتعد الفيدامن ، أقدم كتبها المقدسة ، ثم مجموعة شروح دينية ، تؤمن بتعدد الآلهة – أضاف البراهمة مجموعة معقدة من العقائد والمعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٣٩٧ .

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . روى عن النبي ﷺ كثيرا وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وابن عوف وعن والده عمرو قال أبو نعيم حدث عنه من الصحابة بن عمر وأبو أمامة والمسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل وعدد وآخرون . وقال ابن سعد أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي وجزم بن يونس بأن بينهما عشرين سنة.وفي البخاري والبغوي من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ما أجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب . قال الواقدي مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين. الإصابة فى تمييز الصحابة – (العلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رقم: ٤٨٥٠ ص ١٩٣/١٩٧

(٣) صحيح الإمام مسلم ج٤ ص٢٠٤٤ – باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام. في الحديث رقم: ١٦ – (٢٦٥٣)، وأخرجه الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج١ ص ٤٥ رقم٥ وذكره الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى الحديث رقم: ١٦ – المجلد٦ ج١٦ ص٢٠٣. وعلق عليه قائلا: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له، وقوله: (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السماوات والأرض.

﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ • فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢]، فهذا الزمان لا يعرف حقيقته ولا مقداره إلا الله تعالى، ومن ثم فإن الزعم بتأليه أحد مخلوق ينتهى إلى البطلان، لأن الخالق العظيم الذى يعلم الخلق وما يحيط بهم واحد هو الله تعالى.

◄◄ الثانى : الزمان الفلكى :-

وهو الذى يكون قائما مع بداية الدورة الفلكية فى الشمس والقمر فى الليل والنهار، ويحسبه الناس بالساعات والدقائق والثوانى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[٣].

ولما كان هذا النوع من الزمان قد سمي فلكيا، فإن الآيات القرآنية قد ألمحت إلى ذلك فى العديد منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤]،

وما يجيء فى هذا الزمان بالنسبة لمن يعاصره يكون غيبا، لأن الإنسان — ما دام غير معصوم — فإن إمكانية الرجوع به إلى الماضى تكون صعبة إن لم تكن مستحيلة بالنسبة للإنسان نفسه، وإلا فكيف يعرف الإنسان الذى عاش فى القرن العشرين مثلا، ما وقع لآدم عليه السلام وزوجه فى الجنة وهو لم يرهما، بل من أين له معرفة أقوام الهالكين، والمعالم التى درست بالنسبة للغابرين، لابد أن معرفة ذلك راجعة الى النقل المنزل، الذى جاء به الأنبياء والمرسلون عن الله رب العالمين، فدل الأمر على أن الخالق الرازق هو الله وحده لا شريك له.

◄◄ الثالث : الزمان البيولوجى :

وهو زمان الخلية البيولوجية، التى تتم عليها العملية البيولوجية، على اساس أن الإنسان يتكون من ثلاثة تريليون خلية جسدية، وكل خلية منها تحتوى على ستة وأربعين كروموسوما، وكل كروموسوم يحتوى على كميات هائلة من البروتينات والأحماض الأمينية

---

(١) سورة المعارج – الآيتان ٥/٤ .

(٢) سورة الحج – الآية ٤٧ .

(٣) سورة الإسراء – الآية ١٢ .

(٤) سورة التوبة – الآية ٣٦ .

والنووية التى تلزم لبناء الجسم والمحافظ عليه، ولا تفترق عنه، وهى تسرع مع الصغير ومع المسن تسير فى بطئ شديد.

وبعيدا عن العالم الغيبى والمعالم التى لابد من التعرف عليها بالنسبة له، فإن مسالة تألية الكائنات الغير مرئية يعتبر أمرا غير مقبول، كما أن تأليه السماوات والأرض لا تعتبر اعتقادات مقبولة على ناحية ما، وإنما تعرف بأنها عملية خيالية غير مضمونة على ناحية من النواحى.

غير أن بعض العقول قد نأت عن شرع الله، فتخلفت عنها المعالم الصحيحة، وبات كل منهم يغوص فى أعماقه شيطانه، فيصرفه عن سماع الحق، ويلزمه باعتقاد الباطل، فانطلقوا إلى تأليه الأرض، كما ألهو السماء.

وفي نفس الوقت اعتقدوا فى تأليه الليل أو النهار، وبنفس القدر اعتقدوا تأليه الشمس والقمر ومن ثم سأحاول تناول هذه الاعتقادات الوثنية بالنسبة لتأليه الأرض بالعرض والمناقشة وبيان فسادها على النحو الذى يوفقنى الله تعالى إليه .

﴿ ملامح تأليه الأرض[1] ﴾

الأرض مخلوق من مخلوقات الله تعالى تسبح بحمده، وتطيع أمره، ومع أنها تتحدث بلسان الحال حسب فهمنا، إلا أنها تسبح بلسان المقال حسب ما ألهمها الله عز وجل، وجاء به التوجيه الإلهى فى قوله تعالى: : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2]. والأرض تتحدث بلغة مفهومة، وإن كان المكلفون لا يفهمونها فى دار الدنيا، فما ذلك راجع إلا إلى أقدار الله تعالى، والآيات القرآنية التى أبرزت ذلك الجانب متعددة.

منها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

---

(١) وردت مادة الكلمة أرض فى القرآن الكريم حوالى أربعا وستين وأربعمائة مرة. [راجع المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ج٣٣/٢٦]

(٢) سورة الإسراء — الآية ٤٤ .

(٣) سورة فصلت —الآية ١٢/١١ .

جَهُولًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[2].

ولما كانت بعض العقول « قد لجأت للاعتقاد في الأرض على أنها إله، تعتمد عليه الأشياء في وجودها والعناية بها »[3]، وقدموا لها بعض القرابين، كما سجدوا لها وطلبوا عندها النفع والضر، فمن المناسب متابعة هذه الاعتقادات الفاسدة بغرض التعرف على الدوافع الوثنية التى قادت أصحاب هذه العقول إلى الاعتقادات الوثنية، وإهمال العقيدة الإلهية، وكيفية إعادة القطيع الضال إلى نور الإيمان بدل استمرار غوصه في مستنقعات الكفران.

١- عند السومريين[4] القدماء

تعددت الاعتقادات الوثنية لدى السومريين إلى حد كبير، حتى إنها غطت سماء الفكر من كل ناحية، وظهرت بين أفرادهم تسميات مختلفة لكل إله على حده، كما شاعت فيهم تعددات للآلهة قد يصعب حصرها على سبيل الحقيقة. أما لماذا؟

فقد عرف عندهم نموذج لآلهة صغرى، وأخرى لآلهة كبرى، كما ظهرت بينهم آلهة بنات، وأخرى بنين، وذلك استلزم وجود نوع ثالث من الآلهة هو الآلهة الأباء والآلهة الأمهات[5]، ومجمل هذه وتلك يطلق عليه اسم العائلة الإلهية.

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٧٢ .

(٢) سورة الزلزلة – الآيات ٥/١ .

(٣) البيبركامى – الديانات القديمة ص٩٧ ط دار الوفاء ١٩٥٧م تونس.

(٤) السومريون : هم قوم سكنوا فى وادى الرافدين القديمة، وكانوا أقواما ليسوا من الأقوام السامية، والسامية كلمة تطلق على إحدى عائلات اللغة السامية – الأكدية – الأشورية فى العراق، وهؤلاء كان موطنهم الجزيرة العربية، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغة السامية، بل هى من غير اللغات السامية، ولا يعلم زمن مجيئهم إلى وادى الرافدين، وإنما الذى نعرفه أنهم ازدهروا بثقافتهم فى القسم الجنوبى من العراق منذ حدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، ولا يعرف من أين أتوا، ولكنهم عاشوا مع الساميين، وأجمع المؤرخون على أنهم من المؤسسين الأوائل لمقومات الحضارة والعمران. (راجع فى هذا الشأن: صموئيل كريمر من ألواح سومرة – ترجمة الأستاذ طه باقر – تقديم أحمد فخرى – مكتبة المتنبى ببغداد ومؤسسة الخانجى بالقاهرة ص١٩٥٦/٨م).

(٥) الدكتور أبو اليسر محمد بدوى – السومريون وعقائدهم ص٣٧ .

فمثلا ظهر فيهم « الإله أنو إله السماء، وزوجته الإلهة كي إلهة الأرض، والإلهة عناة إلهة الحب والخصب والإلهة كرونيس إله الطب والشفاء، وربما تعددت سمات إله من ألهتهم على حساب باقي الآلهة، كالحال مع عشتاروت الآلهة الكبيرة في مجمع الآلهة السومرية، لأنها تجمع بين الحب والجنس والخصب والحرب معا، ولذا تعددت أسماؤها طبقا لتعدد سماتها، فعرفت باسم أنانا، كما أطلق عليها اسم عشتا، وكذلك عشتاروت[١]، وقفزت تلك التسميات إلى عقول السومريين الذين سارعوا إليها فأضافوا الكثير طبقا لأثر اللاحق في تراث السابق.

لكن الأرض ـ كي ـ كانت الآلهة العظيمة في الفكر السومري لاعتبارات عديدة من أهمها:ـ

[أ] أنها زوج الإله أنو[٢].

[ب] أنها أم كل الآلهة الأخرى[٣].

[جـ] أنها صانعة الخير والسلام والمحبة.

[د] أنها موطن الحب والصفاء[٤].

[هـ] أنها مصدر الخصب والإنماء.

[و] أنها أعظم الآلهة على الإطلاق.

[ز] أنها مصدر كل قوة.

[ح] أنها الخالق لكل شيء[٥].

ونظرا لوقوع السومريين تحت ستار العواطف الخادعة والأماني الكاذبة فقد صدق عليهم إبليس ظنه فأتبعوه واعتبروا الأرض أكبر الكائنات، وأعظم المعبودات، إذ لم يكن بوسعهم الاتجاه

---

(١) الشيخ محمد علي حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٨٧ طبعة الدار الإسلامية بتركيا ١٩٢٣م وراجع طبعة الاستقامة ١٣٥٧هـ.

(٢) مادامت زوجا لإله يمارس عليها واجبات وحقوق الزوجية فكيف تكون آلهة وهي خاضعة مقهورة لغيرها إلا بداء ذلك على أن الاعتقاد فيها يسم القائلين به بالانفلات العقلي والخروج على الشرع الإلهي أيضا؟!

(٣) أمومة الآلهة تؤكده الأساطير والخرافات الوثنية على اختلاف درجاتها، مع أنه لا أساس لهذه الأفكار إلا كونها قد جاءت من بحار الوثنية ومصارفها التي انغمست فيها وعبت منها من فقدوا أبسط المدارك العقلية وطرائق استخدامها.

(٤) أ. ب – هايدي ثورك – الديانات القديمة ص٩٧.

(٥) والملاحظ أن هذه النعوت قد جاءت في أغلبها عندهم منطبقة على الأرض والسماء والشمس والقمر وغيرها، مما يدل على أن الأفكار الوثنية تلحق بعضها بذات ما هو في الأصل.

إلى غيرها، وهم على ظهرها يعيشون، وبين جنباتها يسيرون. ومن ناتجها يأكلون ويشربون. فكان ذلك كله مدعاه للكهنة، حتى يوهموا العامة أن الأرض إله يجب الخضوع له، والامتثال لسلطانه، وهم يعتقدون أن الآلهة الأرض أشبه بقرص الغلاف الجوى لليل، ويطلقون عليها اسم الأرواح، كما يعتقدون أن البحر الذى كان فى البدء هو السبب الأول : الذى انبثق عنه الكون المخلوق، وتشكلت فيه الشمس والقمر والنجوم وكل يتحرك فى طريقه الإلهى المرسوم له مسبقا، وكذلك يحدث فى السماء ويحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية[1].

بيد أن أبار الأرض كانت تمثل لديهم العيون العذبة « أما الأنهار والمحيطات والبحار، فهى التى يمثل التاج الذى يحيط بالآلهة الأرض، حتى يضفى عليها المزيد من البهجة، والكثير من الاحترام كما يدفع إلى الاحتفاء بها والتقديس لها، وقد عبرت عن ذلك كله التماثيل والتجسدات التى صنعت للأرض، وطاف بها الكهنة، حيث كانوا يجمعون باسمها النذور. ويقدمون لها الذبائح والقرابين، عن طيب نفس واستجماع خواطر[2].

ولم يعد لدى هؤلاء السومرين رغبة فى تصور الإله على أنه مخالف للناس، وباقى الموجودات أو الكائنات، ولا على أساس أنه كائن قد يتدخل فى مجرى القوانين الطبيعية البادية فى الكون، أو يطلب التضحيات الخاصة برهانا على الولاء له[3]، إنما صارت الآلهة عندهم ملموسة على كل ناحية، تقوم متجسدة بدور متخاذل حينا، أو متعال فى بعض الأحيان.

وهو مما حدا إلى القول « بأن تعدد الآلهة لدى السومريين، رغم أنه لم يكن الأصل أو الأساس إلا أنه شكل عقولهم واستولى على وجداناتهم وكانت الإلهة - كى - الأرض تفوز على الآلهة الأخرى جميعها[4]، وكان ذلك التقديس لها قد غطى السومريين على اختلاف أنماطهم الحياتية واتجاهاتهم الفكرية.

---

(١) جفرى بارندر- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٢ .

(٢) المستشرق جرافت نيت - الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص٩٣ - ترجمة السيد محمد أبو الفيض ط أولى الدار الجديدة ١٩٣٧م.

(٣) اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو - تاريخ البشرية المجلد السادس - التطور العلمى والثقافى ج٢ تطور المجتمعات ص٢٣ الترجمة والمراجعة د: عثمان نوية ، وراشد البرادى ، ود: محمد على أبو ردة - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

(٤) أ. ب كاجدان - الديانة والإلحاد فى العالم القديم ص١٤٧ ط موسكو ١٩٥٧م ترجمة د: فاضل محمد رزق.

ولست أدرى كيف سوغت لهم عقولهم الاعتقادات فى ألوهية الأرض، وهم يحفرون فى وجهها وينبشون باطنها، ويسيرون فوق سطحها، ولم تمنعهم يوما من ممارسة ذلك، يستوى بالنسبة لها أمر التدمير والتعمير، فلو كانت الأرض إلها ألم يكن بإمكانها التعبير عن قدرتها ولو مرة واحدة، بدفع هؤلاء الحافرين على وجهها، بحيث تواريهم بين طياتها، أو تصرفهم عن ممارسة ذلك، ولو مرة واحدة.

أنهم لم يتحدثوا عن الأرض التى يعبدونها كما لم يخبروا عن حقيقتها، أهى الأولى أم الثانية أم غيرها حتى السابعة، أم أنهم عبدوا أرضا دون أن يعرفوا لها نوعا أو هوية، ولست أدرى كيف سمحت لهم عقولهم بالانحناء إلى ما تحت أقدامهم، حتى تكون هى الإله، ويعتقدون أنها الخالق، أليس من شأن الخالق أن يكون فوق الجميع بقوته وعظمته وجلاله وكماله، وتنزهه جل علاه، عن كل أنواع المماثلة، إذاً الأرض لا يمكن أن تكون إلها أبداً، لأنها من قبل قد أعلنت خضوعها لله الخالق العظيم والتسبيح له.

﴿ ٢- عند البابليين ﴾

أهل بابل[1] القدماء كانت لهم اتصالات عديدة، وصلات وثيقة بالبلاد التى تجاورهم، حتى إنهم تأثروا بهم فى الكثير من الاعتقادات وأثروا فيهم بالعديد من العادات بناء على قاعدتى التأثر والتأثير، غير أن البابليين كانوا فى أغلب الأحيان هم الأسرع إلى اقتباس هذه الاعتقادات

(١) بابل: هى إقليم من العراق تقع ما بين سبعين درجة طولا وعرضاً، وبالنسبة لموقعها تحت خط الأستواء، تقع تحت اثنين وثلاثين درجة، ويذكر أهل العهد القديم أن مقام آدم ﷺ كان ببابل، فلما قتل قابيل هابيل، مقت آدم قابيل، فهرب قابيل بأهله إلى الجبال (أرض بابل) فسميت ببال يعنى التفرقة. [راجع فى هذا الشأن الشيخ الإمام فهد الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الراوى البغدادى (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان ج٢ ص٣٦٧/٣٧٠ - تحقيق دكتور فريد عبدالعزيز الجندى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج١ أولى ١٤١٠هـ/١٩٨٠م]، وكانت مدينة مبنية على جانبى نهر الفرات، وكانت بيوتها ترتفع إلى دورين أو ثلاثة أو أربعة، وشوارعها مستقيمة، ويظهر أنها كانت تتقاطع فى زوايا قائمة كشوارع المدن العظيمة الحديثة، كل شارع يصل إلى النهر، محكمة ببوابة نحاسية كبيرة تحميه، وكانت تلك المدينة قد نسبت إلى نمرود من حيث البناء، بينما ينسبها غيرهم إلى مردوخ ولا يعرف بالضبط تاريخ تأسيسها. لكنها بلغت ذروة مجدها فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد فى عصر حمورابى من الأسرة البابلية الأولى، وكذلك فى القرن السادس قبل الميلاد فى عصر الملك نبوخذ نصر من الأسرة الكلدانية. [راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٥٢/١٥٧]

الوثنية الوافدة، بجنب التخلى عن غيرها من الاعتقادات، حتى لو كانت محلية أنشأتها العقلية البابلية، أو نسبت إلى سالف عهد بديانة سماوية.

فى نفس الوقت فقد حرص البابليون على ابتكار اعتقادات بحيث تكون خالصة لهم، وإن لم يتمكنوا من إعلانها فيكفيهم التمسك بها فى أنفسهم أولا،وتقديم القرابين لها ، وإقامة الطقوس لعبادتها، ثم الإعلان عنها، دون مواربة أو خوف ثانياً، وبالتالى ظهرت فى بابل اعتقادات وثنية عديدة لم يكن من السهل أول الأمر حصرها والتعرف عليها، أو تقديم تصنيف فنى لها، وبخاصة أن الآلهة المتعددة كانت السمة البارزة فى اعتقاداتهم كلها.

لكن ظهرت اتجاهات علمية أكدت أن الأرض كانت أحد هذه الآلهة الرئيسية التى نشأت فوقها عقائد التعدد البابلية كلها فيما بعد، على أساس أن الإنسان حين يخرج من بطن أمه، فإن الأرض هى أول ما يتم التعامل معه، وإذا طلب قوت يومه فإنه يجده على قمة جبل أو سفحه، كما يجده بين جنبات سهل أو خلال حبات رمال أحد الأودية[1]، التى تنمو فيها الأشجار المختلفة فى أشكالها وثمارها.

ثم إن الأرض يتم التعامل معها على أكثر من جهة، فهى التى « يحبو عليها الصغير، ويسير فوقها الكبير، وينام الجميع بين أحضانها، فتتسع لهم جنباتها، إنها الأم التى لا يمتلئ صدرها، ولا يذبل وجهها، ولا تضعف قوتها، تهطل عليها الأمطار، فإذا هى بها فرحة، وترسل عليها الشمس أشعتها، فإذا بها راضية، يقبل عليها الليل فتقابله وسواده كفاحا، ثم ينجلى فيعقبه النهار، حتى إنها لتقابله فى سرور مع فرح وحبور[2].

تتغير الشمس بالبزوغ والمغيب، فتقع الأيام والليالى، وينقلب الليل والنهار على سبيل التعاقب والزحف المتوالى، والقمر يأخذ فى الظهور تارة، ثم يأفل ولا نبالى بالقمر ولا بالشمس؛ لأن كلا منهم عمره بيننا قصير، أما الأرض فهى معنا ليلا ونهارا، صيفا وشتاء، شمسا وقمرا، ثابتة عظيمة، تعطى الجميع ولا تأخذ من أحد، تعالت عن الاحتياجات، وتكملت بأجمل الصفات، فهى أم الآلهة واعتقاد تأليهها هو أرفع الاعتقادات[3].

---

(١) الشيخ عبدالحميد الطويل – حضارة بابل وأشور ص٨٥ ط الدار البيضاء ١٩٣٩م.

(٢) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص٧٣ – ترجمة لطفى السيد فخرى ١٩٥١م.

(٣) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص٩٥ وقد كانت الأرض بهذه المفردات اللغوية أقرب ما يكون إلى الفتاة التى يقع التغزل فيها من شعراء تغلب فيهم إمارات الصعاليك؛ لأن الأرض مهما علت فى نفوسهم فهى فى الحقيقة تحت اقدامهم، ومن ينكر ذلك فهو الذى وضع رأسه فى الرغام وغطاها بالركام .

فى طلعة اليوم المنير تضمنا، ومع السراج الوهاج تجمعنا، ومن عوادى الزمان تأخذنا، نمضى معها الهونين، فتفرح وتجرى فوقها كبرا وبطرا فلا تغضب أو تقبح، تفتقد الشموس والأقمار والكواكب ولا نفتقدها، نهرب من أهلينا ولا يمكننا الهرب منها أو الانفلات أو الاختفاء[١]، ومن ثم فهى أعظم المعبودات وأكثر الآلهة فخرا.

وتظهر النصوص البابلية الآلهة - كى - الأرض مع زوجها الإله أنو السماء على أساس التصاق كل منهما بالآخر، حتى تزوجا وأنجبا ابنهما أنليل الذى هو إله الحب والعواصف لدى البابليين « وقد امتلأت النصوص البابلية القديمة بتلك التصورات التى تعبر عن الأسرة أو العائلة المكونة من الآلهة كى وزوجها انو وابنهما انليل »[٢].

أجل كان الكهنة البابليون فى معابدهم يقدمون للأرض القرابين والطقوس، كما كانوا يطلقون البخور معتقدين أنها تتحول معهم أينما كانوا، كما رسموا فى أذهان العامة أن الأرض تتحرك بهم فى الاتجاهات التى ينطلقون إليها، حتى تكون كالسيارة أو الطائرة، هى التى تتحول وهم على ظهرها ساكنون، وكلما كانت راضية فإن حركتها تجيء هادئة طبيعية، أما إذا غضبت، فإن حركتها تكون عنيفة، بحيث تظهر الزلازل وتتفجر البراكين.

« وكان مردوخ بن الإله أيا هو الذى عهد إليه برئاسة مجمع الآلهة البابلية، عندما كانت بابل مركز الدولة القوية، التى سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين، أما لإله نابو بن مردوخ فهو إله الحكمة والكتابة وراعى العلم والفلك وفنون الكتابة، فدخلت بابل والمدن المجاورة لها تحت سيطرته، وأمكنه إقامة معبده الخاص فى مدينة بورسيبا البابلية »[٣]، التى امتلأت بالمعابد والتماثيل، وقد وضعت خصيصا لرسم ملامح الآلهة الأرض فى إنباتها ومائها وما يتعلق بها.

أجل استطاع الكهنة البابليون - ومعهم بعض رجال السياسة - تعميق هذه الاعتقادات الوثنية فى نفوس العامة، إما بالشواهد الجدلية التى تجرى فى أفهام العامة، ويمكن تصديقهم لها فى سهولة ويسر، وإما بالضغوط والطقوس التى يلتمس الجميع لها الانفراجة، أو يتمكنون

---

(١) هذه الأشعار والترانيم حفلت بها الديانات الوثنية على امتداد الزمن ولذا فمن المناسب القول بأنها تعبر عن هبوط فكرى وانحلال ثقافى.

(٢) توماس هيبرز - الحضارة القديمة فى بابل وأشور ص٧١ - ترجمة ناهد رشدى ١٩٧٥م، ويذهب البعض إلى أن انليل هو ابن الإله أنووزوجته الآلهة نينليل أو الإلهة الأم التى تبرز فى نصوص العهد البابلى بشكل كبير. [دكتور إمام عبدالفتاح - هامش المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٥]

(٣) الشيخ محمد عبدالمعبود عطية - اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص٨١ ط الآستانة ١٣١٩هـ .

معها من الممارسة، ولكنهم في كل حال كانوا يؤلهون الأرض، ولها يسجدون، وكانوا في كل ما يفعلون إنما ينفذون توجهات شيطانية، ويعبرون عن ميول انحرافية، فرضتها عليهم التبعية للآخرين، بجانب السقوط في مهاوى الفكر الفاسد وبراثن الاعتقادات الخاطئة.

وقد بين الله تعالى فساد ذلك كله. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[١].

٢- عند الكلدانيين

الكلدانيون القدماء قوم تعددت فيهم المواهب، وانفجرت أرحامها، بما لم يكن لهم قبل به، غير أنهم لما اعتمدوا على مواهبهم، اعتبروها أسس مكاسبهم، حيث ترك أكابرهم تعاليم الله تعالى، واخترعوا لأنفسهم تعاليم حسبوها تغنيهم عن رسل الله وشرائعه، ومرت أيام قلائل، فصارت أهواؤهم هي إلهتهم وشياطينهم هداتهم، والموبقات مع الآثام هي نجواهم، والأنيس مع السمير فعمهم الله بعذاب من عنده.

ولما كانت سنة الله قائمة في خلقه أن من يكفر بالله وآياته ويحادد الله ورسوله، فأن له نار جهنم فقد أسرفوا في الخروج على تعاليم الله والكفر به والاعتقاد في غيره، وكانت الأرض أحد هذه الآلهة التي نالت منهم التقديس والاعتقاد مع العبادة، فأطلقوا عليها اسم الإله توا، ونظرا لأهمية الأرض بالنسبة لهم، فقد عددوا في أسمائها بدءا من توا، ثم توالت الأسماء، فأطلقوا عليها اسم الإله تواكي، وهي تسمية مركبة من توا عند السومريين، وكي عند أوائل الكلدانيين ثم طورا في التسمية، فصارت تعرف باسم الإله تواكي توا[٢]، مما يعني أن القوم قد تمسكوا بها على أنها إله كامل له كل الصفات والنعوت.

أجل لما كان الكلدانيون قد تعددت اتجاهاتهم، كما تعددت طوائفهم، فقد حرصوا على إبراز هذه الاعتقادات في مظاهر مختلفة حينا، ومؤتلفة في حين آخر، بغرض إعلان المزيد من الخضوع لها، والتسليم بكونها إلها كاملا، مع التماس المنافع عندها، ورغبة دفع الضر من خلالها، وهو ما عرف لديهم باسم القرابين والطقوس المتوالية[٣].

---

(١) سورة الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦ .

(٢) الدكتور محمد السيد أبو غدة – الكلدانيون القدماء واعتقاداتهم ص٢٧ ط أولى ١٩٧٥م.

(٣) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٧٣ ، وراجع أ.ب كاجوان – الديانة والإلحاد في العالم القديم ص٩٤ – موسكو ١٩٥٧م.

لكن الإلهة الأرض أو تواكى، قد برزت ملامحها فى اعتقادات الكلدانيين، التى لم تتوقف عند مجرد النهوض بهذه الأعباء، وإنما قفزت إلى ما هو أبعد من لك، حيث نازعت نار الفيدا فى شهرتها، فإذا كانت النار - الإله أجنى - هى أهم الآلهة فى الفيدا جميعا، باعتبار أنها الشعلة المقدسة التى ترفع القربان إلى السماء، كما كانت هى البرق الذى يثبت فى أرجاء الفضاء، وكانت للعالم الحياة النارية والروح المشتعلة[1]، فإن الأرض فى المفهوم الكلدانى قد كانت لها نفس المنزلة، لكن فى نفوس الكلدانيين.

* **يقول نيت** : كان الكلدانيون يعتقدون فى أن الأرض إله مؤنث، وأنها التى تحمل النبات والخصب فعلى صدرها تجرى الأنهار، وبين جنباتها تتحرك الزروع والثمار، وفوق ذلك فقد كان الكهنة يثبتون هذه الأفكار فى النفوس، وكثيرا ما عملوا على تدعيمها، من خلال مجموعة الطقوس والقرابين التى لم تختلف كثيرا فى معبد عن آخر[2]، إلا فى بعض التفاصيل، التى ليست سوى اتجاهات فى التطبيق للأناشيد والترانيم، التى كان الكهنة يحرصون على القيام بها.

أجل لم تكن لديهم فكرة عن كون الأرض كروية، أو مفلطحة أو بيضاوية، إنما كانت الاعتقادات السائدة فيهم هى أن هذه الأرض إله يجب توجيه الاعتقادات فى ألوهيتها، كما يجب عليهم تقديم ألوان الطاعة وفروض التقديس لها، ولذلك كثرت القرابين، وتنوعت طبقا لطبيعة كل عائلة، أو مجتمع كلدانى، وساد فيهم الاعتقاد بأن الإلهة كالبشر تماما فى كل ما يحتاجون إليه، لكنهم يختلفون عن البشر فى المسئولية.

* **يقول بارندر**: كانت الاعتقادات السائدة أن الآلهة كالبشر، تحتاج إلى مؤن منتظمة من الطعام والشراب، توضع أمامها على الموائد فى الصباح والمساء، واللحوم المفضلة عندها هى لحوم القرابين، ولابد أن يصب الدم أولا فى فناجين، ثم تختار الأجزاء الممتازة كالرئتين والكبد لمعرفة الطالع، وتقدم إلى الآلهة الفاكهة والسمك والطيور والعسل والزبد واللبن، إلى جانب

---

(١) ول ديورانت - قصة الحضارة، الهند وجيرانها - المجلد الثانى - الجزء الثالث ص٣٢ - ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود، الأستاذ محمد بدران - الهيئة المصرية.

(٢) نيت - الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص٩٥ - ط١ ترجمة السيد محمد ابو الفيض ط الدار الجديدة ١٩٣٧م.

الأطعمة الرئيسية كخبز الشعير والبصل والبلح، أما الزيت والخمر والبخور فقد كانت تقدم بسخاء[1]، كقرابين دائمة حتى ترضى الآلهة.

ومن المؤكد أن طبقة الكهنة هم الذين كانوا ينعمون بالقرابين المقدمة، لأن هذه التماثيل والأصنام المصنوعة كمعبر عن الآلهة المعبودة، لم تكن تأكل أو تشرب، ولابد أن تفرغ الموائد، حتى ترضى الآلهة، ومن الضرورى أن تظل ذات الموائد مستعدة لتقبل أنواع اخرى من القرابين، وهكذا طول الدهر وهو ما جعل طبقة الكهنة يتحولون إلى مراكز قوى، فعندهم موائد الطعام التى لا تنقطع، وبين أيديهم جملة من الطقوس، التى تستلزم القيام بها، ومن أفواههم تخرج الكلمات، التى ترضى الآلهة، فتجعلهم لا يحنقون على الشعب أو يضيقون من تصرفات بعض أفراده، وهكذا طوع الكهنة نفوس الشعب لقبول نفس الأفكار الفاسدة، بل والقيام بها فى أعلى قدر من الطاقة.

ورغم أن الكلدانيين والبابليين من المناطق التى نزلت فيها كتب سماوية سابقة، مع أنبياء مرسلين من قبل الله تعالى، إلا أنهم لما ارتضوا السير فى الاتجاهات المخالفة للتعاليم الإلهية، سلط الله عليهم أنفسهم، التى استجابت لشياطينهم، فأوحت لهم بالاعتقادات الباطلة، والعبادات الفاسدة. قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾[2].

ثم إنهم بتأليههم الأرض، قد أهملوا قدراتهم العقلية، كما أغفلوا مناجاة القوى الروحية والوجدانية، التى تدفعهم إلى بغض هذه الأفكار وتناديهم بضرورة التوجه إلى توحيد الواحد القهار، لما هو معروف من أن الفطرة الصحيحة تستلهم من أنوار الحق جل علاه معالم توحيده جل شأنه، بعد الإقرار بألوهيته سبحانه وتعالى، فاعتقاد غير ذلك مخالف للفطرة السليمة، وذبح لها على نصب الهوى، التى تقدم من خلالها قرابين الضلال، والله تعالى قد نبه إلى فساد ذلك

---

(١) جفرى بارندر– المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٣٣ – ترجمة الدكتور إمام عبدالفتاح إمام – عالم المعرفة العدد ١٣٧ .

(٢) سورة النمل – الآيات ٨٣ /٨٥. يقول الطبرى « ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا وجماعة منهم وزمرة ممن يكذب بآياتنا وأدلتنا وحججنا فهو يحبس أولهم على آخرهم ليجتمع جميعهم ثم يساقون إلى النار » [جامع البيان ج٢٠ ص١٧]

كله. قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ • لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(1).

عند اليونان

أمة اليونان تعددت فيها الاعتقادات المتباينة، وانتشرت بين أهلها العقائد الفاسدة، التى انطلق منها التجسيم على كل ناحية، وكانت الأرض تنال منهم الاهتمام والعناية لا على أنها أرض مخلوقة لله رب العالمين، وإنما على أنها تجمعت فيها العديد من الصفات كالخلق والعناية والقدرة على الحركة وما شابه ذلك وتجيء أمثاله فى الأفهام المغلوطة.

* **يقول الشيخ البنهاوى:** اخترع الإنسان من القدم فكرة الأديان الوضعية التى تبعد به عن دين الله تعالى استكبارا على الله، ومحاربة لرسله، واستجابة لشيطانه الذى يوسوس له حينا، ويوحى إليه الباطل، ثم يزينه له فى أحايين كثيرة، وكانت الأرض أحد الآلهة التى اخترعها الإنسان، ثم عبدها محتميا بالكبر والمعاندة(2).

وأهل اليونان القدماء عبدوا الأرض على أنها من جملة الآلهة الانثوية، التى تحتفظ بالأمومة والخصوبة والإلهية معا، وكانوا فى ذلك مقلدين للأمم الوثنية، التى سبقتهم لممارسة ذات الاعتقادات الفاسدة.

* **يقول بارندر:** انتشرت عبادة الآلهة الأنثى فى مناطق واسعة من الشرق الأدنى؛ لأنها تمثل قوة الخصوبة فى الطبيعة، وفى ذلك إسقاط للنموذج الأنثوى الأصلى عليها، وأطلق عليها

---

(١) سورة الأنبياء – الآيتان ٢٢/٢١ . يقول القرطبى : « لم يتخذوا آلهة تقدر على الاحياء وقيل أم بمعنى هل أي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى ولا تكون أم هنا بمعنى بل لأن ذلك يوجب لهم إنشاء الموتى إلا أن تقدر أم مع الاستفهام فتكون أم المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد وقيل أم عطف على المعنى أي فخلقنا السماء والأرض لعبا أم هذا الذي أضافوه إلينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة أو هل ما اتخذوه من الآلهة في الأرض يحيى الموتى فيكون موضع شبهة. ولو كان في السماوات والأرضين آلهة غير الله معبودون لفسدتا فى الأهل والتدبير؛ لأن أحدهما إن أراد شيئا والأخر أراد ضده كان أحدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا أي خربتا وهلك من فيها بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء فسبحان الله رب العرش عما يصفون نزه نفسه وأمر العباد أن ينزهوه عن أن يكون له شريك أو ولد » [القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج١١ ص٢٧٨/٢٧٩]

(٢) الشيخ عبدالعليم السيد البنهاوى – عقيدة التوحيد والعقائد الباطلة ص٢٣ – المطبعة الأميرية ١٣٣١هـ.

أسماء منوعة، فهى الأم، والأم العظيمة، كما أطلق عليها فيما بعد أم الآلهة[1]، لما لها من هيمنة وسلطان، وما يجيء معها من منافع ومخاوف، أو تدفعه بعيدا من أهوال وأخطار.

وكانت الأرض لدى اليونان وبخاصة فى دلفى يطلقون عليها اسم **Xe**، وفى أرجوس أطلقوا عليها اسم هيرا، أما فى الوسيس فكانوا يطلقون عليها اسم الأرض الأم ديمتر **Dem eter**، وفى اسبرطه، أطلقوا عليها اسم أورثيا **Orthia**[2]، وكما أكثروا من تعداد أسمائها، فقد أكثروا أيضا فى ذكر بواعث تألهيهم لها.

إذ كانت نظرتهم للأرض لا تقوم على أنها أم الآلهة، وإنما لأنها أكبرها على الإطلاق، وفوق ذلك فهى لدى قدماء اليونان ترمز للقوة والخصوبة والإنبات، ثم إنها أيضا ربة الطبيعة البرية، وقد انتظم الفكر اليونانى هذه الآلهة، وحاولوا ترويضها، وأكثروا من الأساطير حولها، بجانب الروايات التى تصف زواج الأرض[3]، وحملها وفرحها أو غضبها، وأصدقاءها الذين يمارسون معها هواياتهم المتعددة، وهى كلها تكشف عن رغبة متزايدة لدى اليونانيين القدماء فى تعدد الآلهة، والإكثار منها إلى أبعد مدى.

بدليل أن أغلب المدن اليونانية القديمة - أثينا واسبرطه، أفيسوس، وديلوس، وأركاديا، البلبونيز - المورة -، وباقوس، ثم قبرص، وكورنثه -، قد انتشرت فيهاعملية تأليه الأرض، التى كانت تسير جنبا إلى جنب مع تأليه السماء، والشمس والقمر، والليل والنهار، إلى غير ذلك من الاعتقادات التى انطلقت كلها من داخل الأساطير والروايات اليونانية.

* **يقول بارندر**: التقى الغزاة فى اليونان بإلهة الأرض الأم، ومع أول موجة من موجات المهاجرين من الهيليين احتفظت هذه الآلهة بمكانتها المرموقة السابقة، واصبح إله السماء بوزيز داس **Posis-das** زوجا للإلهة الأرض، كما أن الإله زيوس **Zeus** إله السماء لدى الهنود متى ثبت سلطانة زيوس أنزاحت صورة زيوس إلى البحر لتصبح بوزيدون **Poseidon** وبصفة عامة كان هناك حل وسط، وهو أن تختفى ديونى ويقبل زيوس الأرض الأم فى صورها المختلفة رفيقة لفراشه، ومن هنا جاءت غرامياته المتعددة فزواج السماء والأرض جعل الخصوبة مضمونة[4].

---

(١) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٦١ .

(٢) الدكتور حسن محمد سالم - الحضارة اليونانية القديمة ص٧٥ ط أولى ١٩٥١م بمشق.

(٣) الشيخ عبدالعليم السيد البنهاوى - عقيدة التوحيد والعقائد الباطلة ص٢٥ .

(٤) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٦٤ .

ليس من الصعب القول بأن الأرض كان لها وجود متواصل في الفكر اليوناني، لا على أنها مجرد كائن فيزيائي، وإنما على أنها كائن له من صفات القداسة والهيمنة ما يدفع إلى الاعتقاد فيه والتصديق بقدرته على جلب النفع أو دفع الضر، كالحال مع أغلب الأساطير التي حرص مؤلفوها على تضمنها مسائل متعلقة بالتاليه، حتى تنال في الناس المزيد من القبول، ولا تخضع للتأملات العقلية التي تنزلها من نفوس الناس وتلقى بها تحت أقدامهم.

ومن المؤكد أن تحويل هذه الاعتقادات الوثنية من مجال القلب إلى دائرة العقل الباطن يوحي بأنها ما تزال في ثنايا القصص والأساطير والروايات المنقوصة تجرى، مما يرجح القول بأن هذه الاعتقادات المشبوهة خرجت من نطاق القدرات العقلية أيضا، إلى دائرة الوجدانات التي فسدت[1]، فلم تعد لديها القدرة على معرفة الصواب من الخطأ، أو أنها صارت مجرد ديانات وثنية ترتبط بالعقل العي نوعا ما من الارتباط الذي يبدو وثيقا في حين، ومتهالكا في كثير من الأحيان.

❖ **ربما يقال:** إن العقلية اليونانية كانت مبدعة بدليل النتائج المذهلة، التي امتلأ به سماء الفكر الفلسفي، بل والثقافي والسياسي والقانوني، فلماذا تلتصق بها هذه الاعتقادات الوثنية؟

والجواب من وجوه:

✽ **الأول:** أن الاتجاهات العقلية، متى أوقعت أصحابها في نطاق اللاوعي، فإنها قد تلغي من ميدانها الجانب الديني الصحيح، بحيث لا يبقى إلا الوهم والخيال، الذي ينساق إليه أصحابه تحت أسماء قد تتعلق بالدين، لكن لا علاقة لها إلا بما يلزم الإنسان نفسه به من دين اصطنعه، وخيال مريض التف حوله، وكان ذلك حال اليونان وأمثالهم من الكافرين. قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾[2].

---

(١) هذه النتيجة أراها قائمة على أساس أن عملية الاستنزال من الجانب الاعتقادي تظهر لها آثار غاية في السلبية.

(٢) سورة محمد – الآية ١٤ . يقول العلامة الطبري : « أفمن كان على برهان وحجة وبيان من أمر ربه والعلم بوحدانيته فهو يعبده على بصيرة منه بأن له ربا يجازيه على طاعته إياه الجنة وعلى إساءته ومعصيته إياه النار، كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئته فأراه جميلا فهو على العمل به مقيم واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة، وقيل: إن الذي عني بقوله أفمن كان على بينة من ربه نبينا عليه الصلاة والسلام وإن الذي عني بقوله: كمن زين له سوء عمله هم المشركون » [الطبري – جامع البيان ج٢٦ ص٤٨]

* **الثانى**: أن الفلسفة والأبحاث الفيزيائية، التى نضج فيها اليونان، إنما تمثل جانبا معرفيا فقط، أو على أحسن تقدير تمثل جانبا ثقافيا تم اقتباسه من ثقافات مختلفة، أما الارتباط بالدين بشيء داخل القلب والوجدان لا تقيمه فى النفوس أبحاث علمية، وإنما تعضده بتقديمها الأدلة الجديدة على إثبات وجود الله تعالى وصفات ذاته، ولم يكن اليونان قد فكروا فى إشباع ذلك الجانب عن طريق الوحى المعصوم، وإنما عملوا على تنمية مواهبهم من خلال الاتجاهات الفكرية فوقع الخلط عندهم بين مسائل الاعتقاد ووسائل المعرفة، فنتج عنه هجرتهم إلى الدنيا وابتعادهم عن دين الله فبئس ما يشترون.

* **الثالث**: أننا فى القرن الحادى والعشرين، ورغم ما به من تقدم علمى مذهل، فاق كل التوقعات، إلا أن عصبة الكفر ما تزال تطل ما برؤوس أصحابها من أفكار ساذجة واعتقادات باطلة، تقوم على تأليه الطبيعة، بكل ما فيها من نقائص، وما تحمل من تناقضات عرفت كل هذه الانفلاتات باسم الإلحاد العلمى(١).

* **الرابع**: أن الكفر لا يعرف وطنا، كما لا يقع فى زمان دون غيره، وفوق ذلك فبالرغم من أن القضايا العلمية والأبحاث التجريبية أحد الوسائل التى تبلغ بالعقل طريق معرفة الله تعالى، فإن البعض قد يستخدمها للكفر بالله تعالى؛ لأن العلم بها قد فتن ذلك البعض، وبخاصة متى اعتقدوا أن ما لديهم من معارف إنما هى أرصدة خاصة بهم، حصلت لهم من اجتهاداتهم دون إضافة شيء آخر، أو الإحالة إلى الله تعالى.

دليل ذلك أن نسبة الإلحاد داخل البلاد المتميزة فى الجانب التقنى عاليه وفى ازدياد، بل قد لا يخلو مجتمع علمى من كثرة الملحدين كالولايات المتحدة الأمريكية والولايات المتحدة البريطانية، والسويد وفرنسا وألمانيا، بجانب اليابان والصين وغيرها من البلدان التى تصنف على أنها أرقى الدول فى مجال التكنولوجيا،ومع هذا فهى فى مصاف الدول التى تزداد فيها نسبة الإلحاد والكفر بالله وآياته والتكذيب برسله وكتبه، فأتباعهم هو الكفر بعينه والضلال الذى لا

---

(١) مذاهب الإلحاد فى العالم المعاصر كثيرة منها العلمانية والشيوعية،ومنها الوجودية والوضعية المنطقية، ثم الوضعية الطبيعية، بجانب المذاهب المتعددة، التى يلجأ أصحابها إلى التزوير فى المبادئ والأهداف. حتى يخدعوا الناس بها كالماسونية التى يطلقون عليها البنائين الأحرار، وكذلك المذاهب ذات الارتباط الوثيق بالفكر المادى الحديث أو المعاصر.

ينقطع. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾[1].

من ثم يمكن القول بأن الاعتقاد فى الوثنيات أمر مشترك بين كل ما حاد الله ورسوله، وارتضى السير فى الأوحال، والتخبط فى الضلال، كما أن اعتقاداتهم تجيء معها أعمالهم الخاسرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2].

ولا يختلف حال اليونان عن حال غيرهم فى هذه المسألة، بل ربما كان التقدم العلمى الذى أحرزته العقلية اليونانية فى الماضى، هو أحد أسباب تعدد الآلهة، وانحطاطها، لأن العلم ما لم تكن له قاعدة إيمانية صحيحة، تصونه وتحميه من الوقوع فى المهالك، فإن أصحابه سيتعثرون فى أطراف أثوابهم، كما تتخبط عقولهم فى أذيال أفكارهم.

يقول الشيخ النبهانى: « العلم عن الله يعرف بالله، والعلم عن غير الله يقود إلى غير الله، فاحرص على أن يكون علمك عن الله وإلى الله، حتى لا تضل أو تشقى »[3].

على أن الاعتقاد فى الأرض كإله مذكرا كان أو مؤنثا، إنما يسوق العاقل إلى ضرورة التعرف على ملكات هؤلاء الذين ألجأتهم أنفسهم إلى مثل هذه الاعتقادات وما هى إلا معبر عن انتكاسات فكرية، كما تدفع إلى القول بأنها انفلاتات لم تقم لأصحابها المقام المقبول. أما لماذا؟

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١١٦ . يقول الطبري « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم وأهلوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله ومحجة الحق والصواب فيصدوك عن ذلك، وإنما قال الله لنبيه وإن تطع أكثر من في الأرض من بني آدم لأنهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه لا تطعهم فيما دعوك إليه فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطئوه، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم فقال إن يتبعون إلا الظن فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم وحسبان على صحة عزم عليه وإن كان خطأ في الحقيقة. وإن هم إلا يخرصون يقول ما هم إلا متخرصون يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم» [جامع البيان ج٨ ص١٠]

(٢) سورة النور – الآيتان ٣٩/٤٠

(٣) الشيخ محمد عبدالعظيم النبهاوى – طريق الوصول ص١٧ ط أولى – الدار الميمنة ١٣١٧هـ

فلما يلي:

١ـ أن الاعتقاد الصحيح فى الله رب العالم يفيض على الإنسان المؤمن روحانية يجرى فيها التسليم بقضاء الله وقدره، والاستسلام القائم لما يستلزمه هذا الاعتقاد الصحيح، من قيام بالتكاليف الشرعية، على النحو الذى يرضى عنه رب البرية، على أساس أن الاعتقاد جانب نظرى يصدقه الجانب السلوكى العملى، مادام فى الوقت متسع.

ولذا قال جمع من العلماء: الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، أما الاعتقادات الفاسدة فإنها تجعل المرء مفرغا من داخله، يشعر بحاجة شديدة إلى ما يسدله حاجياته الروحية، ومن ثم يظل القلق مسيطر عليه، كما أن الريبة والشكوك هى الأخرى تحيط به من كل جانب كمردود طبيعى للإلحاد الذى يمارسه أو يجرى شوطه. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[١].

يقول الصابونى: « إذا ما أنزلت سورة فمن المنافقين من يقول – بعضهم لبعض – أيكم زادته هذه إيمانا، وفي الآية الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، "وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم" أي زادتهم شكاً إلى شكهم وريباً إلى ريبهم، كما قال تعالى: "والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى"[٢]، وهذه من جملة شقائهم أن ما يهدي القلوب يكون سبباً لضلالهم ودمارهم، كما أن سيء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالاً ونقصاً »[٣].

٢ـ أن الاعتقاد الصحيح فى الله رب العالمين يلقى إلى داخل المرء نفسه، فيجعل المرء واقفا على الدوام من نفسه، موقف العبد المطيع من سيده الكريم، والعبد المطيع يبذل كل جهده فى إرضاء سيده، حتى لا يعرضه السيد للبيع أو المتاجرة به، ومن كان ذلك شأنه، فلن يفكر فى الخروج على تعاليم الله، وبالتالى يتحقق للناس الخير على أنماطه المختلفة وأشكاله المتعددة، لأنه كلما حاولت نفسه الاندفاع به إلى شهواتها، أوقفها صحيح اعتقاده عند حد السيطرة عليها، وهو محال تزكية النفس فى الثواب بالأعمال الصالحة. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة – الآيتان ١٢٥/١٢٤ .

(٢) سورة فصلت – الآية ٤٤ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى .

(٤) سورة الشمس – الآيات ١٠/٧ .

۞ **يقول العلامة القرطبي** : « في النفس قولان أحدهما آدم الثاني كل نفس منفوسة وسوى بمعنى هيأ وقال مجاهد سواها سوى خلقها وعدل وهذه الأسماء كلها مجرورة على القسم أقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه.

"فألهمها" عرفها طريق الفجور والتقوى، كما عرفها الطاعة والمعصية، وعن محمد بن كعب قال إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به وإذا أراد به السوء ألهمه الشر فعمل به، وعن ابن عباس قال: ألهم المؤمن المتقي تقواه وألهم الفاجر فجوره

وروي عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فألهمها فجورها وتقواها قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ورواه جويبر عن الضحاك عن إبن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية فألهمها فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وأنت خير من زكاها[1].

وعن أبي الأسود الدؤلي[2] قال: قال لي عمران بن حصين[3] أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٨٨ رقم: ٢٧٢٢.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الديلي روى عن عمر وعلي وأبي ذر وأبي موسى وولي قضاء البصرة، وهو ثقة وأول من تكلم في النحو بالبصرة. [راجع الجرح والتعديل ج٤ ص٥٠٣ رقم: ٢٢١٤]

(٣) عمران بن حصين ابن عبيد بن خلف القدوة الإمام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو نجيد الخزاعي، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت سنة سبع وله عدة أحاديث، وولي قضاء البصرة وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم فكان الحسن يحلف ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين، حدث عنه مطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو رجاء العطاردي وزهدم الجرمي... وعدة. وقيل: ما قدم البصرة أحد يفضل على عمران بن حصين، وقال قتادة بلغني أن عمران قال وددت أني رماد تذروني الرياح. توفي عمران سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنه، مسنده مئة وثمانون حديثا. [راجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٠٨ – رقم: ١٠٥].

شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها[1].

قد افلح من زكاها ليدمدمن الله على أهل مكة، لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها أفلح فاز من زكاها أي من زكى الله نفسه بالطاعة وقد خاب من دساها أي خسرت نفس دسها الله عز وجل بالمعصية وقال إبن عباس خابت نفس أضلها وأغواها وقيل أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي، والمبادر إلى أعمال البر شهر نفسه ورفعها وكانت أجواد العرب تنزل الربا وارتفاع الأرض ليشتهر مكانها للمعتفين وتوقد النار في الليل للطارقين وكانت اللئام تنزل الأولاج والأطراف والأهضام ليخفى مكانها عن الطالبين فأولئك علوا أنفسهم وزكوها وهؤلاء أخفوا أنفسهم ودسوها وكذا الفاجر أبدا خفي المكان زمر المروة غامض الشخص ناكس الرأس بركوب المعاصي»[2].

أما الاعتقادات الفاسدة، فإنها تلقي بأصحابها في أحضان الوساوس والشكوك، ثم تتحول هذه كلها إلى نواح عمليه، حيث تدفع إلى ممارسة الظلم والبغض والعدوان، بجانب البطش بالضعيف، وممارسة النفاق بألوانه المتعددة مع القوي، أملا في الحياة، وذلك كله مما يسوق إلى الخراب والدمار، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3].

ثم إن الإيمان بالله تعالى يوفر للمؤمن السكينة والطمأنينة على أساس أن ما يأتيه في دار الدنيا من مكاسب ينظر إليها على أنها منح تستوجب الشكر، أما ما يصيبه في دار الدنيا من شرور، فإنه يعتبرها منحا من الله تعالى، لكنها تستوجب الصبر، فيعيش دنياه قانعا راضيا، ويستقبل أخراه باسما هانيا، لا يصرفه عن هذه المنح صارق، كما لا يبعده عنها عارض من العوارض.

- **يقول الشيخ الأنباري**: إن الإيمان الصحيح بالله يولد في الإنسان المؤمن القناعة والرضا، كما يزوده بطاقة داخلية تسوقه للهدى وتصرفه عن الردى، وتجعله في مأمن من الانزلاق نحو

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٤١ رقم: ٢٦٥٠.

(٢) تفسير القرطبي ج ٢٠ ص٧٥/٧٧.

(٣) سورة محمد – الآية ١٢ .

المهاوى، وتحجبه عن ارتكاب المعاصى(١)، باعتبار أن الإيمان نور يقود إلى الهدى. قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾(٢)،

❁ ٢- **أن الاعتقاد الصحيح يوفر للمؤمن الأمن والأمان معا**، يستوى فى ذلك أن يكـون الأمـن قلبيـا أو معرفيا، بدنيا أو عقلياً ونفسياً، بل إنه ليشمله علـى كافـة النواحـى، بحيـث لا يتوجـه المـرء ناحية إلا وهو على يقين من أنها إن شاء الله صواب له، وهو الذى يجعله منحازا إلى التعـاليم الإلهية على الدوام، فليس فى داخله قلق ثـائر، أو عاصفـة متحركـة، قـال تعـالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٣).

وكذلك يشعر الأمان، لأنه متى تحقق الأمن الفردى والجماعى، تحقق معه الآمان أيضـا، باعتبار أنهما يتكاملان من ناحية أن الأمن يكون داخليا فى نفوس الأفـراد، كـأفراد، أمـا الأمـان

---

(١) الشيخ عبدالعزيـز بـن عبدالقـوى الأنبـارى الحنفـى – الإيمـان بـالله وأثـره فـى النفـوس ص٧٣ ط دار مراد ١٣٢٥هـ.

(٢) سورة مريم – الآية ٧٦ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ٨٢ . يقول الطبري : « اختلف أهل التأويل في الذي أخـبر تعـالى ذكـره عنـه أنـه قال هذا القول أعني الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الآية. فقال بعضهم هـذا فصـل القضـاء مـن الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله إذ قال لهـم إبراهيـم وكيـف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بـالأمن إن كنتم تعلمون، فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم ولم يشركوا في عبادته شيئا ثم جعلوا عبادتهم لله خالصـا أحـق بـالأمن مـن الذيـن يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام فإنهم الخائفون من عقاب مكروه عبادتـهم أمـا في عـاجل الدنيـا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بـأليم عـذاب الله. قـال آخـرون هـذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قـال لهـم أي الفريقـين أحـق بـالأمن فقـالوا لـه الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالأمن إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصـل قضـاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه وذلك أنه لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه مـن التوحيد ولكنه كما ذكرت من تأويله بدءا » [الإمام الطبرى – جامع البيان – ج٧ ص٢٥٤/٢٥٨]

فإنه يتحقق للجماعة كلها، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك ﷺ « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا إيمان لمن لا أمان له، والمعتدي في الصدقة كمانعها »[١].

* ٤- **إن المجتمعات التي اعتنقت تأليه غير الله تعالى عرفت الخوف والقلق**، وسيطر على أفرادها الكثير من الاضطرابات النفسية والعصبية بل والعضوية أيضا، لأن الفرد فيهم يصير غير آمن على نفسه أو عقله، طبقا لعدم توفر الأمن له في عقيدته، كما أنه لا أمان له باعتبار انه يتخوف أصدقاءه المقربين، كما يتخوف الكأس الذى يشربه، والغانية التى يزنى بها، والسيارة التى يستخدمها، والعصابات التى تقطع الطريق عليه، والمصانع التى تخرج آلات الدمار المختلفة[٢].

كما يخاف الملحد ذات المصانع والمعامل ويترقب فى كل حين وقوع انفصال من جهاز يأتى معه الموت، على كل ناحية، كالحال مع المفاعل النووى تشرنوبيل[٣]، الذى خرج عن بعض وقاره فانصهر جزء من غطائه الخارجى، فأرسل النذير الشؤم على سكان المناطق القريبة منه، وإلى سنوات مقبلة الله وحده يعلم كيف تكون نهايتها، والنتائج المدمرة المترتبة عليها. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[٤]،

بينما المجتمعات التى اهتدت إلى الله تعالى، وتعرفت عليه وسارت فى هديه، فإنها لا تعرف هذه المشكلات أبدا، لأنهم اسلموا قيادهم لله، وصدقوا من بعثهم الله من رسله وأنبيائه،

---

(١) ابن خزيمة – صحيح ابن خزيمة ج٤ ص٥١ – ٦٣ باب في التغليظ في الاعتداء في الصدقة وتمثيل المعتدي فيها بمانعها– الحديث :٢٣٣٥.

(٢) يقول العلماء النفسيون: إن أكثر المجتمعات عرضة للإصابة بالأمراض النفسية المزمنة كالقلق المرضى والأعصاب والهستيريا والمانخوليا،وشيوع ظاهرة الانتحار هى المجتمعات التى يسودها الإلحاد، بينما المجتمعات التى يسودها الإيمان الحق والاعتقاد الصحيح فى الله رب العالمين، تقل فيها هذه الأمراض وربما بلغت حد الندرة، اما حالات الانتحار فإنها لا تظهر إلا فى غير الأسوياء. [الدكتور محمد رأفت عبدالعظيم الدهشان – الدين والقلق النفسى ص٧٣ ط أولى ١٩٥١م]

(٣) كان ذلك فى الاتحاد السوفيتى ونتج عنه تدمير وتشويه للكائنات البيولوجية التى تقع فى محيطه، فما بالك لو أنهم استخدموه بغرض التدمير فعلا، ألا تكون المصيبة أكبر، والكارثة أوسع؟!

(٤) سورة العنكبوت – الآية ٢٥ .

وما جاء فى كتبه، وحقت لهم البشارة، فهم المطمئنون أبدا، فمن أبى سعيد الخدرى[١] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[٢].

وروى الترمذى[٣] مرفوعا عن علي بن أبى طالب – كرم الله وجهه – قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام

---

(١) أبو سعيد الخدرى : هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر ومحمود بن لبيد وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل ومن كبار التابعين بن المسيب وأبو عثمان النهدي وطارق بن شهاب وعبيد بن عمير وممن بعدهم عطاء وعياض بن عبدالله بن أبي سرح وبشر بن سعيد ومجاهد ...وآخرون وهو مكثر من الحديث. وكان من أفقه أحداث الصحابة ومن أفاضل الصحابة، وحفظ حديثا كثيرا وروى الهيثم بن كليب في مسنده من طريق عبدالمهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس على ألا تأخذنا في الله لومة لائم فاستقال السادس وقيل مات سنة أربع وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر – في: ذكر من اسمه سعد ساكن العين. في الفصل: ٣١٩٨[ص:٧٨]

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٣ ص١١٨٨ – رقم:٣٠٨٣ ، وأخرج مسلم بلفظ عن سهل بن سعد « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء » [صحيح مسلم ج٤ ص٢١٧٧ – ٣ باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء – رقم: ٢٨٣٠]

(٣) هو الإمام المحدث محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي الترمذى. صاحب الجامع والعلل الضرير الحافظ العلامة، طاف البلاد وسمع خلقا كثيرا من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم، روى عن محمد بن المنذر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي وخلق ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر، وكان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. [طبقات الحفاظ ج١ ص٢٨٢ رقم:٦٣٤، وراجع الثقات ج٩ ص١٥٣ رقم: ١٥٧٣٥، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال ج٦ ص٢٨٩ رقم:٨٠٤١، وراجع تهذيب التهذيب ج٩ ص٣٤٤ رقم:٦٣٨]

أعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام »[1].

ولا يكون ذلك إلا لأهل الإيمان بالله رب العالمين، الذين أمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وهذا متحقق فى أمة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ ، بخلاف من قبلهم من الأمم، فإنهم من صدق بمن سيجيء من بعده من الرسل فهو بطريق التوقع لا بطريق الواقع[2]، وتكون المسألة فى الإيمان الصحيح، والاعتقاد السليم واقعة لأمة سيدنا محمد ﷺ، وهو أيضا مما تمتاز به على باقى الأمم.

* **هـ أن الاعتقاد فى تأليه الأرض مثلا أو غيرها، ينتهى إلى القول بأن أصحاب هذه العقول قد انطمست بصائرها**، لأن الله تعالى أرشد إلى أنه وحده الخالق لكل شيء، يستوى فى ذلك خلق الأرضين والسماوات، كما يستوى خلق غيرهما. قال تعالى﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[3].

* **يقول الشيخ الصابونى**: « ومن آياته الدالة على قدرته العظيمة ﴿خلق السماوات والأرض﴾ فخلق السماوات قائم في ارتفاعها واتساعها، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها، ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض قائم في انخفاضها وكثافة، ما فيها من جبال وأودية، وبحار وقفار، وحيوان وأشجار، ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ من اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء فرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم.

واختلاف ألوانهم، وهي حلاهم فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً بحيث يظهر عند التأمل. وكل وجه منهم أسلوب بذاته، وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٤ ص٣٥٤ – ٥٣ باب ما جاء في قول المعروف – رقم: ١٩٨٤ ، ج٤ ص٦٧٣ – ٣ باب ما جاء في صفة غرف الجنة – رقم: ٢٥٢٧

(٢) الشيخ محمد زكى الدين أبو القاسم – جامع البيان لما اتفق عليه الشيخان – العقائد ج٣ ص٥١٥ – دار الصفوة بالغردقة.

(٣) سورة الروم – الآية ٢٢ .

جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر »[1]، وذلك كله من آيات الله الدالة على قدرته وعلمه وإرادته، بجانب تفرده بالخلق والإيجاد والإعدام لا شريك له.

ومادمنا على يقين من أن الأرض لم تخلق نفسها،ولا يمكنها أن تحتفظ لنفسها بشيء أصلا مما يتعلق بالوجود والبقاء، فهل يمكن النظر فيها على أنها إله، إن ذلك القول عار عن أي وجه من أوجه القبول؛ لأنه يلزم عليه عقلا أن تكون الأرض سابقة على خلق نفسها، باعتبارها الخالق الفاعل، ثم تكون متأخرة عن خلق نفسها باعتبارها المخلوق المفعول، وهذا مما لا ترتضيه العقول مهما كان مستواها من التفكير المتواضع أو المتدني، لأنها مخالفة للبدهيات، والقول بها مناقض للضروريات العقلية، فثبت أن الله تعالى وحده هو الخالق الرازق، وأنه بيده الأمر والنهي. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

❁ **يقول الحافظ ابن كثير** : « يخبر تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن الكريم، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام على ما هو المتبادر إلى الأذهان، أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل[3].

ثم استوى على العرش للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها. وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولاتعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة: من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفي عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى.

---

(١) الشيخ محمد على الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث

(٢) سورة الأعراف – الآية ٥٤ .

(٣) وعن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الأثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » [الإمام مسلم – صحيح مسلم – الحديث ٢٧٨٩].

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منها يطلب الآخر طلبا حثيثا سريعا لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فقوله ولا الليل سابق النهار أي لا يفوته بوقت متأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال يطلبه حثيثا.

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره و الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منبها ألا له الخلق والأمر أي له الملك والتصرف تبارك الله رب العالمين.

وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»[١].

وعن حذيفة بن اليمان « أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلما يقول اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله بيدك الخير كله إليك يرجع الأمر كله علانيته وسره فأهل أن تحمد أنك على كل شيء قدير اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني عملا زاكيا ترضى به عني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك ملك أتاك يعلمك تحميد ربك »[٢]. وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء « اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله واليك يرجع الأمر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله »[٣].

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[٤]،

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢١/٢٢٢ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٥ ص٣٩٥ رقم:٢٣٤٠٣ .

(٣) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢٢ .

(٤) سورة المجادلة – الآيتان ١٩/ ٢٠ . يقول الإمام الطبري : « استحوذ عليهم الشيطان حتى غلبهم فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان وجنده وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون الهالكون المغبونون في صفقتهم، كما إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه. هؤلاء الذين يحادون الله ورسوله في أهل الذلة لأن الغلبة لله ورسوله لقوله تعالى: "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي" وذلك مما قضى الله وخط في أم الكتاب لأغلبن أنا ورسلي من حادني وشاقني » [الإمام الطبري – جامع البيان ج٢٨ ص٢٥/٢٧]

❁ **٦- أن الاعتقاد في تأليه غير الله تعالى مفض إلى الحكم على أصحابه بأنهم انساقوا للأهواء** والنزعات التي تنصرف بهم، نحو غضب الله تعالى، كما تنزع عنهم الأردية التي يحاولون أن يستروا بها عوراتهم العقلية والفكرية، إذ الإيمان بالله والاعتقاد الصحيح فيه هو النجاة، أما الإشراك بالله ففيه الخسران. قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾[1]، والأرض لو كانت إلها ما كانت تقبل التصحر تارة، متى انقطع عنها الماء[2]، وتقبل السكون والموت متى استمر انقطاع الماء[3]، ثم تقبل الحياة التي تعبر عنها الخضرة، متى أنزل الله تعالى عليها الماء[4]، كما تقبل الامتداد حينا[5]، والإنقاص تارة أخرى[6]، فهل بعد ذلك يمكن النظر إليها على أنها إله خالق، أم يجب النظر إليها على أنها آية من آيات الله الكونية، خاضعة لأمره، مسبحة بحمده، معلنة توحيدها لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأنبياء – الآيات ٩٨/١٠٠ .

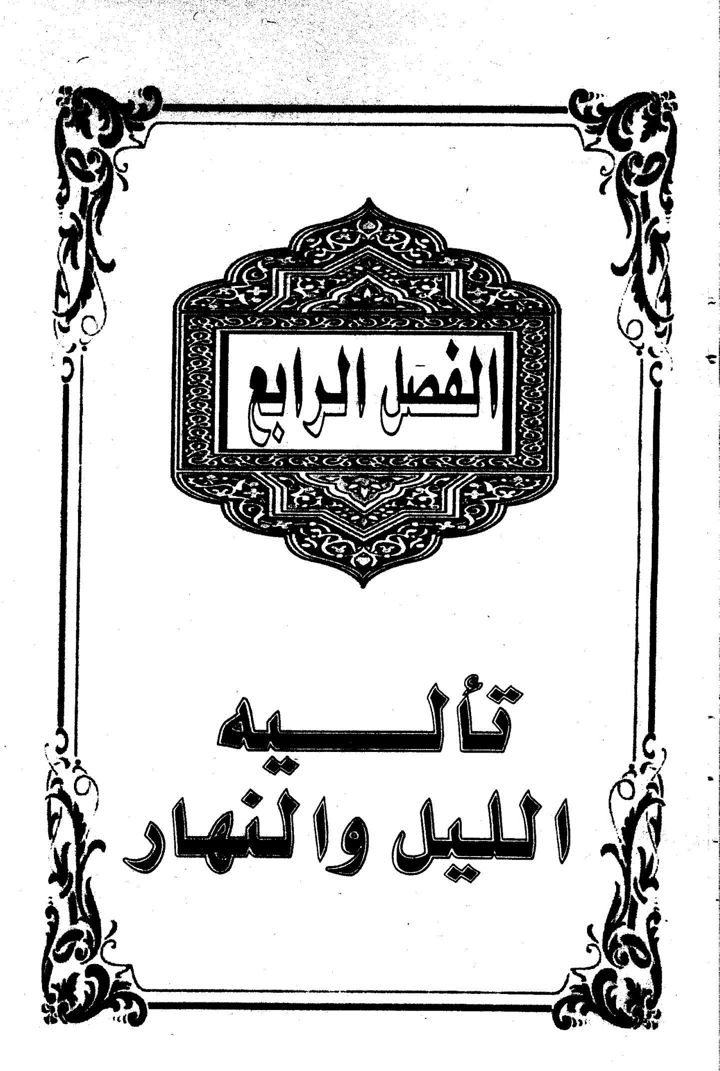
(٢) قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج – الآية ٥]

(٣) قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت – الآية ٣٩]

(٤) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحج – الآية ٦٣]

(٥) قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق – الآية ٧]

(٦) قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد – الآية ٤١]



الفصل الرابع

تألـــيه الليل والنهار

الليل والنهار من آيات الله تعالى المنبثة في الكون، وهما من أنعم الله تعالى، فبتواليهما تعرف الأيام والليالي، كما تعرف الساعات والثواني، ويدرك الخلائق ما يتعلق بالشهور والأعوام، بحيث تقع معرفة السنين والحساب. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[1].

❁ **يقول الحافظ ابن كثير**: « يمتن الله تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك ولهذا قال لتبتغوا فضلا من ربكم في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك ولتعلموا عدد السنين والحساب، فإنه لو كان الزمان كله نسقا واحدا وأسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك »[2].

فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدفة النهار[3]، وقال مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل فمحونا آية الليل وهو السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى، حيث كان القمر يضئ كما تضئ الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر[4].

وروى أن ابن الكواء[5] سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن، فمحونا آية الليل فهذه محوه[6]، وقال قتادة:

---

(١) سورة الإسراء – الآية ١٢ .

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧. كما قال تعالى قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. [نفس المصدر]

(٣) وهو الذى مال إليه ابن جريج.

(٤) وهو المروى عن ابن عباس حبر الأمة رضى الله عنهما.

(٥) عبد الله بن عمرو اليشكري بن الكواء من رؤوس الخوارج، له أخبار كثيرة مع علي وكان يلزمه ويعييه في الأسئلة وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. [لسان الميزان ج٣ ص٣٢٩ رقم:١٣٦٧، وراجع الإصابة لابن حجر ج٥ ص٩٤ رقم: ٦٣٤١]

(٦) فكان محوه هنا المراد به إذهاب السواد، الذى كان يضيء به.

كنا نحدث أن محو آية الليل هو سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار مبصرة منيرة، وخلق الله الشمس أنور من القمر وأعظم[1]، وعن ابن عباس وجعلنا الليل والنهار آيتين قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل[2].

لكن بعض العقول تخلت عن النظر إليهما، باعتبارهما من آيات الله الكونية، واخترعت لكل منهما تسميات، وأطلقوا عليهما العديد من السمات، وفى النهاية عبدوا كلا منهما على حده، أو على التثنية وتوجوا أنشطتهم بالاعتقاد فيهما والعبادة لهما، والتعرف على هذه الاعتقادات الفاسدة يستلزم بيان كل منهما على النحو التالى:

﴿ أولا: تأليه الليل[3] ﴾

الحديث عن الليل يسبق الحديث عن النهار، اقتداء بالنقل المنزل، حيث جاءت كلمة الليل فى القرآن الكريم سابقة على كلمة النهار، عدا مرة واحدة، جاءت فيها كلمة النهار سابقة على كلمة الليل فى القرآن الكريم، وهى قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[4].

- **قال ابن عباس**: « "وأقم الصلاة طرفي النهار" يعني الصبح والمغرب، وقال الحسن: هي الصبح والعصر، وقال مجاهد: هي الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى، "وزلفا من الليل" يعني صلاة العشاء (وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغيرهم)، وقال مجاهد والضحاك: إنها صلاة المغرب والعشاء، وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة، ثم نسخ في حق الأمة، وثبت وجوبه عليه، ثم نسخ عنه أيضاً، والله أعلم »[5].

---

(١) وذلك كله راجع لقدرة الله تعالى وإرادته، خاضع لعلمه وحكمته.

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٨ .

(٣) وردت مادة الكلمة ل ي ل فى القرآن الكريم تسعين مرة، وقد أبان المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم عن مواضعها فى السور القرآنية. [راجع للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – باب اللام ص٦٥٦/٦٥٧]

(٤) سورة هود – الآية ١١٤ .

(٥) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٦٢ .

كما إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – قال: « كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني عنه أحد استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر – وصدق أبو بكر – أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له »[١].

وعن عثمان بن عفان[٢] ﷺ: « أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هكذا رأيت رسول الله يتوضأ وقال: "من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه »[٣]. وعن أبي هريرة، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر »[٤].

وعن ابن مسعود ﷺ: « أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات"، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم" »[٥].

---

(١) الإمام أحمد – مسند أحمد ج١ ص١٠ – الحديث رقم: ٥٦ .

(٢) هو الصحابى الجليل سيدنا عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى – أمير المؤمنين – ذو النورين ﷺ . ولد بعد عام الفيل بست سنين، وهاجر الهجرتين، وتزوج ابنتى رسول الله ﷺ واحدة بعد الأخرى. روى عن النبى وعن أصحابه وهو أول من هاجر إلى أرض الحبشة ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض رقية بنت رسول الله ﷺ ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل الستة أصحاب الشورى. حمل سيدنا عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا، بويع له بالخلافة بعد زمن عمر ﷺ بثلاثة أيام، وذلك فى غرة شهر الله المحرم سنة ٢٤هـ وقتل رضى الله عنه شهيدا فى وسط أيام التشريق سنة ٣٥هـ ، وقيل يوم التروية ومناقبه وفضائله كثيرة وشهيرة. [راجع للإمام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر العسقلانى – تهذيب التهذيب – ج٧ ص١٣٩/١٤١ ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند سنة ١٣٢٦هـ]

(٣) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٢ ص٦٨٢ – ٢٧ باب السواك الرطب واليابس للصائم – الحديث١٨٣٢.

(٤) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج١ ص٢٠٩ – ٥ باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر – الحديث: ٢٣٣

(٥) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص١٩٦ – باب البيعة على إقامة الصلاة رقم: ٥٠٣ .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أيضا قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه" قال، قلنا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: "غشه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق فيتقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[١].

وعن أبي اليسر[٢] قال: « أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا، فقلت: إن في البيت تمرا أجود من هذا، فدخلت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت عمر فسألته فقال: اتق الله واستر على نفسك، ولا تخبرن أحدا، فلم اصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: "أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟" حتى ظننت أني من أهل النار، حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ"، فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة، فنزل جبريل، فقال: أبو اليسر: فجئت فقرأ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين" فقال إنسان: يا رسول الله أله خاصة أم للناس عامة؟ قال: "للناس عامة" »[٣].

وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن »[٤]. وفي رواية عنه قال، قلت: « يا رسول الله أوصني، قال: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها"، قال، قلت: يا رسول الله أمن الحسنات (لا إله إلا الله)؟ قال: "هي أفضل الحسنات »[٥].

---

(١) الإمام الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج١ ص٨٨ – الحديث: ٩٤.

(٢) أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري مع السلمي المدني البدري العقبي الذي أسر العباس رضي الله عنهما يوم بدر، شهد العقبة وله عشرون سنة، وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر ومناقبه كثيرة، حدث عنه صيفي مولى أبي أيوب وعبادة بن الوليد الصامتي وموسى بن طلحة وحنظلة بن قيس وغيرهم، له أحاديث قليلة. شهد صفين مع علي وكان من باقا البدريين، ومات بالمدينة في سنة خمس وخمسين.
[سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٣٧ – رقم: ١٠٩].

(٣) الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج١٩ ص١٦٥ – الحديث: ٣٧١.

(٤) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج٤ ص٣٥٥ – ٥٥ باب ما جاء في معاشرة الناس– الحديث: ١٩٨٧

(٥) العلامة المنذرى – الترغيب والترهيب ج٤ ص٥٤ – الحديث: ٤٧٨١.

كما أن النقل المنزل قد أخبر عن الليل وأنه سابق النهار فى الوجود. كما هو سابقه فى المنطوق اللفظى، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أو لم يـر الذيـن كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ۝ وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ۝ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾[1].

والرتق فى المنطوق اللغوى هو الكتلة المسمطة[2]، وبالتالى يكون داخلها مظلما، وهو ما يؤكد أن الليل يسبق النهار فى الوجود، وأيضا الظواهر النقلية على سبق الليل للنهار كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ۝ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير

---

(١) سورة الأنبياء – الآيات ٣٠/٣٢ .

(٢) جاءت كلمة الرتق فى لغة العرب بمعنى المرتوق، وهو المنسد من كل ناحية الملتئم بدقة وعناية. [راجع محيط المحيط] والرتق: ضد الفتق. ابن سيده: الرتق إلحام الفتق وإصلاحه. رتقه يرتقه و يرتقه رتقا فارتتق أي التأم. يقال: رتقنا فتقهم حتى ارتتق، و الرتق: المرتوق. وفي التنزيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؛ قال بعض المفسرين: كانت السماوات رتقا لا ينزل منها رجع، وكانت الأرض رتقا ليس فيها صدع، ففتقهما الله تعالى بالماء والنبات رزقا للعباد. قال الفراء: فتقت السماء بالقطر والأرض بالنبت، قال: وقال كانتا رتقا ولم يقل رتقين لأنه أخذ من الفعل، وقال الزجاج: قيل رتقا لأن الرتق مصدر؛ المعنى كانتا ذواتي رتق فجعلتا ذواتي فتق. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الليل: هل كان قبل النهار؟ فتلا أن السموات والأرض كانتا رتقا ، قال: و الرتق الظلمة.
وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: خلق الله الليل قبل النهار؛ وقرأ: كانتا رتقا ففتقناهما، قال: هل كان إلا ظلة أو ظلمة؟ و الراتق: الملتئم من السحاب. و الرتق، بالتحريك: مصدر قولك رتقت المرأة رتقا، وهي رتقاء بينة الرتق: التصق ختانها فلم تنل لارتتاق ذلك الموضع منها، فهي لا يستطاع جماعها. والرتقاء المرأة المنضمة الفرج التي لا يكاد الذكر يجوز فرجها لشدة انضمامه. وفرج أرتق: ملتزق، وقد يكون الرتق في الإبل. و الرتاق: ثوبان يرتقان بحواشيهما؛ قال: جارية بيضاء في رتاق، تدير طرفا اكحل المآقي و الرتق و الرتق: خلل ما بين الأصابع. [لسان العرب ج١٠ ص١١٤]

الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾[1].

والمعلوم أنه كلما غربت العقول عن شرع الله تعالى، وانساقت النفوس لترانيم شياطينها ترجوا هداها؛ فإن الله تعالى يمنع عن هذه العقول الشاردة، والنفوس العاثرة أنوار الوحي الإلهي عقابا لهم على ما دبرته أنفسهم، واتجهت إليه عواطفهم من الغي والبهتان، وحينئذ يدعهم الله لأهوائهم تتصرف فيهم كيفما شاءت. قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين .ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾[2].

ولأن هذه العقول أهملت التعرف على الله تعالى، الذى جاءت أنواره فى الفطرة كلها، ثم سلكت مسالك الغى والضلال، فإن الأهواء التى تقودهم تعتبر هى إلهتهم التى يدعون من دون الله، ومن ثم فمتى اتبعوا تلك الأهواء، فإنهم يهبطون إلى درجات الجحيم فى الآخرة، ولا تكون لهم عند الناس حجة، ولا لدى الله تعالى شفاعة. قال جل شأنه: : ﴿أ رأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾[3].

ومادام المرء قد اتبع ما يمليه عليه الهوى، واعتقد فيما بثته إليه الشياطين من جدل فى العقيدة، وخروج على أحكام الشريعة،فمن المؤكد أن ما يزينه الشياطين لقرنائهم سيكون موقعا بهم فى الهلاك. قال تعالى: ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾[4].

---

(١) سورة القصص – الآيات ٧١/٧٣ . يقول صاحبا تفسير الجلالين: » قل لأهل مكة أخبروني إن جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما إلى يوم القيامة من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بضياء نهار تطلبون فيه المعيشة أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك. قل لهم أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بليل تسكنون وتستريحون فيه من التعب أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه. ومن رحمته تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار للكسب ولعلكم تشكرون النعمة فيهما » [تفسير الجلالين ج١ ص٥١٧].

(٢) سورة الزخرف – الآيات ٣٦/٣٩ .

(٣) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤ .

(٤) سورة الروم – الآية ٢٩ .

والغريب أن هؤلاء المتبعين لأهوائهم يلغون قدراتهم العقلية على الدوام، إذ لم يسمحوا لها بابتلاء المعلومات التي ترد إليها حول الآلهة الفاسدة التي يعبدونها، كما لم يفكروا في طبيعة تلك الآلهة المعبودة، وما إذا كانت تقبل اختبارها في ميدان النفع والضر، أم لا تقبل، وهل يمكن التماس الرضا عندها، ورفع الحرج ودفع الحزن أم لا ، وهم لم يبتلوا آلهتهم بطلب شيء منها[1].

أما لماذا؟

فلأن الله تعالى قد جرت حكمته بأن الذين يتبعون شياطينهم، ويخضعون أنفسهم لتعاليمها، يقع لهم خيال غير سوى، يحيلهم إلى قديسين أو رهبان، كما تعمل ضمائرهم الخربة على تصديق ما يقومون به، وصواب ما يعتقدون فيه، وإليه ينزعون، مع أنهم في الضلال واقعون. قال تعالى: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾[2].

ومتى أمعن المرء في الفساد الفكرى، والولوج داخل باب الاعتقادات الفاسدة، واتخذ من دون الله أندادا، فإن طريق الرشد ينفلت منه، وتضيع معالمه، حتى تتوارى عنه، بحيث لا يعرف كيف الوصول إليه، أو كيفية إدراكه والتعرف عليه، وكلما أمعن صاحب هذا الفكر في الانحراف العقدى، فإنه يسلك مسالك الشيطان، فيتخذ لنفسه عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ثم يزداد حاله غيا وضلالا وسقوطا.

إذ لا مانع لديه من تأليه الليل « تحت زعم أنه يغشى الجميع حين إقباله، ويغطيهم بظلامه، ويملى عليهم ما يشاء، دون أن تكون لأحد القدرة على إزاحته أو مقاومته »[3]، وقد يستخدم لفظ الظلام كمعبر عن الليل غير هياب بنتائج ما يرجو، وسوء عاقبة ما إليه يدعو لقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾[4].

---

(١) وقد تحداهم الله تعالى بذلك كله فقال تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [سورة الحج – الآية ٧٣]

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٣ .

(٣) الشيخ محمد منصور الديداموني – بلا الرافدين وحضارة الأشوريين ص٢١٦ .

(٤) سورة النساء – الآية ٤٨ .

وقال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾(١). حيث أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر ما دون ذلك من الذنوب، لم يشاء من عباده، وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة منها :

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الظلم ثلاثة، فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئا. فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك. وقال: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض" »(٢). وما روى عن معاوية قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا" »(٣).

وما روى عن أبي ذر ﷺ أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: « "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق - ثلاثا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر"، قال فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر »(٤).

وعن أبي ذر ﷺ قال: « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد، فقال: "يا أبا ذر! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: "ما أحب أن لي أحدا ذاك عندي ذهبا أمسي ثالثة وعندي منه دينار إلا دينارا أرصده، يعني لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا" فحثا عن يمينه وعن يساره وبين يديه، قال ثم مشينا فقال: "يا أبا ذر إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا"، فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره، قال: ثم مشينا فقال: "يا أبا ذر كما أنت حتى آتيك"، قال: فانطلق حتى توري عني، قال: فسمعت لغطا، فقلت: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له، قال: فهممت أن أتبعه، قال: فذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك، فانتظرته حتى جاء، فذكرت له الذي سمعت.

---

(١) سورة النساء - الآية ١١٦ .

(٢) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي - مجمع الزوائد ج١٠ ص٣٤٨ .

(٣) الإمام النسائي - سنن النسائي (المجتبى) ج٧ ص٨١ - الحديث: ٣٩٨٤.

(٤) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج٥ ص٢١٩٣ - الحديث: ٥٤٨٩ .

فقال: "ذاك جبريل أتاني، فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق" »[1].

وعن جابر ﷺ قال: « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار" »[2].

وعن ضمضم بن جوس اليمامي[3] ﷺ قال: « قال لي أبو هريرة: يا يمامي! لا تقولن لرجل لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة أبدا، فقلت: يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب، قال: لا تقلها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كان في بني إسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة، وكان الآخر مسرفا على نفسه، وكانا متآخيين، وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أبعثت علي رقيبا؟ إلى ان رآه يوما على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر، قال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدا، قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت عالما أكنت على ما في يدي قادرا؟ اذهبوا به إلى النار. قال: والذي نفس أبي القاسم بيده إنه لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته" »[4].

أجل فى الليل نجوى أهل الصلاح، حيث تزداد انطلاقاتهم نحو الملأ الأعلى، وفيه يقع منهم الركوع والسجود والتسبيح بحمد الله الذى رفع السماوات بغير عمد، وبسط الأرض على ما ماء جمد، وفيه المناجاة الخالصة لله أن يرفع الضر تفضلا منه تعالى ورحمة، وكان النبى ﷺ إذا

---

(١) الإمام أبو حاتم بن حبان – صحيح ابن حبان ج٨ ص١١٨ – ذكر الخبر الدال على أن المتصدقين في الدنيا هم الأفضلون في العقبى– الحديث:٣٣٢٦ .

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج١ ص٩٤ – ٤٠ باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار– الحديث:٩٣.

(٣) ضمضم بن جوس ويقال ضمضم بن الحارث بن جوس الهفاني اليمامي روى عن أبي هريرة وعبد الله بن حنظلة الأنصاري وعنه يحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمار، تابعي ثقة، ومن قال ضمضم بن جوس فقد نسبه إلى جده واسم أبيه الحارث وذكره بن سعد في فقهاء أهل اليمامة . [تهذيب التهذيب ج٤ ص٤٠٥ رقم:٨٠٧، والجرح والتعديل ج٤ ص٤٦٧ رقم:٢٠٥٣]

(٤) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٢ ص٣٦٢ – رقم: ٨٧٣٤، وأخرجه الإمام ابن حبان صحيح ابن حبان ج١٣ ص٢٠ – ذكر وصف هذين الرجلين اللذين قال أحدهما لصاحبه ما قال – الحديث ٥٧١٢.

دخل الليل استعد له، حتى إذا انقضى منه جزء قام فتوضأ وصلى، ثم أيقظ أهلـه، لقولـه تعـالى: ﴿ يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقـص منـه قليـلا . أو زد عليـه ورتـل القرآن ترتيلا إنا . سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطءا وأقوم قيلا ﴾[1].

وفي الليل تسبيحات الصالحين، وتوسلات التائبين والتماس الرحمات من رب العـالمين، وكم من بائس ينتظر الليل حتى يفرج، حين يرسل الله أهل الخير إليه، بعدد مما جعله الله بـين أيديهم، حتى كان العباد والزهـاد والصالحون يفرحـون بمقدم الليـل، لأنـه يسـترهم عـن عيـون الخلق، ويضعهم بين يدى الحق جل علاه،وكان صلى الله عليـه وسـلم يقـول: ((أفـش السـلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام"))[2].

وعن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – قال ((قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام أعرابي فقال لمن هي يـا رسـول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام))[3].

وفي الليل أيضا نجوى العاشقين، الذين كم أرسلوا إليـه توسـلاتهم والآهـات، واعتـبروه نجيبهم والسمير، لكن ذلك كله منهم لم يخرج عن كونه نوعا من همس الوجدان، وهمهمة المشـاعر وانطلاقات ما يجيش بـالفؤاد، سـواء انسجمت المشـاعر فيـه، أم تبـاينت، لكنـه لم يقـترب مـن عقيدتهم الدينية، كما لم يكن له من سلطان علـى الجوانـب المتعلقـة بالتكـاليف الشـرعية، إنـهم اعتبروه مجرد ميدان يتخاطب العشاق بين جنباته، وقد وقع لهم التنافس فـي الكـر والفر داخـل سويعاته، وحاول كل منهم الظفر بحبيبته في غفلة من عيون الحراس، ومتابعة المراقبين.

---

(١) سورة المزمل – الآيات ٦/١ . حيث يخاطب الله رسوله قائلا: يا أيها المزمل النـبي المتلفف بثيابـه حـين مجيء الوحي له خوفا منه لهيبته. قم الليل فصل إلا قليلا. نصفه أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث. أو زد عليه إلى الثلثين ورتل القرآن تثبت في تلاوته ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولا قرآنا ثقيلا مهيبا أو شـديدا لما فيه من التكاليف. إن ناشئة الليل هي القيام بعد النوم أشد وطئا موافقة السمع للقلب على تفهم القـرآن وأقوم قيلا أبين قولا . [تفسير الجلالين ج١ ص٧٧٣]

(٢) الإمام أحمد بن حنبل مسند أحمد ج٢ ص٣٢٣ – الحديث٨٢٧٨ ، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٢ ص: ٢٦١ – ذكر إيجاب دخول الجنة لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وقرنـهما بسـائر العبـادات – الحديث:٥٠٨.

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٤ ص٣٥٤ – ٥٣ باب مـا جـاء في قـول المعـروف – رقـم: ١٩٨٤ ، ج٤ ص٦٧٣ – ٣ باب ما جاء في صفة غرف الجنة – رقم: ٢٥٢٧

لكن لم يقرر واحد منهم أن الليل إله، أو رب مالك له شيء من الجلال والكمال، ومن ثم فقد صار الليل بالنسبة لهم مجرد رمز يحاكى، وعلاقة بينية تتوارد عليها بعض الخواطر، وأنى لمثل هؤلاء اتهام واحد منهم بأنه اعتقد الليل خالقا، أو من دون الله عبده، من هنا فمتابعة اعتقادات أصحاب الديانات الفاسدة فى الليل يمكن اقتباس بعضها فيما يلى:

(أ- عند الأوركيين)

هم الذين أقاموا بمدينة أورك[1] فى الماضى القديم، حيث وجدت هذه المدينة فى بلاد ما بين النهرين على الفرات، بالقرب من مدينة أور الكلدانية، وكانت أورك عاصمة بابل السفلى عام ٨٦٥٠ ق.م، وكان الأوركيون فى عصور ما قبل التاريخ، قد عبدوا الليل واعتقدوا فيه النفع والضر، كما اعتقدوا فيه الخلق والقدرة والعلم الكلى العام الشامل، حتى أكثروا من توجيه الدعاء له، كما قدموا القرابين والذبائح البشرية، وغيرها من الذبائح الأخرى، وقد صنعوا له تماثيل متعددة على أشكال متنوعة، كانت أجزاؤها العلوية تغطى بهالة سوداء تتسع حينا وتضيق فى حين آخر[2]، حسب ظروف من يقومون برسم هذه السور أو صنع ذات التماثيل.

ولأن الليل يمثل نوعا من سلطان الوعى الوجدانى داخل الإنسان نفسه، فقد شهدت عصور ما قبل التاريخ بأن هؤلاء الناس كانوا على وعى بالقوى الروحية، التى يعتمد عليها وجودهم، « وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية، وتقديم القرابين والتماثيل الرمزية الصغيرة »[3]، التى تعبر عن صور الاعتقاد فى الليل كإله تام له من السطوة والسلطان ما يدفع إلى الاعتقاد المتواصل فيه بجانب الاعتماد عليه، والقيام بما يظنونه مقربا إليه.

فى نفس الوقت فإن الأوركيين القدماء، ظلوا يرسمون لمعبودهم هذا صورا وتماثيل عديدة، قل أن ينازعه فى مكانته بالنسبة لهم منازع آخر. يقول الشيخ محمد عبدالمعبود: « لقد كانت اعتقادات الأوركيين فى تأليه الليل تفوق سائر اعتقاداتهم فى الآلهة الأخرى، لقد كان هو الإله

---

(١) وهى غير أور التى قال عنها صاحب معجم البلدان « أور بالضم ثم السكون وراء من أصقاع رامهرمز بخوزستان فيه قرى وبساتين، أور بفتح الهمزة جبل حجازي أو نجدي » [معجم البلدان ج١ ص٢٧٨] وأورم بالضم ثم السكون وكسر الراء وميم اسم لأربع قرى من قرى حلب وهي أورم لكبرى وأورم الصغرى وأورم الجوز وأورم البرامكة. [معجم البلدان ج١ ص٢٧٩].

(٢) أ.ب هايدي ثورك – الديانات القديمة ص٤٥ – ترجمة السيد فخري ط أولى ١٩٥١م.

(٣) جفري بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١ ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام – سلسلة عالم المعرفة – العدد ١٧٣ ذى القعدة ١٤١٣هـ- مايو ١٩٩٣م.

الأكبر من كل الآلهة المعبودة، ولذا لم يجعلوا له زوجة، لأنهم رأوا ضرورة استقلاله، بحيث لا يكون هناك شيء آخر يقلل من هيبته العظمى في النفوس »[1].

وهكذا صورت لهم أهواؤهم أن انفراده يعطيه مساحة أكبر في النفوس، كما يرسخ أغلب ملامحه في الأجيال المؤمنة به، على المستويات المختلفة، وفي البلدان المتعددة. يقول واينر: « إن عبادة الليل كانت قاسما مشتركا بين أغلب الشعوب التي تؤمن بالتعدد الإلهي في عصور ما قبل التاريخ، لا لأنه قوة غيبية فحسب، وإنما باعتبار أنه يملك من السلطان، ما يدفع به الشمس وقتما يشاء، كما يحجبها عن الظهور في نصف مدة كل فصول السنة، كما يملك الإطالة او الاختصار على آية ناحية شاء »[2].

وقد داخلتهم هذه الأفكار على أساس أن الشمس تعجز عن مقاومة الليل، ولم يدر بخلدهم السؤال المعكوس، وهو لماذا لا يقال: إن الشمس هي التي تدفع الليل ولا تسمح له بالاستمرار على مدار الأربع والعشرين ساعة؟ وغاب عنهم أيضا أن الليل من آيات الله تعالى، لا يخضع لشيء آخر سوى الخالق العظيم جل علاه.

لكن الليل كان إلها – عندهم – أكبر من غيره، وظل محل تقدير واحترام، كما كان محل تقديس وعبادة على المستوى الشخصي والعائلي، بل والقومي أيضا، بيد أن الصور التي تم تجسيد الليل فيها لم تكن من الضخامة على النحو الذي يتناسب مع مساحة الليل أو عدد ساعاته، وإنما كانت تعبر عن تصورات أصحابها وثقافاتهم، وهم الذين قاموا بإدخال هذه القوى إلى ميدان الاعتقاد فيها، والعمل بما يتصورون أنه يحقق لهذه الآلهة بعض الرضا والكثير من القبول.

۞ **يقول الشيخ الطويل:** « لقد شاعت بعض الاعتقادات الفاسدة في قدرة الليل على دفع قرص الشمس عن الظهور، كما شاعت نفس الاعتقادات في الأسلاف،و أمكن لهؤلاء أن يتصوروا نوعا من النزاع الذي يجيء بين الليل من ناحية، والشمس من ناحية ثانية، ولم يتصوروا وجود الخلاف بين الليل والنهار، وهنا تعمقت الهوة، واتسعت الفجوة، وكثرت الاعتقادات الفاسدة »[3]، التي تحولت من مجرد التصديق بالآلهة المحسوسة المتعددة إلى ضرورة أن تكون لها أدوار مختلفة في الأنظمة الحياتية.

---

(١) الشيخ محمد عبدالمعبود عطية – اتجاهات الفكر الشرقي القديم ص٧٣ مطبعة الأستانة ١٣١٣هـ.

(٢) المستشرق واينر – الاتجاهات الدينية القديمة ص٦٥ – ترجمة صبري حسن ط أولى ١٩٤٧م.

(٣) الشيخ عبدالحميد حسن الطويل – حضارة بابل وأشور ص١٢١ ط الدار البيضاء ١٠٣٠م، وراجع للدكتور حسن محمد سالم – الحضارة اليونانية القديمة ص٣٧ .

غير أن عبادة الليل لدى الأوركيين، قد اقتربت بعبادة الشمس كإله، لكنه اقل من الليل، على أساس أن الشمس يمكنها أن تفلت من سطوة الليل وقبضته الحديدية، ولذا قدموا لكل منهما صورا متجسدة، بحيث تصير كلها معبرة عن جملة من الاعتقادات الفاسدة، وتعين فى ذات الوقت على إمكانية ممارسة بعض الطقوس التى تزكيها فى النفوس، وهى تؤكد وقوع هؤلاء فى دائرة الكفر بالله رب العالمين.

٢. عند الكلدانيين

لم يختلف حال الكلدانيين عن حال الأوركيين بالنسبة للاعتقاد فى تأليه الليل، وتقديم العبادة المتنوعة له، مع الطقوس المتزايدة التى أكثر الكلدانيون من القيام بها، بدليل أنه قد ظهر على شاطئ الأحزان من يعتقد فى تأليه الليل وعباداته، بل يناجيه ويقدسه، بحيث يلتمس عنده الرجاء، ويأمل أن يجيب له الدعاء، إنه لم ينظروا إلى الليل على أنه مخلوق لله، وإنما نظروا إليه على أنه متشارك مع الإله فى كل ما له، ثم يستقل الليل بالخلق والقدرة على سبيل الاستقلال.

من ثم فقد أكثروا من تصوراتهم له، كما أفرطوا فى تقديم نماذج وصور وتماثيل، ظنوها معبرة عنه، ونظرا لطبيعة الكلدانيين، الذين يملكون قدرا كبيرا من الاستعداد لتلقى هذه الأفكار، وممارسة واجباتها، وقبول تداعياتها، فإن ذلك قد دفع الكلدانيين الأصليين والنازحين إلى تقديم تصورات وأشكال بعينها لهذا التأليه، ترسم فى أشكال منسجمة حينا، ومتباينة فى أحايين اخرى.

- **يقول واينر**: « إن متابعة الحركة الدينية داخل عقول الكلدانيين ، تنتهى إلى أنهم رصدوا حركة الليل، فلما رأوا أنها دائمة قاسية، ولا تنقطع، فقد أجبرهم ذلك على الاعتراف به قويا قاهرا، ثم تطور الأمر معهم، فصار الليل يمثل قاعدة شاملة تقوم عليها الاعتقادات الدينية »[1]، التى قد يكون لها وجود فعلى ومستمر فى النفوس.

أجل طبيعة الكلدانيين القدماء الفكرية تقبل تجسيم الآلهة، ولديها كذلك استعداد يسمح بتقبل فكرة الآلهة المتجسدة، لكن نفس الطبيعة قد عوملت معاملة خاصة، حتى أمكن تنمية الجانب الوجدانى وتعبئته بالرموز والأشكال التى تنتهى به إلى ارواء هذا الجانب، وقد التزم الكلدانيون عملية الأرواء هذه، فتحول الليل معهم من مجرد آية كونية إلى أن صار رمزا أنزلوه فى نفوسهم منزلة الإله الذى أمسكوا به، وصاروا يقومون بالاعتقاد فيه إلى أبعد مدى.

---

(١) المستشرق توماس واينز - الاتجاهات الدينية القديمة ص٧٣ - ترجمة صبرى حسن ط أولى ١٩٤٧م.

« لقد غيروا اتجاهاتهم فى بعض الآلهة المعبودة عندهم من هدف مرئى، إلى هدف غير مرئى، ورسموا لها بعض الملامح التى تجعلها محسوسة فى أشكال معينة وأوضاع ثابتة »[1].
وكان ذلك التأليه شائعا فى بلاد اليونان، وبخاصة فى أسبرطة، التى كثر فيها عدد الآلهة إلى حد كبير، بل صار الليل أحد كبار هذه الآلهة العظيمة لدى الكلدانيين، الذين قدموا له العديد من الصور بعضها فقبس من وثنيات الأمم التى نزل بعض أفرادها بها، وبعضها كان من خيالاتهم بعد الإضافات التى أدخلت عليه.

ولئن كان الليل والنهار يتبادلان اعمار الناس فى منظومة الحياة، إلا أن ما يخبئه الليل يستدعى إعادة تقييم الموقف معه، فإذا كانت الاعتقادات الشفوية فيه غير كافية – بالنسبة لهم –، فلا مانع من تقديم الطقوس والقرابين المتزايدة بين يديه، بغية الفوز به، ولذا كثرت فيهم أسماء الآلهة المعبرة عن الليل، والتى تعتبر ممثلا لوجوده الطبيعى فى العقول والأفهام.

❋ **يقول برستيد**: « لا توجد قوة أثرت فى حياة الإنسان القديم، مثل قوة التدين، لأن تأثيرها يشاهد على ذات الإنسان واضحا فى كل نواحى نشاطه، ولم يكن أثر هذه القوة فى أقدم مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة ساذجة، يتعرف بها الإنسان ما حوله فى العالم، ويخضعه بما فيه الآلهة لسيطرته[2]، غير أنه قد ينكص على عقبيه، فيترك لآلهته الزمام الذى وضعه بين يديه سلفا، بحيث تتصرف هذه الآلهة فيه، وتحوله من قائد لها إلى منقاد، يخضع للعادات والتقاليد التى رسمتها عقول أتباع هذه الآلهة الباطلة، بحيث يغرق فى الإلحاد حتى قمة رأسه.

صحيح أن العقائد الوثنية يقع لها التطور المتواصل، على أساس أن البشر هم الذين صنعوها، وأمسكوا بعقولهم، نحو نصوص صاغوها، ثم أمسكوا بعقولهم من أزمتها، فاغتصبوها، ولم يقيموا لكرامتها وزنا، يستوى فى ذلك أن تكون هذه الاعتقادات الوثنية قائمة فى نطاق الليل أو النهار، أو فى نطاق شيء آخر، غير هذا وذاك، وهو ما يكشف عن ملامح العقائد الوثنية، وفى نفس الوقت يفضح اتجاهات القائمين عليها.

۞ **يقول الإمام محمد المنيلاوى**: « إن الله فطر الناس على توحيده، لكن بعض العقول استنكفت، وقررت المضى قدما فى إنشاء عقائد، وتكوين آلهة عن طريق الخيال المتنامى، والوهم المتزايد.

---

(١) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٨١ ط الدار الإسلامية ١٩٣٢م.

(٢) المستشرق جيمس هنرى برستيد – فجر الضمير ص٣٦ – ترجمة د. سليم حين – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

فضلوا وأضلوا. بل غابت عنهم معالم الطريق الصحيح المؤدية إلى الاعتقاد السليم فى الله رب العالمين »[1].

وتأليه الليل هو أحد المعبرات عن الانفلات العقلى والفكرى، وقد برزت مظاهره فى إنشاء أديان وثنية، والخضوع لاعتقادات فاسدة. تقوم فى الأصل على آيات الله الكونية، وهو ما لا يرضى عنه رب البرية.

ومن المؤكد أن الاعتقاد فى تأليه الليل. الذى ساد لدى الكلدانيين. لم يقف عند مجرد الاعتقاد. وإنما قاموا بتصدير هذه الاعتقادات إلى المدن والبلدان المتجاورة معهم[2]. والأخرى التى لها بعض العلاقات البينية المتنوعة من الثقافة والمعارف وغيرها، بل كانت التجارة أحد العوامل التى ساعدت فى نقل هذه الاعتقادات الفاسدة وانتشارها على آية ناحية كانت. وبجانب التجارة ظلت مشكلة التقليد والرغبة فى الاستزادة منه عاملا قويا تساعد ذلك كله على تعميق بعضها فى النفوس.

﴿ ٣. فى بلاد اليونان ﴾

عاش اليونانيون حول جملة من الآلهة يعتقدون فيها. ويقدمون لها العبادة. والكثير من الطقوس. ورغم كثرة الآلهة التى انتشرت فى بقاع اليونان كلها، إلا أن الليل كان له وجود فعلى كبير داخل نفوس أغلب أهل اليونان، بل إن صغارهم والكبار قد توقدت فى نفوسهم شعلة هذه الآلهة المتعددة. التى لم تنطفئ وثنياتها، وإنما كانت تزداد اشتعالا.

* **يقول ول ديورانت** : « كان لكل اسرة فى اليونان القديمة إلهها الخاص، توقد له فى البيت النار، التى لا تنطفئ أبدا، وتقرب له القرابين المتوالية من الطعام والشراب، بجانب الخمر الذى كان يتم تقديمه قبل كل وجبة. بل إن ذلك الاقتسام المقدس للطعام بين الآدميين والآلهة. اعتبر أولى الأعمال الدينية من القداسة بالطقوس القديمة أمام النار المقدسة، وكان الليل ينمى فيهم هذا الحماس الدينى المتزايد. على أنه الإله الأكبر. بل كان هذا الدين نفسه عاملا فى خلق الشعر الصوفى لدى اليونان أنفسهم »[3].

---

(١) الإمام الشيخ محمد بن سعيد المنيلاوى الحنفى – كلمة التوحيد ص١٣ ط دار مراد ١٣٢٧هـ.

(٢) يلاحظ أن الكلدانيين كانوا يقومون بعمليتين على التوالى: الأولى: عملية استقبال تلك الأفكار وتحويلها إلى عقائد، والثانية هى تصوير وتجسيد تلك العقائد الفاسدة بعد الإضافات التى تكون العقلية الكلدانية قد تمكنت من القيام بها.

(٣) ول ديورانت – قصة الحضارة – المجلد الثانى – الشرق الأقصى ج٦ حياة اليونان ص٣١٧/٣١٨ – ترجمة الأستاذ محمد بدران – الهيئة المصرية العام ٢٠٠١م.

صحيح كانت بلاد اليونان مسرحا لظهور العديد من الآلهة، بعضها مذكر، وبعضها مؤنث، وبعضها يجمع بين النوعين، وقد عبرت أشعار هوميروس عن مجمع الآلهة، الذين يظهر فى جبال الأولب، أشبه بالمجتمع البشرى فى تكويناته وعناصره، فمن الآلهة المذكرة زيوس السيد المسيطر القائد الأعلى، وهو عندهم أب الآلهة البشر جميعا، ومن الآلهة المؤنثة فهيرا حارسة الزواج، وافروديت إلهة قوة الحب، ومن الآلهة المركبة الإله أبوللو[1].

ثم الإله هرمس المكون من مجموعة من الأحجار توضع على جانبى الطريق للتوقير، وهو فى ذات الوقت رسول الآلهة الذى يرافق الموتى، كما انه إله الحرب عند الضرورة، لكن ذلك لم يمنع اليونانيين من استقبال الليل والتعامل معه على انه إله ينضم إلى مجموعات الآلهة التى كثرت، حتى صار لكل فرد يونانى إله خاص به عرفت باسم الآلهة الشخصية.

وكانت العقلية اليونانية قد استقبلت تأليه الليل أول الأمر على انه عادة تجيء مع آخر النهار، ثم تزول مع مطلعه، لكن تحولت هذه العادة إلى عبادة وعقيدة، وقد أخذت فى التطور المتوالى، حتى صارت من الضخامة بمكان، « بل صار بالإمكان القول بأن الليل تحول من مجرد عادة يومية إلى عقيدة مؤلهة »[2]، يمارسها الكثيرون من اليونانيين، جنبا إلى جنب مع جملة الاعتقادات السائدة فيما بينهم .

غير أن اليونانيين قاموا بتصنيع نماذج من التماثيل، تعبر عن تأليه الليل بظلامه، كما ترسم صورة لبعض ملامحه، وكعادة اليونان ظهرت هذه التماثيل - أول ما ظهرت - بين يدي الرعاة الذين برعوا فى تطوير هذه النماذج، وإدخال العديد من التعديلات الهيكلية عليها، وم يكن لأحد الحق فى دفع هذه الاعتقادات بعيدا عن ميدان الفكر اليونانى، أو الانتقال بها بعيدا عن مجال العبادة الجماعية، حتى وإن أمكن للبعض إبعاد هذه العقيدة الليلية عن مجال العبادة الفردية .

* **يقول ثورك**: « وبقدر ما كان الليل مظلما، فقد ألهب حماس أصحاب العقلية اليونانية فى تأليهه الى أبعد مدى، وبالرغم من أن العقلية اليونانية قد تندفع إلى تكذيب الخرافات. والنفرة من الأساطير، إلا أنها خضعت خضوعا تاما انهزاميا امام تأليه الليل، الذى قفز فوق

---

(١) الدكتور حسن محمد سالم - الحضارة اليونانية القديمة ص٨٧ سنة ١٩٥١م دمشق وهو يحيل عن الكثير من النصوص اليونانية.

(٢) الدكتور سنية محمد أبو سنة - عادات وعبادات قديمة ص٧٥ ط أولى مراكش ١٩٦٣م حيث قدت حصرا للعديد من العادات التى قفزت إلى عالم الاعتقادات وقد مارسها الكثيرون. دون أن ينظروا إلى المزاعم التى قامت عليها.

جميع الآلهة الأصلية والثانوية، وظل متربعا على القمة مدة من الزمان »[1]. ربما لم ينزله من تلك القمة سوى وجود العديد من الآلهة الأخرى التى ظهرت فيما بعد، وكانت لها سطوة جعلت اليونانيين يتناسون بعض الآلهة القديمة، أو يهملونها بعض الوقت.

وغير خاف أن جملة الاعتقادات الخرافية التى امتلأت بها بلدان العالم القديم، إنما كانت تعبر عن انعدام روح الولاء لله الواحد الأحد والاعتقاد فى وحدانيته، ثم الاستسلام لنزعات النفس الإنسانية الطافحة، ونزوات العقل الخاضع لسيطرة الهوى. قال تعالى: ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[2].

كما أن العقلية اليونانية قد غفل أصحابها عن حقائق ثابتة، هى أنهم ظلموا أنفسهم باتباعهم الهوى الذى ضل بهم عن سواء السبيل. قال تعالى : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾[3].

حيث يقول الله تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا: "بل اتبع الذين ظلموا" وهم المشركون "أهواءهم" في عبادتهم الأنداد بغير علم. "فمن يهدي من أضل الله" فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم، "وما لهم من ناصرين" إذ ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير[4]. ولو أدرك اليونان أن الليل يقبل ويدبر، يجن ويأفل، لأيقنوا أنه لا محالة مخلوق يشهد بوجود الخالق العظيم جل علاه.

٤. فى الجزيرة العربية

تحدث العرب الجاهليون عن الليل بالنسبة لساعاته الطويلة، وصمته الرهيب، بارده الشديد الذى يغلب الزمهرير، ودافئة المقترب من لفح النار، وكانت لهم نحوه توجهات رسمت فى أعماقهم بعض صور لطرائق الاعتقاد فيه والعبادة له، لقد اعتبروه كائنا حيا، ورسموا له بعض الصور الوردية تارة، والقاتمة أخرى، يستوى فى ذلك شعراؤهم والناثرون، بل والقصاص

---

(١) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٤٣ –ترجمة لطفى السيد فخرى ١٩٥١م.

(٢) سورة القصص – الآية ٥٠ . حيث يخاطب الله نبيه قائلا : « إن لم يستجيبوا لك يا محمد فاعلم أنما يتبعون أهواءهم وآراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان وأنه لا حجة لهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله و لا أحد أضل منه إن الله لا يهدي القوم الظالمين » [الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٢٩٥/٢٩٦]

(٣) سورة الروم – الآية ٢٩ .

(٤) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث .

والروائيون، ولم يكن لتأليه الليل عندهم استقلال فى عقيدة خالصة ،و إنما كان يتشارك الليل مع النهار، والشمس مع القمر، بل و الأرض والسماء، والأفراد والهيئات جميعا.

أجل كان العرب يتحدثون عن الليل على أنه مدرك حساس، يملك من الوسائل المعرفية الكثير، وأنهم ذكروا ذلك فى اشعارهم وأنثارهم، متى رأوا فيه مدعاة لمحمدة أو مفخرة. من ذلك :

- **قول امرئ القيس :**

وليل كموج البحر أرخ سدوله ∴ على بأنواع الهموم ليبتلى

- **وقول المتنبى[1] :**

الخيل والليل والبيداء تعرفني ∴ والطعن والضرب والقرطاس والقلم

---

(١) المتنبي هو الشاعر المشهور : أحمد بن الحسين بن عبدالصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي كان أبوه يعرف بعيدان السقا وكان يسقي الماء لأهل الكوفة على بعير له وكان شيخا كبيرا وعيدان هذا. كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلثمائة ونشأ بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظى عنده ثم صار إلى مصر وامتدح الأخشيد ثم هجاه وهرب منه وورد بغداد فامتدح بعض أهلها وقدم الكوفة ومدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالا جزيلة تقارب مائتي ألف درهم وقيل بل حصل له منه نحو من ثلاثين ألف دينار ثم دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان فقال هذه أجزل وفيها تكلف وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس عليه طائفة من الأعراب فوقفوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ويقال إنه كان قد هجى مقدمهم ابن فاتك الأسدي وقد كانوا يقطعون الطريق فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا له ما معه من الأموال فانتهوا إليه ستون راكبا في يوم الأربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام وقيل بل قتل في يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان وقيل بل كان ذلك في شعبان وقد نزل عند عين تحت شجرة أنجاص وقد وضعت سفرته ليتغدى ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاما له فلما رآهم قال هلموا يا وجوه العرب إلى الغداء فلما لم يكلموه أحس بالشر فنهض إلى سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسن وبعض غلمانه وأراد هو أن ينهزم فقال له مولى له أين تذهب وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني • والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال له ويحك قتلتني ثم كر راجعا فطعنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه وذلك بالقرب من النعمانية وهو آيب إلى بغداد ودفن هناك وله من العمر ثمان وأربعون سنة. [راجع البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - المجلد الثالث - ترجمة المتنبى]

لم يكن العرب الجاهليون ينسون الليل، ولكنهم دائما يفصلون بين مشاعرهم وقدراتهم العقلية واتجاهاتهم الوجدانية، كما حاولوا معرفة الفوارق بين الليل كمعبود، والليل كموئل يلجأ إليه العشاق، ثم تطورت هذه الاندفاعات حتى بلغت الذروة، فإذا هى تتحول إلى اعتقادات تعقبها طقوس ومراسم لم يكن من السهل التخلى عنها.

لقد كانت الشهامة العربية تفرض على أصحابها الالتزام بمبادئ ثابتة، حتى لو كان الليل أهم هذه المبادئ، وأعظم الأصول، وهو ما يقود إلى القول بأن العرب الجاهليين كانوا يستخلصون اعتقاداتهم مما يجرى فى أعرافهم، ثم تقوم حواسهم بتصنيع هذه الآلهة على الناحية التى تغلب عندهم، ومن ثم فقد كثرت إلهتهم وتعددت، ولم يكن الليل إلا أحد الرموز الطويلة. التى تم تأليها لدى بعض من سكان الجزيرة العربية، وأن ذلك كله قد تم كنوع من تقليد الآخرين أو اقتباسا منهم.

٥- اليهود[1]

قله من الناس ولدوا لآدم عليه السلام وحواء[2] - رضى الله تعالى عنها - كباقى البشر، نسبوا

(١) وردت مادة " هـ و د " فى القرآن الكريم حوالى ثمانى مرات. [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى] وجاءت فى اللغة على العديد من المعانى . من أبرزها :- ١- : الرجوع إلى الحق أو عنه ٢- التحول من الحسن إلى السيئ والعكس[المعجم الوجيز ص٦٥٤ - مجمع اللغة العربية] . ٣-: السير البطيء(مختار الصحاح ص٦٤١ أبو بكر الرازى) . ٤: المطاوعة والليونة(المصدر السابق) . ٥: الإنشاء فى البيئة التى وجدوا فيها(المصباح المنير ص٧٩٣ - الطبعة الثانية طبعة الأميرية ١٩٠٦) .٦: الشعب المعروف (المصباح المنير ص٧٩٣ - العلامة المقريزى) وتعرف فى اصطلاح علماء اللاهوت ومفسرى الكتاب المقدس :بأنه اصطلاح يطلق على جميع اليهود المشتتين فى العالم . سواء كانوا من الأصلاء ، أم من الدخلاء. [قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٤/١٠٨٥ - دار الثقافة ١٩٩٤م] ويعرف فى اصطلاح مفكرى الإسلام :- بأنهم أتباع موسى عليه السلام . والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة فى زمانهم ، واليهود من الهوادة ، وهى المودة أو التهود ، وهى التوبة ، كقول موسى عليه السلام إنا هدنا إليك(الإمام / ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ١ ص١٨٠ - الطبعة الأولى - دار الأندلس ص١٩٩٦م] . وقيل : هى كلمة تدل على رعايا دولة يهوذا فى عهد الاحتلال الفارسى . ثم أصبحت تطلق على كل من يعتنق اليهودية(الأستاذ / مصطفى السعدنى - الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص٦٨ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية] . وأصل اليهود من ناحية جنسهم « هو ذلك القول الغامض ، وهو أنهم ساميو الأصل ، لا يتميزون تميزا واضحا ، ولا يختلفون اختلافا كبيرا عن غيرهم من الساميين سكان أسيا . وأنهم لم يوجدوا تاريخهم ، بل ان تاريخهم هو الذى أوجدهم ، وإنا لنراهم من بداية ظهورهم خليطا من سلالات كثيرة »(ول ديوانت ميل - قصة الحضارة - جـ١ ص٣٢٨ - ترجمة محمد بدران - جامعة الدول العربية] .

(٢) حواء اسم عبرى معناه حياة، الاسم الذى أعطاه آدم للمرأة الأولى، لأنها أم لكل حى حالا بعد خلقه، أحضرت إليه لكى تكون معينا له، وقد تكونت حواء من جنب آدم. مع أنه يسود عليها وهى تخضع له. ولكى يمتحن طاعتهما منعهما من أن يذوقا ثمر الشجرة، لكن الحية تحت تأثير شيطانى قادت حواء فى الشك فى صلاح الله، ثم إلى أكل الشجرة المحرمة، ثم النهى على آدم أن يأكل هو الأخر، فأكل منها وشاركها ذنبها، وكانت النتيجة سقوط الإنسان، وطرد الزوجين المذنبين من الجنة . (قاموس الكتاب المقدس ص٣٢٨) . وهذا ما لا اتفق معهم عليه فيه، ولا يتفق معهم أى مفكر مسلم يستمد أفكاره من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وصارت حواء على التوالى أم قايين وهابيل وشيث وبنين وبنات آخرين. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٢٨).

إلى واحد يدعى يهوذا[1]، من اصل فارسى قديم، سكن جزيرة العرب مع زوجه وأنساله على سبيل الاستضافة، ثم استوطنها، وأقام بها، وقد بعث الله فيهم أنبياء كثيرين ومنهم سيدنا موسى بن عمران كليم الله، لكنهم خرجوا على شرع الله وكفروا به، و عبدوا آلهة كثيرة.

ثم جاءت أنسالهم فحرفوه ما بقى من التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى، وكتبوا بدلا منها ما أطلقوا عليه اسم العهد القديم، زاعمين أن بعض أسفاره هى التوراة الموسوية، وباقى الأسفار تمت كتابتها عن طريق الذين امتلأت قلوبهم بالعرفان، وقد وضعوا فى أسفار العهد القديم كل نكارة عقدية وأخلاقية، ودعوا إلى ممارسة الرذائل، زاعمين أنهم من سلالة إلهية متميزة، وأنهم أبناء الله، ولكن الله تعالى كذبهم فى كل ما زعموا هم وأمثالهم ممن ادعى البنوة لله، أو أبوة الله لهم. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾[2].

ونظرا لسلوكيات اليهود الشاذة وطبيعتهم المتعنتة، فلم يطق أحد الإقامة بينهم، كما لم يحتمل إقامته فيهم، لأنهم جبلوا على حب المال مهما كانت أسبابه حتى وإن كان جمعه لا يتم إلا عن طريق اغتصاب حقوق الآخرين والسعى لامتلاكها على كل ناحية، من غير اعتبار لشيء

---

(١) يهوذا : إذا أطلق فى العهد القديم، فإنه يدل على حمد، وهو رابع أبناء يعقوب من ليئة، وولد فيما بين النهرين، وأعطى هذا الاسم بسبب شكر أمه عند ولادته، ولا يذكر العهد القديم كثيرا عنه، ولكنه يذكر بعض حقائق هامة تتعلق به، وهو يهوذا ؛ وهو غير يهوذا بن سمعان الأسخريوطى، الذى يرد ذكره كثيرا فى العهد الجديد، وهو الأسخريوطى – التلميذ الذى خان سيده، ولقب بالأسخريوطى تميزا له عن يهوذا الأخر – راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٩، ولمزيد من الحديث عن يهوذا، الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس، يمكن الرجوع لقاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٩/١٠٨٥] وكان " يهوذا " فارسيا تزوج بقريبته ، ولم يطيقا البقاء فى بلادهم ، فتركوا بلاد فارس ونزلوا ارض العرب ، فأقاموا بها ، ولما كان العرب يسمون البئر بمن يجدونه عندها ، ويسمون الأرض بمن يقيم فيها ، فقد سمى المكان الذى مكث فيه يهوذا وعائلته بذلك الاسم ، ثم دخل فى الكلمة بعض التصحيف ، فصارت يهوذا ونسب أبناؤه إلى ذلك المكان – [راجع فى هذا الصدد رسائل العلامة الجاحظ – تحقيق الأستاذ / عبدالسلام هارون ، والأستاذ / أحمد أمين – فجر الإسلام . وغيرها من المصادر التى عنيت بهذا الجانب]

(٢) سورة المائدة – الآية ١٨

آخر، فكان ذلك من أسباب تفرقهم فى البلاد وبغض أهلها لهم، وبخاصة أثناء فترة الشتات، التى جعلتهم يتنقلون بين بلدان العالم كافة.

غير أنهم لما نزلوا بلاد الرافدين، وخالطوا سكان ما بين النهرين، وأقاموا تحت سلطانهم، فقد حاولوا ممارسة هذه الاعتقادات الوثنية، وكان قيامهم بها أول الأمر من باب إرضاء السلطة الحاكمة فى البلاد، التى يقيمون بها - كما هى طبيعة اليهود - غير أنهم عددوا فى الآلهة، وصنعوا للإله الذى اعتقدوه صورة متجسدة، تكشف عن استغلال العنصر اليهودى للأحداث، بغرض إثبات تميزهم عن غيرهم، حتى فى مجال الاعتقادات الفاسدة. ودليل ذلك أنهم رسموا لليل صورا مظلمة من كل ناحية، على شكل هولامى مرة[1]، وفى شكل إنسان أخرى، وفى شكل عليقة يخرج منها لهيب نار تعبر عن الرهبة والخوف، متى أمكنهم ذلك، وقد حرصوا على تسجيل ذلك كله فى كتابهم الذى وصفوه فيما بعد بأنه مقدس، رغم أنه الذى كتبته أيديهم.

* **يقول سفر الخروج**: « ظهر ملاك الرب فى لهيب نار وسط عليقة، فنظروا وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى لهم امهل عنكم الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الرب من وسط العليقة وقال له: موسى موسى فقال هاأنذا »[2]، كأن الرب عندهم يختبر حواس موسى فى كيفية التعرف عليه.

وما كان ظهور الرب لموسى فى العليقة إلا من خلال التمثال المسمط الذى يعبر عن الليل المظلم، الذى يعيشه شعب إسرائيل، ويرجون ان يستقروا فى أرض تكون لهم، إذ كانوا مازالوا على اعتقاد أنهم شعب الله المختار[3]، وأن الرب ياهو قد اصطفاهم لنفسه من بين شعوب العالم ليكونوا له وحده، كما كان هو لهم وحدهم، ومن الطبيعى أن يقف معهم حتى تتحقق لهم أمنياتهم التى كم طلبوها، وطال انتظارهم لها.

---

(١) الهولامى - الغير محدد المعالم والملامح كالكتلة التى تنبعج من كل ناحية. دون أن يكون لها شكل معين أو ملامح محددة، يمكن وصفه بها أو ضرب مثال فى تشبيهها.

(٢) العهد القديم - سفر الخروج ٣/٢ - ٤ .

(٣) الدكتور عبدالعظيم السيد سلطان - دراسات فى اليهودية ص١١٥ ط٢/١٩٣٧م.

كما يعتقدون أن الرب لعن الأرض، التي فتحت فمها فقبلت الدم الذى انسكب عليها، حيث قتل ابن آدم أخاه. يقول سفر التكوين: « ملعونة الأرض التى فتحت فاها، لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها، تائها وهاربا تكون فى الأرض »[1]

ولست أدرى: لماذا يقع اللعن على الأرض من الرب فى العهد القديم. مع أنها لم ترتكب ذنبا، اللهم إلا أن يكون مؤلفو العهد القديم قد حرصوا على إطلاق اللعن من الرب على كل الكائنات عدا اليهود، بحيث يتميزون بأنهم وحدهم الذين لم يقع عليهم اللعن من رب اليهود، حسب الاعتقادات الفاسدة التى يعملون على تثبيتها فى النفوس بأى شكل من الأشكال. وهم يتوجون أعمالهم الإجرامية بتلك الصيغ والعبارات، بغية الإيحاء للغير بأنهم وحدهم الذين لم يقع عليهم شيء من اللعن، أو الغضب الإلهى فى الوقت الذى انصب الغضب واللعن فيه على جميع الكائنات.

وهم قد وقعوا فى ضلال مبين، لأن الله تبارك وتعالى بين أن السماوات والأرضين وما بينهما لم يقع لآى منها نوع من العصيان، كما لم يقع تأخير نوع من أنواع الطاعة لله رب العالمين، ومن ثم فلا يقع على أى منهما لعن. دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾[2].

❂ **قال ابن عباس:** « يعني بالأمانة (الطاعة) عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم. إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها. فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فحملها، فذلك قوله تعالى: "وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" ومن الأمانة (الفرائض) عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: "وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" يعني غرا بأمر الله[3].

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٤ / ١٢ – ١٣ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٧٢ .

(٣) وإلى هذا الرأى ذهب مجاهد والضحاك والحسن البصري.

والأمانة الدين والفرائض والحدود[1]. وقال زيد بن أسلم الأمانة ثلاثة الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة، وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها. بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب. وإن تركها عوقب. فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه. إلا من وفق الله وبالله المستعان »[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها – أو قال – يكفر كل شيء إلا الأمانة. يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك. فيقول: أنى يا رب، وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به إلى أمه الهاوية، فيذهب به إلى الهاوية، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين" قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم. والأمانة

---

(١) وذهب أبي بن كعب إلى أن من الأمانة أن امرأة اؤتمنت على فرجها.

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٢٣. وعن الحسن البصري قال: عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم. وحملة العرش العظيم، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قال: قيل لها إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. قالت: لا، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شدت بالأوتاد، وذللت بالمهاد، قال، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال، قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا. ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب. قال، قيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيهن؟ قال لها: إن أحسنت جزيت. وإن أسأت عوقبت، قالت: لا. وقال مقاتل: إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسماوات والأرض والجبال، فبدأ بالسماوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة. فقال لهن أتحملن هذه الأمانة، ولكن علي الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ فقلن: يا رب إنا لا نستطيع هذا الأمر. وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعون، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقلن: لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق ولكنا لك سامعون مطيعون لا نعصيك في شيء أمرتنا به، ثم قرب آدم فقال له: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم: ما لي عندك؟ قال: يا آدم إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار. قال: رضيت يا رب، وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك: قد حملتكها فذلك قوله تعالى. "وحملها الإنسان". [الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٥٢٣]

في الوضوء، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله؟ فقل: صدق[1].

ومما يتعلق بالأمانة ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينام الرجل النومة فتنقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المجل[2] كجمر دحرجته على رجلك، تراه منتبرا، وليس فيه شيء - قال: ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله - قال: فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان، وما أبالي أيكم بايعت إن كان مسلما ليردنه علي دينه، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه. فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة. وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة"[4].

كما بين جل شأنه أن هذه الكائنات تجرى بمشيئة الله تعالى، ولما كانت المشيئة الإلهية يتعلق بها فعل الإجبار والإكراه، فقد عبرت آيات النقل المنزل عنه. قال تعالى: ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[5].

كذلك أخبر الله تعالى أن هذه الكائنات علويها وسفليها، قد فطرها الله على التسبيح بحمده والعبادة له، والاعتقاد الصحيح فيه جل شأنه. قال تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾[6].

---

(١) البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج٦ ص٢٨٨ - الحديث رقم: ١٢٤٧٢.

(٢) المجل: انتفاخ في اليد من العمل الشاق أو النار، منتبرا: متورما

(٣) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج٥ ص٢٣٨٢ - ٣٥ باب رفع الأمانة - الحديث: ٦١٣٢.

(٤) الإمام الحاكم - المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٣٤٩ - الحديث: ٧٨٧٦. والطعمة : الجهة التي يرتزق منها.

(٥) سورة فصلت - الآية ١١.

(٦) سورة الإسراء - الآية ٤٤.

لكن اليهود وغيرهم يصرون على وضع خطوط لاعتقادات من خيالاتهم، وهى تمثل عوائق بالنسبة لكل من يحاول الإقتراب من حبل الله المتين، المهم أن يظل اليهود وحدهم فى دائرة القرب، مع أنهم فى واقع الأمر أبعد ما يكونون عن رحمات الله. لأنهم كفروا بالله بعد أن نجاهم، وأهلك أعداءهم أمام أعينهم، ومع أن أقدامهم لم تكن قد جفت من البلل، إلا أنهم سارعوا إلى إعلان الكفر بالله الواحد، وطلب الآلهة المتجسدة. وقد حكى القرآن الكريم طرفا من ذلك صراحة، فى قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرآئيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾[1]، فظهر بعدهم عن الله الواحد الأحد، ووقوعهم فى الكفر بأنواعه من تعدد الآلهة ثم تجسيداتها، « وقد غلب على هؤلاء المتأخرين ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام. فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه، كما أن لهؤلاء القوم أصناما يعبدونها »[2].

۞ **يقول العلامة الحافظ ابن كثير** « عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به نبى الله موسى بن عمران، ثم عادوا للجهل والضلال، حيث إنهم مروا على قوم يعبدون أصناما فسألوا موسى آلهة لهم مثل ما نهؤلاء، فقال لهم مبينا أنهم لا يعقلون ولا يهتدون، وأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له »[3]، من ثم فإن طبيعة اليهود فى عبادة الآلهة المتعددة، والوقوع تحت التجسدات أمر ثابت عليهم.

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٣٨ .

(٢) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – الطبعة الثامنة عشر ص٢٢٧ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥ .

(٣) الإمام الحافظ ابن كثير – قصص الأنبياء ص٣٢٤ – دار الخير – بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م – الطبعة الخامسة. ويقول الإمام الطبرى فى تاريخه « ولما جاوز ببني إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين. ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة. ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى الله عز وجل فأقبل على فرس فرآه السامري فأنكره ويقال إنه فرس الحياة فقال حين رآه إن لهذا لشأنا فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر فقال لهم هارون يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم وإن حلي القبط إنما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها وإلا كان شيئا لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار وعدت بنو إسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان العشر خرج لهم والعجل فلما رأوه قال لهم السامري هذا إلهكم وإله موسى فنسي يقول ترك موسى إلهه ها هنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشي فقال لهم هارون يا بني إسرائيل إنما فتنتم به وابتليتم به. وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري، فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه فلما كلمه قال له وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري. فلما أخبره خبرهم قال موسى يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب أنا »[الطبرى –تاريخ الأمم والملوك ج: ١ ص: ٢٤٩/٢٥٠]

◈ **ربما يقال**: ما هو الدليل على أن اليهود اعتقدوا فى تأليه الليل، أو أنـهم أنزلـوه منزلـة الإلـه فى النفوس، وأنهم قدموا له القرابين والطقوس؟

والجواب من وجوه :

✽ **الأول**: ذكر بعض المؤرخين أن اليهود قبـل عصـر القبيلـة، كـانت تحكمـهم اتجاهـات تغلـب عليها الفردية، بجانب الأنا الذاتى، حتى دبت الخلافات بين أفرادهم،ورأوا أنهم هـالكون لا محالة، من ثم اجتمع بعض ممن نصبوهم فى مراكز الزعامة، وقرروا ضرورة الإيمان بالكائنات العلوية أو الاعتقاد فى قدرتها على دفع الأذى عن شعب الرب، بـل وتحقيـق أعلـى درجـات الأمن والأمان لهم[1]، ولم يفرقوا بين أى نوع من هذه الكائنات التى لابد لهم مـن التعلـق بـها والاعتقاد فيها، حتى ساد بين الناس القول بأنهم ألهوا كل ما خلق الله تعالى.

✽ **الثانى** : انهم زعموا اختباء الرب إلههم مـن وجـه أعدائـه حـين أراد نصـرة شـعبه، وإلحـاق الهزائم بالآخرين، وإذ لم يكن للرب نوع معرفـة بـالليل والنـهار، فقـد كـان عليـه أن يجـرى تجاربه، فإذا نجحت تجاربه – تعالى الله عن قولهم – أمكنه التطبيق العام[2].

✽ **يقول سفر التكوين** : « فى البدء خلق الله السماوات والأرض وكانـت الأرض خربـة، وخاليـة وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه الماء، وقال الله: ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النـور والظلمـة، ودعـا الله النـور نـهارا، والظلمـة دعاهـا ليلا، وكان من مساء وكان صباح يوما واحدا »[3].

---

(١) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٧٥.

(٢) فكرة تسجيد الأفعال الإلهية لدى اليهود تعبر عـن الوثنيـة الخالصـة التـى تسـرى فـى العـهد القديـم، ويتمسك اليهود بها تحت اسم البداء، على أساس أن الله تعـالى – تعـالى الله عـن قولهـم علـوا كبـيرا – لا يعرف النتائج التى يقوم بها، إلا بعد الممارسة كافرين بأن علم الله تعـالى محيـط بكـل الأشـياء، مـن قبـل الزمان، ومن بعده وسع كل شيء علما.

(٣) العهد القديم – سفر التكوين – ١/ ١–٥ . فالله خلق النور وأطلق عليه اسم النهار ، وخلق الظلمة وسماها ليلا ، فالليل والنهار أو المساء والصباح ، كما يذكر العـهد القديـم قـد وجـدا فـى اليـوم الأول قبـل خلـق الأرض التى لابد من دورانها تحت نجمها الشمس حتى يكون هناك ليل ونـهار أو مسـاء وصبـاح . علمـا بان أسفار العهد القديم تقرر أن الأرض لم تخلق الا فى اليوم الثالث (تكويـن ١ : ٩–١٣) ، وأن الشـمس لم توجد الا فى اليوم الرابع(تكوين ١ : ١٦–١٩) . فـلا معنـى – إذن – لوجـود الليـل والنـهار أو المسـاء والصباح ، وتعاقبهما بدون وجود الأرض والشمس ، إذ لا يعقل وجود الأثر قبل وجود المؤثر .

◈ **يقول الشيخ الإسناوى** : « إن نصوص الكتاب المقدس تكشف عن علاقة وليدة بين عبادة الليل ومؤلفى العهد القديم، ومن الصعب القول بأن مؤلفى أسفار العهد القديم لم يكونوا من أصحاب الاعتقادات فى تأليه الليل أو غيره من الآيات الكونية، لأن ذلك قول من يتعجل إصدار الأحكام من غير وقوف على المصادر الصحيحة »[1].

✽ **الثالث**: أن اليهود نظروا إلى الليل على أنه مظهر الإله، وأطلقوا عليه اسم الإله الليلى، كما اعتبروا النهار هو الآخر مظهر لذات الإله، وأطلقوا عليه اسم الإله النهارى[2]، ولست أدرى لماذا لم يطلقوا أيضا اسم الإله الشتوى. والإله الصيفى، وكذلك الإله الربيعى والخريفى، بحيث تغطى تسمياتهم الساذجة كل الفصول والأيام- تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - .

✽ **الرابع**: أن اليهود أثناء إقامتهم بالأمم التى نزلوا فيها مستضعفين، كانوا يمارسون أنواعا من الخداع لهذه الأمم، تمثلت بعض مظاهر ذلك الخداع فى تقليد هذه الأمم الوثنية فى اعتقاداتها، حتى كانوا يعلنون اعتقادهم فى عبادة الأفعى صباحا، فإذا نزلوا على من يعبدون العجل النحاسى ظهرا، تركوا ما كان لهم من عبادة الأفعى، وأعلنوا عبادة العجل النحاسى[3]، ولو نزلوا على من يعبدون البعل عشاء لأعلنوا تنازلهم عن الاعتقادات السالفة جميعها والتمسك بالمستجدة، وهكذا شأن اليهود أينما كانوا يعيشون على التضليل والتمويه، ويجيدون حبك النزاعات والصراعات، وهو ديدنهم إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿وبآؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[4]،

✽ **الخامس**: كثرة الخرافات وذيوع الأساطير فى الكتب التى يعتبرها اليهود مقدسة، ورسم هذه الخرافات وتلك الصور فى شيء من العناية حينا، والرعونة حينا آخر، كل ذلك يؤكد أن أسطورة تأليه الليل لم تسلم هى الأخرى من البصمات اليهودية، ولكن الإخراج هو الذى قد

---

(١) الشيخ محمد عبدالعظيم الإسناوى الشافعى – زبدة الأقاويل فى التوراة والإنجيل ص٩٥ طبعة الدار اليمنية ١٣١٤هـ.

(٢) الشيخ على محمد حكمت الله العقائد الوثنية ص١٧٧، وراجع نفس الأفكار فى زبدة الأقاويل للشيخ محمد عبدالعظيم الإسناوى ص٩٨ وما بعدها.

(٣) الدكتور عبدالعظيم السيد سلطان – دراسات فى اليهودية ص١٤٥ .

(٤) سورة البقرة – الاية ٦١ .

يختلف طبقا للطبيعة اليهودية، التى تعشق التمايز على الآخرين، حتى فى الجرائم التى ترتكب[1]، والصراعات التى تتم على أى مستوى كان.

* **ويقرر صبرى جرجس** أن العقلية اليهودية سعت إلى السير فى طريقين متخالفين، ورغم ذلك كانوا يتصورون انهما يتكاملان، بينما هما فى غاية الانفصال، وتظل ذات الفكرة تلح على عقول الآخرين من اتباع العقلية اليهودية .

☆ **الطريق الأول**: تقليد الآخرين فى اعتقاداتهم مهما كانت وثنية على سبيل الخداع لهم، والتمويه عليهم، دون نظر إلى شيء وراء ذلك.

☆ **الطريق الثانى**: محاولة إبراز امتياز اليهود على غيرهم بشتى الطرق، حتى لو كان ذلك فى الجرائم التى تنفر منها الطباع السليمة[2].

أجل التراث اليهود ممتلئ بالتناقضات وطافح بالمخالفات، وفى نفس الوقت فهو متشبع بتأليه الآيات الكونية، من غير تحديد، يستوى فى ذلك أن يكون التأليه لكائنات حية، أو جمادات خلقه، أو نباتات وزروع تتخالف أنواعها من ناحية القنوان الدانية والغير دانية، وهم فى كل هذه التناقضات لا يتوقفون عن طلب المزيد، فاستحقوا اللعن من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون • ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾[3].

يقول العلامة البيضاوى : « ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ﴾ حيث لعنهم الله فى الزبور والإنجيل على لسانهما، لأنهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ فلا ينهى بعضهم عن معاودة منكر فعلوه. ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ تعجب من سوء فعلهم، مؤكد بالقسم. ﴿ترى كثيرا منهم ﴾ من أهل الكتاب. ﴿يتولون الذين كفروا ﴾ حين كانوا يوالون المشركين بغضا لرسول الله ﷺ والمؤمنين. ﴿ لبئس ما قدمت لهم

---

(١) البيركامي – تاريخ الديانات القديمة ص٧١ – ترجمة أبو عزيزة ط أولى مراكش ١٩٤١م.

(٢) صبرى جرجس – التراث اليهودى ص٩٧ .

(٣) سورة المائدة – الآيات ٨١/٧٨ .

أنفسهم ﴾ أي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ﴿ أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ أي لبئس شيئا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود »[1] في العذاب.

ويقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : « قوله تعالى: "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم" جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء. وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم "على لسان داود وعيسى بن مريم" لعنوا في الزبور والإنجيل، فإن الزبور لسان داود، والإنجيل لسان عيسى لعنهم الله في الكتابين. وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: لعنهم مسخهم قردة وخنازير. قال أبو مالك: الذين لعنوا على لسان داود مسخوا قردة. والذين لعنوا على لسان عيسى مسخوا خنازير. وقال ابن عباس: الذين لعنوا على لسان داود أصحاب السبت. والذين لعنوا على لسان عيسى الذين كفروا بالمائدة بعد نزولها. وقيل: لعن الأسلاف والأخلاف ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم على لسان داود وعيسى، لأنهما أعلما أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث فلعنا من يكفر به.

وذلك اللعن قد وقع عليهم لعصيانهم واعتدائهم. وقوله تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ فيه مسألتان. الأولى: قوله تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا لبئس ما كانوا يفعلون من تركهم النهي وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم »[2]، وهل بعد ذم الله لهم ولعنهم أمر آخر.

وعن عبد الله بن مسعود قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل أول ما يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه – لتردنه الثانية – على الحق ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم][3]، أعاذنا الله منهم وجعلنا من أهل الله، وأصحاب شفاعة سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) الإمام القاضي البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٥٦/١٥٧

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج: ٦ ص: ٢٥٢/٢٥٤ –

(٣) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ٩٣ – الحديث رقم: ١٩٩٨٣

قال ابن عطية[1] والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه وقال حذاق أهل العلم وليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا، وقال بعض الأصوليين فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهي بعضهم بعضا.

واستدلوا بهذه الآية لأن قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا.

وقوله تعالى ﴿ ترى كثيرا منهم أي من اليهود ﴾ : « قيل كعب بن الأشرف وأصحابه وقال مجاهد يعني المنافقين يتولون الذين كفروا من المشركين وليسوا على دينهم لبئس ما قدمت له أنفسهم وسولت وزينت وقيل المعنى لبئس ما قدموا لأنفسهم ومعادهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون »[2].

ثانيا: تأليه النهار[3]

الليل والنهار من آيات الله تعالى الكونية، وهما من الأمور التى تجيء فيها الزوجية على سبيل التلازم، حيث لا يمكن تصور الليل إلا ويأتي معه تصور النهار، وكذلك لا يمكن تصور النهار حتى يجيء معه تصور الليل، غير أن بعض العقول قد لجأ أصحابها إلى الفصل بينهما . واعتبار كل منهما إلها، بل ومستقلا على طريقته الخاصة ، وأسباب اعتبروها قائمة عندهم لا تنقطع معهم و لا تنفصل عنهم.

وإذا كان البعض ممن مر ذكر طرف عنهم قد اعتقدوا أن الليل هو الإله ، فعبدوه وقدموا له القرابين ، فإن بعضا آخر قد لجأ إلى اعتقاد تأليه النهار وعبادته فى مستويات بعينها. وفى

---

(١) ابن عطية : هو الإمام الحافظ الناقد المجود عبدالحق بن الحافظ أبى بكر غالب بن عطية المحاربى الغرناطى، ولد سنة ٤٠٨هـ، واعتنى به والده، كان واسع المعرفة قوى الأدب، متفننا فى العلوم. توفى سنة ٥٤٢. [سير أعلام النبلاء. جـ١٤ ص٤٧٢].

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج: ٦ ص: ٢٥٤/٢٥٢ –

(٣) وردت كلمة النهار مفردا معروفة ونكرة فى القرآن الكريم حوالى تسع وخمسين مرة . [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٢١/٧٢٠]

بلاد بذاتها، فيقرر لوز « أن عبادة النهار كانت شائعة فى أوساط القدماء الذين ملأوا الحياة صخبا وضجيجا[1].

ومن ثم سأحاول التقاط بعض مظاهر تأليه النهار فى بعض الشعوب التى اعتقدت هذه الأفكار الساذجة، وسيكون ذلك طبقا لتوفيقات الله تعالى:

﴿ ١. عند السومريين ﴾

طبيعة السومريين فيها الكثير من الانطلاقات والانفلاتات الفكرية . بعضها واقع فى نطاق السعى والضرب بين جنبات الأرض، طلبا للرزق، كالحال مع الرعاة. الذين يبذلون جهودا متواصلة للتكيف مع الظروف المناخية ، وهم يرون النهار مصدر الأمن . ومظهر الحياة ، كما أن فيه إمكانية تفادى ضغوط الأعداء ،و الدفاع عن المال والولد ، واستنامة الوحوش الضوارى. بل والظهور أمام الآلهة بمظهر الطاعة الكاملة « إذ كان السومرى القديم يزحف إلى آلهته صباحا . مع ظهور أول ضوء للنهار يطلب منها الاستشارة فى حله وترحاله، وظعنه أو إقامته »[2]، ثم ينفذ ما تأمر به الآلهة - على ألسنة كاهنتها - من غير تردد.

يذكر لوز أن السومريين القدماء قد فشت فيهم عقيدة تأليه النهار مع الاعتقادات الأخرى، لاعتبارات كثيرة امتلأت بها رؤوسهم، وتزاحمت صدورهم، إذ كانوا يميلون إلى التعرف على مواطن الضعف فى خصومهم، حتى يتغلبوا عليهم، ومن ثم فقد رأوا النهار هو الذى يعينهم على الغلبة والظفر بالخصوم، كما يساعدهم على الاختباء منهم متى لزم الأمر[3]. ولذا كان تقديسهم للنهار لا ينقطع. وإقامة تماثيل له صارت فيهم صناعة يقوم بها المحترفون.

ثم إن ضوء النهار تقع لهم فيه اغلب الممارسات الحياتية على وجه التمام، وبالتالى فقد تخيل البعض أن فى النهار طاقات هائلة مبدعة، تجعله يفوز على الليل. ويبرز عنه، بدليل أنه الذى يزيحه من فوق كاهل الكون، حتى قالوا: لولا النهار لظل الليل جاثما على الصدور، إنهما يتصارعان على الدوام، لكن الغلبة تكون للنهار، ومن ثم فهو الجدير بالاعتبار والاعتقاد فيه ، معتقديم العبادة له، وذلك يستلزم أيضا ضرورة تقديم القرابين له[4]. على أساس أن المنتصر هو الذى يستحق إعلان فوزه والتفاخر بانتصاراته.

---

(١) المستشرق دان بى لوز - الاعتقادات القديمة ص١٥٣ - ترجمة رزق عبدالسهد ط أستراليا ١٩٤١م.

(٢) ألبير كامى - تاريخ الديانات القديمة ص٤٥ .

(٣) دان بى لوز - الاعتقادات الوثنية ص١٥٧ .

(٤) الشيخ محمد عبدالمقصود عطية - اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص٨٧ ويلاحظ ...

ومن المؤكد أن تصور الليل والنهار على انهما يتصارعان يفضى إلى اعتقاد الألوهية فى كل منهما، كما يؤدى إلى القول بفساد هذه الاعتقادات كلها، لأنه متى وقـع التعـدد فـى الآلهـة فقد تساقطت العقيدة عنها جميعا، يستوى فى ذلك أمر الغالب والمغلوب. المنتصر والمهزوم[١]، لا فـرق بين هذه وتلك من ناحية تلك العوارض.

٢- عند الصينيين القدماء

أمة الصين الأمم القديمة التى تعددت فيها الأمشاج البشرية. وتداخلت طبقا لذلك العـدد التركيبات الاجتماعية، حتى صار بالإمكان القول بان هذه الأمة تعددت عادات أهلها ولهجاتها. كما تعددت اعتقاداتهم والعبادات على نحو يجعل مـن الصعـب متابعـة الأنمـاط الحياتيـة وضبط الاعتقادات الدينية لدى أمة الصين بل عده الدارسون من أكثر الأمور التى يصعب الوقوف عليها.

بيد أن المتابعة الدقيقة للحركة العقلية المتجهة نحو البحث فى تاريخ الآلهة الإنســانية. تكشف عن « أن الصينيين القدماء قد عددوا في الآلهة إلى ابعد مدى، واعتقدوا فــى النـهار كإلـه كامل، وقدموا له الطقـوس والقرابـين أيضـا »[٢]، كمـا أقـاموا لـه التمـاثيل العديـدة والتجسـدات المتنوعة.

وكانوا يطلقون على هذه التماثيل والتجسدات المعبرة العديـد مـن الأسمـاء، كـل بحسـب المناطق او المقاطعـات، التـى تعتقـد فيـه، فمـن أسمـاء النـهار عندهـم: في، يـو، وهـو اسـم الإلـه العشائرى، كما سمي باى – ترنو، ومعنـاه الإلـه المنـير فـى مقابلـة الإلـه المظلـم،وهـو اسـم الإلـه الشعبى[٣]، وكذلك أطلقوا عليه اسم الإلـه في – شـيو، ومعنـاه الإلـه الشـخصى فـى مقابلـة الإلـه العشائرى والإله الشعبى أيضا.

---

(١) مسألة إبطال الآلهة المتعددة على النواحى العقلية قد أفاض فـى بيانـها علمـاء الإسـلام ويمكـن مراجعـة المواقف للإمام الإيجى ، وبخاصة الموقف الخامس فى الإلهيات، وشرح المقاصد للتفتازانى، والإمام الفخر الرازى فى المطالب العالية، والإمام الآمدى فى أبكار الأفكار وغيرهـا مـن المؤلفـات العلميـة التـى تركـها علماء أهل الإسلام دالة على مجهوداتهم العقلية فى إثبات العقيدة الدينية وتقريرها فى النفوس، وكذلك شاهدة على قدراتهم الذهنية فى دفع شبه الخصوم والدفاع عن ذات العقيدة على الأوجه المتعددة.

(٢) الدكتور على السيد رمضان – الصين وألهتها القديمة ص٩١ .

(٣) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١١٢ .

ومن الملاحظ أن هذه الأسماء كانت تحاط بسياج من آلهة ما قبل العصور التاريخية[1]، ومعنى ذلك أن الاعتقادات في الآلهة المتجسدة لدى أمة الصين قد تخطت مجرد التسميات إلى الذوات والأشكال، وهو ما يعني بوضوح أن هذه الأمة كانت الاعتقادات الوثنية فيها تجري في النهار، كما تجيء مع الليل كإله، وظلت هذه الأفكار يجرى بين أعطاف أهلها على أوسع نطاق.

❁ **يقول كاجدان**: « إن حركة التاريخ صادقة بنسبة كبيرة، وبخاصة حين تتحدث عن الأصول الدينية، التي كانت لها وجودات ثابتة في العصور القديمة، بدليل أن أمة الصين اعتبرت التعدد في الآلهة ضرورة من ضرورات الحياة، وكان الليل والنهار من أبرز العقائد الصينية. لكن مع تعديل في الأسماء والنعوت »[2]، وربما صاحب ذلك تعديل آخر، لكنه غير جوهري وقع في المقاطعات البعيدة من خلال الترتيبات التي جاءت متوالية معها.

❖ **ربما يقال**: لماذا أبرقت الاتجاهات القديمة والحديثة إلى الأمم التي سكنت العالم القديم، وعملت على بحث اعتقاداتها دون سواها؟

☜ **والجواب**: أن أمم العالم القديم التي بعدت عن توحيد الله جل علاه، كانت تتجه نحو العالم الميتافيزيقي، تبحث عن الله من خلاله في بعض الأحيان، وهذا الاتجاه هو الذى أتاح الانطلاق بالقلب نحو تغذيته بالإيمان المعرفي، كما سبق له الانطلاق بالعقل لإشباع الوجدان عن طريق العلم لا عن طريق البرهان؛ وكلما كان الانطلاق بالقلب أو العقل مرتكزا على توجيه الوحي الإلهي؛ فإن نتائجه تكون صحيحة.

أما إذا قام العقل والقلب على توجيهات النفس والهوى، فإن الاعتقادات التي تجيء عنهما تكون فاسدة على كل ناحية. قال تعالى: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[3].

---

(١) العصور لما قبل التاريخ، اصطلاح يتسع أحيانا فيشمل عدة آلاف من السنين. وقد يضيق بحيث لا يغطي سوى مساحة محدودة. [راجع للدكتورة نازلي إسماعيل – فلسفة الحضارة ص١٧١]

(٢) ا.ب كاجدان – الديانة والإلحاد في العالم القديم ص٥٣ ط موسكو ١٩٥٧م – ترجمة الدكتور خيري فاضل – مكتبة الأسد بسوريا ١٩٦٣م.

(٣) سورة النمل – الآية ٨١. يقول القرطبي: « وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم هو كفرهم، وليس في وسعك خلق الإيمان في قلوبهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا قال ابن عباس ومن خلقته للسعادة الذين هم مخلصون في التوحيد » [الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٢٣٣]

كما أن الحركات التى ظهرت فى الصين جاء أغلبها من خلال الدين أو الجانب الغيبى فى الآلهة، حيث وقع لديها الاعتقاد فيها، ومن ثم تعددت الآلهة الصينية فى أسمائها وصفاتها وأعمالها، على النحو الذى يبعث فى النفس رغبة التخلص من هذه الركامات، والانفلات بعيدا عن تلك الرغامات، بل والوقوف فى جانب واحد هو التحرر الفكرى من الموروثات الفاسدة. إذ ما قيمة علم من العلوم لا يرى صاحبه فائدة فى القيام بأعبائه

لكن الملاحظ هو ظهور تأليه الليل فى الاعتقادات الصينية بشكل خافت، أما تأليه النهار فكان يبدو فى العديد من الصور المتعالية ، مما يؤكد حرصهم الشديد على أن يظل النهار هو الإله السيد، ولا مانع بعد ذلك من أن يكون الليل هو الإله الثانى، الذى يخصص لخدمة النهار. أو على الأقل يكون هو الإله المساعد وليس المتساوى معه، وهى أفكار فاسدة؛ لأن الليل كالنهار، كل منهما آية من آيات الله تعالى. والتعامل معهما على ناحية بعيدة عن ذلك، تعتبر مخالفة شرعية.

٢. عند قدماء الهنود

بلاد الهند القديمة كان سكانها يعظمون النهار. إلى حد كبير، حيث ظهرت آثاره فى أشعارهم التى تغنوا بها، وملاحمهم التى حملت بطولاتهم، وتغنت بأمجادهم، إذ كانوا يعتقدون فى ألوهية النهار، ولذا فقد أوجبوا على أنفسهم الصيام له، وتقديم القرابين باسمه والذبح أمامه. كما اصطنعوا لأنفسهم بعض الترانيم والمفردات اللغوية التى توحى عباراتها بحرص القوم على إرضائه.

ذكر بعض الباحثين أن الهنود القدماء بذلوا ما فى طاقتهم لإرضاء النهار على إنه إله عظيم، وكانوا ينتظرون إلى اليوم الذى يعتدل مناخه على أنه صورة تعبيرية عن موافقة الرب النهارى على ما يقومون به. وكانوا ينظرون إلى اليوم الحار على أنه نوع من غضب الرب عليهم. وكذلك الحال فى البرد الشديد، الذى ينظرون إليه على أنه إمساك الرب وصومه عن موافقة الآخرين، من ثم فقد رسموا له العديد من الرسومات، وصنعوا الكثير من التجسدات التى تعبر عن أحواله الثلاثة[1]، بحيث يتميز كل تجسد منها عن أقرانه ، كما كانت القرابين هى الأخرى متفاوتة فى أشكالها وأنواعها ، طبقا للتماثيل المتقاربة فى مواقيتها ونوعياتها.

- **يقول الشيخ حكمت الله** : « إن تأليه الآيات الكونية . قد شغل العقلية الوثنية على امتداد تاريخها الطويل ، وكانت الهند كأى أمة من الأمم أو شعب من الشعوب التى ارتضت السير فى الأوحال والسقوط فى أوكار الشياطين. إذ قد كانوا يعتقدون فى جملة من الآلهة، التى تحمل الكثير من الغرابة. مع أنها ضعيفة هشة، حتى النهار الذى صنعوا له أمثلة لم تكن

(١) الشيخ على فضل الله – بلاد الهند واعتقاداتها القديمة ص٩٧ – الطبعة الأولى ١٩٣١م.

على مستوى المنافع التى أدخلها إليهم، ومن ثم فلم تكن قدراتهم العقلية تتساوى مع اعتقاداتهم الدينية[١]، وإنما كانت تنحط عنها درجات مما جعل عقائدهم تجيء على كل ناحية وثنية.

أجل لم ترق هذه الهلاوس لأصحاب العقول الذكية والنفوس الكبيرة، ولذا هاجموها كما هاجموا الداعين إليها القائمين عليها[٢]، دون أن يقيموا لبعض أسمائها اللامعة وزنا، إذ لا قيمة لعقل يحجب عن صاحبه رؤية الحق، أو يدفعه لاعتناق الباطل، أو يقوده إلى التخلى عن العقيدة الإلهية، إنها عقول لا تفقه وشأنها الإهمال لا الأعمال.

ومن المؤكد أن تحرير هذه الاعتقادات على الوجه الذى جاءت منه فى لغة تعبيرية، ثم تحليلها على الناحية التى لابد أن ترتد إليها، يكشف عن امتصاص العقلية الهندية القديمة لكثير من الاعتقادات الوثنية ما ليس من اليسير الوقوف على مصادرها من الناحية الدقيقة، وإن أمكن التعرف عليها من الناحية التى تنبعث منها، أو يكون لها وجود داخل المؤلفات التى عنيت بهذه الجوانب.

وفى تقديرى: أن ديانات الهند التعددية . قد انطلقت على كل ناحية . وقد جرت سنة الله تعالى فى خلقه ، أنه متى بعث فيهم الرسل وصدقوا بهم، فإن الله تعالى ينقلهم من الظلمات إلى النور، اما إذا ضلت الأمم وخرجت عن شرع ربها، فإنه تعالى يرفع عنهم نور الإيمان ، حتى يقعوا فى ظلمات لا ينفكون عنها. قال تعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك

---

(١) الشيخ على محمد حكمت الله –العقائد الوثنية ص٦٢ .

(٢) حيث كتب السير وليم توماس كتابا تحت عنوان : هل كان النهار إلها، وتندر فيه من الأفكار التى لا تعبر إلا عن تصورات ساذجة، وانفلاتات عقلية واهية ، وكذلك صنع كوسينوفسكى، حين كتب كتابا أسماه حين كان الشمس إلها، والغريب أن الكتابين طبعا فى موسكو وترجما إلى الهندية والأوردو ، كما ترجم إلى العربية ، وكلاهما يسخر من هذه الافتراءات التى تكشف عن اختلال فى موازين الفكر، وضعف أصحاب تلك العقول .

أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1]

﴿ يقول العلامة ابن كثير: « يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب، إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير. وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان، وبالتالي فهم يزينون لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات، لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة »[2]، وقال تعالى: ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٥٧ . وفي تفسير الآية يحدثنا العلامة ابن جرير الطبري – رحمه الله – : « يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه، حيث ﴿ يخرجهم من الظلمات ﴾ يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه. فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر. وظلم سواتر أبصار القلوب. ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به، فقال: ﴿والذين كفروا﴾ يعني الجاحدين وحدانيته ﴿ أولياؤهم ﴾ و نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم، ﴿ الطاغوت ﴾ يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، ﴿ يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ من الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات، ويعني بالظلمات: ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله » [راجع جامع البيان عن تأويل آي القرآن للعلامة ابن جرير الطبري – طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ – الطبعة المصرية]

(٢) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣١٣

(٣) سورة مريم – الآية ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام – الآية ١٢٥ .

اجل إن الاعتقادات فى تأليه النهار لم تكن فى بلاد الصين والهند وحدها، وإنما ظهرت تماثيل متجسدة للنهار كإله لدى كل من البابليين والأشوريين وغيرهم، فيذكر كامى أن الليل والنهار قد ارتسمت لهما فى عقول البابليين والأشوريين العديد من التصورات، التى ظهرت فى تجسدات متعددة ، وأشكال متباينة ، وبخاصة عندما كانت الشمس تتعامل على موقع من المواقع، أو مكان من الأمكنة بينهم[1]، وفى نفس الوقت يظل النهار هو الإله المتعالى على باقى الآلهة.

ولم يكن المصريون القدماء بمنأى عن هذه الاعتقادات، إذ انتهت بعض الدراسات فى هذا المجال إلى أن المصريين القدماء، كانت لهم اتصالات وثيقة بالآلهة التى صنعوها، ولم يكن يتم الإعلان عنها بشكل كامل ، حيث نبه إلى تقديس هذه الاعتقادات بعض الكهنة الذين تعلق بهم بعض أفراد الشعب ، الذين اعتقدوا أن بإمكان الكهنة التحول مع الآلهة من جهة إلى أخرى، وقد قلد الكهنة بعضا من قادة الشعب الذين كانت لهم القدرة على قيادة غيرهم حينئذ، فكانت عبادة النهار اقرب إلى المعبودات الخاصة التي تجرى فى أعراف الكهنة والقادة المتميزين[2]، بحيث يمكن القول بأن هذه الاعتقادات الجديدة كانت لها مظاهر عديدة فى الفكر المصرى القديم.

وهى نتائج يجرى فيها التعميم بين تأليه كل من الليل والنهار والاعتقادات الأخرى، كما أنها تحرص على إيجاد نوع من العلاقة بين البابليين والأشوريين ، وقدماء المصريين أيضا ، مما يدفع إلى القول بأن عبارات كامى فى هذا الشأن تحتاج نوعا من المراجعة على ناحية من النواحى الفنية.

على أن ما يمكن الالتفات إليه هو أن تأليه النهار أو عبادته لدى المصريين القدماء « انما كانت تقوم على مجرد الاعتقاد النظرى الخالص، وأنهم دونوا هذه الاعتقادات فى مكتوباتهم، غير أنهم لم يقيموا لها تماثيل وتجسدات ، كما لم يصنعوا لها طقوسا »[3]، وهو ما يمثل نوعا من التطور الفكرى فى التعامل مع الأفكار الوافدة إلى العقل ، بعيدا عن أنوار الوحى المنزل.

---

(١) الشيخ على فضل الله – بلاد الهند واعتقاداتها القديمة ص٩٧ .

(٢) المستشرق البيكامى – الديانات القديمة ص١٣٢ .

(٣) الدكتور فوزى محمد شبل – دور الفراعنة فى العقائد المصرية ص١٥٣ وهو يذكر أنه استقى هذه الأفكار عن مستشرقين لهم اهتمامات متزايدة بعلم الآثار والحفريات باعتبار أنهم الذين أمكنهم اكتشاف بعض الجمل والإشارات المعبرة عن ذات الأفكار والمعتقدات.

لكن تأليه النهار رغم شيوعه النظرى فى أوساط كهنة المصريين القدماء، إلا أن هؤلاء الكهنة ربما أسرفوا فى التعرض له . كما أسرفوا فى تقديم الترانيم التى تم تأليفها حتى تكون خاصة به، مما يؤكد الفكرة السائدة ،وهى أن الاعتقادات الوثنية دائما تصنعها خيالات أصحابها، وأن المظاهر الاعتقادية لها ليست سوى صورة مكررة لما سبق القول به فى ديانات وثنية سبقت عليها.

❁ **وفى تقديرى**: أن الفكر الإنسانى إذا لم تكن له توجهات نحو الحق جل علاه، وتوجيهات تأتى ذات الفكر من ناحية أنوار الوحي. فإن هذا الفكر حتما يضل،ويجعل أصحابه فى الشقاء والتعاسة يعيشون. قال تعالى: ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فـي الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾[1]

على أن المصريين القدماء كانت تطلعاتهم لآيات الله الكونية، تسير فى اتجاهات متناقضة مع بعضها ، ففرعون مصر ينظر إلى النيل حتى إذا فاض، أوهمهم أن النيل يفيض من تحت قدميه، ويجرى طبقا لتعاليمه. وبالتالى فكل الثمار والزروع والحدائق الغناء والكرم المتلئ، إنما هو من فيض عطايا هذا الفرعون، وليس من أنعم الله ورحماته. قال تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ◦ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ◦ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ◦ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾[2].

❁ **يقول الحافظ ابن كثير** – رحمه الله – « إن فرعون جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها: ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾؟ حيث كانت لهم جنات وزروع وأنهار ماء ﴿ أفلا تبصرون ﴾؟ فترون ما أنا فيه من العظمة والملك؟ فى الوقت الذى يظهر موسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وكان فرعون لعنه الله يقصد بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة[3].

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٣٩

(٢) سورة الزخرف – الآيات ٥١/٥٤. يقول العلامة أبو السعود « يريد فرعون بندائه هذا استعظام ملكه، وتنقيص قدر نبى الله موسى فى اعين الناس، مخافه ان يومنوا به. وهو بهذا يكون قد استنفرهم، وطلب منهم الخفة فى مطاوعته. [العلامة أبو السعود – إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم – ج٤ ص٥٤٧ – دار العصور للطبع والنشر ١٣٣٧هـ/١٩٢٨م]

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير تفسير القران العظيم ج٤ ص١٣٠.

كما وصف موسى بأنه مهين فلا ملك له ولا سلطان ولا مال ولا يكاد يبين عن كلامه فهو عيي حصر، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وإنما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه والسلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب[1]

كما أن هؤلاء الفراعين في تأليههم للآيات الكونية من الليل والنهار، أو الشمس والقمر أو النيل والأرض والسماء، إنما كانوا يقصدون تنصيب أنفسهم على رءوس الشعب باعتبارهم ورثة الآلهة، فيقع لهم التأكد من أن الشعب لن يثور عليهم، حتى وإن كانوا اكثر الناس ظلما وأشدهم فسقا، وأبعدهم عن الله تعالى.

۞ **يقول الشيخ البيطار** : « لقد نجح الفراعين فى تعبيد إفراد الشعب لهم ، مستغلين الانطلاق الدينى والثورة القائمة فى النفوس على ناحيته ، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتلاع العقيدة الإيمانية ، بأن خلف هذا العالم الحيوى الذى نعيشه عالم آخر تقع فيها المساءلة ويتم الجزاء[2] ، ولكن هذا الاعتقاد خفف من حدة النزوع نحو العقائد الوثنية التى كان وجود كبير فى النفوس.

﴿ ٥ـ عند اليهود ﴾

تعددت هجرات اليهود المجاورة والمتباعدة أيضا، حيث نزحوا إلى بابل وأشور، كما نزحوا إلى بلاد مصر القديمة، أيام أن كانوا يحصلون منها على الميرة – التموين الأساسى – ولم تكن تلك الهجرات تتم فى شكل نمطى تقليدى . وإنما اتخذت أشكالا متعددة من ناحية الأعداد النازحة : والغاية من الهجرة، وفى كل مرة كانت الأسباب تجيء متخالفة.

---

(١) بل فرعون هو المهين الحقير خلقه وخلقا ودينا وموسى هو الشريف الصادق البار الراشد وقوله ولا يكاد يبين افتراء أيضا فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وبتقدير أنه يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولايذم عليها وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا وإنما أراد الترويج على رعيته فإنهم كانوا جهلة أغبياء.
[الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٣٠]

(٢) الشيخ محمد على البيطار عقائد مصر القديمة ص١٢٣ ط أولى الدار اليمينة ١٣١٥هـ

* **يقول العهد القديم**: « قطع الرب مع إبرام ميثاقا، قائلا له: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1]، فهم ذهبوا للتعرف على الأرض التى منحهم إياها الرب.

غير أن اليهود لما كانت هجرتهم المتواصلة إلى كل من بابل وأشور والمصريين القدماء بجانب الكلدانيين « فقد اقتبسوا منهم الاعتقادات المتوالية فى تأليه النهار، حيث اتخذ أشكالا متعددة وتجسدات لم تنقطع »[2].

بل قد بلغوا حد الوله بهذه الاعتقادات الفاسدة، طبقا لطبيعة اليهود ورغبتهم فى الانعزال عن الآخرين، كما حاولوا إضافة المزيد إليها من عمليات التطور لهذه المعبودات، بغية أن تكون فى النهاية خالصة لهم»[3]، وكما يحرص اليهود على إبراز تمايزهم عن الأمم الأخرى، مهما كانت هذه التمايزات خارقة للقوانين والأعراف القائمة أو الأصول العامة ، وهل بعد تجسيداتهم للإله ، ونعتهم له بالصفات التى هى من طبيعة المخلوقين شيء آخر يمكن النظر فيه.

ثم إن هذه النعوت التى ألصقوها بالله تعالى بغية استخلاصه لهم ، أو خلوصهم له كلها فاسدة، ومع ذلك فهم لا يتوقفون عن إعلان كونهم أبناء الرب، كما لا يتوقفون عن ممارسة عقائد فاسدة زاعمين أن الرب إلههم قد أمرهم بها، أو دفعهم إلى ممارستها، وهم فى كل ذلك إنما يفعلون الفواحش والله يأمر بالعدل والخير ولا يأمر بالفحشاء أبدا.

﷽ **قال تعالى**: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون • قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾[4]، ولا حجة لهم فى أن آباءهم قد فعلوها، حيث لا يسوغ لهم فعل الفواحش وجود آبائهم على القبح، فعد ذلك جهلا،

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ١٥ / ١٨ – ٢١ .

(٢) القس صبرى جرجس – التراث اليهودى ص١١٥ ط دار المحبة.

(٣) المستشرق جون دوهان – اليهود واعتقاداتهم ص٨٧ وهو يذهب إلى أن العقلية اليهودية رغم تشبعها بالاعتقادات الكثيرة، إلا أنها كانت تطلب المزيد من الآلهة، ولا تتوقف عقلياتهم عند حد معين من الآلهة .

(٤) سورة الأعراف – الآيتان ٢٨/٢٩ .

واستنكر ذلك منهم لأن ذلك قولا على الله بغير علم. والدليل على ذلك حاصل مشاهد[1]. وسلوكيات اليهود اليومية. فضلا عن اعتقاداتهم الوثنية. من الأدلة على أنهم كفروا برب البرية.

أجل قدس اليهود الليل واعتقدوه إلها، ثم عبدوه، وقدموا له القرابين والطقوس، ونفس الصنيع منهم كان مع النهار، حيث ذكروا أنه إلههم وكان يأتيهم في صورة الليل البهيم، حتى يظلهم أثناء سيرهم في واضحة النهار، كما كان يأتيهم على صورة النهار في الليل بغية ان يضيء لهم الطريق، فهم صنعوا ألهتهم بأنفسهم، وجعلوها نهارا مرة وليلا مرة أخرى، وقدموا لكل منهما نماذج متجسدة وردت في أسفار العهد القديم مستخدمة السحاب تارة كمعبر عن الليل، والنار كمعبر عن النهار[2]، ولذا قدسوه كما عبدوه واكثروا من تقديم القرابين والطقوس له

ولئن كانت عبادة اليهود للقوى الطبيعية قد أخذت جانب الغموض حينا. إلا أنها حركت في نفوسهم الاتجاهات المتزايدة نحو الأماني التي يبحثون عنها، ويكثرون في طلبها والإلحاح عليها، كما أن هذه الاعتقادات الوثنية قد بعثت فيهم الرغبة المتواصلة لخوض غمار الصور والاعتقادات الوثنية، ومحاولة ابتلاعها سواء تمكنوا من هضمها فيما بعد. أم ظلوا

(١) الشيخ سليمان عبدالله الأشقر – زبدة التفسير ص١٩٦. يقول العلامة ابن كثير: «قال مجاهد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، فأنزل الله وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قلت كانت العرب ماعدا قريشا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الحمس يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحمسي ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحمسي ثوبا طاف عريانا وربما كانت امرأة تطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئا ليستره بعض الستر فتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم وابتدعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع فأنكر الله تعالى عليهم ذلك فقال وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فقال تعالى ردا عليهم قل أي يا محمد لمن ادعى ذلك إن الله لا يأمر بالفحشاء أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك أتقولون على الله مالاتعلمون أي اتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته».[العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٢٠٩/٢١٠]

(٢) المستشرق جورج دوان – خرافات التوراة والإنجيل ص٦٣ ترجمة الأستاذ سعيد محمد الفيومي ط أولى ١٩٥١م، وراجع للمستشرق روهان – اليهود واعتقاداتهم ص٩٧.

يخشونها فتقفز إلى حلوقهم أو تمضي إلى أعماقهم ، المهم أنها اعتقادات وثنية قعدت لأصحابها على قارعة الطريق، فأما أن تنالهم بسوء، أو تنال من ممتلكاتهم وملكاته، وذلك ما يجعلهم يتحسرون لأنهم مروا عليها، ولم يغترفوا منها.

وفي تقديري: ان الاعتقاد في تأليه كائنات مخلوقة: علوية كانت أم سفلية، على أنها آلهة ما هو إلا دليل على إفلاس المتجهين إليها في العقيدة والعبادة معا. أما لماذا؟

فلأنها كائنات مخلوقة لله تعالى، ومن كانت طبيعة الاعتماد في وجوده على خالق عظيم، فإن هذه الطبيعة ذاتها تستلزم الاعتقاد والعبادة للخالق العظيم، وهو الله جل جلاله. قال تعالى: ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾[1].

وليس من شأن المخلوق أن يكون إلها أبدا، حتى في أفهام من عجزت عقولهم عن تدبر أحكام الله وآياته، لأن الكفر بالله ليست له قاعدة ، وإنما هو خروج على الله وما شرع الله تعالى بريء من أصحاب هذه الاعتقادات. قال تعالى: : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾[2].

﴿ ٦ـ عند الكلدانيين ﴾

انتقلت الكثير من الاعتقادات القديمة إلى البلدان التي وقع بين أهلها نوع من التبادل في التجارة والمعاملات المالية، وراحت هذه الاعتقادات تطارد أصحابها من غير توقف ، كما تطارد غيرهم على سبيل التبع، بل صارت هذه الاعتقادات الوثنية تسعى بين الناس الذين يتقبلونها ، وهم في نفس الوقت الذين يبذلون جهدهم، حتى يحتفظوا بها ، فدخلت الأساطير والخرافات إلى مجال الاعتقادات بشكل واسع، بدليل أن المصريين القدماء كأمة ضارة في أحضان القدم ، كانوا يشعرون بغبطة وسرور وهم يتنقلون بين هذه الأساطير الساذجة، التي أمتلأ بها أدبهم الديني[3]، وجاءت فيه على سبيل التصريح المباشر لا على سبيل التلميح.

لم يكن حال الكلدانيين مخالفا لغيرهم، ممن ألهوا النار، وإنما أضافوا إليه ما يقع من اللاحق مع ما تركه السابق من تجسيد للنهار في تماثيل متنوعة ومتعددة ايضا، وطوروا في هذه العقائد النهارية التي رسمت لها صورة كانت في اغلب الأحيان أقرب شبها « بالصور التي رسمت للإلهة الشمس، حيث ظهرت صور اعتقادات معبرة عن أول النهار ، وصور أخرى معبرة

(١) سورة الأنبياء – الآية ٣٣ .

(٢) سورة النساء – الآية ٤٨ .

(٣) جيمس هنري برستيد – فجر الضمير ص٤٦ .

عن إله وسط النهار. ثم صور تجسدا له آخر النهار »[1] وكلها ترسم حركات الشمس في يوم صائف

أجل انتقلت العشائر الكلدانية بالعقائد من دور البداوة إلى طور الحضارة، الذى تبعه ظهور العديد من العقائد الأصلية والأخرى الثانوية. حتى برزت العقيدة النهارية فى أشكال متعددة. يقول جون فيكتور « كان الكلدانيون يستقبلون الإله النهارى بالطقوس المتزايدة والقرابين التى لا تنقطع. اعتقادا منهم أنه الذى يخصب الأرض. فيقع لها النماء، كما أنه الذى يجدد خصوبة الماء والزروع. وقد امتدت كله إلى الحيوان والإنسان أيضا »[2]

إذا اعتقاداتهم فى تأليه النهار لم تكن قائمة على التقليد المجرد. وإنما صاحبه النظر إلى بعض المنافع، التى اعتقدوا أنه يجلبها. أو يحقق القيام بها. وفى نفس الوقت انصرفت هذه الاعتقادات إلى نموذج أكثر اندفاعا من ذى قبل. حيث انتهى الأمر إلى اعتقاد أن النهار إله كامل خالق. له من صفات القدرة والإدراك والإرادة ما يجعله متربعا فوق جميع الآلهة الأخرى.

* **يقول اسكورت**: « لقد عانى الشرق القديم من صراعات متعددة، كان أخطرها ما يتعلق بالأديان التى أرسلتها السماء ، والأخرى التى أنشاها أصحابها ، وتمسكوا بها فى مقابلة الأديان العليا، حتى بات ذلك الصراع حتميا، وإن كان النصر يأتى غالبا مع الأديان السماوية، إلا أنه يكون خافتا ، ويسرع فى التلاشى »[3]، على أساس أن الذى يجيء به يقع العدوان على حياته الشخصية

ولئن بدت العقلية الكلدانية متحررة فى بعض الأحيان. إلا أنها لم تكن على ذات المستوى من الناحية الدينية، لأن هذه العقلية لم تنظر للنهار على أنه مخلوق لله تعالى. وإنما نظر أصحابها إليه على أنه خالق. وهذا مكمن الخطر. باعتبار أن تحويل المخلوق إلى خالق يمثل جريمة، فى حق العقل الذى أودع الله تعالى بداخله أسس معرفته جل علاه، كما تكون جريمة فى حق القلب الذى أودع الله فيه الأنوار الدالة عليه. كما تكون نوعا من العدوان على الفطرة التى خلقها الله ناطقة بوحدانيته، قال تعالى: ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾[4]

---

(١) الشيخ محمد منصور الديداموني – بلاد الرافدين وحضارة الأشوريين ص١٩٥ مطبعة الهدى ١٣٣٩هـ.

(٢) أ. جون فيكتور – عقائد الشرق القديم ص١٥١ – ترجمة عبدالعظيم بن عيشان ١٩٣١م.

(٣) جوتفريد مارتن اسكورت – الفكر الشرقي القديم – العقائد والعبادات ج١ ص١٩٣ ترجمة زكريا عبدالعظيم ١٩٣٧م.

(٤) سورة النمل – الآية ٨٦ .

والله جل شأنه بين أن الليل والنهار من رحمات الله تعالى، وأن كلا منهما له غاية ويقوم بمهام قيده الله تعالى بها. قال تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾[1].

والذى تطمئن إليه النفس ان أصحاب الاعتقاد فى تأليه الليل أو النهار قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا، لأنه لا خالق إلا الله تعالى، ولا رازق الا هو جل علاه، وكل الكون راجع إليه سبحانه و تعالى ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾[2].

وقد اخبر جل شأنه أن اختلاف الليل والنهار يقع بالطول والقصر كما يقع بالحر والبرودة، كذلك يجيء فى النور والظلمة، وكلها من الأدلة على أنها تجرى بقدرة الله تعالى، خاضعة لإرداته، وتعمل تحت رعايته، وهى من الدلائل على وجود الله تعالى وكمال صفاته. قال تعالى: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[3].

❁ **يقول الحافظ ابن كثير**: « إن في خلق هذه السماوات من ناحية ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها وهذه الأرض في كثافتها وأنخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة[4]، وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان[5].

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها[6].

---

(١) سورة غافر – الآية ٦١ . ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سورة يونس – الآية ٦٧ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٦٢ .

(٣) سورة البقرة – الآية ١٦٤ .

(٤) كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون.

(٥) كما قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد في هذا ومن هذا في هذا.

(٦) كما قال تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون .

وبث فيها من كل دابة أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك[١]

وتصريف الرياح فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دبورا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة[٢].

والسحاب المسخر بين السماء والأرض وهو سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى لآيات لقوم يعقلون ما فى هذه الأشياء من دلالات بينة على وحدانية الله تعالى[٣].

وعن ابن عباس قال « أتت قريش اليهود فقالوا بم جاءكم موسي قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى قالوا كان يبرئ الأكمة والأبرص ويحيى الموتى فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت هذه الآية إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب فليتفكروا فيها »[٤].

كما أن الآيات القرآنية لم تقف عند مجرد التركيز على خلق الله الليل والنهار، وغيرهما آيات الله الكونية، وإنما ذكرت أن اختلاف الليل و النهار على آية ناحية يكون الاختلاف، إنما هو من الدلائل القوية على استحالة كونها معبودة. من دون الله تعالى، وإنما هى عابدة له جل

---

(١) كما قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين.

(٢) ولقد صنف الناس في الرياح والمطر والأنواء كتبا كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها.

(٣) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص٢٠٢/٢٠٣. قال تعالى إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار.

(٤) الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج١٢ ص١٢ رقم: ١٢٣٢٢. وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال: « قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال وتفعلون قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال ان ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول ان شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة » [مسند أحمد ج١ ص٢٤٢ – الحديث: ٢١٦٦. والحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢٦٨ – ٤٠ كتاب التوبة والإنابة – الحديث٧٦٠١]

علاه، لأن العقول الصحيحة ترفض الوقوع في عبادة الآلهة المتخالفة، ولو بالظهور والأفول . كما ترفض الوقوع في اعتقاد جملة من الآلهة المتوافقة لاستحالة وصف أي منها في كل الحالات بأنه إله، وإنما لابد أن ترجع كلها إلى الله تعالى وحده، في كل شيء. قال تعالى: ﴿ وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾[١].

فوق ذلك فإن الليل والنهار ما هما في حقيقتهما إلا من آيات الله تعالى التي بثها في الكون، وإن اختلفت معالم كل منهما كآية عن الأخرى. كما تختلف كل منهما عن باقي الآيات الكونية . قال تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾[٢].

وحتى لا تضل العقول في الغياهب أو تضرب في الفيافي، أو تحطب بليل تكاثف ظلامه واشتد ريحه، فقد أوقف الله العقول الصحيحة على أن الليل والنهار وغيرهما من الآيات الكونية أو غير الكونية، فقد وسعها علم الله تعالى على كل النواحي، يستوي في ذلك أمر الليل وأمر النهار . قال تعالى: ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار﴾[٣].

كما بين سبحانه وتعالى أن الليل والنهار يتداخلان، حتى إن كلا منهما يسعى خلف الثاني يوشك أن يمسك به. وما هو بقادر؛ لأن ذلك من سنن الله الكونية. قال تعالى: : ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾[٤]،

حيث يخبر تعالى أنه "يولج الليل في النهار" « يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء.

---

(١) سورة المؤمنون –الآية ٨٠ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ١٢ .

(٣) سورة المزمل – من الآية ٢٠ . فقوله تعالى: "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك" أي تارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل، لأنه يشق عليكم. ولهذا قال: "والله يقدر الليل والنهار" أي تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، وهذا من هذا. [مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث]

(٤) سورة لقمان – الآية ٢٩ .

وسخر الشمس والقمر حيث ذللهما بالطلوع والأفول تقديرا للآجال وإتماما للمنافع كل يجري إلى أجل مسمى وغاية محدودة، حتى يوم القيامة، وأن الله بما تعملون خبير لأن من قدر على هذه الأشياء فلابد من أن يكون عالما بها والعالم بها عالم بأعمالكم، فثبت أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء. وأن الله هو العلي الكبير العلي في مكانته الكبير في سلطانه »[1].

كما أخبر الله جل جلاله أن الليل والنهار كما يقع بينهما التداخل فإن للانفصال هو الآخر نصيبا في كل منهما. قال تعالى: ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾[2].

ومن بيان الأنعم الإلهية في خلق الليل والنهار ذكر الله تعالى أن انفصال الليل عن النهار إنما هو آية من آياته. قال تعالى: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ۔ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ۔ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۔ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾[3].

وفوق ذلك فإن آيات القرآن الكريم قد فصلت القول على جهة الأحكام في بيان منافع كل من الليل والنهار، على أنهما من آيات الله تعالى لأولي الأبصار، وأن الليل يكون للنوم والسبات، بينما يكون النهار للسعي والمعاش، قال تعالى: ﴿ وجعلنا الليل لباسا ۔ وجعلنا النهار معاشا ﴾[4].

وأن تقليب الليل والنهار لهو من الدلائل الرائعة على عظمة الله تعالى، وفيه توجيه لأولي الأبصار، حتى لا تغيب عنهم معالم إثبات وجود الواحد القهار. قال تعالى: ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[5].

❁ **يقول العلامة الطبري** : « يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما إذا أذهب هذا جاء هذا وإذا أذهب هذا جاء هذا. إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، حيث في إنشاء الله السحاب وإنزاله منه

---

(١) راجع القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٤ ص٧٨/٧٩ ، وراجع مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني.

(٢) سورة الأعراف – الآية ٥٤ .

(٣) سورة يس – الآيات ٣٧/٤٠ .

(٤) سورة النبأ – الآيتان ١٠/١١ .

(٥) سورة النور – الآية ٤٤ .

الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به، وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لأن ذلك ينبيء ويدل على أنه له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء »[1].

كما أمتن الله تعالى على عبادة بخلق كل من الليل والنهار، وما فيهما من المنافع. بجانب العبر والعظات ،وجاء ذلك الامتنان على صور متعددة ، ومنها الاستفهام التقريرى. قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ۝ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ۝ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[2].

من جملة ما تقدم يمكن القول بأن تأليه الليل والنهار أو أحدهما عملية لا تقوم فى عقول صحيحة، كما لا تتجه إليها أفهام سليمة، وإنما هى اتجاهات فاسدة، وتوجهات ارتضعت ألبان الوثنية، وقد غاب عن القائلين بها الإحساس الدينى الصادق، كم أن الوازع الدينى فى صدورهم قد تلاشى هو الآخر من نفوسهم ، ومن ثم فقد استحقوا الطرد من رحمة الله تعالى. أما لماذا؟

فلأن الاعتقادات التى تقوم فى غير الله تعالى تعاكس الفطر الصحيحة، والعقول السليمة فى نفوس هؤلاء الملحدين، باعتبار أن الاعتقاد فى وجود الله الخالق العظيم ووحدانيته وصفات ذاته فى الجلال والكمال والإكرام قد غرسها الله فى الفطر، بل هى الفطرة الصحيحة التى خلق الله تعالى الخلائق عليها. قال تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[3].

وقد دل الحديث الشريف على أن الفطرة السليمة تقوم فيها العقيدة الصحيحة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »[4].

---

(١) الإمام الطبري – جامع البيان ج١٨ ص١٥٤/١٥٥ .
(٢) سورة القصص – الآيات ٧١/٧٣ .
(٣) سورة الروم – الآية ٣٠ .
(٤) الإمام البخارى – صحيح البخارى – ج١ ص٤٥٦ –الحديث رقم: ١٢٩٣، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٤٧ – ٦ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين – رقم:٢٦٥٨ وأخرج مسلم الحديث نفسه بلفظ آخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يلد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه فقال رجل يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك قال الله أعلم بما كانوا عاملين » . وأخرج البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء. [صحيح البخاري ج: ١ ص٤٦٥ – ٩١ باب ما قيل في أولاد المشركين – الحديث: ١٣١٩]

كما أقرر أن الاعتقادات الوثنية كان لها النصيب الأوفى فى كل الأمم التى تركت شرع الله تعالى، وهجروا ما جاء بهم رسل الله، وبدلوا فيما أنزل الله تعالى، وأن هذه الاعتقادات كانت قاسما مشتركا بين كل الأمم الوثنية، ومن سار على دربهم، بدليل أن اليهود بعد نبى الله موسى الكليم، حرفوا التوراة، وحطموا الألواح، ومزقوا الصحف، ثم استعاضوا عن التوراة الإلهية بأسفار العهد القديم، الذى كتبوه بأيديهم.

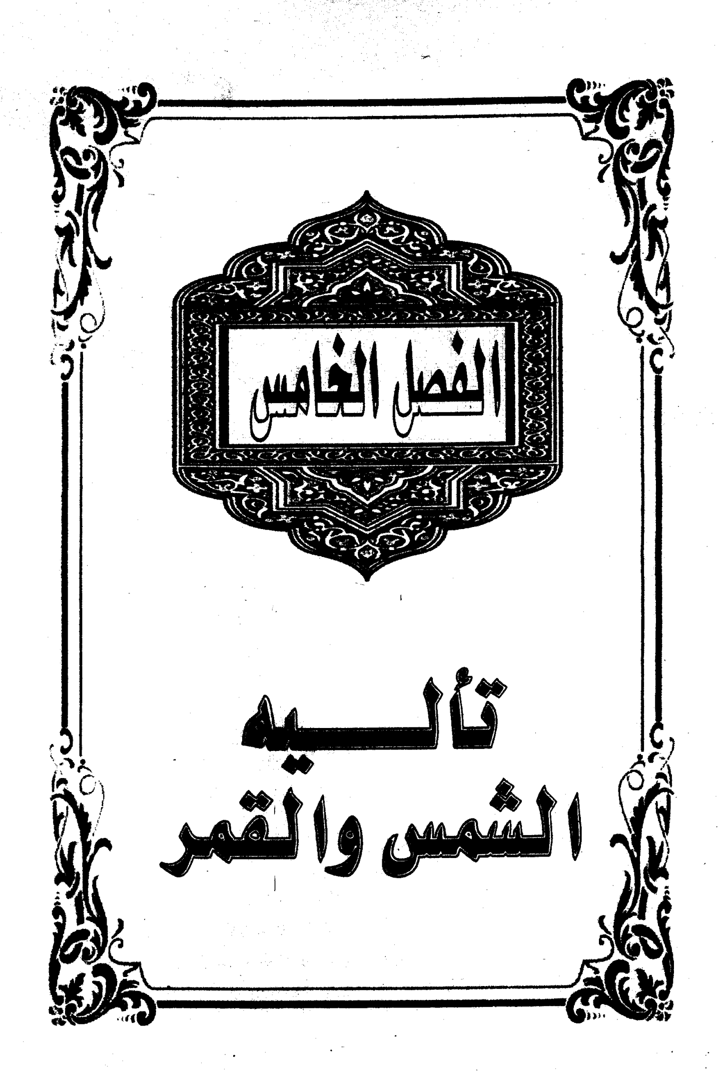
كذلك استعاضوا عن الألواح الإلهية بالأسفار التلمودية التى سجلها لهم بعض أحبارهم، الذين امتلأوا بالخطايا والذنوب ، فوضعوا فى التلمود من القصص الخرافية والأساطير ما يعجز عدد كبير من الأراجوزات والبهلونات عن مسايرته أو الإتيان بمثله.

ثم أنهما لما مزقوا صحف موسى عليه السلام ، فقد سارعوا بالتعويض عنها بالبروتوكولات، التى حملت المفاهيم والأفكار الشيطانية على كل ناحية، ورغم أن اليهود حاولوا التبرأ منها، إلا أنهم لم يتمكنوا من التخلى عن الذى تدعوا إليه ، فصار ما ينكرونه بأفواههم ثابتا عليهم بأقوالهم، وهو فى نفس الوقت علامة على ما تقوم به أعمالهم.

ولا يغربن عن دارس أن الاعتقادات الوثنية، إنما هى خليط من نتاج عقول غاب عن أصحابها نور الحق جل علاه، كما اختفى منهم نور البصيرة، التى تدرك الحق الذى شرعه الله تعالى، فتتعرف عليه،وتدرك الباطل فتنصرف عنه، وفوق ذلك فإن جملة الوثنيات قامت على أساس التقليد المذموم من كل ناحية،وكان لليهود دور كبير فى التمكين لتلك العقائد الوثنية ، فاستحقوا اللعن من الله تعالى. قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ● كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ● ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ● ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾[1].

---

(١) سورة المائدة – الآيات ٨١/٧٨ .



الفصل الخامس
تأليه
الشمس والقمر

خلق الله تعالى الشمس والقمر، كما خلق الليل والنهار وغيرها من الكائنات يستوى فى ذلك الموجودات والمعدومات كلها، وجعل الله كل المخلوقات- عظيمها وحقيرها - مسخرة لأمره، وتجرى طبقا لإرادته سبحانه وتعالى، بل أنها كلها تؤدى ما كلفها الله تعالى به، لا تنفك عنه.

وبين الله جل شأنه أن قيامها بما كلفها الله تعالى به إنما هو آية من آيات الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[١].

۞ **يقول الإمام الطبرى** : « يقول الله عز وجل: الله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم، وحجة ودلالة على عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كل ما سواه، فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم، وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا كل في فلك[٣] يسبحون، فالشمس والقمر كل ذلك في دائر يسبحون أى يجرون »[٢]،

كما بين عز شأنه أن الشمس لها بداية، ولها كذلك نهاية، وهى تسعى بين البداية والنهاية، على أنها من آيات الله تعالى المنبثة فى الكون على سبيل التسخير. قال تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[٤]، وهى فى ذات الوقت سراج وهاج، منطلقة فى دورها، حتى يأذن الله تعالى لها بما يأذن. قال تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾[٦].

---

(١) سورة الأنبياء - الآية ٣٣ .

(٢) الإمام الطبرى - جامع البيان ج١٧ ص٢٢/٢٤ .

(٣) جائز أن يكون ذلك الفلك كحديدة الرحى وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى وجائز أن يكون موجا مكفوفا وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر فجمعه أفلاك وقد ذكرت قول الراجز باتت تناجي الفلك الدوارا وإذ كان كل ما دار في كلامه فلكا ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا فتأويل الكلام والشمس والقمر كل ذلك في دائر يسبحون. [المصدر السابق]

(٤) سورة النحل - الآية ١٢ .

(٥) سورة يس - الآية ٣٨ .

(٦) سورة نوح - الآية ١٦ .

فى نفس الوقت فإن حال القمر لا يختلف عن حال الشـمس. إلا أن الشـمس تظـهر فـى النهار، بينما القمر يبدو فى الليل. قـال تعـالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[1].

وقد أودع الله فى العقول الصحيحة، والفطر السليمة، من الدلائل الكثيرة ما ينبه العقـول والأبصار إلى أنه وحده الله الخـالق العظيـم، وأن كـل مـا خلـق الله خـاضع لقدرتـه، سـائر طبقـا لإرادته، واقع فى علمه، جار تحت أحكام قضائه وقدره.

ومع أن الله تعالى قد أودع الفطر السليمة وحدانية الخالق، إلا أن بعض العقول قد لجأت إلى الاعتقادات الفاسدة فى آلهة باطلة، وخضعت لها بجانب القيام بتقديسها، مع علمـهم أنـها لا تضر ولا تنفع، ولا عن أصحابها النار تدفع، وكانت الشمس والقمر مـن آيـات الله الكونيـة التـى وقع لهما التأليه فى بعض العقول، وسأفرد هذا الفصل للحديث عن تأليـه الشـمس والقمـر عرضـا ومناقشة.

أولا: تأليه الشمس[2]

مع أن الشمس أحد مخلوقات الله تعالى، التى تتوجه إليه جل عـلاه بالطاعـة والعبـادة، إلا أن البعض اعتبرها إلها، وذلت لها الكثير من الجباه، و عنت لها بعض الوجوه، وذلـك ممـا يستلزم المتابعة فى الرءوس التى لجأت إليها، وبيان المبررات والبواعث التى قـامت فـى عقولهـم حتى عبدوها.

١- المجوس[3]

ذكر بعض من أهـل العلـم أهـل المجـوس « زعمـوا بأنـهم أبتـاع سـيدنا إبراهيـم خليـل الرحمن، كما عموا أنهم أهل الدين الأكبر والملة العظيمة، وهم فى كل ما زعمـوا قـد كذبـوا »[4].

---

(١) سورة النبأ – الآيتان ١٣/١٢ .

(٢) وردت الكلمة الشمس فى القرآن الكريم معرفة ومنكرة ثلاث وثلاثين مرة. [راجع المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم باب الشين ص٣٨٧]

(٣) ذهب البعض إلى أن كلمة مجوس يونانية الأصل Magos ، وأنها أطلقت أول أمرها فـى اليونـان علـى كهنة زرادشت عندما دخلوا فارس بقيادة الإسكندر الأكبر، والكلمة من حيث المعنى فى اللسان الفارسـى يقصد بها الهائل العظيم؛ لأنهم خدعوا الناس لبراعتهم فى السحر ، وكانت هذه المسائل تثير فى النـاس الخوف والرعب . [راجع للعلامة المسـعودى – مـروج الذهـب ج١ ص٢٧ ، وللإمـام ابـن القيـم – إغاثـة اللهفان ج٢ ص٢٣٩] ولست أجد مبررا لقبول هذه الاستنتاجات، لأن الزرادشتية إحدى فـرق المجـوس. فكيف يطلق الجزء على الكل.

(٤) الأستاذ محمد عبدالكريم أحمد عبدالكريم – منهج الفخرى فى دراسة الأديان والفـرق ص٣٨١ - رسـالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٩٩م.

لأن خليل الرحمن لم يكن مجوسيا، ولا يهوديا أو نصرانيا. وإنما كان حنيفا مسلما. قال تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]

يقول العلامة الصابونى: « اختلفوا في إبراهيم عليه السلام. فقالت اليهود: كان يهوديا. وقالت النصارى: كان نصرانياً وجعله الله حنيفاً مسلماً فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. فقال عز وجل: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما" أي متحنفا عن الشرك قاصداً إلى الإيمان»[2].

كما أن المجوس لم يكونوا على ملة نبى أبدا، وإنما كانوا يسيرون على أهواء انفسهم. التى دفعتهم إليها تعاليم قادتهم، الذين كانوا على الباطل يسيرون، وقد عبدوا الأشخاص، كما عبدوا قوى الطبيعة، واعتقدوا فى الشمس على أنها إله، فسجدوا لها، واعتقدوا النفع والضر عندها، بل لم يقفوا عن مجرد الاعتقادات الكاذبة، و إنما تجاوزوه إلى ما هو أبعد من ذلك.

يقول الإمام الشافعى[3] حاكيا عن الإمام على ﷺ أنه قال. « أنا أعلم الناس بالمجوس كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه وإنما ملكهم أردفشيرقد سكر فوقع على ابنته أو أخته. فعلم بذلك بعض أهل مملكته، فلما أفاق من سكره، أرادوا أن يقيموا عليه حد الزنا، فامتنع منهم.

فقال لأهل مملكته هل تعلمون دينا خيرا من دين آدم؟ قالوا لا نعلم دينا خيرا من دينه. فقال لهم مخادعا: كان آدم يزوج بنيه بناته، ثم قال لهم: وأنا على دين أبينا آدم عليه السلام. ما نزعت بكم عن دين أبيكم آدم، ففتنهم فتابعوه على فساده، وقاتلوا الذين أنكروا عليه حتى قتلوهم، وصار ذلك دينهم وملتهم، فرفع الله كتابه عنهم، ونزع العلم من صدور علمائهم، حتى صاروا همجا هملا، ينكحون بناتهم وأمهاتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم وجميع محارمهم.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٦٧ .

(٢) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى.

(٣) الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، يلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى عبد مناف. ولد سنة ١٥٠هـ أخذ العلم عن مسلم بن خالد بمكة، وعن الإمام مالك بالمدينة، وقرأ عليه الموطأ حفظاً فأعجبه قراءته وكان يستزيد، ورحل إلى العراق وأخذ فى الاشتغال بالعلم والمناظرة ونشر الحديث وإقامة السنة، ورحل إلى مصر بعد أن علا ذكره فى الآفاق، وابتكر كتبا لم يسبق إليها منها الرسالة فى أصول الفقه، وكتاب القسامة، وكتاب الجزية . توفى رحمه الله سنة ٢٠٤هـ» . [راجع طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكى ١٠٠/١ وما بعدها – طبعة دار المعارف – بيروت لبنان] .

كالأجنبيات تماما بتمام، وكانوا يغسلون وجوههم بأبوال البقر، ويعبدونها كما يعبدون الشمس ويسجدون لها، ويعتقدون، وبالتالى فيها فهم أرذل الكفار واقبحهم كفرا ظاهرا وحقيقة[1].

وقد أقام المجوس للشمس معابد أطلقوا عليها اسم المعابد الشمسية، وحرصوا على ان تظل هذه المعابد مقدسة، من خلال طقوس عديدة، كان يقوم به الكهنة فى أوقات معينة من السنة ليلا، وفى أجزاء من النهار فى حين آخر، بل أن رئيس الكهنة أضحى عمله الأساسى هو استقبال الشمس يوميا قبل مباشرة أى عمل آخر، بزعم أن ذلك من الطقوس التى أمرت بها الآلهة الشمس منذ القدم، وقد أكثروا من ذكر أسمائها.

❖ **لكن لماذا عبد المجوس الشمس؟**

☜ **والجواب**: أن المجوس لما غلبهم أردفشير على ما أراد، وفتنهم على كل ناحية، لجأ إلى استهلاك طاقاتهم الروحية، عن طريق توجيههم للشمس، فمتى رأوها تطل عليهم كل يوم انشغلوا بها طيلة اليوم، وكان للكهنة دور كبير فى تدعيم هذه المعتقدات، من باب الاتفاق المسبق بينهم وبين الملك، الذى أسرف وعوده لهم، فاستغل سذاجتهم، حتى أقنعوا الناس بأن الإلهة الشمس تفيض عليهم بكل أنواع الخير طيلة النهار، ثم تغيب عنهم بالليل، حتى يكونوا على استعداد للقائها فى اليوم التالى، وهم فى كل ما زعموا كاذبون، والله عز وجل قال: ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ۞ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾[2].

٢- عند الهرامسة

يذكر المؤرخون أن الهرامسة أفراد تكاثروا، حتى صاروا أمة يطلقون على أنفسهم هذا الاسم، وكانوا يرون الشمس قوة طبيعية فياضة خلاقة، وأنها ترسل أشعتها الذهبية منذ ملايين السنين، دون أن يصيبها شيء من العطب، او الضعف، ثم هى فى كل حال مصدر الحياة بجانب الإنماء والإخصاب، وهى فوق ذلك تجيب الدعاء، ويتحقق معها الرجاء، فهى مصدر القوة والحياة معا[3]، بل هى أعظم الآلهة على الإطلاق، وأعظم إله عرفه التاريخ.

وكان جلتهم يعقدون مجالس يتناجون فيها مع انفسهم، ويحاول كهنتهم تقديم صيغ وترانيم بعينها يتحقق بها إرضاء الشمس، وإذا سألهم صغار الهرامسة عن سبب الاعتقاد فى كون

---

(١) الإمام الشافعى – الأم ج٤ ص١٧٣/١٧٤ – تحقيق محمود مطرجى – ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣م.

(٢) سورة فصلت – الآيتان ٣٧/٣٨ .

(٣) الشيخ توفيق محمد خير الدين – الأديان القديمة ص١٩٥ ط دار مراد ١٣٣٤هـ

الشمس إلها وخالقا، كانت إجابتهم: أنها أوحت بذلك، وأن رسلها قد بلغوا به منذ قديم الزمان،وأن هذا الوحى به صار محفوظا منذ الأزل[١]، إذاً لم تكن إجابة الكهنة مغرية للعقل حتى يقتنع، وإنما كانت تحمل نوعا من السيطرة على العواطف الهشة وإخضاعها لمفاهيم اعتبرها الكهنة مقدسة، نظرا لقدم تلك العقائد، ورغبة فى استمرار عملها داخل النفوس.

وذكر الهرامسة أن الشمس متى رضيت، ظهرت، ومتى غضبت اختفت، فهى صاحبة إرادة وقدرة، كما أنها تملك إشاعة الفرح أو الحزن بين من تشاء على كافة المستويات، ولها علم محيط بمغيبات الأمور، وإطلاع على مستقبل الأحوال الجارية من كل ناحية، وعدهم الإمام الشهرستانى من الصابئة الذين يقولون بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقولون بالشريعة والإسلام[٢]،

وقد اعتبر الهرامسة الشمس إحدى الروحانيات، كما نظروا إلى هوسى على أنه ابن لها، وأنه صعد إلى العالم الروحانى، فانخرط فى سلكهم وصار واحدا منهم[٣]، وقد أمكنه أن يخلع عن نفسه لباس البشرية من كثرة تقربه بالدعاء للإلهة الشمس، حتى لبس هيكلها، وتحدث باسمها، وترك تراثا يحكى علاقته معها « إذ بالعقل يمكن للإنسان أن يخالط الروحانيات، ولا ينفصل عنها، فالاعتقاد فى تأليه الشمس والعبادة لها،وتقديم القرابين بأنواعها صار من الأمور التى لا جدال فيها[٤] عندهم، يقومون بها فى معابدهم، ويعلمهم إياها كهنتهم.

❖ **ربما يقال**: إن الإمام الشهرستانى قد عد هرمس أحد الأنبياء الكبار، وذكر أنه إدريس عليه السلام، فكيف يعتبر واحدا من عبدة الشمس، إن ذلك الكلام متناقض، فما هو القول الصواب؟

والجواب من وجوه:

✽ **الأولى** : أن الشهرستانى يحكى عن الآخرين ما يعتقدونه، ومن ثم فهو يذكره على سبيل التمريض والحكاية عنهم، حيث تقول عبارته ،ويقال إن هرمس هو إدريس ...، ويقال أيضا: إن عاذيمون وهرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام[٥]، فهو لم يذكر هذه الأفكار على أنها مما يعتقده الشهرستانى، وإنما على سبيل أن حاكى كلام الكفرة ليس كافرا.

---

(١) الشيخ عبدالله بن على الأبانوسى – هرمس بين الحقيقة والخيال ص١٣ ط المهدى بالأناضول ١٣١٥هـ.
(٢) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل – ج٢ ص٦٢ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل – مؤسسة الحلبى وشركاه ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
(٣) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٨٥ وراجع هرمس والهرامسة بين الحقيقة والخيال ص١٧ .
(٤) جورج موريس – الآثار الهندية القديمة ص٧٣ .
(٥) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل ج٢ ص١٠٢ .

❁ **الثانى**: من الممكن أن يكون هرمس من جملة الأنبياء الكبار فى قومه، الذين كانوا يمارسون نوعا من القيم العالية، والأخلاق الرفيعة، بجانب المحافظة على التعاملات الجادة، وتقديم الحكمة للناس كل حسب إمكانياته، وكان الناس يتطلعون إلى هؤلاء الأفراد على أنهم أنبياء، أو فى منزلة الأنبياء، فإطلاق لفظ الأنبياء عليهم، إنما كان من المتعلقين بهم، لا من الشهرستانى، ومنها عبادة غير الله تعالى، يستوى فى ذلك أن تكون عبادتهم للشمس وحدها، أو هى مع غيرها من سائر القوى الطبيعية.

❁ **الثالث**: على فرض أنه كان نبيا، فما المانع أن يكون القوم الذين وجد بينهم قد اختلفوا بعده، وتناوبوا فعل الأخطاء والآثام، كما ارتكبوا كل الموبقات؟

❁ **الرابع**: ما المانع من أن يكون لفظ النبى عندهم يعنى الطهر والنقاء، أو القيام بين الناس مقام المصلح الاجتماعى، الذى لا يعنيه سوى أن يقوم بينهم بكل ما فيه الخير، ويحقق الصالح العام لكل الأفراد المتعاملين معه، والذين له بهم صلات، ويكون نبيا على جهة اللغة، لا على لسان الشرع، كما نقول نحن فى لغتنا وتعاملاتنا اليومية: فلان أرسل رسوله إلى فلان، ونقول: جاء رسول إلى الملك بالرسالة التى يحملها، ونحن نقصد استعمال لفظ الرسول على المعنى اللغوى، لا على المعنى الشرعى الاصطلاح.

❁ **الخامس**: أن تكون هذه العبادات الفاسدة القائمة على الاعتقادات الباطلة، كانت قبل وجود هرمس بالعديد من عشرات السنين، وأنهم مارسوا كل هذه الاعتقادات قبل وجود هرمس بينهم، وتكون المسألة محسومة على هذه الناحية.

على كل فإن الهرامسة – سواء أكانوا قبل هرمس أم بعده – قد اعتقدوا فى الآلهة الباطلة، لما ألهوا الآيات الكونية، ومنها الشمس التى أقدموا على الاعتقاد فيها، وأذعنوا لها، كما قدموا الذبائح والقرابين، واعتبروا هرمس نفسه ابنا لها[1]، وهو يتولى إدارة الكون نيابة عنها، ويتحدث باسمها، ويعمل على توثيق عرى الود بين الكائنات وبينها، وهو موطن الخطأ ومنشأ الاعتقادات الفاسدة.

﴿٢- عند الأليريين سكان ساحل البلقان﴾

يذكر المؤرخون أن الأليريين كانوا يقطنون ساحل البلقان فى منطقة غير محددة المعالم قديما، ولم تكن هناك آلهة، بين هؤلاء أعظم من إله الشمس حيث « اعتقدوا فى أنها التى يقع بها النفع والضر، كما أنها لم تخلق من العالم، ثم إنها متعالية على الجميع، وفوق ذلك

---

(١) الشيخ عبدالله بن على الأبانوسى – هرمس بين الحقيقة والخيال ص٤٥ .

فبإمكانها اجتثاث خصومها من الآلهة الأخرى متى قصدت ذلك »[1]، أنها أعظم الآلهة قوة وأكثرها نفعا.

وذهب الأليريون إلى أن الشمس حينما تشرق عليهم، إنما تعلن لهم عن نفسها، كما تدفعهم إلى النظر الدائم نحوها، وحينما تغيب إنما تذهب لإشباع رغبات بنيها من الآلهة الأخرى الذين متى افتقدوها بحثوا عنها، فربما انفلت أحدهم فى تصرفه بما يلحق بعض الأضرار بأمن الأرض واستقرار أهلها[2]، فذهاب الإلهة الأم وهى الشمس إلى بنيها أمر طبيعى.

إذا لم ينظر هؤلاء إلى الشمس على أنها وحدها الإله، وإنما ركزوا على أنها أكبر الآلهة الاليريه جميعا، ومن ثم قدموا لها القرابين المختلفة من الذبائح والنذور التى بلغت فى بعض الأحوال ثلث دخل الفرد أو الأسرة، وكانوا ينفقون على تماثيلها الأموال الكثيرة سواء باعتبار المستوى الفردى أم المستوى الجماعى.

بل ذكر بعض المؤرخين أن الأليريين كان لهم ولع بإقامة التماثيل العديدة للإلهة الشمس، فكان الراعى مع ماشيته يحمل بين يديه تمثالا للإلهة الشمس يستمطر به الماء، ويلتمس منه الكلأ والمرعى، وخصوبة ماشيته مع كثرة أعدادها، وكثافة ألبانها[3]، اعتقادا من هؤلاء الرعاة الرحل بقدرة الشمس على تحقيق تلك الآمال.

وكان الفلاحون متى أرادوا الذهاب إلى حقولهم، فإن كل واحد منهم يحرص على اصطحاب تمثال إله الشمس معه « بغية إنماء زرعه، وخصوبة ماشيته، وجودة حقله، وأحيانا يقوم بذلك كله بغرض دفع الضوارى والجوارح المنتشرة عن ماشيته الصغيرة والكبيرة على السواء، وإذا ما حدث له أو ماشيته، أو أحد أبنائه شيء من مكروه، فإنه يلجأ إلى التمثال الذى بين يديه يطلب منه النجدة »[4]، ويسأله العون وأحيانا ما يطلب منه التماس الدروب، التى أوت إليها تلك الضوارى، كما يطلب منه بإلحاح القضاء عليها.

أما النساء الأليريات فكن اكثر شغفا بالشمس، لا على أنها إله مؤنث - إذ لم تكن مسألة المؤنث، أو المذكر تشغل بال أى منهن - وإنما على أنها رمز الجمال والقوة، بجانب

---

(١) توماس هيبدز - الحضارة القديمة فى بابل وأشور ص١١٢، وكذلك كاريف الانطاكى - فى ظلال الفكر الشرقى ص١٧١ ترجمة هناء فخرى،ويلاحظ ان الأليريين قد أسرفوا فى عبادة الإله الشمس على كل ناحية.

(٢) الدكتور نادر محمد السيد - بابل وأشور حضارة قديمة ص٩٥ .

(٣) الشيخ محمد عبدالمعبود عطية - اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص١٠٣ .

(٤) توماس هيبدز - الحضارة القديمة فى بابل وأشور ص١١٧ .

الشباب والحيوية والخصوبة، حتى إن النساء الجميلات كان يطلق عليهن أحيانا اسم بنات الشمس لشدة جمالهن بجانب نضارة أجسادهن[١]، وكذا يفعلن مع البنات اللاتي لم يسبق لهن الزواج.

بيد أن الفلاحات من الاليريات كن يفتخرن على غيرهن من راعيات البدو بأن الإلهة الشمس قد رضيت عنهن وحققت لهن الاستقرار الأسرى، بجانب الاستقرار في السعى على لقمة العيش المتمثل في خصوبة الأرض، ونزول المطر على الدوام، وتهيئة الظروف المناخية لإنبات الأرض التى يقوم بزراعتها الأزواج والأبناء أو الآباء، والأخوة والأخوات « وبالتالى فكن يتقدمن لإلهة الشمس بكل خضوع وتذلل، كما كن يقدمن القرابين للمذابح المعدة لأغراض إرضاء الإلهة مع بنيها الصغار »[٢].

ونظرا لولع النساء الاليريات بحب الإلهة - الشمس - فقد لجأن إلى احتراف صناعة تماثيل منزلية، توضع في غرف البيت، وفي ردهاته، حتى تذكر الأزواج بحقوق الزوجات، كما تصرف عنهن الأذى الذى يمكن أن يصدر عن هؤلاء الأزواج لحظة الغضب، أو الانفعال والعصبية.

بيد أن الصغار من الصبية كانوا يقلدون آباءهم وأمهاتهم في تقديم فروض الطاعة والولاء للشمس، ولم يكن لدى هؤلاء الصغار شيء من الحرج، حينما ينحنى الواحد منهم، أو بعضهم فترة قد تطول أمام تمثال الشمس، ينادونه ويناجونه، في عقيدة مضطرده، وعبادة ثابتة، يستوى عندهم أن يكون قيامهم بذلك قبل بدايتهم في ألعابهم، أو عند انتهائهم منها، حتى يقع عليهم الرضا[٣]، وتحط عندهم رحال القبول من الإلهة الشمس.

وقد تم ملاحظة ذلك النشاط الاعتقادى عند سكان بلاد إليريا نحو الإله الشمس، ومع تحولات الأيام والسنين صار ذات النشاط ممثلا لجملة من الاعتقادات كونت فيما بينها تراثا صار هو الآخر متمايزا عن غيره.

---

(١) جون موريس - الآثار الهندية القديمة ص٩٧ .

(٢) الشيخ على محمد حكمت الله - العقائد الوثنية ص١١٧ .

(٣) الشيخ عبدالحميد حسن الطويل - حضارة بابل واشور ص١٢٣ .

* **يقول بارندر**: فى بلاد اليريا **ILLGRIA** وجد تراث قديم لعبادة الشمس[١]، يقوم على تقديسها وتقديم القرابين لها، مع الحرص الشديد على إرضائها، وقد امتد هذا التراث القديم، حتى صار ملازما للزمان فى كل أوقاته.

فى نفس الوقت فقد كان سكان تلك البلاد « يفرضون على أنفسهم صيام ايام بعينها فى شهر مارس أزار من كل عام، تتراوح ما بين سبعة إلى عشرة أيام فى النصف الثانى منه، وكانوا يطلقون عليه صيام أزار، كما كانوا يطلقون عليه صيام الرضا أو صيام الإلهة الأم[٢]، وكانوا يعتبرون ذلك من أهم القرابين التى تقدم إرضاء للإله الذى اعتقدوا فيه.

* **يقول توكاريف**: احتلت عبادة الشمس الاهتمام العالى فى كثير القبائل الاليرية، وبخاصة لدى قبائل منطقة الجبال الصحراوية، حيث كان لهم عيد يحتفلون فيه بالإلهة الشمس، وكان يتم فيه احتفال مهيب فى أواسط العام يكرس نحو الشمس وفى حدودها، أطلق عليه اسم رقصة الشمس، كما تتداخل فيه مع تنفيذ كافة الطقوس الرئيسية،وكانت تجرى له دعوة ضيوف من القبائل المجاورة للاشتراك فى العيد الذى يستمر الاحتفال به أياما عديدة[٣].

ولئن كانت الاحتفالات بالإلهة الشمس فى عيد بعينه لدى سكان اليريا قد بلغت حدا كبيرا من الاهتمام والعناية « فما ذلك إلا من باب تقديس الآلهة الشمس، وإعلان الطاعة المتواصلة لها، والعبادة الدائمة بين جنباتها »[٤].

ولذا فقد كانت تلك الأعياد تتسم بالعديد من المظاهر،ومن أبرزها نصب الخيام فى حلقة شديدة الاتساع، حيث يجهز فى وسطها كوخ خاص بالشعائر، كما يزرع عمود الشمس، وكان أهم جزء من الطقوس يتألف من الأنشطة القاسية التى تقضى بتعليق النفس بالأسيرة الخاطة بين الجلد والعضلات، وكان كل ذلك يتم بناء على كونه فرضا دينيا.

ومن المؤكد أن المواد التى كانت تستخدم فى هذه الأعياد تدخل فى نطاق المواد المقدسة، فتبقى محفوظة باقى العام فى أمكنة خاصة بها لا تخرج منها فى غير عيد الشمس[٥]، مما يؤكد

---

(١) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١٠ ترجمة د: إمام عبدالفتاح عالم المعرفة ١٧٣ ذو القعدة ١٤١٣هـ مايو ١٩٩٣م.

(٢) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١١٢ ترجمة لطفى السيد فخرى ١٩٥١م.

(٣) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص١٤٠ – ترجمة د. أحمدم فاضل – الطبعة الأولى ١٩٩٨م – مكتبة الأسد سوريا .

(٤) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١١٩ .

(٥) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص١٤٠ .

أن الاعتقاد فى تأليه الشمس والعبادة لها كان إحدى السمات البارزة لسكان البريـا، مـع إمكانيـة نقل هذه العبادة إلى الأمم التى جاورتهم، أو كان لها تعاملات معهم.

وكان اليهود قد نزحوا من بلاد فارس إلى القوقاز وساحل البلقان، كما نزلوا بلاد مـا بـين النهرين « وكانت لهم اتصالات عديدة بسكان هذه البلاد، بل قد اقاموا بينهم حينا مـن الزمـان، وبخاصة أيام الشتات، وقد بلغ من تملق اليهود للأمم السابقة التى نزلوا بها سرعة إعلان تقبلـهم لاعتقادات هذه الأمم والدعوة لممارستها، بل والعمل على أنها مقدسة»[1].

لكن فى عصر القضاة وما تلاه « فقد وضع يهوه الإله لشعب إسرائيل خطة كـانت علـى درجة من الوضوح، بحيث أدت إلى تفريغ البلاد الأخرى من سكانها واعتقاداتها، ونجـحت بعض الشعوب المجاورة لليهود فقط من أمر الإله بإبادتها، وذلك مما أعاد لشعب إسرائيل القـدرة، فـى أن يكون قائدا لا تابعا »[2].

غير أن اليهود كانوا قد اعتقدوا فى الآلهة المتجسدة[3]،ومنها الآلهة عنات **Anat** التى اعتبرت فى وقت من الأوقات زوجة للإله يهوه « وكانت عنات ويـهوه يجسدان ويعبدان، مـن قبل الشعوب السامية، التى عبدت الشمس، وجعلتها بديلة لعنات، حتى اعتـبرت ضمـن الآلهـة المحلية التى تقام لها الطقوس، وتقدم القرابين فى مراكز ثابتة ذات طابع خاص »[4]،

ولا يخفى أن الطابع اليهودى العام، قد فـرض عليـهم صيـغ العقـائد والعبـادات التـى، اقتبسوها من الأمم الأخرى بصفـة مختلفـة، حتـى تظـهر وكأنـها خاصـة بـهم، قـد أمرهـم يـهوه بإعلائها، والقيام بها على ناحية خاصة، وهو ما تؤكده الدراسات المختلفة التى ذهـب أصحابـها إلى وقوع اليهود فى عبادة الآلهة المتجسدة على الأنحاء المختلفة.

ولما لم تكن لليهود دولة ولا سلطة مدنية « وفى نفس الوقت كانت يعيشون فى جماعات مبعثرة وسط سكان مجموعة من قبائل غريبة ذات معتقدات متغـايرة معـهم، فقد وجـدوا أنفسـهم تحت سلطة لا نزاع حولها من قادة الجماعات الخاصة بهم »[5]، الذين سـارعوا إلى تقليـد الأمـم الأخرى فى عقائدهم الفاسدة، وعبادتهم الباطلة.

---

(١) الدكتور عبدالعظيم السيد سلطان – دراسات فى اليهودية ص١١٣ .

(٢) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٧٨ .

(٣) ا. رانوفيتش – المختصر فى التاريخ اليهودى القديم ص١٧١ ط مكتبة الأسد ١٩٧٤م.

(٤) الدكتور محمد السيد نصر الله – العقائد والعبادات اليهودية ص٤٥ ط أولى ١٩٧٥م.

(٥) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٩١ .

وقد أدى ذلك كله إلى فرض تجسيم الآلهة على اليهود من الخارج، بعد أن كانوا قد مثلوه من الداخل[١]. بل صارت تلك العقائد الوثنية هى السمة الغالبة على الاعتقادات اليهودية

ولما كان اليهود قد اعتقدوا فى الشمس كإله كامل، فإنهم قد سارعوا بإقامة التماثيل التى تعبر عنها، وكانت بعض هذه التماثيل توضع بجوار تمثال بعل فغور[٢]، وبعضها يوضع بجوار والأفعى[٣] النحاسية التى أقامها موسى فى البرية بناء على أمر الرب – كما يزعمون – ليبرأ بها الذين لدغتهم الحيات. وقد أساء اليهود استخدامها فيا بعد فاعتبروها صنما مقدسا، وعبدوها بدل أن كانت رمزا لقوة الإله الحى، وبقى اليهود يعبدونها إلى أيام حزقيال[٤] الذى حطمها، وهو الذى سماها "نحشتان[٥]" ومعناها أنها ليست إلها بل مجرد قطعة من نحاس[٦].

---

(١) الدكتور محمد السيد سلطان – دراسات فى اليهودية ص١١٩ وبالتالى فقد وقع اليهود فى عدة أنواع من تجسيم الإله، ولم يكن الإله الشمس وحده هو الغالب، بل كانوا يتصارعون، وغالبا ما تكون السيطرة للإله الشمس.

(٢) حيث كانت عبادة البعل عمومية بين أهالى المشرق فى الزمان القديم، ولذلك ترى له أسماء عديدة، وما ذلك إلا لأن كل أمة كانت تسميه باسم يعرف به عند قومها، وكان الاسم من أسمائه يبتدئ غالبا ببعل وينتهى باسم تلك البلاد أو المدينة الموجود هو فيها أو بشيء ينسب اليه نحو بعل فغور ». [راجع قاموس المقدس ص١٨١] .وعبد اليهود بعل فغور، واتخذوا ذلك الصنم إلها من دون الله، حيث يقول سفر العدد « وأقام إسرائيل فى شكيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موأب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب، وسجد لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور » .[عدد ٢٥ : ١–٣ – ويراجع سفر التثنية ٤ : ٣] وقد أشار القرآن الكريم لعبادة اليهود لهذا البعل فقال ﴿" أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين "﴾(سورة الصافات – الآية ١٢٥)، فعبادة البعل كانت فى قلوب اليهود بمكان، حتى أنهم لم يؤمنوا بدعوة نبيهم الياس، ولم يصدقوه . ويقول الدكتور أحمد شلبى « إن إله الكنعانيين " بعل " أصبح معبودا لبنى إسرائيل فى كثير من قراهم، وفى أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال " يهوه "، وتمثال " بعل "، بل أصبح يهوه ينادى بعل »[دكتور أحمد شلبى – اليهودية ص١٧٥].

(٣) الأفعى: كلمة عبرية منطوقها أفعة، وهى حية سامة وهى رمز للقضاء الذى يحل بالأشرار، وتدبيرات الشر فى العهد الجديد، فيقصد بها كلمة يونانية منطوقها (أخيدنا) وهى الصنف السام من الأفاعى. وكان يسوع يشبه الكتبة والفريسيين بالأفاعى. [قاموس الكتاب المقدس ٩٥]

(٤) هو أحد الأنبياء الكبار لدى كتاب العهد القديم ، ومن عشيرة كهنوتية ، ولد ونشأ فى فلسطين ، ثم حمل مسبيا بعد نفى دانيال ، وهو صاحب سفر حزقيال . [راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٠١/٣٠٤]

(٥) نحشتان : اسم عبرى معناه نحاس ، والمقصود بها حية النحاس التى أقامها موسى فى البرية بناء على أمر الرب ليبرأ بها الذين لدغتهم الحيات .[قاموس الكتاب المقدس ص٩٦٠].

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص٩٦٠.

* **ويقول العهد القديم**: « إن شعب إسرائيل تكلم فى حق الرب بما لم يرضيه، فأرسل الرب عليهم الحيات المحرقة عذابا ونكالا، فلدغت الشعب ومات منهم خلق كثير فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذا تكلمنا على الرب وعليك، فصلى إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب، فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة، وضعها على راية. فكل من لدغ ونظر إليها يحيى، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية، فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا »[1].

بينما وضع بعض أخير بجوار خيمة الاجتماع[2]، أو مذبحة الرب، وكانت التمثلات التى وضعت للشمس تحمل فى داخلها التجسيد الإلهى أو الآلهة المتجسدة، حسب التصورات الإسرائيلية.

أجل أكثر اليهود من نصب التماثيل الشمسية. ولم يفتهم القيام نحوها بأعلى مراتب التقديس والعبادة المتواصلة، وكانت صلاتهم لها لا تنقطع،واهتماماتهم المتواصلة بها لا تتوقف مما حدا بالكثيرين إلى القول بأن الشمس قد نالت منهم الدعاء لها، والسجود مع إدامة التسبيح والتقديس لها، مع تغيرات طفيفة أدخلتها الجماعات اليهودية على الأنماط والتقاليد الدينية الوثنية[3]، التى كانت سائدة فى المجتمعات التى نزل بها اليهود، أو كانت لها علاقات بهم.

لكن الشمس مخلوق لله، فكان من الواجب على اليهود الذين يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه المبادرة إلى التخلى عن اعتقادات الشعوب الوثنية، وترك العبادات الباطلة، وهو ما لم يفعله اليهود، بل كيف يفكرون فى التخلى عنها، وهم الذين جعلوا الإله خاصا بهم وحدهم، وأطلقوا على أنفسهم شعب الله المختار، بل وضعوا فى الكتب التى بين أيديهم نصوصا تؤكد عبادتهم للآلهة المتعددة. بجانب تجسيداتهم على كافة النواحى البشرية والطبيعية والحيوانية.

---

(١) العهد القديم – سفر العدد ٢١ : ٧–٩ .

(٢) خيمة الاجتماع: هى الخيمة الأصلية التى كان يجتمع فيها الرب – حسب زعمهم – بشعبه، ولذلك سميت بخيمة الاجتماع، وأطلقت الخيمة على بيت آخر فيه داود والتابوت وهناك فرق بين هذه الخيمة والخيمة الأصلية التى أمر الله موسى أن يصنعها فى البرية، لكى يسكن الله فيها بين شعبه، وسميت خيمة المسكن وهى الخيمة التى كانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة، وعرفت باسم مسكن الشهادة. وكذلك الخيمة التى عرفت باسم بيت الرب.إذن انقسمت الخيمة إلى ثلاثة أجزاء: – أ– المسكن. ب– الخيمة الغطاء وهنك تفصيلات أخرى عن الخيمة وأنواعها وتكويناتها. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٥٢/٣٥٤.

(٣) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص٥٣ وراجع لصبرى جرجس التراث اليهودى ص٨٧ .

بل والجمادات أيضا - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]

﴿٤. في مصر الفرعونية﴾

لم يفت قدماء المصريين، أصحاب الحضارة الواعية، الضاربة في أعماق التاريخ بجذور قوية، أن ينظروا للإله الواحد القهار نظرة تتفق مع إمكانياتهم العقلية الهائلة، وإنما على العكس من ذلك تماما، أنهم إذا كانوا قد نجحوا في إنشاء حضارة قديمة قرابة مئات الآلاف من السنين، فإنهم أخفقوا في الناحية الإيمانية إلى حد كبير، مما يدفع إلى القول بأن اعتقاداتهم في الإله الحق، لم تكن تتناسب مع إمكانياتهم العلمية وقدراتهم العقلية[2]، في الجانب المادي والثقافي.

كما أن مصر القديمة بدأت عبادتها للآلهة على شكل حيوانات - « فكان لكل جماعة معبودها وحاميها في الحياة الريفية البدائية ، ومن ثم نرى مثلا أودنيبس أو أبيدوس يعبد ابن آوى والفيوم تعبد التمساح ، وطيبة تعبد آمون في شكل كبش ، ومنف تعبد إلهين هما اللبوة والعجل أبيس، وندرة تعبد " هاتور " وهي بقرة ، وأدفو تعبد الصقر ، وجماعات ومدن أخرى قدمت عبادتها للقرد، وفرس البحر والحية والقط والضفدعة ، وغيرها من المخلوقات »[3].

ولم يقتصر المصريون القدماء على عبادة الحيوانات بتعدد أنواعها ، وإنما اتجهوا إلى مظاهر الطبيعة والكواكب والنجوم فعبدوها كذلك ، ولعل الشمس على الأخص فاقت عندهم مظاهر الطبيعة كلها ، فلقد عبدوها تحت أسماء مختلفة « فكانت منف تدين الإله الشمس باسم " فتاح " ، وكانت عين شمس أو " هيليوبولس " تدين له باسم " رع " ، وأحيانا باسم " آتوم " ، وكانت طيبة تدين له باسم " آمون " »[4].

---

(١) سورة الشورى - من الآية ١١

(٢) جدير بالذكر أنه لم يستطع باحث أن يحصر الآلهة التي عبدها المصريون ، وذلك لكثرتها البالغة، مما دفع ول ديورانت أن يقول « ولسنا نجد في بلد من البلاد إذا استثنينا بلاد الرومان والهند ما نجده في مصر القديمة من الآلهة لكثرتها ».[ول ديورانت - قصة الحضارة - جـ٢ م١ ص١٥٦ - ترجمة محمد بدران]

(٣) حبيب سعيد - أديان العالم ص٣٢ - ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

(٤) الأستاذ / عباس محمود العقاد - الله ص٣٤.

من ثم فقد نظر المصريون القدماء إلى الشمس على أنها إله فوق كل الآلهة، وأطلقوا عليه اسم الإله رع كما أطلقوا عليه اسم الإله فتاح. يقول بارندر كانت الشمس على المدى الطويل هي الإله الرئيسي بين الآلهة[١]. الذين تحتفظ بهم ذاكرة العقل المصرى القديم.

ومنذ عهد الأسرة الخامسة، بدأ اعتبار فرعون[٢] والتعامل معه كابن لإله الشمس رع. إن الإيمان بالملك كابن للإله، وكإله حي، كان قد سيطر منذ بدء تاريخ مصر السياسي حتى لحظة انتهائه[٣]، بإزاحة الوثنية، لتحل بدلا منها الديانات التوحيدية.

أجل تعددت الآلهة لدى قدماء المصريين، وتجسدت تلك الآلهة في أشكالها المختلفة، لكن الشمس كإله قديم حلت عندهم محل أكبر الآلهة، وذلك مما حدا بكهنة مصر وفراعينها إلى تقديم التجسدات العديدة لها، فظهرت التماثيل الشمسية في أشكالها المختلفة معبره كلها عن الإله رع، الذى بلغ من تقديس المصريين له الدرجة العالية بين الآلهة الأخرى، وكان الفراعين يدعمون مركز الإله الشمس في نفوس المصريين بطرق شتى.

❁ **وذكر العلامة الشهرستاني**: أن عبدة الشمس، إنما هم جملة من عبدة الكواكب، الذين زعموا أن الشمس ملك من الملائكة، ولها نفس وعقل، ومن هذه الشمس يأتي نور الكواكب وضياء العالم، وتتكون عنها الموجودات السفلية، وهي ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء به[٤]، ومن سنتهم أن اتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه سموه بيت الإله الشمس.

---

(١) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١٠ .

(٢) كلمة مصرية معناها: البيت الكبير، وهو لقب من الألقاب التي كانت تطلق على ملوك مصر. وكان هذا اللقب يمثل شيئا خاصا. ومن الفراعنة الذين ملكوا مصر. وأطلق عليهم هذا اللقب كثيرون. سواء أكان في العهد القديم. أم غيره، وسواء أعرفوا باسم فراعنة إبراهيم . يوسف التسخير . الخروج وغيرهم. أم عرفوا بغير تلك الأسماء، وممن لقب به شيشنق ، وهو أول حاكم من الأسرة الثانية والعشرين في العهد الليبي "سوا" وهو الذى كان معاصرا هوشع ملك إسرائيل ترهاقة ، وهو الملك الثالث والأخير من السلالة الخامسة والعشرين سلالة الكوشية "نخو" ويسمى أيضا فرعون نخو وهو الثاني من الأسرة السادسة والعشرين وفرعون "خفرع" وهو الخلف الثاني "نخو" [راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٦/٦٧٧]

(٣) سيرغى أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٣٢٢ .

(٤) ويذكر الشهرستاني أن هؤلاء يسمون في الهند – الدينيكيتية أى عباد الشمس، أما عباد القمر فيسمون في الهند الجنديكينية أى عباد القمر . [الملل والنحل ج٣ ص١٠٣/١٠٤]

ولم تقف أمورهم عند هذا الحد وإنما أوقفوا علىَ صنم الشمس ضياعا[1]، وقرابين متنوعة، وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث مرات، ويأتيه أصحاب العلل والأمراض، فيصومون له ويصلون ويدعونه وبه يستشفون[2]، فكانت عبادة الشمس في الهند كما هي في مصر الفرعونية، من حيث الاعتقاد فيها، والتقرب إليها، وطلب النجاة عندها.

* **ويقرر توكاريف**: أن مصر الفرعونية كانت فيها آلهة حماة محليون **Nomos**، وأن الاعتقادات في هذه الآلهة كانت من مخلفات القبائل القديمة، التي اتحدت في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد في ظل سلطة ملك للجميع، قد امتزجت عبادة الآلهة الحماة المحليين بعبادة آلهة كل مصر، غير أن العبادة المحلية النومية وقد اتخذت سمات صارت فيما بعد وبالنسبة لغيرها عريقة في القدم، إذ أن كل إله محلي كان يكرم ويشرف حيوانه المقدس المرتبط به من خلال هذا الشكل أو ذاك، مع الإله المحلي، وكان يجري تجسيد الإله المحلي، إما على شكل هذه الحيوانات، أو في شكل مختلط تداخلت معه الصورة الحيوانية المجسدة في أغلب مظاهره[3].

والمطالع لما ذكره المؤرخون بخصوص تأليه المصريين القدماء للشمس، يجده بالغا حد الكثرة، بعضهم ينقل عن البعض الآخر، وبعضهم يقدم مبررات لعبادة الشمس عند المصريين على سبيل الاستقلال، وبعض آخر يقدم أدلة يراها جديدة على أن المصريين القدماء كانوا يؤلهون الشمس في وقت من الأوقات، أو أنها صارت العبادة الرسمية للدولة في حين من الأحيان، لكن حصل نوع من التخلي عنها فيما بعد.

وذهب بعض المؤرخين أيضا إلى اعتبار تعدد الآلهة في العالم القديم عادة من العادات، تحولت بعد ذلك إلى عقيدة من العقائد وعبادة من العبادات « سواء اتخذت أشكالا متجسدة حيوانية أم نباتية أم جمادية، أم اتخذت أشكالا غير محددة لدى بعض الطوائف والقبائل القديمة »[4]، يستوي في ذلك أهل البداوة والحضريون سكان المدن، والرحل في المناطق الصحراوية.

---

(١) الضياع جمع مفرده ضيعة، وهي الأرض ذات الإنتاج الوفير . [المعجم الوجيز باب الضاد ص٣٨٤] وضيعة الرجل عقاره الذي يضيع بفقده. [التعاريف ج١ ص٤٧٦]

(٢) الإمام الشهرستاني – الملل والنحل ج٣ ص١٠٣ .

(٣) سيرغي أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٣١٧ .

(٤) الدكتورة سنية محمد أبو سنة – عادات وعبادات قديمة ص١٨٣ .

* **ويقرر اسكورت:** أن الاتجاه نحو تأليه الشمس عند المصريين بصفة خاصة، كان سائدا في نظام الأسر الملكية، التي حرص أفرادها على انتسابهم لإله قوى يفيض بقوته على ربوع مصر كلها. ويطل عليها كل صباح، حاملا الخير والخصوبة والنماء، ولما لم يتوفر ذلك إلا في الشمس، فقد أعلنوا أنها أكبر الآلهة على الإطلاق، حتى كانت لها الغلبة بين الآلهة الأخرى، وكيف لا وقد اعتبر الملك اخناتون نفسه ابنا للإله الشمس رع[1]، الذي له قداسة الإلهة الأم مباشرة،

على أن الاعتقاد في الشمس لدى المصريين لم يتخذ شكلا واحدا « وإنما اتخذ أشكالا مختلفة، تبدأ عادة في شيء من الفردية، ثم تأخذ في التطور نحو التعميم، إلى أن تبلغ القمة وسيادتها على غيرها من الآلهة، التي لها وجود فعلي في عقول سكان ذات المناطق، وقد عمل الملوك على تدعيم عبادة الآلهة بغرض توطيد حكم الفرد وتقديسه »[2]، إذ مادام الملك مرتبطا بالإله في علاقة من نوع ما، فإن الخروج على هذا الملك حتى وإن كان ظالما فإنه يعتبر خروجا على الإله نفسه[3]، لأن الملك ابن الإله أو هو ظل الإله في الأرض.

من المؤكد أن الهجرات اليهودية إلى مصر في الماضي البعيد لم تنقطع، ففي العهد القديم إصحاحات كثيرة تتحدث كلها عن هجرة إبراهيم الخليل إلى مصر، حين حدث جوع شديد فانحدر إبرام إلى مصر[4]، كما أن القرآن الكريم تحدث عن هجرة أبناء يعقوب إلى مصر طلبا للميرة[5]، وقد أقام يوسف الصديق بها، وتبوأ أعلى المناصب الإدارية فيها، كذلك هاجر إليها

---

(١) بوتفريد مارتن اسكورت – الفكر الشرقي القديم – العقائد والعبادات ص٢١٢ .

(٢) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراتها ص٩٥ .

(٣) سادت فكرة الملك ظل الله في الأرض أوربا أبان عصور الظلام، ومطالع عصر النهضة الحديثة، وكان توماس هويز يقرر أن الملك ظل الله في الأرض، ويؤصل تلك الفكرة من خلال التعاقد الاجتماعي، وكان هويز يقرر أن الملك روض وحوش ومن الضروري أن يتمسك الملك بكل الحقوق ولا يجوز الخروج عليه أبدا حتى لو كان ظالما غشوما، أو مستبدا. [راجع كتابنا: خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة ص٢٨٥]

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ١٢/ ٧ – ٢٥ ، ١٣ / ١– ١٩ ، ١٥/ ١٨ – ٢١ .

(٥) فقصة يوسف عليه السلام في مصر تبتدئ من الآية ٢١ من قوله تعالى: ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سورة يوسف – الآية ٢١] إلى قوله تعالى: ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [سورة يوسف – الآية ١٠٣]

العبرانيون الذين كان بينهم سيدنا موسى الكليم وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك في تفصيل حينا. وإيجاز آخر[1]. طبقا لما تحدثت عنه آيات الذكر الحكيم.

لكن اليهود فيهم طبيعة غريبة هي حب جمع المال من آية ناحية، وبأية وسيلة. ومحاولة الوقيعة بين أفراد المجتمع الواحد. مهما كلفهم ذلك من مشاق. أو تكبدوا في سبيله من متاعب، ومن ثم فما من مجتمع نزلوا به، وكان هادئا إلا اقلقوا أهله، وأفزعوا المقيمين به. وتحولوا معهم من الهدوء إلى الفزع، ومن السكينة والاطمئنان إلى القلق.

كان من جراء ذلك أنهم كلما نزلوا مجتمعا. فإن أصحابه يلجأون إلى التضييق على اليهود بعض الشيء من باب الأعمال الوقائية التي نشط اليهود في ممارستها، وكلما نزل بهم شيء من تضييق الحركة واحتباس الإرادة فإنهم يقدمون على معاداة الدولة ونظامها العام. وذلك مما يفرض على أهل هذه البلاد ضرورة إزلال اليهود وإشعارهم بأنه لا إمكانية لهم في إنفاذ ما به يهددون.

بل إن بعض الفراعين ربما تجاوز في التعامل معهم، فأزاد من قسوته عليهم، وقد صور القرآن الكريم أن فرعون كان يمثل الجانب الأول من القسوة عليهم. قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾[2] أي علا علو طغيان « وتغلب في أرض مصر، يستذل طائفة بأن ذبح أبناءهم. وترك بناتهم خوف خراب ملكه. ويثقل عليهم ويكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون »[3]. وكان يمارس ذلك معهم. لا من باب الحقد عليهم، وإنما من باب تأمين البلاد من الشرور التي تجيء معهم.

- **يقول العلامة الحافظ ابن كثير**: « إن فرعون تكبر في الأرض وتجبر وطغى و جعل أهلها شيعا وأصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته يستضعف طائفة من بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانه هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال ويكدهم ليلا ونهارا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحي

---

(١) يمكن الوقوف على قصة سيدنا موسى مع فرعون في سورة القصص، وكذلك الشعراء والدخان وغيرها من سور القرآن الكريم.

(٢) سورة القصص – الآية ٤ .

(٣) الإمام عبدالرحمن الثعالبي – الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج٣ ص١٧٠ – المكتبة الثعالبية بالجزائر ١٣٢٧هـ

نساءهم إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذى كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه.

وكانت القبط قد تلقوا هذا من بنى إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ما جرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه، فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بنى إسرائيل ولكن لن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب »[1].

أجل كانت لليهود صلات بالمصريين القدماء، غير أن اليهود قد حاولوا ممارسة الأعمال التى يقوم بها المصريون، كما قلدوهم فى الاعتقادات الفاسدة كلها، كما قلدوا غيرهم من الأمم الوثنية فى عبادة غير الله، وإقامة التماثيل والتجسدات التى تعبر عنه، ثم اعتقدوها وحدها، وعبدوها لذاتها، حيث صنعوا مذابح للرب، كما أقاموا الهياكل[2] المعبرة عنه، وجعلوا الرب يتجسد فى الشمس، كما جسدوه فى الليل والنهار، فكانوا مولغين فى الاعتقادات الوثنية أكثر من الوثنيين أنفسهم.

- **يقول هارى كليرك**: إن اليهود قلدوا الوثنيين، ثم بان لهم أن مجرد التقليد لا يشبع رغبتهم، و لا يرد غائلتهم، فأسرعوا إلى ابتكار وثنيات جديدة كانت لهم على سبيل الاستقلال والامتياز. ثم حاولوا تسجيل ذلك داخل أسفار العهد القديم، وقد حققوا فى ذلك الكثير من النجاح[3]. الذى ينعكس سلبيا على حياتهم الوثنية والأخلاقية، بل والأدبية أيضا.

ونظرا لتمايز الأسباط[4] الإسرائيلية، عن بعضها فى الخدمة الكهنوتية، فقد صار بإمكان أى سبط منهم القيام بالأعباء الدينية ويحدد لأفراده التماثيل التى يمكنهم القيام بها. والاعتقاد فيها، وكذلك يمكنه أن يحدد لهم التجسدات التى يجب عليهم اعتقادها كرمز أو معبر عن الآلهة

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج: ٣ ص: ٣٨٠ /٣٨١ .

(٢) الهيكل: بناء داخل الكنيسة يقف عنده الداعي بغية استجابة الرب لدعواه .

(٣) هارى كليرك – نظرات فى التوراة السامرية ص١٩٨، وهو يقدم نماذج من اسفار اليهود على القضية التى يدعيها، ولا يجد ممانعة فى إطلاق الحرية لقلمه حتى يغوص فى العهد القديم ويصفه بكل النقائص كما يفعل ذلك بمؤلفيه.

(٤) الأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط (بالتحريك) وهو الشجر. أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر. الواحدة سبطة. قال أبو إسحاق الزجاج: ويبين لك هذا ما حكى عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم. ولم يكن أحد له اسمان إلا عيسى ويعقوب. [الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – جـ٢ ص١٤٠]

عند اجتماعها أو عند افتراقها. سواء أكانت الآلهة محليه أم عشائريه. وسواء أكانت تحصر تخص بعينه. أم تقع لأكثر من سبط فى وقت واحد

وفى تقديرى: أن الشمس لم تكن لها صورة مستقلة فى الاعتقادات اليهودية، وإنما جاءت عبادتها ضمن مجموعة من التجسدات والتمثلات التى شملت مجموعة من الآلهة. يستوى فى ذلك رع وبعل وخور. كما يتساوى كله مع الحية النحاسية التى كان لها ذكر واسع فى أسفار العهد القديم، ولكنه فى نفس الوقت يؤكد أن الاعتقادات فى تأليه الشمس كان أمرا ساريا بين الكثيرين من الذين ارتضوا الاعتقادات الوثنية، واستراحوا فى القيام بأعبائها.

٥ـ فى بلاد الشام

اشتهرت عبادة الشمس فى بلاد الشام، حتى إنهم أطلقوا على إحدى المدن الرئيسية – بعلبك – اسم مدينة الشمس « المعروفة لدى اليونان باسم هليوبوليس، وهذه المدينة تقع على سفح جبل لبنان الشرقى وتبعد عن بيروت مسافة ٨٥كم شمال بيروت، وقد شيد بهذه المدينة معبد قديم عرف باسم معبد الإله بعل »[١]ن الذى يمثل عقيدة ثابتة فى بلاد الشام.

وكان اليونانيون الذين هاجروا إلى بلاد الشام للتجارة قد اطلعوا على تلك الاعتقادات الوثنية « فأعجبوا بها وأضافوها إلى العقائد التى هى من نسيج بيئتهم وحدهم، ومن خيالات مفكريهم وأحلام حكمائهم »[٢]، الذين كان لهم فى نفوس أهل اليونان القدر الذى يفوق منزلة الآلهة، فكان حكماؤهم آلهة تأكل معهم وتشرب، تبيت بينهم وتقيل وسطهم، وترحل متى شاءت.

وكان البعلبكيون حينئذ يمثلون جماعات من أجناس مختلفة وعقائد متباينة، وأمشاج تغرب حينا وتشرق حينا آخر فى تجارات قد تطول مدة أسفارها أو تقصر، « لكنهم على مر الأيام توحدت اتجاهاتهم العقدية تحت عبادة الإله الشمس، الذى كان له فى نفوسهم جميعا أعلى منزلة، ولم تكن إصداء نداءات حنفاء الجزيرة العربية بقادرة على اقتلاع تلك الاعتقادات الوثنية من مواقعها فى نفوسهم »[٣]، التى تمسكت بها إلى حد التشبع.

---

(١) الشيخ رزق محمد أبو حويلة – اليهود والعقائد الوثنية ص١١٣ ،وراجع للشيخ محمد عبدالمقصود – اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص٩٨ .

(٢) الدكتور حسن محمد سالم – الحضارة اليونانية القديمة ص٢١٥ ، وراجع للدكتور صبرى حسن الخواص – العقائد الوثنية فى الشرق القديم ص٢١٢ .

(٣) الشيخ محمد سيد احمد نواره – بلاد الشام حضارة وعقائد ص٨٩ ط أولى – مراكش ١٣٦٥هـ

غير انه كلما نشبت حروب قبلية أو طائفية فى بلاد الشام. فإن عباد الشمس يحملون بين أيديهم تماثيلها لنصرتهم على أعدائهم. ورغبة منهم فى إحراز النصر الحاسم السريع. إذ كانوا يعتقدون أن الإلهة الشمس تغضب لهم، وبالتالى فقد تحجب ضوءها عن خصومهم حتى يموتوا من البرد، وربما تموت الزروع،وتجف من المواشى الضروع، باعتبار أن الأشعة التى ترسلها الشمس توقظ فى النبات إمكانياته، وتبث فيه الحياة،وتحيله من صور الموت إلى أطوار الحياة المتجددة، التى لا تعرف الاضطراب.

بل الأكثر من ذلك، هو أن « عباد الشمس فى هذه البلاد كانوا يعتقدون أنها إذا غضبت على شعب من الشعوب المغلوبة، فإنها ترسل أشعتها شديدة عالية التركيز. فيقع بها إحراق النبات، وهلاك الزروع، بجانب غليان الماء فى الأنهار والبحار[1]، وذلك كله يعوق الإنسان عن ممارسة حياته الطبيعية فى شكل من الأشكال، أما إذا تأخر غضب الشمس على الأعداء، فإنهم يجتهدون فى الدعاء لها، و السجود عند التماثيل التى صنعوها، ويظلون على ذلك حتى يرحل عنهم عدوهم، أو يبصروا هلاكه أمام أعينهم.

ويذهب بعض الدارسين إلى أن عبادة الشمس قد انتقلت لبلاد الشام من اليونانيين أو المصريين القدماء « على أساس أن بلاد الشام هى مهبط الوحى، وموئل الرسالات ومواطن أغلب الأنبياء، بينما اليونان ومصر لم يأت منهم نبى فعبادة الأوثان بينهم أصيلة، أما بلاد الشام فإن هذه الاعتقادات الفاسدة تكون بالنسبة لهم عبادة دخيلة،متى أراد باحث الوقوف على الحقيقة أو إرجاع الأشياء إلى أصولها »[2].

بينما يذهب بعض آخر إلى أن عبادة الشمس فى بلاد الشام كانت أصيلة. نظرا لخروجهم على العقيدة الصحيحة، التى بعث الله بها الأنبياء والمرسلين، ويستدلون على ذلك بأن ملكة سبأ فى الماضى كانت وقومها يعبدون الشمس من دون الله[3]، وجاء بذلك الحديث فى القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين • إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها

---

(١) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٩٥، وكانت الشمس تنال من عابديها عناية كبيرة. واهتماما متزايدا لم تنقطع أسبابه بينهم. رغم أنهم لم يتحقق لهم شيء من النجاح الأكيد على غيرهم. إلا بتوفيق الله تعالى لا بعبادة الشمس أو غيرها.

(٢) الشيخ محمد عبدالمقصود عطية – اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص١٩٣ وراجع لهايدى ثورك – الديانات القديمة ص١٩٥.

(٣) الدكتور حسن السيد صادق – اتجاهات الفكر القديم ص١١٥. وراجع أيضا جوتفريد مارتن اسكورت – الفكر الشرقى القديم – العقائد والعبادات ص١٢٦

يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾[1]،

وفى تقديرى : أن الاعتقاد فى الشمس كإله قد نشأ عن الأوهام والخرافات، التى سيطرت على بعض العقول، التى افتقدت الأصول العامة والأسس الصحيحة، وأن العبادات التى اتجهت إليها قد أقيمت على أنماط فكرية تجرى فيها الأمراض من مجرى.

﴿ ٦- فى بلاد فارس[2] ﴾

فارس اشتهرت منذ زمن بعيد طويل بكثرة الاعتقادات الفاسدة ، التى تجرى بين أهلها، حتى قيل: من الصعب أن تجد بينهم شخصين يعبدان إلها واحدا[3]، ورغم صعوبة تصديق هذه المقولة، إلا أنها تشير إلى كثرة الآلهة التى ملأت عقول أهل هذه البلاد وسكانها على السواء[4].

ويعلل بعض الدارسين هذه الكثرة من الآلهة لدى أهل فارس إلى أحد أمرين:

---

(١) سورة النمل - الآيات ٢٢/٢٤ .

(٢) فارس ولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، وفارس اسم البلد وليس باسم الرجل ليس أصله بعربي بل هو فارسي معرب أصله بارس وهو غير مرتضى فعرب فقيل فارس. قال بطليموس في "كتاب ملحمة البلاد" مدينة فارس طولها ثلاث وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة طالعها الحوت تسع درجات منه تحت عشر درج من السرطان من الإقليم الرابع لها شركة في سرة الجوزاء يقابلها عشر درج من الجدي بيت عاقبتها مثلها من الميزانبيت ملكها مثلها من الحمل وهي في هذه الولاية من أمهات المدن المشهورة غير قليل. وقد ذكرت في مواضعها وقصبتها الكثير سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل بل سميت بفارس بن طهمورث وإليه ينسب الفرس؛ لأنهم من ولده وكان ملكا عادلا قديما قريب العهد من الطوفان، وقد روي في فارس فضائل كثيرة منها قول ابن لهيعة "فارس والروم قريش العجم". وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أبعد الناس إلى الإسلام الروم، ولو كان الإسلام معلقا بالثريا لتناولته فارس، وكانت أرض فارس قديما قبل الإسلام ما بين نهر بلخ إلى منقطع أذربيجان وأرمينية الفارسية إلى الفرات إلى برية العرب إلى عمان ومكران وإلى كابل وطخارستان، وهذا صفوة الأرض وأعدلها فيما زعموا، وفارس خمس كور إصطخر وسابور وأردشير خره، ودارابجرد، وأرجان قالو وهي مائة وخمسون فرسخا طولا ومثلها عرضا. وبفارس من الأنهار الكبار التي تحمل السفن نهر طاب ونهر سيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر الخويذان ونهر سكان ونهر جرسق ونهر الإخشين ونهر كر ونهر فرواب ونهر بيرده، ولها من البحار بحر فارس، وبحيرة البجكان وبحيرة دشتأرزن وبحيرة التوز وبحيرة الجونان وبحيرة جنكان، وأما القلاع فإنه يقال فيما بلغني إن لفارس زيادة على خمسة آلاف قلعة مفردة في الجبال، وبقرب المدن وفي المدن ولا يتهيأ تقصيها إلا من الدواوين ومنها قلاع لا يمكن فتحها البتة بوجه من الوجوه منها قلعة ابن عمارة وهي قلعة الديكدان وقلعة الكاريان وقلعة سعيداباذ وقلعة جوذرز وقلعة الجص. [معجم البلدان ج٤ ص٢٢٦/٢٢٨].

(٣) أ.ب هيبدز - ديانات فارس القديمة ص١٥ .

(٤) الدكتورة ناظم السيد محمد السعيد - المنظومة التاريخية ص٩٣ .

* **الأول**: طبيعة هذه البلاد البيئية، حيث كانت مؤئلا للفارين والفارين حينا. كما كانت مصدرا للعديد من الهجرات والنزوحات المتوالية. وذلك من شأنه أن يجعل العقائد غير مستقرة، فيفضى بهم أخر الأمر إلى قبول العديد من الاعتقادات التى يحدث لها الامتزاج والتطاحن فتنشأ عنها غيرها.

* **الثانى**: التركيبة السكانية: حيث إن سكانها لم يكونوا جميعا من الآريين أو الساميين، كما لم يكونوا جميعا من طبيعة واحدة يمكن التعامل معها على ناحية بعينها[1]. وهما معا فى غاية الأهمية، لمن يحاول التعرف على أسباب تعدد الآلهة فى بلاد فارس قديما.

* **يقرر توكاريف**: أن القبائل الإيرانية القديمة قد انحدرت من أخرى هندية أقدم منها، وأن ذلك الاختلاط والانحدار السلالى قد وقع قبل الميلاد، حيث كانت المعتقدات الدينية لدى هذه المجموعات متماثلة بعض الشيء، كما كانت لغاتهما هى الأخرى متشابهة، ومن اليسير العثور على موطن الالتقاء بين الديانة الهندية والديانة الفارسية القديمة[2].

والمقابلة بين التراث الإيرانى - الفارسى - القديم ونظيره الهندى والصينى، والقبائل الهمجية تطلع القارئ على مدى تأثر أهل الفرس القدماء بالنزعات الثقافية والدينية، التى كانت سائدة فى هذه المجتمعات، بدليل أن ديانة أفستا **Aivasta** كانت سائدة فى إيران الشرقية - باكتريا - **Pakteriua** أما فى إيران الغربية - ميدى وفارس - فقد كانت ديانة الماغبيين هى السائدة، وفى ظل حكم مملكة الأخمينين امتزجت الديانتان لتصبحا دينا واحدا[3]. لم يلبث أن يقع لأجزائه التفكك والانهيار فتنشأ عنه ديانات كثيرة يصعب حصرها.

وبعيدا عن تعليلات الباحثين واجتهادات الدارسين، فإن عبادة النار هى التى كانت شائعة بينهم، ولها القدر المعلى فى اعتقاداتهم، حتى مبعث سيدنا محمد ﷺ كفيلة بإعلان المنطقة بأكملها داخل نطاق الاعتقادات الوثنية.

* **يقول بارندر**: كانت الشمس فى اعتقادات الفارسين ثابتة، حيث اعتبروا الشمس، أحد الضباط والأساسيين لاهورامزدا فى صراعه مع الظلام[4]، إذ كانت الشمس تمثل نقطة الارتكاز لإله النور، وتمثل كذلك القاعدة الأساسية لانطلاقاته، بحيث يتجاوز الأزمات ويحقق اعلى الانتصارات، وقد وقع أصحاب هذه الاعتقادات الوثنية فى الضلال، لأن الشمس من

---

(١) الشيخ على محمد حكمت الله - العقائد الوثنية ص١٩٨ .

(٢) سيرجى أ. توكاريف - الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٠٧ .

(٣) الشيخ محمد عبدالمقصود عطية - اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص١٢٥ .

(٤) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١٠

مخلوقات الله تعالى، ولها مهام كلفها الله تعالى بها. قال تعالى: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾[1].

❖ **ربما يقال**: إن الدراسات العلمية والبحوث الفنية في مجال تاريخ الأديان، لم تؤكد مقولة اعتقاد الفرس في الشمس كإله، وإنما كانت اعتقاداتهم منصبة على شخصيتي يزدان وأهرمزدا، فمن أين للباحث بأن الشمس كانت أحد الآلهة الأساسية[2]؟ ، أو أنها كانت معبودة لدى الفارسين على جهة من الجهات؟

☜ **والجواب**: أن تاريخ الأديان يتناول الظاهرة المعينة من جانب بحثي محدد، مع مجموعة من الباحثين ذوي الاتجاه الخاص، غير أن ذلك لا يمنع من وجود فريق بحثي آخر، يتناول ذات الظاهرة من جانب مغاير للأول، وتكون نتائجه مقبولة بنفس الدرجة التي جاء منها الأول، أو حكم عليه من خلالها. إذ العبرة في قبول رأي وترجيحه على غيره، لا تكون راجعة للباحثين، وإنما تكون راجعة إلى أدلة كل فريق ودرجة الحكم عليها بالقبول أو الرفض.

بناء عليه، فقد ذهب جمع من الباحثين إلى أن أهل فارس كان لديهم الاعتقاد في تأليه الشمس، وكونها إلها وكان ذلك إحدى العلامات البارزة في الاعتقادات الإيرانية قديما.

---

(١) سورة يونس – الآية ٥ . يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء، وجعل شعاع القمر نورا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرا، ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر، كقوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾. وقوله تعالى: ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾، ﴿وقدره﴾ أي القمر، ﴿منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام، ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة، كقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا﴾، وقال تعالى: ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾، وقوله: ﴿نفصل الآيات﴾ أي نبين الحجج والأدلة، ﴿لقوم يعلمون﴾. [الشيخ محمد علي الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني]

(٢) هذه التساؤلات مما يرد على بعض النتائج التي سبق القول بها، لكن قد يقع استشعار بإعادتها إلى مجال التساؤل، وحينئذ يكون من الضروري عرضها في مجالها، دون انتظار لشيء آخر.

* **يقول زانوفيتش**: إن اعتقاد الفارسين فى الشمس وكونها إلها لم يقع فيه أدنى شيء من الشك. وإنما الشك فى سيادة تأليه الشمس على غيرها من الآلهة، أو تساويها معهم فى الاحترام والتقديس[1]

وبنفس الحماس العلمى يقرر العلامة دوفسكى: أن الشمس حين عبدها الفارسيون لم يكونوا فى نظراتهم إليها شاكين فى أنها مصدر النفع والقوة، كما أنها مظهر الفخر والعظمة. وإنما كان جل همهم هو البحث عن الطرائق التى تجعلها فى رضا تام عنهم، وبعبارة أخرى لم يكن يشغل بالهم كيفية تعليم الناشئة طرائق الاعتقاد فى تأليه الشمس، وإنما كانوا يبذلون جهدهم ليعلموهم كيفية المحافظة على حبها لهم وعطفها عليهم، وأن ذلك كان قبل ظهور المزدكية[2] والزرادشتية وغيرها من الديانات التى كانت لها الغلبة الجماهيرية فيما بعد[3].

غير أنه يمكن القول بأن الاعتقاد فى الشمس إلها، وتقديم العبادة لها بجانب القرابين المتعددة، لم تنقطع فى ظل وجود زرادشت أو مزدك أو مانى، فضلا عن ديصان وغيره. من زعماء المذاهب التى شغلت سماء الفكر فى فارس. نظرا لوجود فكرة تأليه الثنائية فى الاعتقادات داخل عقول أهل فارس، ومن ثم فقد كانت الشمس هى المثل الطبيعى للعنصر الثانى من الثنائية الإلهية.

فإذا عبدوا النيرين[4]، كان الشمس هى النير الأول الأكثر قوة، والأطول عمرا، والأوسع انتشارا، ثم يجيء بعدها النير الثانى. وهو القمر حيث تكون مرتبته تاليه لمرتبة الشمس. باعتبار أن ملازماته تقل كثيرا عن ملازمات الشمس، فهو أضعف قوة وأقصر عمرا، واقل انتشارا. ومن ثم فهى ذات السيادة والقوة حتى على القمر نفسه.

---

(١) رانوافيتش – ديانة الفرس القدماء ص٥٣ ترجمة الدكتور هاشم فخرى ط ١٩٣٧م تركيا.

(٢) المزدكية اتباع مزدك بن نامدان كان موبذ موبذان في زمن قباذ بن فيروز والد أنو شروان العادل ثم ادعى النبوة وأظهر دين الإباحة وانتهى أمره الى أن ألزم قباذ الى أن يبعث إمرأته ليمتع بها غيره فتأذى أنو شروان من ذلك الكلام غاية التأذي وقال لوالده اترك بيني وبينه لأناظره فإن قطعني طاوعته وإلا قتلته فلما ناظر مع أنوشروان انقطع مزدك وظهر عليه أنوشروان فقتله وأتباعه وكل من هو على دين الإباحة في زماننا هذا فهم بقية اولئك القوم. [راجع اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج١ ص٨٩]

(٣) ز- كوسيد وفسكى – حين كانت الشمس إلها ص١٥٣ ط موسكو ١٩٦٨م.

(٤) يطلق لفظ النيرين فى الديانة الفارسية على الشمس والقمر، وقد يطلق لفظ النيرين على النهار والقمر. لكنه إطلاق ضعيف لا تدعمه أدلة قوية أو مقبولة. إذا ما قورن هذا الإطلاق بغيره.

وإذا عبدوا النور والظلمة. « كانت الشمس هي الممثل الطبيعي للنور، وهي العنصر الفعال بين الآلهة ذات الوجود الفكرى في بلاد فارس على وجه الخصوص »[1]. بحيث يمكن القول بأن الشمس كانت الإله المعبود، طبقا لقاعدة الثنائية الصلبة التى هى الأساس فى الأفستا وكل الديانات الفارسية، « حيث يعتقد بعض المؤرخين فى الأديان بأن ثنائية الاعتقاد داخل فارس كانت تقوم على أن مضادات الطبيعة قد انعكست فى هذه الثنائية المخيفة أحيانا، المطمئنة فى أحيان أخرى »[2].

وقد كان التباين الطبيعى بين النور والظلمة ، بين الخير والشر، بين أرض السهول المعطاءة، وقوى الطبيعة المخيفة من الزلازل والطوفان والعواصف وغيرها، يعطى الشمس فرصة كبيرة، بحيث تكون هى الإله المسيطر على باقى الآلهة الأخرى فى النفوس والعقول الإيرانية.

بل من الممكن القول بأن الثنائية فى الاعتقادات داخل الفكر الفارسى، إنما كانت ثنائية رئاسية، بحيث تجمع تحتها العديد من الآلهة الأقل تأثيرا، بمعنى أن كل ما هو طاهر ونيرو مفيد للناس، يطلق عليه فى لغتهم أهورا- مازدا، وكل ما هو شر أو نجس ضار يطلق عليه فى لغتهم: أنغرا - ماينيو[3]، فالشمس داخلة فى نطاق الآلهة الأكبر، من حيث إنها تحقق الأمور الثلاثة. أو تجيء بين جنباتها: ١- الطهر. ٢- النور. ٣- تقديم الفائدة للناس.

لقد انعكست هذه الاعتقادات الوثنية على البيئة الفارسية، فكان لها من التأثير على نفوس أهل تلك البلاد الكثير، إذ رغم دخول الإسلام إليها منذ أمد بعيد، إلا أن البعض منهم ظل على وثنيته؛ لأن طبيعة الإسلام هى منح الناس حريتهم فى الاعتقاد، مع بيان العقيدة الصحيحة فى الله رب العالمين، وبخاصة أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، قد حثنا على ممارسة الحرية الفكرية والاعتقادية من ذلك قوله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين

---

(١) أ.ب هيرز - ديانات فارس القديمة ص١٢٤ ولاشك أن تاريخ هذه الديانات الوضعية يكشف عن تعطش القلوب إلى عقيدة التدين ، ومحاولة التمسك بها، مما يؤكد أن التدين غريزة وأنها فطرية فى النفوس.

(٢) الشيخ على محمد حكمت الله - العقائد الوثنية ص٢١٣ .

(٣) سيرغى أ- توكاريف - الأديان فى تاريخ شعوب العالم، ولاشك أن هذا الكتاب إنما يحكى الصور التى قرأها فى المصادر المتعلقة بتاريخ الأديان الوضعية، ولو أحسن صنعا لأعاد النظر فى هذه الأفكار، التى نقلها، ربما من باب الحكاية لها، من غير اعتقاد فيها، إذ ليس من شأن العقلاء تصديق هذه الخرافات أو قبول ذات الأفكار التى لا تستقيم أبدا على ناحية مقبولة.

الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لـها والله سميع عليم ﴾[١]،

۞ **وقوله تعالى**: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظـالمين نـارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمـهل يشوي الوجـوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[٢] .

۞ **يقول الصابوني** : « يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للنـاس هـذا الـذي جئتكم به من ربكم، هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فمن شاء فليؤمـن ومـن شـاء فليكفـر. هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: إنا أعتدنا وأرصدنا للظالمين الكـافرين بالله ورسوله وكتابه ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ أي سورها[٣]،

وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه[٤]، من حـره، إذا الكـافر أراد أن يشـربه وقربه من وجهه شواه، حتى تسقط جلدة وجهه فيه، كما جاء في الحديث عن رسـول الله صلـى الله عليه وسلم أنه قال: "ماء كالمهل، قال: كعكر الزيـت فـإذا قربـه إليـه سـقطت فـروة وجهـه فيه"[٥]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قـال: "يقـرب

---

(١) سورة البقرة – من الآية ٢٥٦ . قال الإمام الطبرى: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، ثم ذكر الآراء فى المسألة، وعرض موقفه منها، فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في خاص من الناس وقال عنى بقوله تعالى ذكره لا إكراه في الدين أهل الكتابين والمجـوس وكـل مـن جـاء إقـراره علـى دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا ومعنى قوله لا إكـراه في الدين لا يكره أحد في دين الإسلام عليه وإنما أدخلت الألف واللام في الدين تعريفـا للديـن الـذي عنـى الله بقوله لا إكراه فيه وأنه هو الإسلام قد تبين الرشد من الغي. فتأويل الكلام إذا قد وضح الحق مـن البـاطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميز من الضلالة والغواية فلا تكرهوا من أهـل الكتـابين ومـن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له فإلى ربـه أمـره وهو ولي عقوبته في معاده »[جامع البيان ج: ٣ ص١٨/١٢ (بتصرف يسير)]

(٢) سورة الكهف – من الآية ٢٩ .

(٣) وعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: "لسـرادق النـار أربعـة جـدر، كثافة كـل جـدار مسـافة أربعـين سـنة" [العلامـة الحـاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٦٤٣ – الحديث رقم: ٨٧٧٥، والترمذى – سنن الترمذي ج٤ ص٧٠٦ – الحديث: رقم: ٢٥٨٤]

(٤) قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ، مثل دردي الزيت، وقال مجاهد: هو كـالدم والقيـح، وقـال عكرمـة: هو الشيء الذي انتهى حره، وقال الضحاك: ماء جهنم وهي سـوداء وأهلـها سـود، وهـذه الأقـوال ليـس شيء منـها ينفـي الآخـر، فـإن المـهل يجمـع هـذه الأوصـاف الرذيلـة كلـها، فـهو أسـود منـتن غليـظ حار.[الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٨٢]

(٥) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج٤ ص٧٠٤ – ٤ باب مـا جـاء في صفـة شـراب أهـل النـار – الحديـث: ٢٥٨١، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج١٦ ص٥١٤ – ذكر وصف الماء الـذي يسـقى أهـل جـهنم نعوذ الله منه– الحديث: ٧٤٧٣ .

إليه فيتكرهه. فإذا قرب منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه. فإذا شربه قطع أمعاءه، يقول الله تعالى ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾»[1].

وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقزم، فيأكلون منها فاجتثت جلود وجوههم. فلو أن مارا مر بهم لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود، ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة بئس الشراب هذا الشراب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾، وقال تعالى: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي حارة، كما قال تعالى: ﴿وبين حميم آن﴾[2]، ﴿وساءت مرتفقا﴾ أي وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق»[3]، كما قال في الآية الأخرى ﴿إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾[4].

وكان من آثار هذه الاعتقادات الوثنية على بعض العقليات الفارسية فى العصر الحديث، ظهور الأفكار الشاذة، التى دعت إليها الشيخية والبابية، ثم البهائية، ومهدت كذلك لظهور القاديانية فى شبه القارة الهندية، وكذلك الأحمدية وغيرها، من المذاهب والتيارات أو الفرق التى اعتقدت الوثنية، وراحت تتحدث باسمها، وتدافع عنها تحت غطاء من الأسماء التى لها وجود فى الألفاظ العربية والتسميات الإسلامية.

لكن هذه الأفكار الوثنية كانت قد تغلغلت بين اليهود، بخاصة فى العصر الهللينى والإمبراطورية الرومانية، وكان ميترا هو المظهر الطبيعى لتلك الأفكار الوثنية[5]، إذ كما كانت الشمس هى عمود الارتكاز فى تلك العقائد. فقد كان ميترا هو المعبر عنه، وكأنه المتحدث باسمه، أو الناطق الرسمى لابديل عنه، ولأن الشمس مصدر الحرارة والدفء فقد اختيرت النار كمظهر مادى لها،

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج٥ ص٢٦٥ – الحديث: ٢٢٣٣٩، والطبرانى – المعجم الكبير ج٨ ص٩٠ – الحديث: ٧٤٦٠ .

(٢) سورة الرحمن – الآية ٤٤ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثانى .

(٤) سورة الفرقان – الآية ٦٦ .

(٥) رانوافيتش – ديانة الفرس القدماء ص١٢٥، ولمزيد من التفاصيل راجع الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٨٥ وكذلك الحضارة اليونانية القديمة ص١١٧ .

إذا اختلطت ديانات فارس الوثنية مع بعضها. وتداخلت فيما بينها. فظهرت طائفة اليزيديين فى أوساط قسم من أكراد آسيا الأمامية. وكلمة يزيد Iezid جاءت من التسمية المزدكية للملائكة إيزيد ized أو يزد Lzed بل مازالت آثار المزدكية قائمة حتى عصرنا الحالى لدى بعض شعوب القوقاز، تتمثل فى طقوس دفن الموتى. ومعبد النار فى مدينة ماكو، وقد تمثل ذلك كله فى جماعات الغيبرين، وعبدة النار[1]، الذين أولع اليهود بحبهم والتعلق بما يعتقدونه. وتجسيدهم - لهذه الاعتقادات، حتى صاروا وثنيين، من أعلى الرأس إلى أخمص القدم. رغم زعمهم انهم شعب الله المختار، أو أنهم أتباع موسى بن عمران[2] عليه السلام، أو أنهم أبناء الله وخاصته، وما هم إلا شياطين مردة فى أشكال وتجسدات آدمية انمحت منها السمات التى تميز أفراد الإنسانية.

هذه المزاعم الكاذبة تكررت على ألسنة ممن خلقهم الله تعالى البعض، ومنهم اليهود والنصارى وهم فى كل ما زعموا كاذبون. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾[3].

❁ **يقول الإمام الشوكانى:** « أثبت اليهود لأنفسهم أنهم أبناء الله وأحباءه، وجرى هذا الزعم فى النصارى، تأثيرا، وذلك بمجرد الدعاوى الباطلة والأمانى العاطلة. فرد الله عليهم بقوله: فما باله يعذبكم بما تفترقونه من الذنوب، بالقتل والمسخ وبالنار يوم القيامة، فإن الابن من جنس

---

(١) سيرغى أ. توكاريف - الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٦٥.

(٢) هو نبى الله وكليمه موسى بن عمران بن فاخت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ كلمه الله وأرسله إلى فرعون مصر منفتاح (مرنبتاح) ابن رعمسيس (رمسيس) الثانى ورابع فراعنة الأسرة التاسعة عشرة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد لإخراج قومه بنى إسرائيل، ولم تأت بعد شريعة موسى شريعة كاملة إلا شريعة محمد ﷺ وبينهما شبه كبير فى حياتهما ودعوتهما وإيذائهما من قومهما، وشريعتهما وقد وردت قصة سيدنا موسى فى مواضع كثيرة من سور القرآن الكريم، وورد اسمه فى ١٣٦ مرة تقريبا، توفى فى آخر سنوات التيه فى صحراء سيناء، وبعد موت أخيه هارون عليهما السلام، ودفن فى أرض مؤاب جنوب الأردن وكان عمره ١٢٠ سنة. [العلامة الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية ص٩٣٠، وقصص الأنبياء للنجار ج١ ص٢٠٢].

(٣) سورة المائدة - الآية ١٨.

عباس رضي الله عنهما قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »[1].

وكان ملوك سبا قد صاغوا قوانين تأليه الشمس وعبادتها، وطرائق تلك العبادة، وكيفية تقديم الذبائح والقرابين لها، مع الاستمرار في طاعتها وعبادتها، فلما وليت بلقيس عرش المملكة، كانت أسباب الترف الحياتي أوسع، ووسائل الرفاهية أكثر، وبات سد مأرب أحد وسائل الرفاهية، وأسباب الترف معا، وكانت عبادتهم الكافرة تصرفهم عن التوبة إلى الله تعالى. قال جل شأنه: ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾[2].

ومن رحمة الله تعالى وفضله، أن جعل في سبأ هذه نعما كثيرة، متكاملة من رزق الله تعالى، وعطفه ورحمته، حتى كانت أراضيهم متى ساروا في أي اتجاه منها وجودها جنانا في جنان، وهذه البلاد المتكاملة في جمال المساكن ومتانتها، واكتمال البساتين، وكثافة أحمالها، جاءت فيها المطاعم والمشارب على نفس الكمال وأتم النعمة، وفوق ذلك فكانت سبا ظاهرة عن الؤذيات الزاحفة والطائرة فلا عقارب فيها ولا حيات، ،لا وباء فيها ، حيث وصفت بأنها بلدة طيبة. قال تعالى : ﴿ لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾[3].

غير أنهم بعد بلقيس المؤمنة بالله تعالى رب العالمين[4]، ظلموا أنفسهم فكفروا بالله تعالى وعبدوا غيره، وأنكروا نعم الله تعالى عليهم[5]، وظنوا ان ما يقيمون فيه من نعم وكمال الصحة،

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٥ ص٢٣٥٧ – ٨٤ كتاب الرقاق – ١ باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة– رقم: ٦٠٤٩.

(٢) سورة النمل – الآية ٤٣ . "وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين"، هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد أي قال لسليمان "أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين"، وهي كانت قد صدها ومنعها من عبادة الله وحده "ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين" (هذا الذي قاله مجاهد هو قول سعيد بن جبير وقد اختاره ابن جرير وابن كثير). قلت: ويؤيد قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح. [راجع مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثاني]

(٣) سورة سبأ – الآية ١٥ .

(٤) وهناك روايات عديدة بعد إسلام بلقيس منهم من ذكر أنها تزوجت نبي الله سليمان ، إذ لا يصح أن تبقى في علاقة زواج من غير المسلم. ومنهم من ذهب إلى أنها تزوجت بامر سليمان عليه السلام تبع ملك همدان بناء على طلبها، وبعد زواجهما ردهما إلى اليمن، ولم يزل بها ملكا حتى قبض، وتعددت الروايات بجعل المرء يخوض في ذلك كله لله تعالى لكن الحقيقة هي أن قومها قد غيروا وبدلوا بعدها، ورجعوا لعبادة الشمس، بكل ما أمكنهم،وكأنها لم تعلن إسلامها بينهم. [للمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة القصة في تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير،ومفاتيح الغيب للفخر الرازي، وتفسير الخازن وتفسير القرطبي والطبري، ففيها آراء كثيرة، ،التفويض في هذه الأمور إلى الله تعالى أحكم وأسلم]

(٥) قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ [سورة الكهف – الآية ٥٧] وقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ [سورة الأحزاب – الآية ٢٢]

ونظافة البيئة مرده إليه أنفسهم لا إلى الله تعالى. ولم يعتبروا بآيات الله في الأمم الغابرة، والقرون السالفة. فبهذا ظلموا أنفسهم. كما ظلموا بنيهم معهم[1]. وقد جرت سنة الله في خلقه أنه متى أوفت النعم على قوم تفضلا منه تعالى ورحمة. ثم خرج هؤلاء على شرع الله تعالى. فإنه جل شأنه يعاقبهم على كفرهم ومخالفتهم لما أمر به.

قال تعالى: ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل • ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾[2].

يقول ابن كثير: « فأعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين • إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾[3].

فأرسلنا عليهم سيل العرم قيل المراد بالعرم المياه وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير، وذكر أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ نقبته، قال وهب بن منبه[4] وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب

---

١) قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [سورة النحل - الآية ١١٢]

٢) سورة سبأ - الآيتان ١٦/١٧ .

٣) سورة النمل - الآيات ٢٢/٢٤ .

٤) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار الإمام العلامة الأخباري القصصي أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه. مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين ورحل وحج . وأخذ عن ابن عباس وأبي هريرة إن صح وأبي سعيد والنعمان بشير وجابر وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على خلاف فيه وطاووس .حدث عنه ولداه عبد الله وعبد الرحمن وعمرو بن دينار وسماك بن الفضل وعوف الأعرابي وعاصم بن رجاء بن حيوة ويزيد بن يزيد بن جابر وعبد الله بن عثمان بن خثيم وإسرائيل أبو موسى وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق والمغيرة بن حكيم والمنذر بن النعمان وابن أخيه عقيل بن معقل وابن أخيه عبد الصمد بن معقل وسبطه إدريس بن سنان وصالح ابن عبيد وعبد الكريم بن حوران وعبد الملك بن خلج وداود بن قيس وعمران بن هريد أبو الهذيل وعمران بن خالد الصنعانيون وخلق سواهم. مات سنة أربع عشرة ومائة< [سير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٤٤ - رقم: ٢١٩]

الإمبراطورية بين أمم الأرض قاطبة. وكان ذلك من خيال الساسة المغمورين الذين أحاطت بهم قوة هم عاجزون عن تفهم حدودها.

إذن صارت الشمس هي الرمز التوحيد الرائع، ونقطة تجميع الإمبراطورية الرومانية بأسرها، فانحطت قيمة هذا الدين القديم، كما أن اغتصاب العروش بين أفراد السرة السيفروسية. جعل من الصعب أن يعامل الإمبراطور بوصفه نقطة مركزية للعبادة، كما كان يأمل. وحتى مبالغات الإمبراطور هليوجابولس لم تستطع تدمير قوة الرمز، بدليل أنه في عام ٢٧٤ نصب القس أورليان **Aurelian** إله الشمس إلها أعظم للإمبراطورية الرومانية[1].

ومع أن روما اعتنق بعض أهلها المسيحية فيما بعد « لكنهم لم يتمكنوا من اقتلاع عبادة الشمس، كما عجزت المسيحية عن جعلهم يتنازلون عن عبادة الشمس[2]، حتى مع تزايد عدد المسيحيين بها، ويحلل بارندر ذلك بأن مسيحية الإمبراطور قسطنطين كانت مسيحية مبهمة غامضة، فأسرته كانت مدينة بالولاء التقليدي لإله الشمس[3]، الذي كان الرمز الطبيعي للإمبراطورية الرومانية، على أساس أنه المثل لميترا قاهر الظلام، أو أنه ذات قاهر الظلام.

على أن عبادة الشمس لدى سكان روما لم تتخذ شكلا بعينه، أو صورة متجسدة، ذات أبعاد محددة، وإنما كانت تتخذ من الأشكال ما يتناسب مع تفكير عابديها، ولما كانت الأنماط الفكرية مختلفة، والفروق الفردية هي الأخرى متباينة، فقد صار بالإمكان إبراز العديد من الملامح لتلك العقيدة التي شغلت عقول سكان روما ردحا من الزمان.

لقد كان ميترا يمثل أحد تجسيدات الشمس، لكنه مرتبط في الوقت ذاته بتصورات أخلاقية، فاسمه يعني اليقين، ثم إن نصوص أفستا القديمة لا تحوي له تصويرا، لكنه تمتع بالتمجيد في أوساط الشعب وكان الملك أرتاكسيوكسي الثاني (٤٠٥/٣٦٢ ق.م) قد جعل عبادته أمرا رسميا، وقد ارتبطت ميترا بالشمس ارتباطا وثيقا. بحيث صار من الصعب فصل أحدهما عن الآخر، حيث جعلوا يوم ميلاد ميرا يوافق فترة الانقلاب الشمسي الشتوي ٢٥ كانون الأول- ديسمبر - وهذا في حد ذاته يثبت طبيعة ميترا الشمسية، وقد اعتبر ميترا في الوقت ذاته منقذا[4]. ومن ثم تبين أن روما لم تنفصل عن عبادة الإله الشمسي، مع أنها في الظاهر تدين بالمسيحية.

---

(١) جفري بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١١ .

(٢) الدكتورة ناظم السيد محمد السعيد - المنظومة التاريخية ص٢١٥ .

(٣) جفري بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١١ .

(٤) سيرغي أ. توكاريف - الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٣٦٤ .

أجل فرضت الإمبراطورية الرومانية عقائدها الوثنية، على باقى الشعوب المجاورة لها، إما عن طريق الحروب التى تنتهى بالاستعمار العسكرى والثقافى، أو بالثقافة التى تتمثل فى الأعمال الفنية بأنواعها المختلفة، من رسم ونحت إلى مسرح وقصة ورواية، إلا أنها لم تنجح فى فرض عقيدة بعينها، وإنما ظلت الأمور منفتحة على آخرها، حتى ظهرت جملة من العقائد المتعددة.

وقد حققت الأمبراطورية الرومانية فى ذلك بعض النجاحات المتوقعة، باعتبار أن المنتصر متى كان ظالما، أورد المهزومين الهلكة، ومتى كان بعيدا عن الدين الإلهى الصحيح، فإنه يودى بالآخرين فى النار، يستوى فى ذلك أن يكون الآخرون هم أبناء جنسه، أو أفراد رعيته، أو غرباء ساقهم القدر فى طريق ذلك الجبار الغشوم، وأنباء الدهر بهذا الخصوص لم تنقطع.

- **ويذكر بارندر** : أن قسطنطين جاءته الرؤية الشهيرة للصليب من الشمس وهو فى طريقه إلى روما، وواصلت الشمس ظهورها عل ما سكة من نقود خلال عشرة أعوام، وعلى قوس النصر الذى أقامه فى روما، ويحمل تمثاله المقام فى القسطنطينية[1] التاج المشع لإله الشمس

---

(١) قسطنطينية ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسب، كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها إستنبول وهي دار ملك الروم بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح. عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه، ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي في البر وسمك سورها الكبير أحد وعشرون ذراعا وسمك الفصيل مما يلي البحر خمسة بينها وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعا وذكر أن لها أبوابا كثيرة نحو مائة باب منها باب الذهب وهو حديد مموه بالذهب، وقال بطليموس في كتاب الملحمة مدينة قسطنطينية طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة وعرضها ثلاث وأربعون درجة وهي في الإقليم السادس طالعها السرطان ولها شركة في النسر الواقع ثلاث درج في منبر الكفة والردف أيضا سبع درج ولها في رأس الغول عرضه كله وهي مدينة الحكمة لها تسع عشرة درجة من الحمل بيت عاقبتها تسع درج من الميزان قال وليست هذه المدينة كسائر المدن لأن لها شركة في كواكب الشمال ومن ههنا صارت دار ملك وقيل طولها تسع وخمسون درجة ونصف وثلث وعرضها خمس وأربعون درجة، ومن المناير العجيبة منارة قسطنطينية لأنها منارة موثقة بالرصاص والحديد والبصرم وهي في الميدان إذا هبت عليها الرياح أمالتها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا من أصل كرسيها ويدخل الناس الخزف والجوز في خلل بنائها فتطحنه. [العلامة ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله المتوفى ٦٢٦هـ- معجم البلدان ج٤ ص٣٤٧/٣٤٨ - دار الفكر- بيروت - (بدون تاريخ وتحقيق) . وراجع الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ج٤ ص٣٩٥ - تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى]

مصنوعا - كما اعتقد هو نفسه - من مسامير الصليب الحقيقية. لقد كان إلهه إلها للقوة، لكنه لم يكن أبدا إلها للحب. ومعنى ذلك أن عملية الشمس لم تهزم هزيمة كاملة[١]، بل ظل تمثالها صامدا، كما ظلت تجسداتها قائمة.

بيد أنه بالنظر إلى الانتقالات والنزوحات بجانب الهجرات، التى قام بها اليهود يتضح أنهم قد عبدوا ميترا طوعا أو كرها، وأنهم قدموا له الطقوس، وأنشأوا الهياكل بغرض إرضاء الحاكم الرومانى، الذى ما كان يرضيه أن يوجد بين أرجاء الإمبراطورية كلها من يخالف اعتقاداته الشخصية، أو الاعتقادات الرسمية للأمة الرومانية.

لكن لما كان اليهود عبارة عن مجموعة من الغرباء فى تلك الديار، فقد لجأوا إلى استخدام الأقنعة التى يجيدون التعامل بها « وهى الطاعة العمياء، والتنفيذ التام لكل ما يلقيه الحاكم، متى كان قويا أو ظالما مستبدا، وتمثيل دور المواطن الملتزم المحب لقيادته، متى كان الحاكم غرا لين الكتف[٢]، مع البراعة فى إظهار العواطف والتصنع عند إبراز المفاتن، واللعب بالأوراق النقدية أو الذهب، متى كان الحاكم ممن يلهثون خلف بريق هذه أو سراب تلك، ومن ثم فقد مارسوا تلك الاعتقادات الوثنية مع يقينهم بأنها وثنية، لكنهم كانوا يفعلون ذلك بغرض إرضاء من بيده سدة الحكم، أو يتمكن من إلحاق الأذى بهم فى شيء.

يظهر ذلك فى العصر الحديث مع يهود الدونمة، الذين ظهروا فى تركيا إبان الخلافة الإسلامية[٣]، وظهروا فى إيران، لكنهم أعلنوا الإسلام،وأبطنوا الكفر، وقد انطلقت خدعهم على بعض الحكام من المسلمين، فاسقط عنهم الجزية، وتولى بعضهم مراكز قيادية، منها ما يتعلق بالأعمال الإدارية،ومنها ما يتعلق بالأعمال الطبية، ومنها ما يتعلق بالأمن العام والجيوش الإسلامية، التى كانت ولايتهم عليها من أهم الهزائم التى لحقت بها[٤].

---

(١) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١١/١١٢ .

(٢) ذلك ديدن اليهود فى كل عصر من العصور. لكن إذا هدأت العاصفة، فإن أحوالهم تتبدل، ويصيرون ثعالب لا تبقى ولا تذر، ولا غاية لهم ألا التسلط على رقاب الأبرياء، والنهل منهم على كل ناحية. [راجع للدكتور حسن زكرى ألاعيب - اليهود ص١٢٥]

(٣) أ. بوريس جورجياس - اليهود قديما وحديثا ص١٢٢ .

(٤) راجع للدكتور محمد إبراهيم زغرون - دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية ص٣ وما بعدها - دار التوزيع والنشر الإسلامية ، وللأستاذ مصطفى طولان - أسرار الانقلاب العثمانى ويوميات هرتزل]

وقد نجح هؤلاء اليهود فى اللعب على عواطف بعض الخلفاء المسلمين من الاتراك. حتى كانت لهم اليد الطولى فى إدارة شئون البلاد. وكانوا عوامل هدم الخلافة الإسلامية. التى حل بدلا منها المستعمر الأوربى. الطامع فى خيرات البلاد الإسلامية الناقم عليها المتربص بها[1].

إذا اليهودى لا مانع لديه من القيام مع الحاكم بدور الخادم المطيع لسيده. متى كان ذلك الحاكم قويا، أما إذا ضعف الحاكم – غير اليهودى – فإن الأمور معه تنقلب ويتحول اليهودى الصعلوك إلى ملك، بل ولا مانع لديه من إعلان نفسه ملكا فوق كل الملوك، وهى كلها من طبائع النفس اليهودية التى لا هم لأصحابها سوى اقتناص الفرص واستلاب الأموال من أصحابها. قال تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبآؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[2]. من ثم فقد صارت الذلة محيطة بهم فى كل حال، ولزمهم غضب من الله الذى صاروا مستحقين له لكونهم بآياته يكذبون، وقتلوا أنبياءه وبسبب عصيانهم واعتدائهم على ما شرع الله[3].

ومن الثابت لدى المؤرخين للأديان: « أن اليهود فى روما القديمة كانوا يعتقدون فى الإله الشمس، وأقاموا له المعابد التقديسة، بل إن بعضهم تسمى به إظهارا منهم للقيادة السياسية بأنهم على نهجهما يسيرون، وخداعا لجماهير الشعب التى تدين بتلك الاعتقادات مع أنهم فى داخلهم كانوا يرفضون تلك الاعتقادات، ومتى انفرد بعضهم ببعض حكموا بأنها فاسدة، بل ودفعوا الأغرار إلى إعلان فسادها، نكاية فى السلطة الحاكمة، وهربا من بأس العامة[4].

على أن تجسدات اليهود لميترا – إله الشمس – هذه المرة لم تكن على نمط التقليد، الذى قاموا به فى الأمم السالفة، التى عبدت الشمس أيضا، وإنما كانوا ينظرون إلى نوعيات التمثلات والتجسيدات السائدة، ثم يعملون على تقليدها، ربما فى شكل أكبر عمومية، وأوسع نشاطا، ظنا منهم أن ذلك يرضى القيادة السياسية فى البلدان التى يقيمون فيها، بحيث يقع لهم الرضا.

---

(١) انتهت الخلافة الإسلامية عمليا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م/١٩١٩م حيث تم تقسيم أجزاء الخلافة بين الدول، ولم يعد لتركيا الإسلامية لا مجرد الاسم. فلما جاء مصطفى كمال أتاتورك أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية، وتحويل تركيا إلى دولة علمانية ١٩٢٤ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٢

(٣) راجع للأستاذ سليمان عبدالله الأشقر – زبدة التفسير من فتح القدير ص٨١

(٤) الدكتور محسن السيد يسرى – اليهود عبر التاريخ ص٣٢٧ ط أولى ١٩٦١م، وراجع ايضا للدكتور فوزى السيد نصر – اليهود بين التاريخ والأحداث ص١٣٥ . وللأستاذ مصطفى طولان – أسرار الانقلاب العثمانى، وراجع كذلك يوميات هرتزل.

وتتحقق لهم الفوائد العظيمة التى يرجونها، من ثم فقد صنعوا لإله الشمس العديد من التماثيل. حتى إن بعضهم كان يقوم بعبادتها فى شكل علنى. ويقدم لها الطقوس فى شكل علنى أيضا وقد ظن الأغرار منهم أن ما يقوم به هؤلاء الكبار حقيقة دينية فقلدوهم حتى صارت الوثنية هى العقائد الغالبة على كل الشبيبة اليهودية فى بلاد المهجر[١]، الذين لم يكن لهم من هم سوى التعرف على كيفية خداع الأمم الأخرى. والتآمر عليهم لإسقاطهم من عروشهم التى هم عليها إلى ما دون ذلك، من غير الثقات إلى ما يترتب عليه من انهدام قيم أو تدمير أخلاق.

﴿ ٨- فى مملكة سبأ[٢] ﴾

يذكر المؤرخون أن منطقة جنوب بلاد العرب مرت بالعديد من الأدوار. ابتداء من الماضى البعيد، حتى يومنا هذا. ويؤكدون أن دولة معين كانت ذات سيادة وقوة مع بأس، وكان أهل معين يجاورهم بعض قبائل من قحطان، يقوم بعض أفراد قحطان برعى قطعان الماشية على تخوم دولة معين، ولما كان المعينيون مترفين ويفرضون الضرائب. ويحصلون على الأرباح الكثيرة لأنفسهم فى الوقت الذى يعيش غيرهم فى شظف من العيش، فقد دفع هذا الموقف بعض رعاة القبائل المجاورة إلى الإغارة على مزارع المعينين، حتى إذا نبغ منهم أحد زعماء تلك القبائل. وهو صاحب قصر صرواح شرقى صنعاء، واسمه سبأ أمكنه أن يجمع القبائل حوله والقضاء على الدولة المعنية، لتظهر دولة سبأ التى استمرت من عام ١٠٠٠ إلى ١١٥ ق.م[٣].

ويذهب البعض إلى أن سبأ هذا إنما هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسكى سبأ لكثرة سبيه وغزوه ومهاجمته لخصومه، لأنه أول من سبى فى جزيرة العرب، ومنه بدأت الدولة السبئية[٤]، التى كانت عاصمتها مدينة مارب[٥]، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وكانت أيام سبأ ومن تلاه ذات قوة ومنعة وحضارة زاهية.

---

(١) الدكتور محسن السيد نصر - اليهود وحركة التاريخ ص١٩٧ ط دار المختار ١٩٦١م.

(٢) فى القرآن الكريم سورة سبأ ترتيبها فى المصحف الشريف ٣٤، وهى مكية عدا آية رقم ٦ وآياتها أربع وخمسون آية نزلت بعد لقمان وقد وردت الكلمة سبا فى القرآن الكريم فى موضعين. الأول فى قوله تعالى: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾[سورة النمل - الاية ٢٢] والثانية فى قوله تعالى: ﴿ لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾[سورة سبأ - الآية ١٥]

(٣) الدكتور صبرى محمد حسن الثروى - قبيلة سبأ ص٣٥ ط دار الفؤاد ١٩٥٧م.

(٤) ويذكر المؤرخون أنه كان يعاصر دولة سبأ فى اليمن عدة دويلات، ومنها الدولة القتبانية بالركن الجنوبى الغربى من بلاد اليمن وعاصمتها تمناء، ودولة حضرموت التى قامت بالإقليم الذى يعرف بهذا الاسم وعاصمتها شبوه. [زيادة - العرب وظهور الإسلام ص٥٨]

(٥) الدكتور محمود محمد زياد ، العرب وظهور الإسلام ص٥٦ .

تغير نظام الحكم فيها من الشورى إلى حكم الفرد، ومن حكم نظام التعاونيات إلى الإقطاع، فأضاع ذلك بقوتها، بدليل أنها وقت تملك نبى الله سليمان[1] كانت ضعيفة[2]، وبالتالى فقد عجزت عن حربه مع أن دولة سبأ كانت كبيرة فى الوقت الذى كان نبى الله سليمان ملكا على فلسطين وحدها، وهى قطر صغير إذا قورن بمملكة سبأ، لكن الحكم فى فلسطين كان شوريا، مما جعل الدولة الفلسطينية أقوى من دولة سبأ حينذاك.

آل الحكم فى سبأ إلى سيدة من نسل سبأ بن يشحب تدعى بلقيس بنت عبد شمس بن يشحب ... بن قحطان[3]، فى الوقت الذى كان فيه نبى الله سليمان نبيا وملكا، وكان أهل سبأ لما كثرت عليهم النعم لم يقابلوها بشكر المنعم جل علاه، وإنما انخرطوا فى عبادة الشمس على أساس أن الرفاهية التى أقبلت عليهم كانت سببا فى الانغماس داخل الملاذ والترف، حتى إن المرأة منهم كانت إذا أرادت السير فى الحدائق على رأسها المكتل، فإنها لا تسير سوى خطوات قليلة، ثم تعود وقد امتلأ مكتلها بكافة الثمار الساقطة عليها، من غير ان تمد يدها لشجرة،

---

(١) هو سليمان بن داود – عليهما السلام – بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله جاء في بعض الآثار انه دخل دمشق قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لأنه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم وأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معاشر الأنبياء لا نورث فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها أقرباؤهم لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وارادتها . [البداية والنهاية لابن كثير ٣١٥/٣] ويعرف نبى الله سليمان بن داود فى التوراة باسم الملك سلومون شخصية فذة فى القصص الإسلامى فهو من أربعة حكام حكموا العالم – اثنان كافران (النمرود وبختنصر) ، واثنان منهما مؤمنان (ذو القرنين، وسليمان ﷺ) وكان سليمان أكثرهم تألقا، خاصة بقدرته العجيبة فى تسخير الريح والجن والطير، وقد اتسم الجانب الزاهر من حكمه بالسلام والنشاط التجارى، وتوثيق العلاقات التجارية، وقد ذكر نبى الله سليمان ﷺ فى القرآن الكريم ست عشرة مرة، بينت فيها نعم الله عليه. [راجع موجز دائرة المعارف الإسلامية ج١٩ ص٥٨٣٦، وكذلك الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص١٠٠١]

(٢) الدكتور محمود محمد زيادة – العرب وظهور الإسلام ص٥٦ .

(٣) ويذهب الفخر الرازى إلى أنها كانت تدعى بلقيس بنت شراحبيل، وكان أبوها قد ملك أرض اليمن. وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس من دون الله. [مفاتيح الغيب – المجلد الثانى عشر ج٢٣ ص٢٠١]

فتأخذ منها، وكان ذلك من أنعم الله تعالى. قال جل شأنه: ﴿ لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾[(١)]، إلا أنهم لم يأخذوا أنفسهم إلى أنعم الله حتى يشكرون، وإنما لاذوا إلى جانب من التكذيب بالنعم والكفران لها.

۞ **يقول الإمام القرطبي**: « سبأ في الأصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن فروة بن مسيك المرادي[(٢)] قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغطيفي؟ فأخبر أني قد سرت، قال فأرسل في أثري فردني فأتيته وهو في نفر من أصحابه فقال: ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك. قال وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل يا رسول الله وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل يا رسول الله ما أنمار؟ قال الذين منهم خثعم وبجيلة"[(٣)].

أيه وعلامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك[(٤)]، ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر.

وقال عبدالرحمن بن زيد[(٥)] عن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غيرها من الهوام وإذا جاءهم الركب

---

(١) سورة سبأ – الآية ١٥ .

(٢) هو فروة بن مسيك الغطيفي أبو سبرة المرادي أصله من اليمن سأل النبي عن سبأ عداده في الكوفيين وهو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن الدريد بن مالك بن طريف بن منبه بن غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد المرادي. [الثقات ج٣ ص٣٣١ – رقم: ١٠٨١، ومشاهير علماء الأمصار ج١ ص٤٦ رقم: ٢٩١]

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٥ ص٣٦١ – ٣٥ باب ومن سورة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم – الحديث: ٣٢٢٢.

(٤) لقوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ۞ ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ [سورة الحج– الآيتان ٧٤/٧٣]

(٥) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر وصفوان بن سليم وأبي حازم سلمة بن دينار وعنه بن وهب وعبد الرزاق ووكيع والوليد بن مسلم وابن عيينة وعيسى غنجار وهارون بن صالح الطلحي ووهب بن سعيد بن عطية السلمي وأبو مصعب الزبيري وسويد بن سعيد الحدثاني ومحمد بن عبيد المحاربي وعيسى بن حماد زغبه وآخرون، وروى عنه مالك بن مغول ويونس بن عبيد وهما أكبر منه وزهير بن محمد التيمي ومرحوم بن عبد العزيز العطار. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. [تهذيب التهذيب ج٦ ص١٦١ رقم: ٣٦١]

في ثيابهم القمل والدواب فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب وقيل إن الآية هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها مكتل فيمتلىء من أنواع الفواكه من غير أن تمسها بيدها

وكانت الجنتان بين جبلين باليمن قال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على أحدهما نحن بنينا سلحين في سبعين خريفا دائبين وعلى الآخر مكتوب نحن بنينا صرواح مقيل ومراح فكانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله قال القشيري[1] ولم يرد جنتين اثنتين بل أراد من الجنتين يمنة ويسرى أي كانت بلادهم ذات بساتين وأشجار وثمار تستتر الناس بظلالها كلوا من رزق ربكم أي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم أمر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم.

وقيل أي قالت الرسل لهم قد أباح الله تعالى لكم ذلك فأشكروه بالطاعة من رزق ربكم أي من ثمار الجنتين واشكروا له يعني على ما رزقكم هذه بلدة طيبة أي كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها، ورب غفور وهو المنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه، وقد امتن الله عليهم بعفوه عن عذاب الإستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا »[2].

لكن هؤلاء القوم من أهل سباق عبدوا الشمس واتخذوها إلها، وانخرطوا فى الأعمال الشيطانية والاعتقادات الوثنية، وكانوا يتبارون فى ذلك الفساد الاعتقادى، وممارسة أنواع الموبقات من الأخلاق المزدية التى توقع صاحبها فى غضب ا لله تعالى، وهل يوجد بعد الكفر ذنب أكبر منه؟!

أجل عبد السبئيون الشمس وصنعوا لها تماثيل. منها ما هو شخصى يعبد لوقت قصير. ثم يتنحى عنه صاحبه، ومنها ما هو عائلى يجرى مع العائلة المعينة فى وقت، ثم يتخلون عنه فى أخر، كما أن الشخصى والعائلى من هذه التماثيل الشمسية، إنما كان لشغل وقت الفراغ، إذ لم تكن لديهم الفراغات المتعددة، كما أن النعم كانت لهم وافرة، وفى الحديث الشريف: عن ابن

---

(١) القشيرى : هو الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيرى الخرسانى النيسابورى الشافعى الصوفى المفسر صاحب الرسالة . ولد سنة ٣٧٥هـ كان علامة فى الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة . صنف: (التفسير الكبير)، وهو من أجود التفاسير ، وصنف (الرسالة) فى رجال الطريقة . توفى سنة ٤٦٥هـ . [سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٥٦٤] .

(٢) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٨٢/٢٨٤ .

أبيه. لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب. وأنتم تذنبون. والحبيب لا يعذب حبيبه، فهذا يدل على أنكم كاذبون »[1]

﴿ ٧ـ فى روما القديمة[2] ﴾

تعتبر روما أحد المعاقل الرئيسية لبعض أتباع الديانات الوثنية الذين حرصوا على إقامة دولتهم داخل نطاق روما، غير أنه فى روما القديمة قد اعتقد الناس فى الإله sol سول إله الشمس. وأحلوه فى نفوسهم محل الإله،وكلما تجددت أيامهم او تحركت معهم الظروف لصالحهم، أو ضدهم، فإنهم يلجأون إلى الإله Sol ليدفع عنهم الضر، ويدنى منهم المنافع

---

(١) راجع فى هذا الشأن محمد سليمان عبدالله الأشقر – زبدة التفسير من فتح القدير للإمام الشوكانى ص١٤٠ – ذات السلاسل ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

(٢) هي مدينة رياسة الروم وعلمهم قال بعضهم هي مسماة باسم رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وذكر بعضهم إنما سمي الروم روما لإضافتهم الى مدينة رومية واسمها رومانس بالرومية فعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روميا وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر وهي اليوم بيد الأفرنج وملكها يقال له ملك ألمان وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجية وهو لهم بمنزلة الإمام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصيا مخطئا يستحق النفي والطرد والقتل يحرم عليهم نساءهم وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته.

وذكر بطليموس في كتاب الملحمة قال مدينة رومية طولها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة وعرضها إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة في الإقليم الخامس طالعها عشرون درجة من برج العقرب تحت سبع عشرة درجة من برج السرطان يقابلها مثلها من برج الجدي بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان لها شركة في كف الجذماء حولها كل نحو عامر وفيها جاءت الرواية من كل فيلسوف وحكيم وفيها قامت الأعلام والنجوم، وذكر بعض الرهبان ممن دخلها وأقام بها أن طولها ثمانية وعشرون ميلا في ثلاثة وعشروين ميلا ولها ثلاثة أبواب من ذهب فمن باب الذهب الذي في شرقيها الى البابين الآخرين ثلاثة وعشرون ميلا ولها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر والباب الأول الشرقي والآخر الغربي والآخر اليمني ولها سبعة أبواب أخر سوى هذا الثلاثة الأبواب من نحاس مذهب ولها حائطان من حجارة رخام وفضاء طوله مائتا ذراع بين الحائطين وعرض السور الخارج ثمانية عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وستون ذراعا وبين السورين نهر ماؤه عذب يدور في جميع المدينة ويدخل دورهم مطبق بدفوف النحاس كل دفة منها ستة وأربعون ذراعا وعدد الدفوف مائتان وأربعون ألف دفة وهذا كله من نحاس وعمود النهر ثلاثة وتسعون ذراعا في عرض ثلاثة وأربعين ذراعا فكلما هم بهم عدو وأتاهم رفعت تلك الدفوف فيصير بين السوريين بحر لا يرام وفيما بين أبواب الذهب الى باب الملك اثنا عشر ميلا وسوق ماد من شرقيها الى غربيها بأساطين النحاس. [معجم البلدان ج٣ ص١٠٠/١٠٤]

كلها[1]، لقد كان بإمكانه أن يحيل الظلام نورا، والقفار زرعا نباتا وثمارا، والفقر غنى ومالا. وبالتالى قدموا له القرابين، ونصبوا أمامه مذابح الترضية. و أقاموا لسول هذا من العبادات ما يظنون أنها ترضيه.

وقد تفرد سول إله الشمس بالاعتقاد فيه والعبادة له عدة قرون، وظل حاله كذلك فى نفوس هؤلاء الناس من الاحترام والتقديس، حتى إذا « جاء عصر الإمبراطور أغسطس حل أبوللو محله، وكان من الطبيعى – مع تحرك مركز الجاذبية للإمبراطورية الرومانية تجاه الشرق – أن تزداد عبادة الشمس قوة، وبخاصة أنها أحيطت بدعاية واسعة داخل النطاق الإمبراطورى، وفى حماية قوانين الإمبراطورية ذاتها، حيث كان بيت نيرون الذهبى مسكنا ملائما للشمس المجسمة.

كما أضفى انطونينوس (٢٢٢/٢٠٦) **Antoninus** على الشمس احتراما خاصا[2]، حيث كان ذلك الإمبراطور فى شبابه كاهنا فى معبد إله الشمس، فلما تم تعينه إمبراطورا، فقد بذل كل عنايته وصرف غايته نحو تقديس واحترام هذا الإله، الذى كان يقوم بالخدمة له فى معبده فترة طويلة، استغرقت سنوات شبابه الغض.

وفى عهد الأسرة السيفروسية، تغير الوضع تماما بالنسبة للإله الشمس، حيث صار هو الرمز المعبر عن الأمة الرومانية كلها، ومن ثم فقد جسدوا له تماثيل، تم تصويرها مع لحية سفروس **Severus** المتميزة، وإمعانا فى الضرب بقوة على أيدى المخالفين لهذه الاعتقادات. فقد اتخذ الإمبراطور الرومانى فيلافوس (٣٠٧/٣٠٦) قرارا باعتبار إله الشمس الذى لا يقهر هو اللقب الذى يطلق على الإمبراطورية، وسمى نفسه الإمبراطور الذى لا يقهر[3]، فكان ذلك بمثابة انفلات سريع لصالح الإله الشمس، وتطور يتماشى مع الإمبراطورية الرومانية وقوتها.

إذ كان يعتقد بأنه مادامت الشمس لا يمكن لأحد أن يزيحها من مكانها، أو ينزلها من عليائها، أو يحركها ولو قيد أنمله، فكذلك الإمبراطورية الرومانية هى الأخرى، لا يمكن لأحد أن يرغمها على قبول ما لم تقبله، أو ترك ما لا تفكر فيه. إنها كالشمس تماما بتمام، ومن ثم فإن اللقب الذى هو للشمس كإله بين الكواكب والكائنات الأخرى هو الجدير بأن توصف به ذات

---

(١) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراتها ص١٨١، وراجع أيضا للدكتور ناظم السيد محمد السعيد – المنظومة التاريخية ص١٩٣ .

(٢) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١٠. وهذه الاعتقادات الفاسدة ليس من السهل قبولها، ولكن العبرة بما نقل، أما الاعتقاد فذلك أمر غير مقبول على أية ناحية من النواحى الصحيحة.

(٣) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراتها ص٢١٥ وراجع كذلك للبير كامى – الديانات القديمة ص١١٣ .

هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير وولجت إلى السد فنقبته فانهار عليهم.

وقال قتادة: وغير الجرذ هو الخلد نقبت أسافله حتى إذا ضعف ووهي وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب مابين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب الماء عن

الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ، وهو الأراك وأكلة البرير وأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء وقيل له السمر والله أعلم وقوله وشيء من سدر قليل لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر قال وشيء من سدر قليل فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، ولهذا قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب إلا الكفور وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور وقال طاووس: لا يناقش إلا الكفور. فعن أبي خيرة[1] وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها »[2].

ويبدو أنهم قد بلغ بهم الكبر مداه، وأدلفوا إلى الغي حتي منتهاه، إذ بعد تجاسرهم على على عبادة غير الله، لجأوا إلى محادة المولى جل علاه، بدليل أنه تعالى لما أسبغ عليهم النعم، طاشت العقول وانفرقت الحلوم، وازادوا في ظلمهم لأنفسهم، قالوا ما قصه القرآن الكريم: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾[3]، طالبين إنزال الأذى بهم، إن كان لذلك من سبيل.

---

(١) هو محب بن حذلم عداده في المصريين قلت قد جزم باسمه وكنيته، ونسبه ابن يونس في تاريخ مصر فقال: هو محب بن حذلم مولى ثابت بن زيد يكنى أبا خيرة روى عن موسى بن وردان روى عنه سعيد بن أبي أيوب وضمأم بن إسماعيل والليث بن عاصم وكان فاضلا يقال توفي سنة خمس وثلاثين ومائة. [تعجيل المنفعة ج١ ص٣٩٤ رقم:١٠١١]

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٣٣/٥٣٤ .

(٣) سورة سبأ – الآية ١٩ .

فوقع لهم ظلم أنفسهم على سبيل التكرار والتوالي، وحق عليهم قول الله تعالى ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾[1]. يضرب بها الأمثلة في القرى التي كانت آمنة، ثم كفرت بأنعم الله، فإذاقها الله الحباس الجموح والتمزق قال تعالى ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾[2]، حتى يتضح لكل ذي عقل الفرق بين حال الشاكرين لأنعم الله تعالى ووبال الكافرين به جلا علاه، وأن الكافرين بالله إنما يستجيبون لإغراءات إبليس وخداعاته، التي تتحول إلى سلطان قوي على غير أهل الإيمان بالله رب العالمين. ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ، وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير: « لما ذكر الله تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى والرشاد والهدى فقال: "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه"، قال ابن عباس: هذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبليس ﴿ أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾[4]، ، وقال ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[5].

وقال الحسن البصري: لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء، هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف، وكان ذلك ظنا من إبليس، فأنزل الله عز وجل: "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين"، فقال عند ذلك إبليس: لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفرني إلا غفرت له[6].

وقوله تبارك وتعالى: "وما كان له عليهم من سلطان" قال ابن عباس: أي من حجة، وقال الحسن البصري: والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غرورا وأماني،

---

(١) سورة سبأ – الآية ١٩ .

(٢) سورة سبأ – الآية ١٩ .

(٣) سورة سبأ – الآيتان ٢٠/٢١ .

(٤) سورة الإسراء – الآية ٦٢

(٥) سورة الأعراف – من الآية ١٧ .

(٦) فعن أبي قلابة قال: « إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم الدين قال وعزتك لا أخرج من جوف أو قلب ابن آدم ما فيه الروح قال وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح » [مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص٦٢ رقم: ٣٤٢١٧]

دعاهم إليها فأجابوه، "إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك" أي إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة والحساب والجزاء، فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك، وقوله تعالى: "وربك على كل شيء حفيظ"أي ومع حفظه ضل من ضل من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل »[1].

على كل فقد تسربت عبادة الشمس من الأمم الوثنية بعضها البعض ا لآخر، وكان اليهود يترقبون ذلك كله ويمتصونه، ثم يقفون عنده يعملون على إحداث بعض التعديلات فى الأفكار المطروحة، بحيث تكون فى النهاية نتاجا خاصا بهم يعبر عنهم، ويحفظ الكثير من سلوكياتهم، ثم يرسم الملامح للآمال المستقبلية التى ينتظرونها، ومن ثم فلم يكن عجبا أن ترى اليهود يؤلهون الشمس كما ألهوا غيرها من الكائنات العلوية، التى تمثل بعض المظاهر الكونية.

إذن لم تكن لليهود نزعات سلمية، وإنما كانت – وما تزال – كلها نزعات عدوانية شيطانية، واتجاهات وثنية، سواء أظهروا شيئا منها أم أخفوه، المهم أنهم عددوا الآلهة، ثم جسدوها فى صور مذكرة وأخرى مؤنثة، والمؤسف له انهم يمارسون هذه الشذوذات جميعا، مع زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه،وأنهم شعب الله المختار – قاتلهم الله أنى يؤفكون –.

ثانيا: تأليه القمر[2]

القمر أحد الكائنات العلوية التى خلقها الله تعالى، وجعله منيرا قال تعالى: ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾[3].

- **يقول العلامة الطبرى** : « يقول تعالى ذكره تقدس الرب الذي جعل في السماء بروجا ويعني بالبروج القصور في قول بعضهم[4]،وقال آخرون هي النجوم الكبار[5]،ولكل من القولين شواهد تؤيده، ورجح الطبرى الأول[6].

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٥٣٦ .

(٢) وردت الكلمة فى القرآن سبعا وعشرين مرة . [راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – مادة القاف ص٥٥٣.

(٣) سورة الفرقان – الآية ٦١ . وقال تعالى : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [سورة يونس – الآية ٥]

(٤) فعن أبي عن عطية بن سعد في قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قال هى قصور في السماء فيها الحرس.[جامع البيان ج١٩ ص٢٨]

(٥) فعن أبي صالح قال البروج هى النجوم الكبار. [المرجع السابق]

(٦) الإمام الطبرى – جامع البيان ج١٩ ص٢٩ .

وجعل فيها سراجا على التوحيد[1]، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس وهـي السراج التي عني عندهم بقوله وجعل فيها سراجا[2]، وقرأته عامة قراء الكوفيين بـالجمع وجعـل فيها سرجا كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما وقمرا منـيرا وجعلـوا النجـوم سـرجا إذ كـان يهتدى بها[3].وقوله وقمرا منيرا يعني بالمنير المضيء »[4].

ومع أن القمر مخلوق لله، إلا أن بعض أصحاب العقول طاشـت بـهم حلومـهم، وانفلتت منهم معايير الفوارق بين المخلوق والخالق، فانطلقوا يؤلهون القمر ويعبدونه، ولـه يسـجدون، وقـد اختلت اتجاهاتهم والغايات، كما تفرقت معهم السبل، التى أقاموا عليها هذه العبادات الفاسـدة، والاعتقادات الباطلة، وهم في كل ما ذهبـوا علـى ضـلال مبـين، ومـن ثـم سـأحاول متابعـة هـذه الاعتقادات فى تأليه حدود ما يلى:-

﴿ ١. عند السومريين ﴾

كـان السـومريون يعتقـدون فـى تأليـه مجموعـة مـن الآلهـة يتـألف مـــن القمـــر - ننـــار **Nannar** - والشمس أتو - **Utu** - التى هى شاماس عند الساميين، بجانب نجمة الصبـاح عشتار، التى يمثلها كوكب الزهرة فينوس **Venus**، وكان القمر على شكل الهـلال الـذى يعبر السماء المظلمة بانتظام، ويقسم السنة إلى أشهر كل منها ثلاثون يوما[5].

وكان الإله ننار ابن أنـو **Ane** وزوجتـه ننجـال **Ningal** يتعاونـان مـع غيرهمـا مـن الآلهة الأخرى فى تنظيم شئون العالم، غير أن بعض هـذه الآلهـة كـان مـن الذكـور، بينمـا كـان البعض الآخر من الإناث[6]، وهم فى مجملهم يمثلـون العائلـة المقدسـة، التـى تقـوم فـى الآلهـة ذاتها.

وقد استمرت عبادة السومريين للقمر واعتباره إلهـا حقيقيـا فـترة مـن الزمـان، ومـن ثـم نصبوا له التماثيل، وانهمكوا فى تلك العبادة، لم يصرفهم عنها صارف ، بل إن الناشئة منهم قد لقنوا هذه الاعتقادات الوثنية ومارسوها فى أشكال عبادية، لم يقع لهم اتفاق حولها، لأن بعضـهم

---

(١)وهى قراءة عامة قراء المدينة والبصرة، والسراج جاء فيها مفردا.

(٢) فعن قتادة في قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال السراج الشمس. [جامع البيان ج١٩ ص٣٠]

(٣) ويعلق الطبرى قائلا: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار لكل واحدة منهما وجه مفهوم فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. [جامع البيان ج١٩ ص٣٠]

(٤) العلامة الطبرى - جامع البيان ج١٩ ص٢٨/٣٠.

(٥) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٦ .

(٦) الشيخ محمد منصور الديداموني - بلاد الرافدين وحضارن الأشوريين ص١٥٣ .

اكتفى بتقديم القرابين للتماثيل التى تعبر عن القمر منفردا، بينما قام البعض الآخر بتقديمها للقمر وزوجته ننجال معا، أما إذا ظهرت له تجسدات فردية، فليس من اللازم تقديم قرابين أو ذبائح بشرية له، حتى يتم التفاهم حول الموضوعات المتنازع فيها ويقع الوئام بينهما.

أما أطراف البلاد فقد راح البعض يقرن فيها بين تأليه القمر وباقى العائلة المقدسة فى العبادة الواحدة، فإذا هم بتقديم بعض الطقوس فإنه لا يعلنها لواحد، وإنما يقدمها باسمهم جميعا – الإله القمر الزوج والإلهة ننجار الزوجة، والإلهة الشمس الأم – فى بعض الأحيان – ثم الإلهة عشتار الأخت – اعتقادا منهم أن تقديمها لواحد من الآلهة يثير نزاعا بين الآخرين، فيقع الحرب، وتنتشر العداوة[1]، وهم لا يريدون ذلك، إنما يريدون أن يقع الود والائتلاف بين الجميع.

ولست أدرى كيف سوغت لهم عقولهم عبادة كائنات مخلوقة يقع لبعضها البزوغ حينا، ثم الأفول فى حين آخر، رغما عنها لا رغبة منها[2]، ألم يفكر هؤلاء الوثنيون فى أن هذه الآلهة هم الذين ألفوا بينها فى التأليه، وهم الذين يفرقون بينها فى التعاملات أو يؤلفون.

إن الشمس لا تجيء مع القمر، وإنما تجيء الشمس بأمر الله تعالى مع النهار، بينما يجيء القمر بإذن الله تعالى مع الليل، فلا توجد الشمس فى ليل، كما لا يظهر القمر فى نهار، وقد بين الله تعالى أن ذلك السنن الإلهى فى الكون، يتم من خلال الحكمة القرآنية.

---

(١) أ. ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص١١٣ .

(٢) لأن بزوغ الشمس والقمر ليس من إرادتهما، إنما ذلك كله يتم بإرادة الله جل علاه، وكذلك أمر الأفول، ففى الحديث الشريف عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فقام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ثم سجد فأطال السجود ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى ثم انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا ثم قال يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » [الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٣٥٤ – ٢ باب الصدقة في الكسوف– رقم:٩٩٧ ، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٢ ص٦١٨ – ١٠ كتاب الكسوف– ١ باب صلاة الكسوف– الحديث: ٩٠١]

قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[١].

ثم إن فكرة الآلهة المتعددة قد حسم العقل الصحيح أوجه فسادها، على سبيل الاتفاق أو الاختلاف، أو التعاون فى قيام أحدهما بشيء من الخلق، واختصاص ثانيهما بشيء آخر من الخلق، وقد بان أن العقل السليم يدرك فساد التعدد فى الآلهة على كل ناحية، أبرزها: أنه لو كان أحدهما خالقا والثانى غير خالق، لكان الثانى عاجزا عن الخلق، فلا يكون إلها ومثله ينطبق على باقى الآلهة عند التعدد[٢]، وبطلان البعض قائم فيه بطلان الكل أيضا،

كما أن فكرة تجسيم الإله هى كفكرة التعدد فى البطلان، لأنه لو كان الإله جسما لكان حالا فى مكان وجهة، فيكون محتاجا لكل من المكان والجهة، أو أحدهما فلا يكون مستغنيا، والمحتاج لا يكون إلها أبدا، إذ كيف يكون إلها له من صفات الجلال والجمال والإكرام ما هو قائم به، ثم يكون محتاجا لمكان يحل فيه أو جهة يشار إليه من خلالها[٣].

---

(١) سورة يس – الآية ٤٠. فقوله تبارك وتعالى: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر" قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا، وقال الحسن: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر" قال: ذلك ليلة الهلال، وقال الثوري: لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا، وقال عكرمة في قوله عز وجل: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر" يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل، وقوله تعالى: "ولا الليل سابق النهار" إذ لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقال الضحاك: لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا وأومأ بيده إلى المشرق، وقال مجاهد: "ولا الليل سابق النهار" إذ لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا، "وكل في فلك يسبحون" يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم "يسبحون" أي يدورون في فلك السماء (قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم "في فلك يسبحون" في فلك بين السماء والأرض، قال ابن عباس: في فلكة كفلكة المغزل، وقال مجاهد: الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به. [الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – المجلد الثالث]

(٢) وقد أبان مفكرو الإسلام بيان أوجه فساد الاعتقاد فى تعدد الالهة على كل ناحية، [راجع للإمام الإيجى المواقف، والمقاصد للسعد التفتازانى، والمطالع والطوالع للإمام البيضاوى والأصفهانى، والمطالب العالية للرازى ففيها كلها جوانب عديدة لبيان فساد هذه الاعتقادات القائمة على تعدد الآلهة].

(٣) العلامة المشرعشى الشهير بساجقلى زاده – نشر الطوالع ص٥٣ .

كما أنه تعالى لو كان جسما، لكان محتاجا إلى أجزائه، التى تمثله من أطراف وجوارح، وكان له أيضا احتياج إلى وزن، ولون واحتياج لقيام العرض به، وذلك كله باطل[1]، لقوله تعالى: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾[2]، وقوله تعالى﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3].

ثم إن العقل الصحيح والضمير الحى متى أدرك كل منهما حقيقته، وتعرف على كينونته، فإنه ينطلق إلى توحيد الله وعبادته، مع الاتجاه إليه وحده دون سواه، لأنه الخالق للجميع، فلا يصح السجود أو الاعتقاد فى مخلوق أى كان نوعه كبديل عن خالقه، أو معاون له. قال تعالى: ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾[4].

٢- عند قدماء اليونان

من المعلوم لدى المؤرخين أن اليونان كانت لديهم اعتقادات متكاثرة فى العديد من الآلهة، التى بلغت فى بعض الأحيان عشرين، وقد تصل فى بعض الأحيان إلى الآلاف، بحيث يمكن القول بأن كل فرد منهم كان له إله خاص به، ربما خالف إله أخيه المقيم معه بنفس المنزل، وتخالفا مع إله رب الأسرة، سواء أكانت المخالفة فى نوع الإله المعبود بين ظاهرة كونية أم نبات من النباتات، أم جماد من الجمادات، المهم أنهم جميعا يعتقدون فى آلهة مصنوعة، وفى خيالات أصحابها قائمة.

بيد أن القمر كانت له عندهم فى بعض الأحيان منزلة عالية، وبخاصة لدى أولئك الذين قطنوا السواحل، أو هرعوا إليها « لمعرفتهم أن عمليات المد والجزر فى البحار، إنما ترجع فى حقيقة وجودها إلى القمر، الذى يباشر هذه المهام كلها، مما يحقق المصالح العديدة لأفراد المجتمع نفسه »[5]، وذلك مما يجعله متميزا على غيره من الآلهة الأخرى لدى هؤلاء وأولئك.

---

(١) راجع الموقف الخامس من الإلهيات للإمام الإيجى، ففيه تفاصيل ذلك عرضا ومناقشة والمؤسف له أن كلا من دعاة اليهود والنصارى يجوزون قيام الأعراض بإلههم من الحركة الجسدية والانتقال والحمل على الصليب والموت والغنى والفقر، مما يكشف هذه النفوس السقيمة ويعريها، بحيث من تأمل ما يقولونه بعين فاحصة فإنه يحكم عليها وعليهم بفساد الاعتقاد معا.

(٢) سورة الإسراء – الآية ٤٣ .

(٣) سورة الشورى – من الآية ١١

(٤) سورة فصلت – الآية ٣٧ .

(٥) الدكتور حسين محمد سالم – الحضارة اليونانية القديمة ص٢٧٥ ، وهذه الأفكار كانت لها اسس لديهم أو قواعد انطلقت منها بالنسبة لهم.

وقد صارت هذه الاعتقادات الوثنية راسخة فى أعماق القدماء أهل اليونان. وراحت تزداد رسوخا مع الأيام، طبقا للجهود التى تبذل فى سبيل ذلك. حيث يقوم هؤلاء بالدعوة للقمر أو يعتبرون أنفسهم دعاة له مبشرين باسمه، « ومما عمق الاعتقاد فى تأليه القمر داخل سكان السواحل، الذين يمارسون أعمال الصيد ليلا، أنهم اعتقدوا فى معاونته لهم، ووقوعهم فى دائرة محبته أو اختصاصهم به »[1].

غير أن هؤلاء لم تكن صورة القمر لديهم جميعا واحدة، كما أن تماثيله وتجسداته هى الأخرى لم تكن أيضا على شكل واحد، أو ذات قسمات ثابتة، وإنما اختلفت من سكان ساحل لآخرين، ومن وقت لوقت آخر، وكذلك اختلفت تماثيله – فى افهام سكان المدن الأخرى –، مما جعل الاعتقادات فى القمر – لدى اليونان اقرب شبها بالأوكازيون السنوى، الذى تعرض فيه البضائع والصناعات المختلفة، التى فقدت أهم خواصها الحقيقية، ولا يقبل عليها أو يطمع فيها إلا من فقد القدرة على استيعاب الجيد، أو تمكن من الإمساك به، فهو يقبل على الرديء، طمعا فى إشباع داخله القائم فى الوهم.

ونظرا لهذه الاختلافات فى تسجدات اليونان لمعبودهم القمر بين تماثيل متكاملة وأخرى هلالية، وثالثة بينهما، فقد وقف الطرفان بين هؤلاء المعتقدين « خاصة إذا حدث بينهم لقاء أو اجتماع لعرض هذه التماثيل القمرية، أو إعلان بيع الفائض منها للأسر التى لم يكن فى مقدور أفرادها صناعة تماثيل خاصة بهم »[2]، أو لم يسعفهم الوقت لإتقان صناعتها مع الإجادة.

كما أن الزعاة هم الآخرون كانت تقوم بينهم معارك عديدة، بسبب هذه التماثيل، « متى كان بعض الرعاة ممن يعتقدون فى تأليه القمر المتكامل، والبعض الآخر ممن يعتقدون فى تأليه القمر الهلالى، إذ كانت الاتجاهات نحو عبادة القمر المتكامل قليلة، إذا قورنت بعبادة الإله القمر المنصف أو الهلالى »[3]،وذلك مما يجلب الصراع بينهما، على أساس ان كل فريق ينظر لمعبوده هو أو تمثاله المعبر عنه باعتبار أنه الحقيق بالتقدير، و الجدير بالاعتقاد كمرتبة أولى، أما غيره فإنه يجيء بعده أولا يجيء.

ولم تكن اعتقادات صيادى الأسماك وغيرهم فى تأليه القمر تجرى على نمط واحد، وإنما تحولت هى الأخرى إلى صورة نزاعية بين التجسدات المختلفة للمعبود القمرى، من حيث الجمال تارة، ومن حيث الصغر أو الكبر تارة أخرى.

---

(١) الشيخ رزق محمد أبو طويلة – اليهود والعقائد الوثنية ص١٥٣ .

(٢) الدكتور محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراتها ص١٨٣ .

(٣) سورة الأعراف – من الآية ٣٨ .

والغريب أن هذه الاختلافات الشديدة كانت تتحور مع أصحابها حتى تكون مادة الاختلاف دون اعتبار لشيء أخر من سلطة كهنوتية أو غيرها، بل إن كهنة المعابد القمرية لم يكونوا على وفاق مع بعضهم، إذ قد وصل الاختلاف بينهم إلى رمى آلهة كل فريق بالمثالب من جانب الفريق الثاني، ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾[1].

اجل وصلت هذه الاختلافات بين الآلهة الكبيرة إلى أبعد مدى« ومع هذا فقد نجح بعض اليونان فى تصوير هذه الاعتقادات الوثنية إلى البعض من المتعاملين معهم، وبخاصة الذين لهم معهم تجارات أو ثقافات[2]، حيث تم التعامل مع هذه الاعتقادات أول الأمر على أنها نوع من الثقافة أو نتاج فكرى يونانى، ثم حدث تطور لدى البعض فى قبول هذه الأفكار المستورة، حتى صارت هذه الأفكار عندهم تنال موقع العقيدة[3]، وهو مما مهد بعد ذلك إلى الاعتقاد فيها.

وكأنى بأهل اليونان وقد أغلقوا عيونهم، فلم تر القمر يبدأ دورته جزءا من هلال، ثم تتصاعد دورته، حتى يكون هلالا ثم يكتمل أياما قلائل، ثم تعود معه الكرة حتى يتلاشى، وهو فى كل ذلك لا يبزغ إلا فى القليل، ويختفى قبيل بزوغ شمس النهار، ومثله لا يكون خالقا أبدا، لأنه ناقص مجبر على القيام بدوراته من البزوغ والأفول، وهو بينهما ينفذ تعليمات الله تعالى على سبيل التسخير الذى جاء ذكره فى العديد من الآيات القرآنية[4].

---

(١) الدكتور سنية محمد أبو سنة – عادات وعبادات قديمة ص١٧٥ . وهذه الآلهة القمرية ما أظنها إلا تحمل الفساد من كل ناحية .

(٢) أ.ب هايدى ثورك – الديانات القديمة ص٢٨٢ .

(٣) الدكتور ناظم السيد محمد السعيد – المنظومة التاريخية للديانات الوثنية ص١٢٨ .

(٤) من ذلك قوله تعالى: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [سورة الرعد– الآية٢]، وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ [سورة إبراهيم – الآية٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لايات لقوم يعقلون﴾ [سورة النحل – الآية ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ [سورة لقمان– الآية ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ [سورة فاطر– الآية ١٣]، قوله تعالى: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ [سورة الزمر– الآية ٥]

وكأنى بهم أيضا وقد أغلقوا عقولهم، حتى طبع الله عليها، فلم ينظروا بها نظرة تدبر، حتى يدركوا أنها مخلوقة لله تعالى، الذى قهر كل شيء خلقا، كما قدرته تقديرا. قال تعالى: ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾[1].

والعقول الصحيحة مع الفطر السليمة كلها تعترف بأن الله تعالى وحده هو الذى خلق السماوات والأرض، وأنه وحده الذى سخر الشمس والقمر. قال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾[2].

ومن ثم فإن انعقاد القدماء من اليونان مع عبادة أحد النيرين – الشمس والقمر – لم يكن على سبيل الخصوص لهما، أو أى منهما، وإنما جاء ذلك على سبيل التشارك بين الآلهة المتعددة المتجسدة، التى مال إليها اليونانيون القدماء، وهى ذاتها التى يقع بينها الوئام حينا، والنزاع

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٣٣ . ويقول الإمام القرطبى : « قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار ذكرهم نعمة أخرى حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم والشمس والقمر أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، لتعلم الشهور والسنين والحساب، وكل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار في فلك يسبحون أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء قال الله تعالى وهو أصدق القائلين والسابحات سبحا ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح وفيه من النحو أنه لم يقل يسبحن ولا تسبح فمذهب سيبويه أنه لما أخبر عنهن بفعل من يعقل وجعلن في الطاعة بمنزلة من يعقل أخبر عنهن بالواو والنون ونحوه قال الفراء وقد تقدم هذا المعنى في يوسف وقال الكسائي إنما قال يسبحون لأنه رأس آية كما قال الله تعالى نحن جميع منتصر ولم يقل منتصرون وقيل الجري للفلك فنسب إليها والأصح أن السيارة تجري في الفلك وهي سبعة أفلاك دون السموات المطبقة التي هي مجال الملائكة وأسباب الملكوت فالقمر في الفلك الأدنى ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع الفلك الأعظم والفلك واحد أفلاك النجوم قال أبو عمرو ويجوز أن يجمع على فعل مثل أسد وأسد وخشب وخشب وأصل الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها ومنه قيل فلك ثدي المرأة تفليكا وتفلك استدار وفي حديث ابن مسعود تركت فرسي كأنه يدور في فلك كأنه لدورانه شبهه بفلك السماء التي تدور عليه النجوم قال ابن زيد الأفلاك مجاري النجوم والشمس والقمر قال وهي بين السماء والأرض وقال قتادة الفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء وقال مجاهد الفلك كهيئة حديد الرحى وهو قطبها وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة مسيرها وقيل الفلك موج مكفوف ومجرى الشمس والقمر فيه والله أعلم » [القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص٢٨٦]

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٦١ . يقول الطبري : « يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسواهن وسخر الشمس والقمر لعباده يجريان دائبين لمصالح خلق الله ليقولن الذي خلق ذلك وفعله الله فأنى يؤفكون يقول جل ثناؤه فأنى يصرفون عمن صنع ذلك فيعدلون عن إخلاص العبادة له » [الطبرى – جامع البيان ج٢١ ص١١] .

حينا آخر، كما لم تمنعهم هذه الاعتقادات الفاسدة من طلب المزيد لتجسدات الآلهة، ولا يختلف عندهم أمر الكائنات العلوية عن غيرها فى هذه الجوانب الاعتقادية، وهم بذلك قد كفروا بالله رب العالمين، كما كذبوا بأنبيائه ورسله واليوم الآخر.

٢- فى بلاد الصين

من المعروف أن بلاد الصين كبلاد فارس والهند واليونان أيضا، تتعدد فيها الآلهة الوثنية، تبعا لتعدد الأمشاج العرقية، التى تتسع لها نفوس سكان تلك البلاد، وتعتبر فى نفس الوقت أحد المعالم البارزة لسكانها، وإن كان الصينيون قد أزادوا بعض الاعتقادات الفاسدة، طبقا لما هو وارد عليهم مع هؤلاء المهاجرين، الذين أقاموا بتلك البلاد واستقروا فيها، بدليل أنهم لم يتوقفوا عند ديانة بعينها، بحيث تسود على غيرها، وإنما إذا زادت على غيرها حينا، فإن غيرها تتولى زمام السيادة حينا آخر، وهكذا دواليك.

ومرجع ذلك للسلطة السياسية التى تعنى بهذه الأمور، وكثيرا ما مارست السلطة السياسية بعض ضغوطها فى أى بلد ما، متى كان بإمكانها ذلك، ولا مانع من الوصول بالممارسات والضغوط الشاذة إلى فرض اعتقادات فاسدة على الرعية، دون نظر لشيء آخر، ومن غير اعتبار لنوعية النشاط السياسى الذى تمارسه تلك السلطة.

وكيف لا وقد نقل أهل السير أن الحاكم بأمر الله(١)، لما ولى الخلافة الإسلامية بعد أبيه العزيز، كان شيطانا سائسا مهيبا، كما كان جبارا كثير التلون سفاكا للدماء، له شأن عجيب ونبأ غريب(٢)، كان فرعون زمانه، يخترع فى كل وقت أحكاما، ويلزم بها الرعية قسرا، حيث أمر بالكلاب فقتلت إلى حد الإبادة، وأبطل بيع الفقاع(٣)، وأكل الملوخيا وقتل من باع ذلك، وأمر بإلباس اليهود العمائم السوداء، وهدم الكنائس وسجن النساء فى بيوتهن، كما رمى أخته ست

---

(١) هو منصور بن نزار بن معبد بن اسماعيل الملقب بالحاكم بأمر الله ولد عام ٣٧٥هـ، ومات عام ٤١١هـ مسموما بيد أخته ست الملك، بعد أن زعم لنفسه الألوهية، وساق الرعية للاعتقادات الفاسدة والأعمال الشيطانية، حيث استباح المحرمات وسمح بالمنكرات ومارس كل انواع الكفر والإلحاد . [راجع للعلامة الذهبى – دول الإسلام ج١ ص٢٣٧]

(٢) العلامة ابن خلكان – وفيات الأعيان ج٥ ص٢٩٢ وترجمته حتى ص٢٩٨.

(٣) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزبد. [لسان العرب ج٨ ص٢٥٦] والفقاقيع: هنات كأمثال القوارير الصغار مستديرة تتفقع على الماء والشراب عند المزج بالماء، ومفردها فقاعة [لسان العرب ج٨ ص٢٥٦ ، والمعجم الوجيز- باب الفاء ص٤٧٨]

الملك بالزنا، ولم يقم عليها الحد، ونفى كل من لديه علم بالتنجيم[1]. وكان ذلك منه دون رجوع فيما علم لأهل الفقه عن الله والعلم به.

ثم تغير حاله. فتزهد ولبس الصوف، وركب الحمار. وأمر بإعادة بناء الكنائس. وانصرف حينا للعزلة، ثم ألزم الناس بالقيام له عند سماع ذكره، والسجود له، وعزم على تنصيب نفسه إلها، ثم خاف من الثورة على ملكه، غير أنه تجاسر عليها وادعاها فترة من حياته، وألزم الناس بها، وأمر بحريق مصر كما استباحها[2].

وفي عام ٤٠٥هـ أرسل إلى مصر داعيته حمزة بن على بن أحمد الزوزني، الذى جهر بألوهية الحاكم في مصر عام ٤٠٨هـ فثار عليه أهلها، لكنه هرب إلى لبنان وألف كتابا في ألوهية الحاكم، وكان له أتباع يرددون هونه، ويقصون على الناس لوثاته[3]، وظهر من أنصار حمزة حسن بن حيدره الفرغاني، الذى كان من أكثر الناس حماسا لألوهية الحاكم والدفاع عن أفكار كل من الحاكم وحمزة ، فكانت مكافأته أن قربه الحاكم إليه[4]، وظلت علاقتهما قوية، حتى قتل الحاكم مسموما بيد أخته ست الملك عام ٤١١هـ[5].

---

(١) الإمام ابن كثير – البداية والنهاية ج١١ ص٣٢٠ .

(٢) وكذلك شأن كل طاغية يقفز على رقاب العباد، لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، حتى يقود بلاده ورعيته إلى الهلاك، سواء قصد ذلك أم لم يقصد، والله تعالى قد فضح هؤلاء جميعا. قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون • حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [سورة الزخرف – الآيات ٣٦/٣٨] يقول الإمام البيضاوى : « ومن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات، وإنهماكه في الشهوات نقيض له شيطان فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما، وإنهم يصدونهم عن الطريق الذى من حقه أن يسبل. ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا ﴾ أى الحاشى وقيل العاشى والشيطان. ﴿ قال ﴾ العاشى للشيطان، يا ليت بينى وبينك بعد المشرق من المغرب. ﴿ فبئس القرين ﴾ أنت أيها الشيطان ».[العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٠٩].

(٣) الدكتور مصطفى الشكعة – إسلام بلا مذاهب ص٢٧٠.

(٤) العلامة المقريزى – الخطط ج٤ ص١٦٤/١٦٥.

(٥) الدكتور حسن إبراهيم – تاريخ الدولة الفاطمية ص٣٥٣ .

ويذكر المؤرخون أيضا أن الحاكم لما رأى عجز حمزة عن التبشير بألوهيته في مصر. أرسل نشتكين الدرزى ليقوم بهذا الدور في مصر والشام عام ٤٠٩هـ[1]، باعتباره من أنشط الدعاة لهذه العقائد الدينية التي تفرضها السلطة الحاكمة بقوة البطش والإرهاب والاغتيالات مع العنف . كشأن كل سلطة ظالمة، تسوق الرعية إلى ما تريد هي لا ما يريدون هم، حتى لو كانت النتائج متعلقة بتأليه حاكم من البشر، والسجود للطاغية المستبد.

على كل فقد تعددت الآلهة في الصين، وكان القمر أحد تلك المعبودات، التي كان لها العديد من المظاهر بعضها مجسمات، والبعض الآخر جاء في طقوس وعبادات. لكنها داخلة في بناء السلم الإلهي، الذي يقوم على تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين المنتظمة، وتأدية الطقوس، وإقامة الاحتفالات المناسبة في بلاد الصين وروما القديمة[2].

ويذكر الدكتور على رمضان: أن القمر كانت له في الصين بعض الانفرادات المتواصلة عن الآلهة الأخرى، كما كانت له أيضا بعض الامتيازات، إذ كانوا يقدمون القرابين باسمه، كما يقيمون الصلوات له، وفوق ذلك فقد زاد تقديسهم له حيث عمدت السلطة الحاكمة إلى ذلك، حتى صار تأليه القمر أحد الشعارات الهامة التي ترسم صورة النصر لهم على غيرهم[3].

من ثم فإن تأليه القمر صارت له الهيمنة على غيره بالنسبة للآلهة الصينية، وأنه كان ينازع الجميع في تلك المنزلة، ولا مانع من القول بأنه قد امتاز عليها في بعض الأحيان، غير أن ذلك ينتهي إلى القول بأن الآلهة الدينية المتجسدة كان لها من الذيوع والشهرة في تلك البلاد، ما غطى صوت الحق، وغلب الضمير الحي، الذي يعلن الإيمان بالله الواحد الأحد ، الذي بعث به الأنبياء وبشر به المرسلون، وشهدت له الكائنات كلها. قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[4].

يقول الإمام القرطبي : « لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة

---

(١) آدم ميتز – تاريخ الحضارة الإسلامية ج٢ ص٤٣ وراجع للكامل حسيني – الإسماعيلية ص٤٣ وراجع للحسن بن عمر – تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ج٣ ص٣٠، تحقيق د: محمد أمين – الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦م.

(٢) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٤١٢ – معجم المصطلحات للمترجم د. إمام عبدالفتاح إمام .

(٣) الدكتور على السيد رمضان – الصين وآلهتها القديمة ص٨١ .

(٤) سورة آل عمران – الآية ١٨ .

النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم. قالا: أنت أحمد؟ قال: نعم. قالا: نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها، آمنا بك وصدقناك. فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلاني، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾ فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله صلى الله عليه وسلم »[1].

وفى الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء وقال في شرف العلم لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم وقال صلى الله عليه وسلم إن العلماء ورثة الأنبياء[2]، وقال العلماء أمناء الله على خلقه[3]، وهذا شرف للعلماء عظيم ومحل لهم في الدين خطير[4]، فعن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة[5]،

---

(١) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٤١.

(٢) ففى الحديث الشريف عن أبى الدرداء أنه قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض. حتى الحيتان في الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما. إنما ورثوا العلم. فمن أخذه، أخذ بحظ وافر) » [الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه – سنن ابن ماجة – باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. في الحديث رقم: ٢٢٣ – طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.- وأخرجه أبو داود فى سننه – باب الحث على طلب العلم. في الحديث رقم: ٣٦٤١ بنفس اللفظ].

(٣) فعن أبى عنبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « إن شهداء الله في الأرض أمناء الله في الأرض في خلقه قتلوا أو ماتوا » [مسند أحمد ج٤ ص٢٠٠ – الحديث: ١٧٨٢١]

(٤) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٤٢.

(٥) الإمام العجلوني – كشف الخفاء ج٢ ص٨٣ – الحديث: ١٧٤٥.

وعن أنس ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم عند منامه خلق الله له سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة ويقال من أقر بهذه الشهادة عن عقد من قلبه فقد قام بالعدل[1].

كما أن عبدة القمر في الصين،وإن اختلفوا في طرائق العبادة والطقوس التي يقومونها له عن غيرهم، فإن ذلك يكشف عن كونها إعتقادات فاسدة، وعبادات باطلة، قامت على خيالات أصحابها، وعبرت عن لوثات أصابت عقولهم، كما تكشف عورات أولئك المرضى بالهلاوس والوسواس القهرى، الذين تتشبع جوانحهم بالانتصارات الكاذبة والأوهام المريضة ، ويسرى بين وجداناتهم الغرور الأنوى، والانتفاخ البهنوى لإحداث اختراقات متوهمة ضد قيم صحيحة، وعقيدة مستقرة، وأصول قائمة.

❂ **يقول الشيخ محمد عبدالمقصود**: إن عبدة النيرين قد توالت أخطاؤهم، فكشفت كل مرة عن كذب اعتقاداتهم وفساد ضمائرهم، وخبث نفوسهم[2]، ولو أمعنوا النظر في الذى إليه يتجهون، لأدركوا أنه لم يخلق نفسه، ولم يبزغ أو يأفل بإرادة منه، وإنما هو في كل ذلك وغيره ككل الكائنات التى نعلمها، والتى لا نعلمها مردها جميعاً إلى الله تعالى الخالق لكل شيء. قال تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إ لا هو فأنى تؤفكون ﴾[3].

د. عند العرب الجاهليين

العرب الجاهليون كانوا في أغلب حالاتهم على الفطرة، لكنهم لما رحلوا بتجارتهم في الشتاء والصيف، أمكنهم التعرف على بعض الاعتقادات التى يمارسها أصحابها، ونظرا لأن المناعة الفكرية تحتاج إلى مدعمات على الدوام، ولم يكن ذلك يتم مع العرب، فقد شغف بعضهم بالاعتقادات التى يمارسها الاخرون، من غير نظر إلى طبيعتها، ولما كان القمر أحد هذه الاعتقادات الوثنية لدى الآخرين، فقد كان له نصيب من مساحة العقلية العربية في الجاهلية أيضا.

❂ **فيذكر ابن النديم**: أن العرب وغيرهم من أهل الهند، وأصحاب النحل الفاسدة قد عبدوا القمر، كما عبدوا الآلهة الأخرى، واتخذوهم أربابا لهم من دون الله [4]، كما اتخذوا غيره من آيات الله الكونية آلهة، يتقدمون إليها بطلب دفع الضر، أو تحقيق النفع، كما يلتمسون

---

(١) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٤٢.

(٢) الشيخ محمد عبدالمقصود عطية – اتجاهات الفكر الشرقي القديم ص١١٥ .

(٣) سورة غافر – الآية ٦٢ .

(٤) الإمام ابن النديم – الفهرست ص٥٣٧.

عندها الخصب والنماء، وإن كان النصيب الأوفى من هذه الأدعية يتوجه فى أغلب الأحيان للقمر الذى هو أجل الآلهة المذكرة.

والإمام الشهرستانى نظر إلى عبدة القمر، على أنهم جماعة برأسها، بغض النظر عن كونهم من العرب أو غيرهم[1]، إذ العبرة عنده بالاعتقادات التى تجرى فى الرءوس وبالأماكن التى يعيش فيها أصحاب هذه النفوس، ونوعية الممارسات التى يقومون بها مع الطقوس، لأن الغرض الأصلى هو بحث الاعتقادات، لا يعنيه النظر فى الجنسيات ومواطن الإقامات.

بيد أن العرب الجاهليين، راحوا يقدسون القمر، ويعتقدون فى أنه إله كامل يتصرف بإرادة تامة وقدرة كاملة، ومن ثم فقد أقاموا له بعض التماثيل التى كانت سائدة فيهم صناعتها، واعتقدوا أن هذه الأصنام تعبر عن ما يجرى فى نفوسهم أصدق تعبير، حتى ينال القمر حقه، من التقديس والتوقير، بجاب الاحترام الكامل.

ونظرا لما ذكر عن العرب الجاهليين من احترام للقمر وتقديس له، فقد اعتبرهم بعض مؤرخى الأديان من جملة عبدة الكواكب.

۞ **يقول الشيخ المنيلاوى**: « ومن جملة عبدة الكواكب العرب الجاهليون، الذين اعتبروا القمر، مظهرا كاملا للإله، نتج عنه ملك عظيم هو أعظم الملائكة، وقد توافق ذلك مع اعتقادات العرب، الذين كانوا ينظرون إلى الملائكة على أنها صور إلهية أنثوية، حتى سموهم بنات الله، فى مقابلة الصور الذكرية، التى يعبر عنها القمر، على أنه ابن الإله[2]، فكان القمر عندهم هو الله ومظهر الإله معا، وصورة خيالية لإله آخر هو الإله الابن أو ابن الإله.

۞ **قال تعالى مصورا اعتقاداتهم الفاسدة فى الملائكة**: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[3].

۞ **يقول العلامة ابن كثير**: « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، حيث اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم، فقال: ﴿أشهدوا خلقهم﴾ و شاهدوه، وقد خلقهم الله إناثا، ﴿ستكتب شهادتهم﴾، بذلك. ﴿ويسألون﴾ عن هذه الشهادة يوم القيامة، وهذا تهديد شديد

---

(١) العلامة الشهرستانى – الملل و النحل ج٣ ص١٠٤: ١٠٣ . و راجع الفهرست ص٥٣٧ ولجفرى بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٦/١٧.

(٢) الشيخ محمد على المنيلاوى – الأديان الوثنية ص٧٣ ط المطبعة اليمنية ١٣٣٥هـ

(٣) سورة الزخرف – الآية ١٩.

ووعيد أكيد »[١]، لأن العاقل هو الذى يشهد بما يعرف، فإذا شهد بما لم يعـرف، فقد وقـع فى الخسران.

❁ **ويقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب**[٢] : « إن هذا -وصفهم الملائكة بأنهم إناث- زور وبهتان، لا منطق له من العقل، ولا مستند من النقل الصحيح »[٣]. وفى نفس الوقت، « فإن الملائكـة ليس من طبيعتهم التناكح والتناسل، لأن الله تعالى جعل منهم سفراءه فيمـا أخـبروا بـه، فـلا يقع لهم التناكح ولا التوالد »[٤]، كما أن « التناكح والتناسل ينتجان عن الشـهوة، والله ﷻ قد جرد الملائكة من تلـك الشـهوة، حيـث قـال الله لهـم: كونـوا علـى تلـك الهيئـة، فكـانوا عليها »[٥].

❁ **وقال تعالى**: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمـون • لا يسـبقونه بـالقول وهـم بأمره يعملون • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضـى وهـم مـن خشـيته مشفقون﴾[٦]، لأن ذلك شأن المقربين، الذيـن دائمـا ينظـرون إلى الله تعـالى، منتظريـن ثوابـه، خائفين من عقابه.

❁ **يقول العلامة الزمخشرى**: « أخبر الله تعالى عنهم أنهم عبـاد، والعبوديـة تنـافى الـولادة، إلا أنهم مكرمون، أى مقربون مفضلون على سائر العباد، لما هم عليه مـن أحـوال وصفـات ليسـت لغيرهم، فذلك هو الذى غر منهم من زعم أنـهم أولادى تعاليت عـن ذلـك علـوا كبـيرا. ﴿ لا

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى - مختصر تفسير ابن كثير - م٣ ص٢٨٧ - طبعة دار الصابونى ١٩٨٨م .

(٢) هو عبدالكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب ، ولـد بقريـة الصوامعـة غـرب التابعـة لمركـز طـهطا بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى مايو ١٩١٠م وعمـل مدرسـا بـوزارة المعـارف العموميـة ثـم سـكرتيرا لوزير الأوقاف على عبدالرازق، ثم أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبلغت مؤلفاتـه ٤٣ مؤلف منها التفسير القرآنى للقرآن، القصص القرآنى من العالم المنظور وغير المنظور، المرأة فـى الإسـلام، اليهود فى القرآن، المهدى المنتظر ومن ينتظرونه ...الخ . توفى رحمه الله فـى نوفمـبر ١٩٨٦م . [راجـع رسالتنا: عبدالكريـم الخطيـب وآراؤه الكلاميـة - (رسـالة ماجسـتير بجامعـة عـين شمـس) ص٣١/١٠. (وراجع عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية - الأستاذ السيد أبـو ضيـف المدنـى ص١٤/١٢ طبعـة دار الفكر العربى بمصر ، ومجلة الدعوة ١١ نوفمبر ١٩٨٦م]

(٣) الأستاذ عبدالكريم الخطيب - التفسير القرآنى للقرآن - م٥ ج٢٥ ص١١٧ دار الفكر العربى ١٩٧٠م .

(٤) شيخ الإسلام العلامة إبراهيم الباجورى،حاشية البـاجورى علـى السنوسـية وبهامشـها تقريـر العلامـة الأنبابى ص٦٠.

(٥) الدكتور أحمد أبو السعادات وآخرين - البراهين الواضحة فى العقائد والأخلاق الإسلامية ص٨/٧ .

(٦) سورة الأنبياء - الآيات ٢٨/٢٦ .

يسبقونه بالقول ﴾ أي أنهم يتبعون قوله، ولا يقولون شيئا حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله. ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ أي لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله، وهو مجازيهم عليه، فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم، ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم، ومن تحفظهم أنهم لا يجرءون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم »[1]، وذلك كله من باب الفضل الإلهي.

۞ **ويقول الإمام الفخر الرازي** : « هذه الآية من أقوى الدلائل لنا في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، وتقديره أن من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه تعالى في ذلك، ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله تعالى في ذلك فقد صدق عليه، أنه ارتضاه الله؛ لأن المركب متى صدق فقد صدق لا محالة، كل واحد من أجزائه، وإذا ثبت أن الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآية »[2].

۞ **ويقرر العلامة الفخري**[3]: أن القاسم المشترك بين العرب وغيرهم من عبدة الكواكب هو اعتقادهم في الآيات الكونية، على أنها آلهة، فيقول: وأما عبدة ا لكواكب فهم الذين يزعمون أن القمر ملك من أعظم الملائكة، يستحق التعظيم والعبادة، وأنه إليه تدبير هذا العالم السفلي كله، وتدبير الأمور الجزئية، وبزيادته ونقصانه نعرف الأزمان والساعات والأيام والليالي، وهو تلو الشمس وقرينها، وعنها نوره، وبالنظر إليها زيادته ونقصانه[4]، فكأنه يستمد ألوهيته من الشمس التي تفيض عليه بالنور والزيادة والنقصان.

---

(١) العلامة الزمخشري – الكشاف ج٣ ص٩ .

(٢) الإمام الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – م١١ ج٢١ ص١١١ .

(٣) هو الإمام العلامة علي بن محمد بن عبدالعلي بن فخر الزبيدي الفخري (٧٥٨/٨٤٢هـ) وهو غير الإمام فخر الدين الرازي (٥٢٤/٦٠٦هـ) فقيه الري وخطيبها وشيخ الأشاعرة في حينه. [راجع للإمام ابن حجر أنباء القمر بأنباء العمر ج١ ص٨٢ ، وللسخاوي – الضوء اللامع ج٥ ص٣١٢/٣١٣، وللخزرجي – العقود اللؤلؤية ج٢ ص٢٠٤/٢٠٩، وللشوكاني – البدر الطالع ج٢ ص٣٢٥]

(٤) العلامة موفق الزبيدي الفخري – تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان ص٣٩٦ – تحقيق الأستاذ محمد عبدالكريم احمد عبدالكريم (رسالة ماجستير) بكلية دار العلوم بالقاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وعبدة الكواكب هم الصابئة[1]، الذين يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالقه هي هذه الكواكب السبعة، والنجوم فهم عبدة الكواكب[2]، الذين يسجدون لها، ويعتقدون فيها، ويقدمون القرابين بين يديها، ولكن العرب الجاهليين لما قالوا بألوهية القمر، فقد صاروا ضمن عبدة الكواكب، وإن لم يكونوا يدينون باعتقادات الصابئة كلها.

على أن العرب في اعتقاداتهم تأليه القمر، لم يكونوا ينظرون إليه كجسم، وإنما كان جل اهتمامهم في التقديس له، والعبادة منصبا على النتائج المترتبة من الإفاضة المنعكسة عليه، بجانب علوه على الآخرين تاره، وباعتبار آخر كانوا ينظرون إلى القمر أنه ممثل لحركة ثابتة في الكون، نالت هذه الحركة من بعضهم الحب والتقديس إلى الحد الذي جعلهم يتنافسون في قبولها، وبناء عليه فقد سارع عبدة القمر في تثبيت مواقفهم منه، حتى جعلوا له قواعد تتم معاملته من خلالها.

مجمل هذه القواعد:

[١] أنهم اتخذوا له صنما على عجل يجره أربعه، وبيده جوهرة عظيمة شفافة، وضيئة، حيث يعبدون هذا الصنم، ويسجدون له نيابة عن القمر، أو على أنه ممثل له.

[٢] أنهم يصومون النصف الأول من كل شهر، ولا يفطرون حتى يطلع عليهم ضوء القمر، ثم يأتون هذا الصنم الذي جعلوه نائبا عن القمر بالطعام والشراب، كأن فيه حياة تمكنه من التغذي والاستمتاع بمباهج الحياة، ولست أدرى كيف يكون إلها، وهو يحتاج الاستمتاع بلذائذ الحياة.

[٣] أنهم يتجهون للقمر في كل ما يريدون، حيث يسألونه حوائجهم، ويلحون عليه في السؤال راجينه تحقيق ما يأملونه.

---

(١) الصابئة: قوم يقولون إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم فهم عبدة الكواكب ولما بعث الله أبراهيم كان الناس على دين الصابئة فاستدل إبراهيم عليه السلام عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله لا أحب الآفلين واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صورا ومثلا فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها فظهر من ههنا عبادة الكواكب. [اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج١ ص٩٠ الفصل الخامس].

(٢) الإمام الفخر الرازي – اعتقادات فرق المشركين ص١٤٣ وبهامشه كتاب المرشد الأمين ط الكليات الأزهرية.

[٤] أنهم عند هلال كل شهر يصعدون السطوح ويوقدون النيران، ويقومون بترتيل دعاء طويل يعتبرونه عظيما، ولا يكون ذلك إلا عند رؤيته فهو دعاء رغبة ورهبة، ثم ينزلون من السطوح إلى الطعام والشراب، والفرح والسرور، واللعب بالمعازف والرقص بين يدى الصنم والقمر بقية ليلتهم[1].

لكن هذه الاعتقادات فى تأليه القمر التى انتشرت عند كل من السومريين وقدماء اليونان أو برزت لها بعض المظاهر فى بلاد الصين والعرب الجاهلين، لم تكن نظرية مجردة، وإنما لجأ أصحابها إلى تحويلها عن غايتها النظرية إلى ناحية عملية، وبالتالى أوجدوا لها العديد من الطقوس المخترعة، والقرابين المتوالية، وقام الكهنة باستغلال الاتباع إلى أبعد حد، حتى كانت هذه الاعتقادات الفاسدة بجانب العبادة الباطلة تمثل انفلاتا أخلاقيا فى جانب، كما تمثل خروجا على الأصول الثابتة، والقيم المتوارثة فى جانب آخر.

* **يقول ديميتر**: إن تأليه القمر، رغم أنه كان منتشرا فى بعض البلدان، لكنه لم يكن قد أخذ الطابع الاستقلالى إلا فى القرن الثالث قبل الميلاد على أوسع تقدير[2]، ثم استمرت تلك الاعتقادات الفاسدة متخذة أشكالا مختلفة من ناحية تجسيم هذه الآلهة، والتماس الصور الكثيرة التى كانت تمهد لظهور أنشطة عبادية مختلفة، تتم كلها حول القمر أو لصالحه، أو تتم باسمه على أقل تقدير.

وإذا كانت الاعتقادات الفاسدة فى القمر قد اتخذت طريقها نحو بعض المجتمعات الوثنية فى الماضى. إلا أنها سلكت طريقا غير صحيح، وفوق ذلك التمست منه القبول، فقاموا ببذل بعض المجهودات التى تجىء على طرائق عبادية فيها الركوع والسجود بجانب القرابين والطقوس، « وكان كهنة القمر يتميزون فى البلاد التى تعتقد ألوهيته بأنهم بيض الثياب تشبها بالقمر فى وداعته وبياضه وجماله عند اكتماله »[3]، وتمايزه أثناء انتصافه وظهوره هلالا.

د. عند البابليين

البابليون أصحاب حضارة قديمة ممتدة، ولهم اتجاهات عديدة فى الفنون والآداب، وقد كانوا فى الماضى أصحاب عقائد متباينة، بعضها يجىء فى الكواكب، وبعض آخر يقع فى دائرة

(١) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل ج٣ ص١٠٣/١٩٤ ، وراجع ابن النديم – الفهرست ص٥٧٣، ومنهج الفخرى فى دراسة الأديان والفرق ص٣٩٧ .

(٢) جون ديميتر – الديانات القديمة ص٤٥ ط أولى ١٩٤١م – ترجمة رمزى فايق محمد

(٣) الشيخ على محمد حكمت الله – العقائد الوثنية ص١٨٤ ، وراجع لأبير كامى – تاريخ الديانات القديمة ص١٤٥ ط أولى ١٩٤٢م، ولكوسيدوفسكى – حين كانت الشمس إلها ص٢٨٩ ط موسكو ١٩٦٨م.

تأليه الأشخاص، وبعض أخير يمكن أن يجيء في تأليه حيوانات يعتبرونها مقدسة، أو نباتات أو أمكنة، وكان لكل عبادة منها جماعة من البابليين، سواء أكانوا من السكان الأصليين أم من النازحين إليهم المقيمين معهم.

❁ **يقول الشيخ الديداموني** : كان البابليون ينظرون للقمر على أنه إله كامل، وأنه يسوق إليهم الخيرات تباعا، كما كانوا يعتقدون فيه النفع والضر، ومن ثم فقد صار تقديسهم له عبادة يحرصون على القيام بها، وراحوا يطيلون السجود له، فكانوا ممن شملهم النهي الإلهي من رب العالمين، يقوم الاعتقاد في ألوهية القمر وعدم السجود له[1]. قال تعالى: ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾[2].

﴿ ٦. عند الفارسين ﴾

بلاد فارس إحدى الحضارات القديمة، التي توالت عليها التسميات، ما بين الدولة أو المملكة الفارسية، وما بين اسم إيران الحديثة[3]، وكان أهلها يعيشون في جماعات لا تجمعها عقيدة بعينها، وإنما كان لكل أسرة جملة من العقائد التي ترضى نزعات أفرادها، أو التي تشبع الفرس الأصليين والنازحين على قدر سواء.

وقد التمس أهل فارس اعتقادات عديدة، فمنها عبادتهم الليل، وعبادتهم القمر، وعبادتهم الشمس أيضا، وقد ذكر القرآن الكريم طرفا من محاورة إبراهيم عليه السلام مع قومه الذين جرت فيهم هذه العبادات الفاسدة والاعتقادات الوثنية. قال تعالى: ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ۞ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۞ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۞ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذآ أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ۞ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ۞ وحآجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون ۞ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ۞ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولـئك لهم الامن وهم مهتدون ﴾[4].

(١) الشيخ محمد منصور الديداموني – بلاد الرافدين وحضارة الأشوريين ص١٩٧.
(٢) سورة فصلت – الآية ٣٧ .
(٣) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١١٥ .
(٤) سورة الأنعام – الآيات ٨٢/٧٥ .

ونظرا لأن فارس – إيران – تنغلق داخل مثلث من الجبال، ويقع في قلبها اثنان من الصحارى الملحية، تبدوان قاحلتين، بجانب وجود الجبال الشاهقة، حيث يبلغ ارتفاعها ١٨٥٠٠م ١٨ ألف قدم، فقد صارت أرض إيران موقعا لتقابلات ثقافية عظيمة، فمثلا توجد هناك أدغال استوائية بالقرب من بحر قزوين، وهناك مناخ بلاد ما بين النهرين، واليونان وروما، ووقوع شرق إيران تحت تأثير الهند والصين أيضا بحيث يمكن القول: بأن إيران هي جسر ممتد بين الشرق والغرب، وهي حقيقة لم تؤثر في دينها فحسب، بل جعلت من إيران ملتقى روافد تاريخية عديدة، وكان ذلك كله قبل عام ٨٠٠ قبل الميلاد.

ومن أبرز الملامح: ظهور العديد من الأفكار الفاسدة،والاعتقادات الوثنية الفاسدة ، تمثلت في مجموعة من الجماعات أطلقوا عليها اسم الديانات، ومن أبرزها:

[١] الديانة الزرادشتية(١).

[٢] الديانة الزرفانية.

[٣] الديانة الماثرية.

[٤] الديانة الماندية أو المازورونية.

[٥] الديانة المانوية(٢).

---

(١) الرزادشتية أتباع زرادشت وهو رجل من أهل اذربيجان ظهر في أيام بشتاسف بن لهراسف وادعى النبوة فآمن به بشتاسف وأظهر اسبديار بن بشتاسف دين زرادشت في العالم وبين المجوس خلاف كثير إلا أن الكل يتفقون على أن الله تعالى حارب مع الشيطان ألوف السنين ولما طال الأمر توسطت الملائكة بينه وبين الشيطان على أن الله تعالى يسلم العالم الى الشيطان سبعة آلاف سنة يحكم ويفعل ما يريد وبعد ذلك عهد أن يقتل الشيطان ثم أخذت الملائكة سيفهما منهما وقرروا بينهما أنه من خالف منهما ذلك العهد قتل بسيفه وكان هذا الكلام غير لائق بالعقلاء لكن المجوس متفقون على ذلك. [راجع اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج١ ص٨٦/٨٧]

(٢) أصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن أورشير ، وقتله بهرام بن هرمزين سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام -الملل و النحل للعلامة الشهرستانى جـ٢ ص٤٩ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل – مؤسسة الحلبى] وماني هذا كان رجلا نقاشا خفيف اليد ظهر في زمن سابور بن ازدشير بن بابك وادعى النبوة وقال إن للعالم أصلين نورا وظلمة وكلاهما قديمان فقبل سابور قوله فلما انتهت نوبة الملك الى بهرام أخذ ماني وسلخه وحشا بجلده تبنا وعلقه وقتل أصحابه إلا من هرب والتحق بالصين ودعوا الى دين ماني فقبل أهل الصين منهم وأهل الصين الى زماننا هذا على دين ماني. الثانية الريصانية وهم يقولون بالنور والظلمة أيضا والفرق بينهم وبين المانوية يقولون إن النور والظلمة حيان والديصانية يقولون إن النور حي والظلمة ميتة. [اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج١ ص٨٨]

وينقسم المانويون إلى طبقتين : الأولى : الطبقة الدنيا وهم الذين يجمعون الطعام والشراب والضرورات التى تحتاجها الطبقة الثانية، فهم أقرب ما يكون شبها بالخدم، ولذا يطلق عليهم اسم طبقة السماعيين. الثانية الطبقة العليا : وهم الأسياد الذين يتبعون القواعد الدينية العليا، ويقومون عليها، وكانوا ينفذون تعاليم مانى، الذى صنع لهم دينا لنفسه وكانت حركة الألبيجنيز فى فرنسا إبان العصور الوسطى قد انشقت عن المسيحية وصارت جزءا من المانوية.

إلى غير ذلك من الديانات الفاسدة والحركات التى صارت فيما بعد أقرب إلى الفوضى الشائعة فى مجال التعدد الذى يحول فى رؤوسهم عن الآلهة من ناحية تعددها وتجسداتها، تاركين دين الله تعالى الحق والاعتقاد الصحيح، فكانوا بذلك أئمة فى الضلال. قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ﴾[1].

يقول الطبرى : «يقول تعالى ذكره وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس إلى أعمال أهل النار ويوم القيامة لا ينصرون، حيث لا ينصرهم إذا عذبهم الله ناصر، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون فاضمحلت تلك النصرة يومئذ »[2]،

وفى تقديرى: أن إيران إبان حكم الإخمينين ٥٥٠/٣٣٣ ق.م ازدهرت فيها الزرادشتية، حيث اعتنقها الملك دارا وكذلك الملك اكسيركسى، حيث صارت ديانة خاصة واعتقادات سياسية، وفى ظل هذا الحكم كان الكهنة من المجوس الذين يعتقدون فى الالهة المتجسدة البشرية ،وبالتالى فلم تكن اعتقاداتهم فى تأليه القمر تنال العناية التى تقع للتجسدات الأخرى، ثم تحولت الزرادشتية إلى ديانة شعبية، فدخلت التماثيل اليونانية إلى الاعتقادات الفارسية، كما صار التنجيم البابلى عاملا رئيسيا فى هذه الاعتقادات الفارسية ،وهو ما يكشف عن حجم التداخلات المتواصلة بالنسبة للديانات الوضعية.

فلما غزا الاسكندر الأكبر بلاد إيران ٣٣٣ ق.م فتح الباب لتوحيد الشرق والغرب سياسيا، فنفذت جملة من الاعتقادات الوثنية إلى إيران، بعضها غلب عليه الطابع السياسى، بينما غلب على البعض الآخر الطابع الدينى، وكان لذلك أثره الجديد على جملة الاعتقادات[3]، إذ حدث تطعيم وتهجين ظهرت آثاره فى تأليه مشترك لبعض الكائنات المختلطة كالماء والتراب والأرض والسماء والشمس والقمر، بل والنار والنور،وصارت هذه الاعتقادات تجرى فى الناس كل مجرى.

غير أنه لم يلبث الإسكندر الأكبر أن ترك حكم هذه البلاد لأصحابها، فقامت حركات تحررية بقيادة جملة من البارثين الذين نزحوا إلى فارس، وأمكنهم الاحتفاظ ببعض الثقافات والاعتقادات المتنوعة، وقد نجحوا فى تحرير إيران وإعادتها إلى الاستقلال قرابة ثلاثة أعوام ٢٥٠ق.م ٢٤٧ق.م مما مهد لظهور العديد من الحركات والتيارات التى طبعت الديانة الفارسية بالاعتقادات الوثنية على نحو جديد، وعملت على ترسيخها فى النفوس بقوة السلطان حتى

---

(١) سورة القصص – الآية ٤١ .

(٢) الإمام الطبري – جامع البيان ج: ٢٠ ص: ٧٩.

(٣) الشيخ محمد على المنيلاوى – الأديان الوثنية ص٩٥ .

ظهرت ديانة المانديين[1]، التى تحولت فيما بعد إلى ديانة للأقلية فى الوقت الذى كانت الزرادشتية هى الديانة الرسمية.

من الواضح أن عوامل إدخال عقيدة تأليه القمر إلى فارس وشيوعها داخل تلك، لم تكن كلها من عدم الاستقرار السياسي، وإنما كان أهمها هو الطبيعة السكانية والتركيبية الاجتماعية التى تمثلت فى مجموعة من الخليط البشرى الذين مارسوا جملة الاعتقادات التى لم يكن لأحد منهم الحق فى الخروج عليها، لما لهذه الطوائف من هيمنة داخل الديانة ذاتها، إذ كان الخروج على آية ديانة، ربما أدى إلى ضرورة تهجير الفرد أو الجماعة من المنطقة التى تقيم فيها إلى مناطق أخرى، لا تتوفر بها أسباب الحياة فى شكل كاف.

لكن ما يمكن التأكيد على هو أن العوامل الطبيعية والتركيبة السكانية، قد مكن لها جميعا الاستعداد النفسى والقلبى داخل الفرد الفارسى نفسه من تأليه هذه الكائنات، أو الخروج عن هذه الاعتقادات دون أن يدرى أحد، لأنه متى استجاب الفرد لنداء قلبه ومناجاة ضميره، فسوف يرى منهما اندفاعا به نحو الحق، والخير الذى شرعه الله تعالى، وهو الاعتقاد فى وجوده عز وجل ووحدانيته، والتوجه إليه وحده فى العبادة. قال تعالى: ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون. قل هل من شركآئكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون . قل هل من شركآئكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون . وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون ﴾[2].

❁ **يقول العلامة ابن كثير**: « يحتج الله تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على واحدنية إلاهيته، فيقول تعالى: "قل من يرزقكم من السماء والأرض" أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته، فيخرج منها "حبا وعنبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا"[3]، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله "أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه"[4] ؟ وقوله: "أمن يملك السمع والأبصار" أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، ومن بيده ملكوت كل شيء، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فالملك كله العلوي

---

(١) جون ديميتر – الديانات القديمة ص٥٣ .

(٢) سورة يونس – الآيات ٣٢/٣٦.

(٣) سورة عبس – الآيات ٢٧/٣١ .

(٤) سورة الملك – الآية ٢١ .

والسفلي فقيرون إليه خاضعون لديه، "فسيقولون الله" وهم يعلمون ذلك ويعترفون به، "فقل أفلا تتقون"؟ وتخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟ فذلكم الله ربكم الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، "فماذا بعد الحق إلا الضلال"؟ فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد، لا شريك له، "فأنى تصرفون" عن عبادته إلى عبادة ما سواه؟ وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء، كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا، كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم، وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده، فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار[1].

قل هل من شركائكم من يبدأ خلق هذه السماوات والأرض، ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق، ويفرق أجرام السماوات والأرض ويبدلهما بفناء ما فيهما ثم يعيد الخلق خلقا جديدا "قل الله" هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك به، ي فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل، "قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟ قل الله يهدي للحق" وأنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال، وإنما يهدي الحيارى والضلال، ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد الله رب العالمين، أفيتبع العبد الذي يهدى إلى الحق ويبصر بعد العمى، أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يهدى لعماه وبكمه[2]، كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم أنه قال: "يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا"[3].

"فما لكم كيف تحكمون" حيث يذهب بعقولكم، كيف سويتم بين الله وبين خلقه، وعدلتم هذا بهذا وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله بالعبادة وحده، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة؟ ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانا، وإنما هو ظن منهم مع توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئا، "إن الله عليم بما يفعلون" وفيه تهديد لهم ووعيد شديد لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء »[4].

أما إذا استجاب المرء لنزغات الشيطان وأهواء النفس، فإنه سيقع في الضلال، ويكون كالأعمى الذى تحرقه أشعة الشمس، ولكنه لا يراها، فإنكاره للشمس قائم على المكابرة والمعاندة،

---

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٤١٧ .

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٤١٨ .

(٣) سورة مريم – الآية ٤٢ .

(٤) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٤١٨ .

إذ أن الدفء المحيط به يكفيه في الاعتراف بوجوها، لكنه يغالط نفسه ويخاصم حواسه، ومثله في الضلال منغمس حتى أذنيه. قال تعالى: ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ﴾[1].

ثم إن الله تعالى قد كشف دلائل وجوده ووحدانيته للخلق، حتى يعرفوه، فهو الواحد الباقي الدائم، الذى لا يأفل أو يبزغ، إنه جل شأنه متعال عن كافة هذه الوجوه، فإذا كان القمر إلها يأفل ويبزغ، يغيب ويظهر، اليس ذلك مدعاه للتخلى عنه والانصراف عن عبادته، أم أن العقول قد طبع عليها.

وفوق ذلك فالتماثيل التى يصوغها الناس على أنها رموز لآلهتهم أليست هى الأخرى من الدلائل على هوس المعتقدين فيها، وضعف عقولهم ، وانحطاط أخلاقهم، وهبوطهم فى الدرك الأسفل من التفكير، ألم ينظروا إلى هذه المعبودات، وأنها لا تدفع عن أنفسها الأفول والبزوغ، كما لا تسمع نداء، ولا تجيب دعاء. قال تعالى: ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾[2].

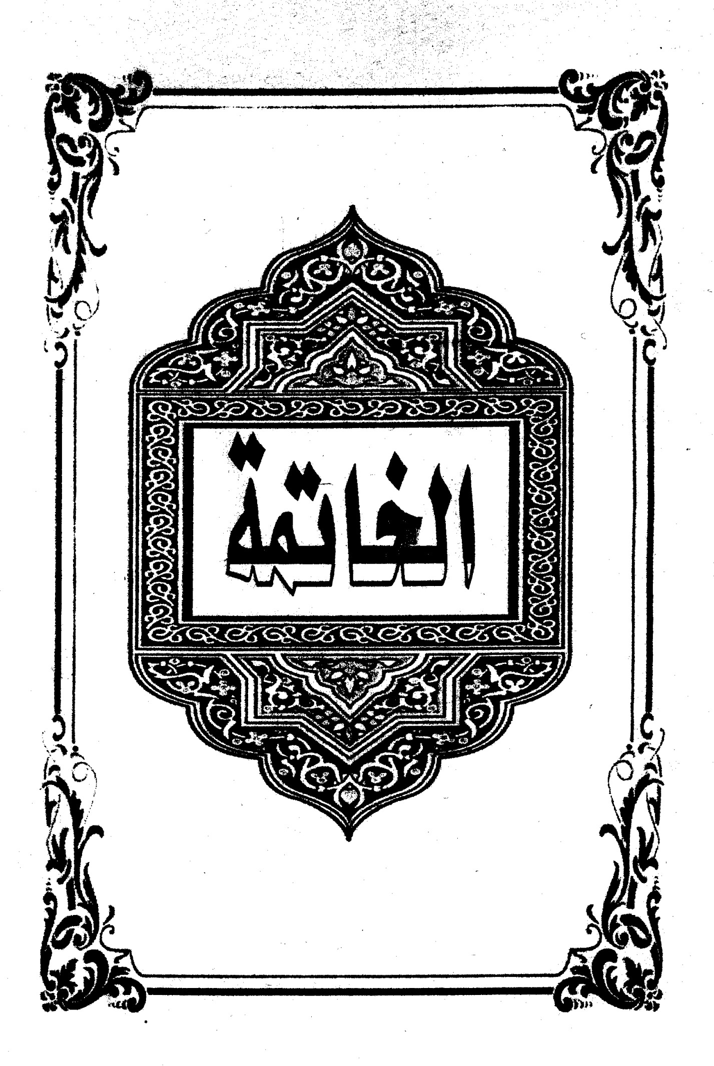
- **ويقول العلامة الطبرى** : « قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم، إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ولو سمعوا دعاءكم إياهم وفهموا عنكم أنها قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به ما استجابوا لكم لأنها ليست ناطقة وليس كل سامع قولا متيسرا له الجواب عنه، فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عباده الذي بيده نفعكم وضركم وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم. ويوم القيامة يكفرون بشرككم، حيث تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن لها كانت لله شريكا في الدنيا. ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها بهم مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير وهو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه »[3].

---

(١) سورة مريم – الآية ٧٥ . يقول العلامة القرطبى : « قوله تعالى قل من كان في الضلالة أي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا أي فليدعه في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره فيكون ذلك أشد لعقابه نظيره إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون ومثله كثير أي فليعش ما شاء وليوسع لنفسه في العمر فمصيره إلى الموت والعقاب وهذا غاية في التهديد والوعيد وقيل هذا دعاء أمر به النبي صلى الله عليه وسلم تقول من سرق مالي فليقطع الله تعالى يده فهو دعاء على السارق، حتى إذا رأوا ما يوعدون قال رأوا لأن لفظ من يصلح للواحد والجمع و إذا مع الماضي بمعنى المستقبل أي حتى يروا ما يوعدون والعذاب هنا إما أن يكون بنصر المؤمنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والأسر وإما أن تقوم الساعة فيصيرون إلى النار فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا أي تتكشف حينئذ الحقائق وهذا رد لقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا » [القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١٤٤]

(٢) سورة فاطر – الآية ١٤ .

(٣) الإمام الطبري – جامع البيان ج٢٢ ص١٢٥/١٢٧.


الخاتمة

﴿ الخاتمة ﴾

المعلوم أن كل ما له بداية فله نهاية، ولما كانت المقدمة فى الأبحاث العلمية تمثل تلخيصا لأهم الأبواب والفصول، فإن الخاتمة تمثل هى الأخرى التلخيص الدقيق لأبرز النتائج؛ ولذا فقد حرص علماء الإسلام على إطلاق اسم الغايات على الخواتيم، إذ كانوا يقسمون مباحثهم إلى مبادئ ووسائل وأخيرا الغايات ، والمبادئ هى المقدمات ، أما الوسائل الموصلة للنتائج فهى الموضوعات، وبناء عليه فقد حاولت الالتزام بذلك الذى نبه إليه علماء أهل الإسلام ،ومجمل النتائج تجيء فيما يلى:-

✽ **أولاً**: أن الاعتقاد بوجود الله تعالى وتوحيده،والإقرار له جل شأنه بالتفرد فى الخلق والإيجاد والإعدام وتقرير ذلك على وجه صحيح هو الدين الذى جاء به الإسلام، منذ خلق الله الكون.قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ • إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَفِي نَار جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ • إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[2].

✽ **ثانيا**: أن توحيد الله الخالق العظيم جل علاه هو الأصل الذى فطر الله تعالى الخلائق عليه، وأنه جل شأنه جعل ذلك راسخا فى العقول، ثابتا فى النفوس، وكلما كانت القلوب نقية،والعقول صحيحة، والنفوس مستقيمة ، فإن الأنوار الإلهية تترى عليها اطمئنانا ويقينا. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3].

✽ **ثالثا**: إن هذا التوحيد الخالص لله رب العالمين، وتعريف الأنبياء والمرسلين به، ثم تعبيد الناس لله جلا علاه، هو أعظم مهام المرسلين، بحيث تنقطع الحجة وتزول الأعذار، فإما أيمان يقبل عند الله، ويرتفع به صاحبه إلى أعلى الدرجات، وأما الحاد يهبط بصاحبه إلى الدرك الأسفل من النار. قال تعالى: ﴿ " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله

---

(١) سورة الزمر – من الآية ٢ .

(٢) سورة البينة – الآيات ٥/٧ .

(٣) سورة الرعد – الآية ٢٨ .

حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " ﴾[١].

❁ **رابعا**: أن التعدد فى الآلهة أمر طارئ لا علاقة له بدين الله الواحد، وإنما هو متعلق بالأديان التى صنعتها عقول أصحابها، الذين انفلتت من أيديهم معالم الاستمساك بحبل الله المتين حيث انطلقوا إلى الكفر ، تاركين ما شرعه المولى الرحيم الرحمن، وهم فى ذلك اتبعوا شياطينهم، وهى لا تقدم الا شرا . قال تعالى: قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ۝ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ۝ حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ۝ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فيِ العذاب مشتركون ﴾[٢].

❁ **خامسا**: أن هذا التعدد فى الآلهة يمثل مرحلة متأخرة عن الدين الإلهى، وبالتالى تسقط مزاعم البعض، من الذين يذهبون إلى أن التوحيد طارئ والتعدد اصل ثابت؛ لأن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام بعثه لذريتهم وجعله بينهم نبيا، وكل نبى يأتى بالتوحيد لله والتعريف بطرائق عبادته، بجانب تربية النفوس والقلوب على القيم الراقية، وكذلك تدريب العقول على ممارسة مهامها بقدر عال من النجاح الذى يحقق الاستخلاف فى الأرض. قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ۝ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ۝ قال يا آدم أنبئهم بأسمآئهم فلما

---

(١) سورة النساء – الآية ١٦٥ . قال تعالى: "رسلا مبشرين ومنذرين"، حيث يبشرون من أطاع الله، واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما، حيث إنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾، وكذا قوله: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ (سورة القصص – الآية ٣٧)، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين"، وفي لفظ آخر: "من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه". [مختصر تفسير ابن كثير – تحقيق الشيخ محمد على الصابونى – المجلد الأول]

(٢) سورة الزخرف – الآيات ٣٦/٣٩ .

أنبأهم بأسمآئهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[١].

* **سادسا**: أن تأليه غير الله تعالى على آية ناحية كان ذلك، إنما هو مظهر انحرافي، قاد أصحابه إلى الضلال، من حيث تعدده، وأوقعهم في الهلاك زاعمين أنهم يطلبون النجاة، وهو من معالم الطبع على العقول والقلوب والنفوس. قال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾[٢].

وبالتالي فكل تأليه لغير الله أو إشراك لشيء مع الله في الاعتقاد من ناحية الخلق والإيمان، أو من ناحية الإفناء والإعدام ، أو من ناحية تقع لله وحده ويعمل أحد على إشراك غيره معه مردود ذلك على أصحابه وحدهم ، الذين يقع عليهم سخط الله . قال تعالى: ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[٣].

* **يقول ابن كثير** : « أفمن أتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير حيث لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير »[٤].

* **سابعا**: أن تأليه الأرض أو تأليه السماء أو غيرهما إنما يدل على أن القائلين بهذا التأليه قد سمحوا لأنفسهم بإعلان كفرهم بالله تعالى وفوق ذلك فقد أكدوا على أنهم وضعوا عقولهم تحت أقدامهم، ثم داسوها بنعالاتهم، ومثلهم لا يحسن التعامل معه، أو النظر لما يقولونه إلا في ذات الحدود، لأن الله تعالى قضى بذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون ﴾[٥].

كما أن عملية التأليه للآيات الكونية قد انتقلت من مجرد كونها فكرة، حتى صارت عقيدة يتمسك بها اصحابها، ومن شأن ذلك أن يحول حياة الناس الى سلوكياتهم ، ثم تحويل هذه السلوكيات حتى تكون اعتقادات كالحال مع الكونفوشيوسية والبوذية والمانوية ، وكذلك تقديس الممارسات التي تتم من خلال رجال اللاهوت، الذين يحرصون كل الحرص على أن تبلغ

---

(١) سورة البقرة – الآيات ٣٣/٣١ .

(٢) سورة الروم – الآية ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٦٢

(٤) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٢٥.

(٥) سورة النحل – الآية ٧٣ .

فى الناس مبلغ العقيدة، بحيث لا يمكن أن ينفصلوا عنها، وهو خروج على شرع الله تعالى، فبئس ما يفعلون. قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[1].

* **ثامنا**: ان الانطلاق السريع نحو تأليه الآيات الكونية بهذا الشكل، قد مهد لظهور ديانات وضعية أخرى، تجرى فيها الوثنية على كل ناحية، حيث قامت هذه الديانات بتاليه الأفكار، كما نادوا بتأليه الأشخاص وقوى الطبيعة، ففتحت الباب على مصراعيه لتأليه كل ما هو خارج عن شرع الله، وذلك من شأنه إعلان الحرب على العقيدة الإلهية والتمكين للعقائد الوثنية، وقد نبّه الله تعالى إلى ان هذه الآلهة الباطلة، تلقى فى النار هى وأصحابها. قال تعالى: : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾[2].

ولست أدرى كيف سوغت هذه العقول لصحابها قبول ذات الأفكار المشوهة، ثم الاحتفاظ بها على هذا المستوى، وهم يعلمون أن قضايا الإيمان الصحيح لا تقوم على من تم اختباره كإله فلم يوفق فيه، فالآيات الكونية مثلا تبزغ وتأفل، تظهر ثم تختفى، ومن كان ذلك حاله فلا يمكن اعتباره إلها، وإلا فما هو مصير الكون عندما يكون الإله غائبا، بل إن ذلك الإله الذى يغيب ويظهر اكثر مدعاة للحاجة والعوز والاحتياج، ومن كانت تلك حقيقته، فإنما يكون محتاجا، والمحتاج لا يكون إلها أبدا. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد • إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله بعزيز﴾[3].

فهذا نداء للناس جميعا بأنهم هم « الفقراء المحتاجون إلى فضله وإحسانه[4]، وهو الغنى الذى لا يحتاج إليهم المحمود فى إحسانه إليهم، المستحق بإنعامه عليهم، أن يحمدوه إن

---

(١) سورة التوبة – الآية ٣١ .

(٢) سورة الأنبياء – الآيات ٩٨/١٠٠ .

(٣) سورة فاطر – الآية ١٥ .

(٤) الإحسان إسلام ظاهر يقيمه إيمان باطن يكمله إحسان شهودي قاله الحرالي، وقال الراغب فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان: أحدهما الإنعام على الغير. والثاني إحسان في فعله وذلك إذا علم علما محمودا أو عمل عملا حسنا ومنه قول علي كرم الله وجهه الناس أبناء ما يحسنون أي منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون وإحسان الشيء عرفانه وإيقانه وقد فسر الشارع الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه. [التعاريف ج١ ص٤٠/٤١]

يشأ - لاتخاذكم أندادا - يذهبكم ويخلق من بعدكم من يعبده، ولا يشرك به شيئا وما ذلك على الله بممتنع أو بعيد »[١].

كما أنهما يؤديان أعمالا داخلة في نطاق سنن الله الكونية، وكل منهما - الليل والنهار - يسعى لأداء ما فرضه الله عليه، من باب الطاعة دون إبطاء أو محاولة التأخير. قال تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾[٢].

يقول الإمام القرطبي : « لما بين تعالى في هذه السورة من الأحكام ما بين أمر بالتزام أوامره والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال ، عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لآدم يا آدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها فقال وما فيها يارب قال إن حملتها أجرت وإن ضيعتها عذبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلا قدر مابين صلاة الأولى[٣] إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها»[٤].

وكذلك الحال مع الشمس والقمر فكل منهما يجرى على أنه من سنن الله الكونية، ففي الحديث الشريف عن عائشة أنها قالت « خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فقام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ثم سجد فأطال السجود ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى ثم انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا ثم قال يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »[٥].

---

(١) العلامة علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن - تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ج٣ ص٥٢٣ - طبعة المطبعة الخيرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٧٢ .

(٣) صلاة الأولى هي الفريضة وهذه نافلة. [مصنف ابن أبي شيبة ج٢ ص٧٥ رقم: ٦٦٤٤].

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٥٣/٢٥٤ .

(٥) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج١ ص٣٥٤ - ٢ باب الصدقة في الكسوف- رقم:٩٩٧ ، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج٢ ص٦١٨ - ١٠ كتاب الكسوف- ١ باب صلاة الكسوف- الحديث: ٩٠١

ومادام من آيات الله تعالى الكونية، فكل منهما يسعى لغاية أمرها الله تعالى بالوصول إليها. قال تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾[1].

بيد ان حال السحاب المسخر بين السماء والأرض هو الأخر من آيات الله تعالى الكونية التى جعلها للعقلاء عبرة وعظة، وهداية. قال تعالى: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[2].

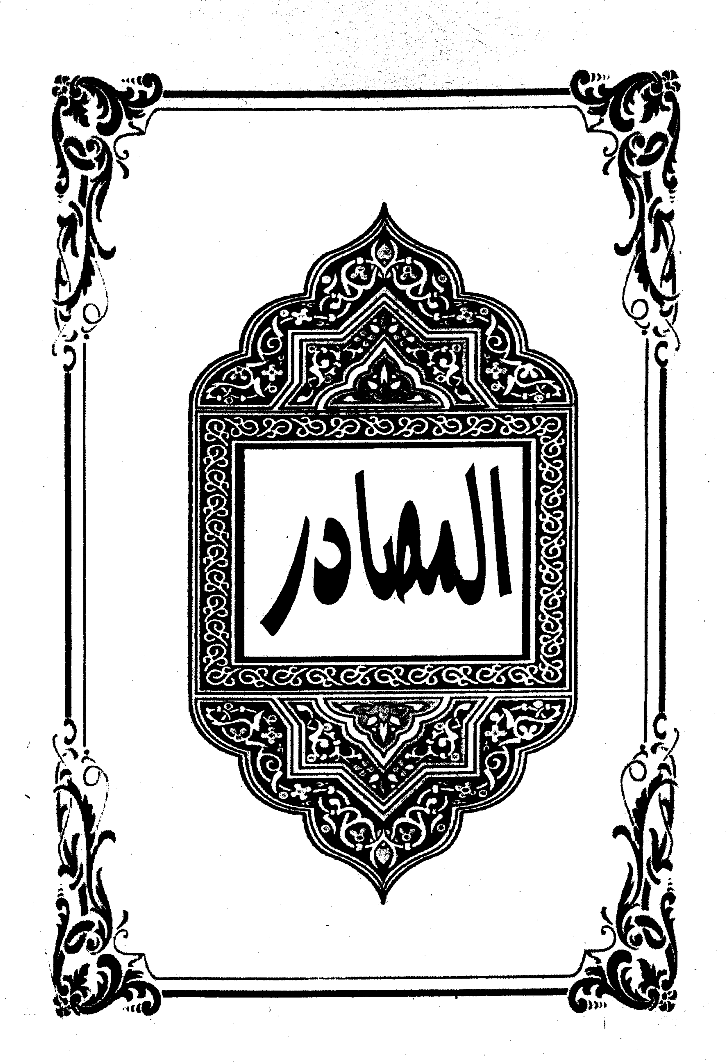
* **عاشرا:** أن أصحاب هذه الاعتقادات الوثنية قد انغمسوا فيها حتى الأنوف، إنهم اعتقدوها آلهة، ثم أرهقوا أنفسهم فوضعوا لها تجسدات وصورا وتماثيل من عند أنفسهم، عدلوا فيها بقدر ما أمكنهم، وكلما رأوا من أنفسهم قدرة على اللعب بتلك الاعتقادات، سارعوا إليه، دون أن يفكروا فى أنهم إنما يمارسون أفعالا شيطانية، وينطلقون بها نحو قعر الهاوية، والله تعالى حذر من هؤلاء وأمثالهم جميعا. قال تعالى: : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ● الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ● أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ● ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾[3].

وبعد ...

عزيزى القارئ الكريم فها أنت قد قطعت معى شوطا من الرحلة، وقد بان لك أنها شاقة عنيفة، وأنى واثق أنك تملك الحيدة والموضوعية، فهل لك فى استكمال باقى الرحلة من خلال الجزء الثانى، أم تفضل الهدوء وتخلد إلى الدعة، وتلجأ إلى القناعة بما قطعناه معا، أنت وما تشاء، أما أنا فمازلت أردد قول الحق العلام. ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دآبة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[4]، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة يس – الآية ٤٠ .
(٢) سورة البقرة – الآية ١٦٤ .
(٣) سورة الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦ .
(٤) سورة هود – الآية ٥٦ .


المصادر



المصادر

❁ راعيت في ترتيب هذه المصادر الطريقة العلمية الحديثة، وهي ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولا بعد تجريده من حرف أل إن كان فيه ، ثم ذكر اللقب، ثم الاسم وسنة الميلاد والوفاة متى أمكنني الوقوف على ذلك، ثم اسم الكتاب والمطبعة والسنة إن وجدت، مبتدئا بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها، ثم المعاجم العربية والتراجم، وأخيرا المصادر العامة، وهي التي اتبعت فيها الترتيب العلمي طبقا للطريقة الحديثة.

أولا: القرآن الكريم وعلومه

(١) القرآن الكريم .
(٢) الإتقان في علوم القرآن — العلامة جلال الدين السيوطي ت:٩١١هـ طبعة المطابع الأزهرية
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل — الإمام / القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (المتوفى٧٩١هـ) — طبعة دار المعارف بمصر ١٣١٦هـ.
(٤) البحر المحيط – العلامة أثير الدين أبو عبدالملك محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي– دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢/١٤١١هـ/١٩٩٠م .
(٥) التحرير والتنوير–العلامة محمد الطاهر بن عاشور.دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس١٩٩٧م
(٦) تفسير الجلالين–الإمام جلال الدين المحلي، والإمام جلال الدين السيوطي – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الأولى .
(٧) تفسير القرآن الحكيم، المسمى تفسير المنار – الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا– دار المعرفة بيروت، دار المنار بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ.
(٨) تفسير القرآن العظيم — الإمام / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي (٧٧٤هـ) – مكتبة الإرشاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
(٩) التفسير القرآني للقرآن – للأستاذ عبدالكريم الخطيب – طبعة دار الفكر العربي.
(١٠) جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري – العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/٣١٠هـ) — دار الجيل — الطبعة الثالثة — طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربي بالقاهرة ١٩٩٥م ، وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ .
(١١) الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي – الإمام / أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت : ٦٧١هـ) – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربي ١٩٨٨م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٢هـ– تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني
(١٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) – طبعة دار الفكر – ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .
(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — الإمام / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت : ١٢٧٠هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٤ ١٩٨٥م.
(١٤) صفوة التفاسير – الشيخ محمد علي الصابوني – مكتبة الغزالي – بيروت.
(١٥) فتح القدير – الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى ١٢٥٥هـ) – طبعة دار الحديث بالقاهرة – ط٣/١٩٩٧م.

(١٦) في ظلال القرآن الكريم – الأستاذ سيد قطب – الطبعة السادسة – دار الشروق ١٩٧٨م.
(١٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الإمام / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٢٨) – تحقيق مصطفى حسين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٦م. وطبعة دار المعرفة – بيروت / لبنان.
(١٨) لباب التأويل في معاني التنزيل – العلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) – دار الفكر – بيروت .
(١٩) لطائف الإشارات – الإمام القشيري – تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .
(٢٠) مختصر تفسير ابن كثير – اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد علي الصابوني دار التراث العربي – القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وطبعة دار الصابوني للطباعة والنشر ١٩٨٨م.
(٢١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقي – مكتبة دار الحديث – الطبعة الأولى – طبعة الشعب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
(٢٢) مفاتيح الغيب – الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ) – المطبعة البهية المصرية – الطبعة الأولى ١٩٩١م.
(٢٣) المفردات في غريب القرآن – العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني – دار المعرفة بيروت – لبنان.

ثانيا : السنة النبوية المطهرة وعلومها

(٢٤) البحر الزخار – العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المولود ٢١٥هـ المتوفى ٢٩٢هـ – مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت ، المدينة ١٤٠٩هـ – الطبعة الأولى – تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله.
(٢٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – الإمام الحافظ أبو العلي محمد عبدالرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة – ط٢/١٩٦٧م.
(٢٦) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – العلامة عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد المولود ٥٨١هـ والمتوفى ٦٥٦هـ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٧هـ – الطبعة الأولى – تحقيق إبراهيم شمس الدين، وطبعة دار الحديث – القاهرة.
(٢٧) الجامع الصغير السيوطي – العلامة عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري – (٨٤٩/٩١١)هـ – تحقيق محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين المناوي – طبعة دار العلم بجدة – بدون .
(٢٨) الجرح والتعديل – العلامة عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي المتوفى ٣٢٧هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م – الطبعة الأولى – عدد الأجزاء ٩.
(٢٩) حلية الأولياء – أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) – طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة .
(٣٠) سنن أبي داود – الإمام الحافظ / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٣١) سنن ابن ماجه – للإمام الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجـه – طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
(٣٢) سنن البيهقى الكبرى – أحمد بن حسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى – (٣٨٤/٤٥٨)هـ – مكتبة دار الباز بمكة المكرمة – ١٤١٤/١٩٩٤م – تحقيق محمد عبدالقادر عطا.
(٣٣) سنن الترمذى – الإمام / محمد الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة (٢٠٩/٢٧٩هـ) – مطبعة مصطفى الحلبى .
(٣٤) سنن الدار قطنى – العلامة على بن عمر أبو الحسن الدار قطنى البغدادى (٣٠٦/٣٨٥)هـ – طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م – تحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى المدنى.
(٣٥) سنن النسائى – الإمام الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى(ت : ٣٠٢هـ) دار الحديث ١٩٨٧م .
(٣٦) صحيح الإمام البخارى – الإمام / محمد بن إسماعيل البخارى الجعفي (ت ٢٥٦هـ) – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٤/١٩٩٨م.
(٣٧) صحيح مسلم – الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت٢٦١هـ) – ط الحلبي
(٣٨) صحيح ابن حبان – العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستى – (ت : ٣٥٤هـ) – ط مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٣م الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤط .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى – الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – الطبعة الأولى – تعليق الأستاذ محمد محمد تامر – دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها.
(٤٠) عون المعبود – شرح سنن أبى داود – العلامة شمس الحق أبو الطيب – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ– الطبعة الثانية.
(٤١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى – للعلامة ابن حجر العسقلانى – تحقيق محب الدين الخطيب وقصى الدين الخطيب – طبعة دار الريان للتراث . ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
(٤٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – الشيخ إسماعيل محمد العجلونى (ت: ١١٦٢هـ) مكتبة الغزالى — دمشق .
(٤٣) كنز العمال — للعلامة علاء الدين المتقي الهندي – ١٩٨٩م مؤسسة الرسالة – دمشق.
(٤٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر – دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(٤٥) المستدرك على الصحيحين – الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابورى (٣٢١/٤٠٥)هـ – طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.
(٤٦) مسند الإمام أحمد – الإمام /أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) – المكتب الإسلامى للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأول – دار كتب الفقه .
(٤٧) مسند أبى يعلى – العلامة أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى (٢١٠/٣٠٧)هـ – طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط١) – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حسين سليم أسد.
(٤٨) مصنف ابن أبى شيبة – العلامة أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبى شيبة (١٥٩/٢٣٥)هـ – طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٩هـ الأولى – تحقيق كمال يوسف الحوت.
(٤٩) المعجم الأوسط – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى (٢٦٠/٣٦٠)هـ – طبعة دار الحرمين بالقاهرة – طبعة ١٤١٥هـ – تحقيق طارق بن عوض الله الحسينى.

(٥٠) المعجم الكبير – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)هـ – مكتبة العلوم والحكم – الموصل –ط٢ – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حمدى بن عبدالمجيد السلفى .

ثالثاً : المعاجم العربية والتراجم وكتب الرجال

(٥١) أساس البلاغة – العلامة محمود بن عمر الزمخشرى (ت: ٥٣٨هـ) طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(٥٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة –العلامة ابن الأثير – مكتبة دار التراث – حلب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٥٣) الإصابة فى تمييز الصحابة – العلامة أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣/٨٥٢)هـ – ط١ – تحقيق على محمد البجاوى – طبعة دار الجبل ببيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥٤) الأعلام للزركلى – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين – تأليف خير الدين الزركلى – الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.

(٥٥) الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال – العلامة محمد بن علي بن الحسن أبو المحاسن الحسيني المولود ٧١٥هـ – المتوفى ٧٦٥هـ – جامعة الدراسات الإسلامية – كراتشي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م – تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي.

(٥٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب – يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت: ٤٦٣) – – ط١ – تحقيق على محمد البجاوى – طبعة دار الجبل ببيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥٧) البداية والنهاية – الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى– طبعة دار الغد العربى .

(٥٨) التاريخ الكبير– العلامة محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي المولود ١٩٤هـ – المتوفى ٢٥٦هـ – دار الفكر – تحقيق السيد هاشم الندوي.

(٥٩) تاريخ بغداد – العلامة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى(ت:٤٦٣)– طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ .

(٦٠) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة – العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ المتوفى ٨٥٢هـ – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق (بدون) .

(٦١) التعريفات – السيد الشريف على بن محمد بن على السيد زين أبى الحسن الجرجانى (٧٤٠/٨١٣هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . وطبعة دار الريان للتراث ١٤٠٣هـ ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري، وتحقيق الدكتور عبدالمنعم الحنفى – طبعة دار الرشاد ١٩٩١م

(٦٢) تقريب التهذيب – العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي – المولود ٧٧٣هـ – المتوفى ٨٥٢هـ – دار الرشيد – سوريا ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م – الطبعة الأولى – تحقيق محمد عوامة.

(٦٣) تهذيب الأسماء واللغات – العلامة أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام – دار الفكر – بيروت ١٩٩٦م – الطبعة الأولى

(٦٤) تهذيب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ والمتوفى ٨٥٢هـ – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م – الطبعة الأولى –.
(٦٥) الثقات – العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ – دار الفكر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م – الطبعة الأولى – تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
(٦٦) رجال صحيح مسلم – العلامة أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر – المولود ٣٤٧هـ المتوفى ٤٢٨هـ – دار المعرفة – بيروت ١٤٠٧هـ – الطبعة الأولى – تحقيق عبد الله الليثي.
(٦٧) سير أعلام النبلاء – العلامة محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله المولود٦٧٣هـ المتوفى ٧٤٨هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ – الطبعة التاسعة – تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
(٦٨) طبقات الحفاظ – العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل المولود ٨٤٩هـ المتوفى ٩١١هـ – الطبقة السادسة – رقم: ٢٢٠ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣هـ – ط١.
(٦٩) الفهرست – العلامة محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم المتوفى ٣٨٥ هـ – – دار المعرفة – بيروت١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م]
(٧٠) القاموس المحيط – الإمام مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي – طبعة دار الجيل بيروت، وطبعة المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
(٧١) قطر المحيط – المعلم بطرس البستاني ط دار لبنان ١٩٦٩م.
(٧٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة – العلامة حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣هـ، المتوفى ٧٤٨هـ – دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو – جدة – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م – الطبعة الأولى – تحقيق محمد عوامة
(٧٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – العلامة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي – المولود ١٠١٧هـ / المتوفى ١٠٦٧هـ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م –.
(٧٤) لسان العرب – العلامة / أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) – تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون – الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٥م – دار المعارف.
(٧٥) لسان الميزان – العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م – الطبعة الثالثة – تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند.
(٧٦) محيط المحيط – المعلم بطرس البستاني – طبعة بيروت ١٨٧٠م.
(٧٧) مشاهير علماء الأمصار – العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٥٩م – تحقيق م. فلايشهمر
(٧٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – العلامة أحمد بن محمد بن على المقرىء الفيومي(ت: ٧٧٠هـ) الطبعة الأولى – حققه الأستاذ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية وطبعة المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ
(٧٩) معجم المؤلفين – العلامة عمر رضا كحالة – طبعة بيروت.
(٨٠) المعجم الوسيط – الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون – القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٨١) المنجد في اللغة والآداب والعلوم — الأب لويس معلوف العيسوي — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩١٣م.

(٨٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المولود ٧٤٨هـ - دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٩٥م — الطبعة الأولى— تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.

(٨٣) النهاية في غريب الحديث والأثر - للعلامة ابن الأثير - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ

رابعا المصادر العامة

حرف الألف

✲ أبو طويلة - الدكتور إبراهيم محمد

(٨٤) المنطق وقضية المفاهيم - طبعة أولى - مطبعة العاصمة ١٩٥٧م.

✲ أدرمان - المستشرق جون كليمنتر

(٨٥) ديانة مصر القديمة - ترجمة الأستاذ عبدالمنعم أبو بكر ط أولى ١٩٤١م.

✲ الأوكسنى - الإمام سراج الدين

(٨٦) بدء الأمالي - بمجموع مهمات المتون - ط الحلبي ١٣٣٦هـ

✲ ابن حزم - شيخ الإسلام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (٣٨٣/٤٥٦هـ)

(٨٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (طبعات متعددة) .

✲ ابن تيمية - شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم المولود في سنة إحدى وستين وستمائة، المتوفى في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

(٨٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ط المدني .

✲ ابن قيم الجوزية - شيخ الإسلام أبو عبدالله شمس محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. المولود سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م، والمتوفى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م

(٨٩) إغاثة اللهفات من مصائد الشيطان ط الدار السلفية.

✲ أبو النيل - الدكتور فوزي السيد .

(٩٠) عادات وعبادات قديمة ط أولى ١٩٦١م.

✲ اسكورت - المستشرق جوتفريد مارتن

(٩١) الفكر الشرقي القديم- العقائد والعبادات - ترجمة زكريا عبدالعظيم ط أولى ١٩٣٧م.

✲ أبو غدة - الدكتور محمد السيد

(٩٢) الكلدانيون القدماء واعتقاداتهم ط أولى ١٩٥٧م.

✲ الأبانوسي - الشيخ عبدالله بن علي .

(٩٣) هرمس بين الحقيقة والخيال - ط المهدي بالأناضول ١٩١٣م.

✲ أبو سنة - الدكتورة سنية محمد

(٩٤) عادات وعبادات قديمة ط أولى ١٩٤٧م.

✲ الإسناوي - الشيخ محمد عبدالعظيم .

(٩٥) زبدة الأقاويل في التوراة والإنجيل - ط الدار اليمنية ١٣١٤هـ

❋ الإسناوى - الشيخ عبدالبديع حسن .
(٩٦) القرآن والكتب السماوية ط أولى دار الهدى ١٩١٤م.
❋ ابن عمر - الإمام الحسن .
(٩٧) تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه - تحقيق د. أحمد أمين - الهيئة المصرية ١٩٨٦م.
حرف الباء
❋ البستانى - الشيخ نصر الدين حسن
(٩٨) التجسيم عند اليهود - ط دار الاستقامة ١٣٣١هـ.
❋ برستيد - المستشرق جيمس هنرى
(٩٩) فجر الضمير - ترجمة الدكتور سليم حسن - الهيئة المصرية العام ١٩٩٩م.
❋ البنهاوى - الشيخ عبدالعظيم السيد
(١٠٠) عقيدة التوحيد والعقائد الباطلة - المطبعة الأميرية ١٣٣١هـ
❋ بدوى - الدكتور أبو اليسر محمد .
(١٠١) السومريون وعقائدهم ط الثانية ١٩٥١م.
❋ بريهييه المستشرق - الأستاذ إميل .
(١٠٢) الآراء الدينية والفلسفية لفيلوف - ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخر ط الحلبى ١٩٥٤م.
❋ البيطار - الشيخ محمد على
(١٠٣) عقائد مصر القديمة - ط أولى الدار الميمنية ١٣١٥هـ.
❋ البنقالى - الشيخ محمد عبدالتواب
(١٠٤) مشكلات العقائد الوثنية - ط الثانية - الدار السلفية لاهور.
❋ الباجورى - شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم .
(١٠٥) حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد ط الحلبى .
❋ بيصار - شيخ الإسلام الدكتور محمد عبدالرحمن
(١٠٦) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ط٣ - الأنجلو المصرية ١٩٧٢م.
❋ بارندر - المستشرق جفرى .
(١٠٧) المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام - سلسلة عالم المعرفة.
حرف التاء .
❋ توفيق - الشيخ محمد عبدالعظيم .
(١٠٨) مصادر التشريع الإسلامى ط دار مراد ١٩٦٥م.
❋ توفيق - الدكتور محمود فوزى .
(١٠٩) اليهود ماضيهم والحاضر ط أولى ١٩٤١م.
❋ توكاريف - الأستاذ سيرغى أ.
(١١٠) الأديان فى تاريخ شعوب العالم - ترجمة د. أحمد م فاضل - مكتبة الأسد ١٩٩٨م.
حرف الثاء
❋ الثروى - الدكتور صبرى محمد حسن
(١١١) قبيلة سبأ - ط دار الفؤاد ١٩٥٧م.

* ثروت ـ الدكتور صبحى محمد .

(١١٢) العقائد القديمة وتطوراتها – الناشر دار الهداية ١٩٤٥م.

* الثروى ـ محمد السيد

(١١٣) البلاغة العربية وتطوراتها – ط ثانية ١٩٤٧م.

* ثورك أ. ب هايدى

(١١٤) الديانات القديمة – ترجمة لطفى السيد فخرى ط أولى ١٩٥٥م.

* ثروت ـ الدكتور عز الدين محمد

(١١٥) الأساطير وأثرها فى الديانات الوثنية – ط دار حكمت ١٩٤٣م.

* الثروى ـ الشيخ محسن حسن .

(١١٦) العقائد اليهودية الوثنية – ط أولى – دار الثقافة ١٩٤٢م.

حرف الجيم

* الجزائرى ـ الشيخ أبو بكر

(١١٧) عقيدة المؤمن – مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧م.

* الجرجانى ـ العلامة السيد الشريف

(١١٨) شرح المواقف – مكتبة المتنبى .

* الجميل ـ الشيخ نصر الدين محمد

(١١٩) خرافات وأساطير – ط دار المروة ١٣٣٧هـ.

* جرجس ـ القس صبرى .

(١٢٠) التراث اليهودى – ط ثانية ١٩٥٧م.

حرف الحاء .

* حسينى ـ الأستاذ الكامل

(١٢١) الإسماعيلية ط الدار الدسوقية.

* الحنفى ـ الشيخ محمد سعيد المنيلاوى

(١٢٢) كلمة التوحيد – ط دار مراد ١٣٢٧هـ.

* حكمت الله ـ الشيخ على محمد

(١٢٣) العقائد الوثنية – د الدار الإسلامية ١٣٢٣هـ .

حرف الخاء

* خليل ـ الشيخ نصر الدين محمد

(١٢٤) أنواع البدع – ط الدار العربية ١٣١٥هـ.

* خير الدين ـ الشيخ توفيق محمد .

(١٢٥) الأديان القديمة – طبعة أولى – دار مراد ١٣٣٤هـ.

حرف الدال

* ديميتر ـ المستشرق جون

(١٢٦) الديانات القديمة – ترجمة رمزى فايق محمد ط أولى ١٩٤١م.

✽ ديورانت ـ المستشرق ول .
(١٢٧) قصة الحضارة - المجلد الرابع - حياة اليونان - ترجمة محمد زيدان - الهيئة المصرية .
✽ الدرملى ـ الشيخ محمد أبو العينين
(١٢٨) العقيدة الإيمانية وأثرها فى النفوس ط دار رضوان ١٣٢٠هـ
✽ الدينورى ـ العلامة الشيخ محمد
(١٢٩) من أسرار اللغة ط دار فؤاد ١٩١٨م.

حرف الراء

✽ الرازى ـ الإمام فخر الدين
(١٣٠) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - تحقيق أ. طه عبدالرءوف .
(١٣١) عجـائب القـرآن - تحقيـق الأسـتاذ عبدالقـادر أحمـد عطـا - دار الكتـب الإسـلامية ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.
✽ رانوفيتش ـ المستشرق
(١٣٢) المختصر فى التاريخ اليهودى القديم - مكتبة الأسد ١٩٧٤م.
✽ رمضان ـ الدكتور على السيد .
(١٣٣) الصين وإلهتها القديمة - ط أولى ١٩٦٧م.

حرف الزاى

✽ زادة ـ الشيخ المرعشى الشهير بساجقلى
(١٣٤) نشر الطوالع - مكتبة العلوم اللغوية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.
✽ زانوفيش ـ المستشرق أ. ب.
(١٣٥) الزمن وكيفية التعرف عليه - ترجمة الأستاذ زكى محمد - ط دار مراد ١٩٤١م.
(١٣٦) ديانة الفرس القدماء - ترجمة الدكتور هاشم فخرى ١٩٣٧م.
✽ الزفتاوى ـ الشيخ نجيب محمد .
(١٣٧) الإيمان وأثره فى النفوس - ط دار بركات ١٣١٣هـ
✽ زورد ـ المستشرق أ.ب.
(١٣٨) الديانات اليونانية - ترجمة الدكتور فاضل محمد ١٩٦٣م.

حرف السين

✽ سلطان ـ الدكتور عبدالعظيم السيد
(١٣٩) دراسات فى اليهودية ط٢/١٩٣٧م.
✽ السنهوتى ـ الدكتور محمد نصر الدين
(١٤٠) اينشتاين العقلية والإمكانيات ط أولى ١٩٥٧م.
✽ سليمان ـ الدكتور رزق السيد
(١٤١) الحضارة اليونانية ط أولى ١٩٤٥م.
✽ السعيد ـ الشيخ المرسى عبدالمطلب
(١٤٢) مصر القديمة عقائد وعبادات ط الدار القومية ١٩٣٣م .

❁ **سالم - الدكتور حسن محمد**
(١٤٣) الحضارة اليونانية القديمة – طبعة أولى ١٩٥٧م.
❁ **السعيد - الدكتور ناظم السيد محمد**
(١٤٤) المنظومة التاريخية للديانات الوثنية ط ثانية ١٩٥٧م.
❁ **سليمان - الدكتور محمد المهدى .**
(١٤٥) العقائد وتطوراتها – ط دار الفؤاد ١٩٥١م.
❁ **السفارى - الشيخ محمد عبدالعظيم**
(١٤٦) المسيحية الأصول والفروع ط أولى ١٣١٣هـ.
❁ **السنديونى - الشيخ محمد بن على .**
(١٤٧) دلائل التوحيد – ط الدار الميمنية ١٣٣٥هـ.
❁ **سلامة - الشيخ بدوى توفيق**
(١٤٨) قواعد الشريعة الإسلامية – ط أولى ١٣٩٣م.
❁ **سابق - الشيخ السيد**
(١٤٩) العقائد الإسلامية ط٣ دار التراث العربى – دار الكتب الحديثة.
❁ **السنديونى - الشيخ حسن عبدالعظيم .**
(١٥٠) أنبياء الله ط أولى – الدار الجديدة ١٣٣١هـ.

حرف الشين

❁ **الشيمى - العلامة عبدالوارث محمد**
(١٥١) الأسس الأصولية لدى الأقدمين – الدار الميمنية ١٣١٩هـ.
❁ **شلتوت - شيخ الإسلام محمود**
(١٥٢) الإسلام عقيدة وشريعة – ط ٦ دار الشروق ١٩٩٠م.
❁ **الشافعى - الشيخ محمد نووى .**
(١٥٣) نور الظلام شرح عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقى ط الحلبى ١٣٣١هـ.
❁ **شحاته - الدكتور عبدالفتاح.**
(١٥٤) تاريخ الخلفاء الراشدين ج١ ط الدار الجديدة .
❁ **الشهرستانى - الإمام عبدالكريم**
(١٥٥) الملل والنحل -تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الوكيل ط الحلبى .
❁ **شبل - الدكتور رمزى**
(١٥٦) مشكلات العلم – ط أولى ١٩٧٦م.
❁ **الشافعى - الإمام محمد بن إدريس**
(١٥٧) الأم – تحقيق الأستاذ محمود مطرمى – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٣٣م.
❁ **الشكعة - الدكتور مصطفى**
(١٥٨) إسلام بلا مذاهب .

حرف الصاد

❊ **صادق ـ الدكتور حسن السيد**

(١٥٩) اتجاهات الفكر القديم – ط الثالثة ١٩٥٧م.

حرف الطاء

❊ **الطويل ـ الشيخ عبدالحميد محمد**

(١٦٠) حضارة بابل وأشور – الدار البيضاء ١٩٣٩م.

❊ **الطبرى ـ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤/٣١٠هـ)**

(١٦١) تاريخ الأمم والملوك – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

حرف العين

❊ **عبده ـ الشيخ الإمام محمد**

(١٦٢) رسالة التوحيد – تعليقات الشيخ محمد رشيد ط ١٧ دار المنار ١٣٨٦هـ.

❊ **عزام ـ الأستاذ عبدالرحمن**

(١٦٣) الرسالة الخالدة – ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

❊ **العقل ـ الدكتور ناصر عبدالكريم**

(١٦٤) مجمل أصول أهل السنة فى العقيدة ط٢/١٩٩٢م.

❊ **عبود ـ الدكتور عبدالغنى .**

(١٦٥) العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة ط٢/١٩٤٥م.

❊ **عبدالعظيم ـ الشيخ محمد**

(١٦٦) معالم العقيدة الصحيحة ط٢.

❊ **العطار ـ الشيخ محسن محمد عبدالعظيم**

(١٦٧) التراث اليونانى القديم ط٢/١٩٤٢م.

❊ **عطية ـ الشيخ محمد عبدالمقصود**

(١٦٨) اتجاهات الفكر الشرقى القديم – طبعة الاستاد ١٣١٩هـ.

❊ **عبدالكريم ـ الأستاذ محمد عبدالكريم أحمد**

(١٦٩) منهج الفخرى فى دراسة الأديان والفرق– رسالة ماجستير بكلية دار العلوم– جامعة القاهرة ١٩٩٩م

حرف الغين

❊ **الغزالى ـ حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد (٤٠٥/٥٠٥هـ)**

(١٧٠) إلجام العوام عن علم الكلام – طبعة مصطفى رياض – منشورات الحكمة

(١٧١) إحياء علوم الدين – تحقيق الدكتور بدوى طبانة – طبعة الحلبى .

❊ **الغزالى ـ الشيخ محمد**

(١٧٢) عقيدة المسلم – الطبعة الثالثة – دار الدعوة ١٤١١هـ.

❊ **الغمرى ـ العلامة الشيخ عبدالمجيد السيد**

(١٧٣) الموت فى القرآن الكريم – مكتبة زهران ١٣٣١هـ.

حرف الفاء

* **الفكهانى ـ الشيخ منصور محمد**

(١٧٤) خطر التقليد على الأمة الإسلامية ط أولى ١٩٣٥م.

* **فيكتور ـ الأستاذ جون**

(١٧٥) عقائد الشرق القديم – ترجمة عبدالعظيم بن عبشان – مكتبة القصرين ١٩٣١م.

* **فهمى ـ الدكتور مصطفى .**

(١٧٦) الدوافع النفسية – ط مكتبة مصر ١٩٦٠م.

حرف القاف

* **القط ـ الدكتور منصور عبدالقادر**

(١٧٧) أرسطو وفلسفته ط أولى – الدار الحديثة ١٩٥٧م.

* **القناوى ـ الشيخ مصطفى صادق**

(١٧٨) النفس الإنسانية ط أولى ١٩٤٥م.

حرف الكاف

* **الكابولى ـ الشيخ محمد نعمانى**

(١٧٩) المسيحية وتأثرها بالأديان الوثنية – تحقيق زاهد محمد الندوى ١٩٥٧م.

* **كامى ـ المستشرق أليبير**

(١٨٠) الديانات القديمة – – ترجمة مالك بن الأعز – ط دار الوفاء – تونس ١٩٥٧م.

(١٨١) تاريخ الديانات القديمة – ترجمة أبو عزيز – ط مراكش ١٩٤١م.

* **كولر ـ المستشرق جون .**

(١٨٢) الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة

* **كريمر ـ الأستاذ صمونيل**

(١٨٣) من ألواح سومرة – ترجمة الأستاذ طه باقر – تقديم أحمد فخرى

* **كاجدان ـ المستشرق أ.ب**

(١٨٤) الديانة والإلحاد فى العالم القديم – ترجمة محمد رمزى – ط موسكو ١٩٥٧م.

* **كوسيدوفسكى ـ المستشرق الروسى**

(١٨٥) حين كانت الشمس إلها – ط موسكو ١٩٦٨م.

حرف اللام

* **اللجنة الدولية بإشراف اليونسكو**

(١٨٦) تاريخ البشرية – المجلد السادس – القرن العشرون – التطور العلمى والثقافى ج١ – تطور المجتمعات – الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١م.

* **لوز ـ المستشرق دان بى**

(١٨٧) الاعتقادات القديمة – ترجمة رزق عبدالسيد – استراليا ١٩٤١م.

حرف الميم

* **ميتز ـ المستشرق آدم**

(١٨٨) تاريخ الحضارة الإسلامية

❊ المنيلاوى ـ الشيخ محمد نور الدين
(١٨٩) دراسات فى آى القرآن – ط أولى ١٣١٥هـ .
❊ موريس ـ القس جورج
(١٩٠) الآثار الهندية القديمة – ط أولى ١٩٣١م.
❊ المنياوى ـ الشيخ منصور محمد
(١٩١) الإيمان والإسلام – ط دار الهدى ١٩٤٣م.
❊ مزروعة ـ الدكتور محمود محمد
(١٩٢) دراسات فى اليهودية – طبعة دار الطباعة المحمدية ١٩٨١م.
❊ المقريزى ـ العلامة أحمد بن محمد
(١٩٣) الخطط – الجزء الرابع .
❊ موراى ـ أدوارد. و.ج.
(١٩٤) الدافعية والانفعال – طبعة أولى – دار الشروق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
❊ المعهد السوفياتى للحضارات
(١٩٥) الاندامانيون واعتقاداتهم – ترجمة الأستاذ نورى محمد الدعميش ط المعهد الانتوغرافى
❊ المنيلاوى ـ الشيخ نصر الدين السيد
(١٩٦) الدلائل اللغوية وأثرها فى علم اللغة – طبعة الدار الجديدة ١٣٣٥هـ
❊ المنيلاوى ـ الشيخ عبدالرحيم محمد
(١٩٧) عقيدة التوحيد وأثرها فى النفوس ط أولى ١٣٣٥هـ

حرف النون

❊ النسفى ـ شيخ الإسلام أبو المعين .
(١٩٨) كتاب التمهيد لقواعد التوحيد .
❊ النبهانى الشيخ محمد عبدالعظيم
(١٩٩) البعث فى القرآن والسنة – ط الدار السلفية ١٣١٣هـ.
(٢٠٠) طريق الوصول – الدار الميمنية ١٣١٧هـ.
❊ نصر ـ الدكتور فوزى محمد
(٢٠١) الشعراء المحدثون – طبعة أولى ١٩٧٧م.
❊ نواره ـ الشيخ محمد سيد أحمد
(٢٠٢) بلاد الشام حضارة وعقائد – ط مراكش ١٣٦٥هـ.
❊ نيت ـ المستشرق جرافت
(٢٠٣) الصنائع القديمة والخرافات الوثنية – ترجمة السيد محمد ط ١٩٣٧م.
❊ نصر ـ الدكتور فوزى السيد
(٢٠٤) اليهود بين التاريخ والأحداث ط الدار القومية ١٩٤١م.

حرف الهاء

❊ هيبرز ـ المستشرق أ.ب
(٢٠٥) ديانات فارس القديمة – ترجمة رزق اسكندر ط أولى ١٩٦١م.

❊ **هيرز ـ المستشرق توماس**

(٢٠٦) الحضارة القديمة فى بابل وأشور .

حرف الواو

❊ **واينر ـ المستشرق توماس**

(٢٠٧) الاتجاهات الدينية القديمة – ترجمة صبرى حسن ط أولى ١٩٤٧م.

❊ **وافى ـ الأستاذ السيد عبدالبديع**

(٢٠٨) عقيدة اليهود فى تجسيد الإله وموقف الإسلام منها (رسالة ماجستير) – المعهد الأسيوى ٢٠٠٠م.

حرف الياء

❊ **يوست ـ القس جورج**

(٢٠٩) قضايا الكتاب المقدس – ترجمة هناء رزق ١٩٣٧م.

❊ **يسرى ـ الدكتور محسن السيد**

(٢١٠) اليهود عبر التاريخ ط أولى ١٩٦١م.

هذا بخلاف العديد من المصادر؛ التى أمكننى الرجوع إليها، واستفدت من فكرها؛ وكذلك الصحف السيارة؛ وقد رأيت عدم ذكرها تخفيفا على صحيفة المصادر، وسوف يطالعها القارئ الكريم بنفسه أسفل الصفحات؛ والله أسأل السلامة فى الدين والدنيا، والنجاة فى الآخرة؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .


الفهارس

فهرس الأعلام المترجم لها

م	العلم المترجم له	الصفحة
(٥٥)	الفخري	٣٥٢
(٥٦)	فروة بن مسيك	٣٣١
(٥٧)	قتادة	٥١
(٥٨)	القشيري	٣٣٢
(٥٩)	قيس بن الحجاج	١٣٩
(٦٠)	الماوردي	٤٤
(٦١)	المتنبي	٢٦٠
(٦٢)	المقداد بن معد رضي الله عنه	٩٨
(٦٣)	موسى عليه السلام	٣٢٢
(٦٤)	هشام بن عروة	٢٠٦
(٦٥)	وهب بن منبه رضي الله عنه	٣٣٤
(٦٦)	يهوذا	٢٦٢

فهرس البلدان المترجم لها

م	العلم المترجم له	الصفحة
(١)	أور	٢٥٣
(٢)	بابل	٢٢٠
(٣)	روما	٣٢٣
(٤)	فارس	٣١٥
(٥)	القسطنطينية	٣٢٦
(٦)	مكة	٨٩

فهرس الموضوعات


الأستاذ الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية
وموقف الإسلام منها
رقم الإيداع : ٧٩٠٦ / ٢٠٠٣م
فى ٢٠٠٣/٤/٨


آل بسيونى للكمبيوتر - غزالة - الزقازيق شرقية
٠٥٥/٢٣٧٠٠٨٠